

البنية النحوية في
شعر مبارك بن سيف آل ثاني
دراسة نحوية دلالية



البنية النحوية في شعر مبارك بن سيف آل ثاني

دراسة نحوية دلالية

الدكتور/ علي أحمد الطوالبة

مؤسسة قطر للتربية والعلوم وتنمية المجتمع / أكاديمية قطر - الدوحة

الطبعة الأولى: ٢٠١٥م

الدوحة، قطر

الناشر: وزارة الثقافة والفنون والتراث

إدارة البحوث والدراسات الثقافية

قسم الإصدارات الثقافية والنشر

هاتف: ٤٤٠٢٢٨٥٠ (+٩٧٤)

فاكس: ٤٤٠٢٢٢٣١ (+٩٧٤)

ص.ب: ٣٣٣٢

رقم الإيداع: ١٠٨ / ٢٠١٥

الترقيم الدولي (ردمك): ٦ - ٨٨ - ١٠٤ - ٩٩٢٧ - ٩٧٨

المراجعة والمتابعة: خالد العودة الفضلي

تصميم وإخراج: أحمد محمد حنفي - مطابع الوراق

جميع الحقوق محفوظة

(لا يُسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر).

البنية النحوية في شعر مبارك بن سيف آل ثاني دراسة نحوية دلالية

تأليف

الدكتور / علي أحمد الطوالة

مؤسسة قطر للتربية والعلوم وتنمية المجتمع

أكاديمية قطر - الدوحة

الدوحة - ٢٠١٥ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي *
وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾

صدق الله العظيم

كانت ولا تزال إدارة البحوث والدراسات الثقافية بوزارة الثقافة والفنون والتراث تقدم الثقافة بكل جوانبها وبمختلف معارفها الإنسانية المتنوعة بما تمثله من غداء للفكر والروح وها هي تقدم من خلال هذا الكتاب الذي يمثل بحثاً متفرداً من خلال سبر أعماق الشعر بمنظور نحوي متمكن، فإذا كان الشعر كما قيل (ديوان العرب) فإن النحو هو عموده وذروه سنامه، بخاصة إذا كان الشاعر هامة عالية كالشاعر الشيخ/ مبارك بن سيف آل ثاني، والمؤلف الدكتور/ علي أحمد الطوالبة وهو دكتور متخصص بالنحو واللغة، فبهذا الكتاب استطاع الأخير أن ينال درجة الدكتوراة بمرتبة الشرف الأولى والقارىء لهذا الكتاب سيجد فيه تذوقاً نحوياً بإبداع شعري متميز فكأنه كتابين في كتاب واحد.

فنرجو أن يكون هذا الكتاب شائقاً ومفيداً للمهتمين بالثقافة والنحو والشعر، ونعد قراءنا بمزيد من الإصدارات القادمة إسهاماً من وزارة الثقافة والفنون والتراث في تعزيز دورها الرائد في تنمية الثقافة القطرية والعربية.

إدارة البحوث والدراسات الثقافية

تقديم

مثل هذا الكتاب يقف التقديم دون الوفاء ببيان مواطن الجدة والإبداع والإفادة فيه، ولا يفني بذلك إلا قراءته، فهو يكشف عن قدر الشاعر وقُدرة الكاتب، وبه نال درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى، وما أكتبه هو أقرب إلى الانطباع منه إلى التقديم.

فبعد قراءتي لهذا الإنجاز الرائع، تمثلت لي جرأة الوثائق التي اعتمدت في نفس د. علي، فاقتحم بها عقبة كؤودًا يتجنبها الكثير من أرباب الأدب، لما فيها من عثرات ومزالق، تلك هي ظواهر النحو العربي في آفاق الشعر، فكثيرًا ما تنبو فيها سيوفهم، وتكبو جيادهم، وتنزل أقلامهم، ولقد تكللت جهوده بالنجاح، ووصل إلى منتهى المرتقى الصعب، فحققت اللغة العربية يشهد له بالسبق في فن التربية والتعليم، فهو المعلم الفذ الذي يمسك بناصية هذا الفن، وكم من عالم أخفق فيه؛ لأن إجادة التواصل تقتضي القدرة على فهم النفس الإنسانية، وتقتضي الوصول إلى القبول قبل التمكن من مادة التعليم.

وفي دراسة د. علي للبنية النحوية في شعر مبارك بن سيف آل ثاني من حيث الحذف والإثبات والتقديم والتأخير والدلالة اللغوية لكل عنصر من عناصر البحث، ينتهي إلى القول: «وجدنا أن مبارك بن سيف قد حافظ - من خلال أشعاره - على الأبنية الأساسية للجملة العربية، فلم يخرج على النظام النحوي العربي، لكنه استفاد مما أتاحه له ذلك النظام الذي يبيح للمبدع أن يتصرف ضمن الإطار الذي تسمح به القواعد النحوية»، وهذه النتيجة لا تستغرب من مبارك بن سيف صاحب ديوان (السراب)، و(الليل والاضفاف)، والمطولة الشعرية (أنشودة الخليج)، و(ليال صيفية) الذي حصل به على درع وجائزة (ولادة) من المعهد الثقافي الإسباني العربي في مدريد، والمسرحية الشعرية (الفجر الآتي)، وقد كتب (النشيد الوطني القطري)، و(نشيد الشباب الرسمي) للدولة، و(نشيد المدينة الجامعية)، وحصل على جائزة الدولة التقديرية للآداب في نسختها الأولى.

والباحث في وصفه الموضوعي للظواهر النحوية في شعر مبارك بن سيف يقرنها بالتفسير العلمي والدلالي لتلك الظواهر، ويقول أحيانًا: «أراد الشاعر كذا وكذا...»، وربما كان المعنى الذي في قلب الشاعر غير ذلك، ولكن للباحث الحق في حكمه؛ لأن الكلمة التي تخرج على لسان الشاعر أو قلمه، تخرج عن ملكيته لها، وتصبح ملكًا للتاريخ الأدبي، وللقارئ أن يفهمها على الوجه الذي تعطيه الدلالة اللغوية الموروثة عن فصحاء العرب، وقد حفظتها المعجمات وشواهد الشعر والنثر، وقد جاءت آراء الباحث دالة على الفهم العميق لما يرمي إليه الشاعر؛ لأنه والشاعر كليهما يصدران عن فهم لغة العرب وأساليبها، وكأنه في كثير من المواطن يقرأ قلب الشاعر ويرى بوضوح ما وراء كلماته، وهو إلى

ذلك ذِوَاقَة، والتذوق يتعلق بثقافة المتذوق ومدى فهمه لكلام العرب وأساليبهم، ويتأثر بنفسيته وميوله واتجاهاته، ومن ثم فأمور التذوق تختلف من فرد إلى آخر، وقد تتوافق بين اثنين أو أكثر، وقد تتعارض، وقد تحتل وجوهاً عدة في آن واحد، فهو يقول مثلاً: «إن المنطق يقتضي زيادة استخدام الأفعال الناسخة على الحروف الناسخة، ذلك أن عددها يبلغ في اللغة ضعف عدد الحروف الناسخة»، وأرى أن هذا الأمر لا يخضع لعدد، ولا يقصده الشاعر ولا يتعمده، إنما هو استجابة لموقف يعبر الشاعر فيه عما يشعر به ويفكر، فالحاجة إلى أسلوب أو كلمة أو صياغة تفرض على الشاعر أن يقول كذا أو كذا، ويقتضي المعنى الذي يعبر عنه أن يقول كذا أو كذا، فالفيصل هو الموقف والتعبير الصادق، والحاجة إلى البيان، ثم إن عدد هذه الظاهرة أو تلك عدد عام يختلف من شاعر إلى آخر، ومن ثم فلا يقال: قصر الشاعر في استخدام كذا أو كذا.

إن القارئ لهذا الكتاب يلمس اطلاع الباحث العميق على مصادر النحو العربي، وفهمه الواعي لما جاء فيها من أمور وقع في بعضها خلاف بين علماء النحو، مما جعله يتفهم مواطن في شعر مبارك بن سيف لا يدركها إلا المتمكن من النحو العربي وأساليب الشعر الفصيح، ففي قول شاعرنا:

أين الأساطيلُ الغزاةُ وبأسُها ذهبْتُ، ولم تَبْقَ لها أصداءُ

فالذي لم يطلع على مصادر النحو وأساليب العرب يظن أن الشاعر قد أخطأ ولم يجزم بحذف حرف العلة (لم يبقَ)، ولكن الباحث وهو العارف بدقائق اللغة المطلع على أمّهات مراجع النحو يقول: «الألف المثبتة هي الألف الناشئة عن إشباع فتحة القاف، وليست حرف علة، لأنه حُذف كعلامة على جزم الفعل. ينظر: الخصائص، لابن جني، باب (في مطل الحركات) ١٢١/٣، ١٢٢».

إن الظواهر النحوية التي أحصاها الباحث، أتى بها موثقة بشواهد نحوية وردت في أمّهات كتب النحو، وقد حرص على ربطها بدلالاتها اللغوية، ولولا ذلك لكانت أموراً شكلية صماء، ثم إن الإحصاء الذي التزم به للحالات النحوية في دراسته لشعر مبارك بن سيف، وبيّن فيها عدد مرات ورودها في شعره، هذا الإحصاء لا يعطي دلالة على الكثرة أو القلة لمن لم يطلع على حجم الشعر الذي وردت فيه، وهو ما تضمنه كتاب (الأعمال الشعرية) لمبارك بن سيف.

ويقول الباحث في خاتمة كتابه: «كل ما أرجوه في هذا البحث أن أكون قد أصبت شيئاً من التوفيق في وضع شاعرنا الشيخ مبارك بن سيف آل ثاني في مكانته الأدبية التي يستحق»، وأقول له: «لقد أصبت التوفيق».

زهدي أبو خليل

مقدمة

هذه هي الطبعة الأولى لهذا الكتاب، وهو البحث الذي نلتُ به درجة الدكتوراه من كلية دار العلوم بجامعة القاهرة في ٢٩/١/٢٠١٤م بمرتبة الشرف الأولى، وأشرف عليها الأستاذ الدكتور طه محمد الجندي - أستاذ النحو والصرف والعروض في كلية دار العلوم في جامعة القاهرة - وأُجريت عليها بعض التعديلات؛ لتكون مناسبة للقارئ .

يحاول الكتاب دراسة البنية النحوية في شعر مبارك بن سيف آل ثاني؛ ذلك أنّ فهم النص الأدبي يعتمد على فهم بنائه النحوي، كما أنّ الفهم الصحيح للنحو - على رأي الأستاذ الدكتور محمد عبد اللطيف حماسة^(١) - هو الفهم الصحيح للأساس الدلالي الذي يقوم عليه أي نص .

«فالتفاعل بين العناصر النحويّة والعناصر الدلالية قائم، فالعنصر النحويّ يمدُّ العنصر الدلاليّ بالمعنى الأساسي في البناء اللغويّ؛ مما يساعد على تحديد المعنى وتمييزه، وكذلك يمدُّ العنصر الدلاليّ العنصر النحويّ ببعض الجوانب التي تساعد على تحديده وتمييزه .

جاء الكتاب في ثلاثة أبواب، إضافة للخاتمة، وثبّت للمصادر والمراجع، وفهرس المحتوى. وقد حاولتُ ما وسعني الأمر الإيجاز غير المُخلّ في بعض المواطن، والزيادة حيثُ استوجب الأمر ذلك مسترشداً بأمّهات الكتب النحوية والبلاغية، وكتب المعاصرين. أمّا أبواب الكتاب فتوزّعت على النحو الآتي:

الباب الأول: التقديم والتأخير في شعر مبارك بن سيف آل ثاني .

الباب الثاني: الحذف في شعر مبارك بن سيف آل ثاني .

الباب الثالث: الاستفهام والنفي في شعر مبارك بن سيف آل ثاني .

وأودُّ أن أسجّل الشكر والتقدير لوزارة الثقافة والفنون والتراث في دولة قطر ممثلة بالدكتور مرزوق بشير بن مرزوق - مدير إدارة البحوث والدراسات الثقافية - الذي كان مؤيداً، ومشجعاً لطباعة الرسالة نظراً للقيمة الأدبية التي يتمتع بها الشيخ مبارك بن سيف آل ثاني، وللجهد العلمي المبذول فيها. كما أسجّل شكري وعرفاني لأعضاء لجنة الدراسات والبحوث الثقافية المعتمدة من سعادة وزير الثقافة والفنون والتراث الذين قرروا الموافقة على طباعة الكتاب.

(١) ينظر: النحو والدلالة، ص ٨ .

والشكر موصول لأستاذي (موجّه اللغة العربية في وزارة التربية والتعليم/قطر لعقود): **أستاذنا زهدي أبو خليل**؛ لتفضله بالموافقة على كتابة تقديم لهذا الكتاب.

وفي هذا المقام أكرّر شكري وتقديري لأستاذي الأستاذ الدكتور طه محمد الجندي - أستاذ النحو والصرف والعروض في كلية دار العلوم في جامعة القاهرة، ولأساتذتي أعضاء لجنة المناقشة؛ الأستاذ الدكتور محمد عبد المجيد الطويل أستاذ النحو والصرف والعروض ورئيس قسم اللغة العربية في كلية دار العلوم/جامعة القاهرة، وعميد كلية الآداب في الجامعة نفسها سابقاً.

والأستاذ الدكتور أحمد الزيني علي العزازي أستاذ اللغويات / جامعة الأزهر - فرع الزقازيق، وعضو لجنة المُحكّمين باللجنة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة في جامعة الأزهر.

ولا يفوتني أن أشكر زملائي في مدرسة (جاسم بن حمد الثانوية المستقلة للبنين) في دولة قطر الذين أزروني بتقديم التسهيلات، والعون والمساعدة في مراحل هذا البحث، وأخصّ بالذكر: **الأستاذ خميس مبارك المهندي** مدير المدرسة، وصاحب الترخيص. والزملاء جميعاً في قسم اللغة العربية. كما أتوجه بالشكر الجزيل لزميلاتي وزملائي في قسم اللغة العربية في أكاديمية قطر.

والله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب القارئ العربي، ويشجّع الشاعر العربي نحو المزيد من العطاء والإبداع.

علي الطوالة

مدخل للكتاب :

أولاً : مفهوم كلمة الأدب :

تطوّرت دلالة كلمة (الأدب) عبر العصور^(١)، فقد كانت تعني رياضة النفس بالتعليم وتمارينها على حسن الخلق، فلفظ المؤدّب يُرادف معنى المعلم، وأصبح لفظ الأدب يدلُّ على ما يُلقيه المعلم على تلاميذه من أشعار وقصص، ثم انفرد الشعراء والكتاب بهذا اللقب .

وصُنِّفت كتب تحمل كلمة (الأدب) كعنوان، نحو: الأدب الكبير والأدب الصغير، لابن المقفع، وأدب الكاتب، لابن قتيبة، فأصبح مفهوم الأدب يتسع؛ ليدلُّ على الكلام الجيد من الشعر والنثر، وما يتصل به من شرح ونقد وبلاغة، وأخبار، وأنساب، وعلوم تتعلّق بالعربية عامّة .

يقول الأستاذ زهدي أبو خليل^(٢): ويلاحظ أن كلمة (أدب) كانت تكتسب معاني جديدة من عصر إلى عصر، دون أن تفقد شيئاً من معانيها السابقة، فنحن في عصرنا الحاضر نعرف المأدبة بمعناها الذي كانت عليه في العصر الجاهلي، ونعرف الأدب بمعنى التعليم، وبمعنى الخلق الحسن، وبمعنى المنهج في كل فن، كأدب الحديث، وأدب الكاتب، وأدب الموظف، وبمعنى الشعر والنثر وعلومهما .

ثانياً : الأدب في الخليج العربي^(٣) :

كان لمنطقة الخليج دور في إثراء الأدب العربي من خلال شعراء مجيدين مثل : عمرو ابن قميئة، وسعد بن مالك، والمرقش الأكبر، وطرفة بن العبد. وظهر بين أبناء الخليج خطباء، مثل: صحرار بن العياش العبدى، وقيس بن خارقة. وكان في الخليج أسواق أدبية ومن أشهرها: دارين، وهَجَر، ودبا . ومن أشهر شعراء الخليج في العصور الإسلامية من الأمويين والخوارج: الجارود ابن المنذر، وزياد الأعجم، وقطري بن الفجاءة الذي يقول^(٤):

أَقُولُ لَهَا وَقَدْ طَارَتْ شَعَاعَا مِنْ الْأَبْطَالِ وَيَحْكُ لَنْ تُرَاعِي

(١) بتصرف: مدخل إلى تحليل النص الأدبي، للدكتور عبد القادر أبو شريعة، وحسين لافي قزق، ص ٨ - ١١ .

(٢) ذكر هذا في جلسة جمعت الباحث به .

(٣) بتصرف: الشعر الحديث في منطقة الخليج، للدكتور الرشيد بوشعير، ص ١٠ - ٢٥ .

(٤) الشاهد لقطري بن الفجاءة، ينظر: ديوان شعر الخوارج، إحسان عباس، ص ١٢٢، ١٢٣ .

وتطور الأدب في منطقة الخليج العربي في العصر الحاضر، وذلك لعوامل عدة، منها:

١- انتعاش الحركة الفكرية والأدبية بعد ظهور النفط، للتوسع في إنشاء المدارس، وإرسال البعثات.

٢- اختلاف النشاط الاقتصادي من الغوص وتسويق اللؤلؤ والرعي إلى صناعة النفط .

٣- الاستقرار السياسي الذي انتشر في الخليج بعد الاستقلال .

٤ - تشكلت حضارة واحدة وثقافة واحدة ذات سمات متشابهة غير بعيدة عن ثقافة بقية الدول العربية.

كما مرّ الشعر الخليجي بأطوار زمنية متعددة، هي:

١- طور التقليد : غلب على الشعراء فيه تقليد مَنْ سبقوهم من العصر العثماني؛ مما جعل شعرهم يتسم بالضعف.

٢- طور التطوير : اهتم الشعراء فيه بدراسة دواوين الشعراء الكبار: كالبحثري، والمتنبي، والبارودي، وشوقي، وقلدوهم فجاء تقليدهم أفضل من سابقهم .

٣- طور التجديد : بدأ هذا الطور في الخمسينيات واستمرَّ إلى الآن ابتعد فيه الشعراء عن التقليد، واتجهوا لنظم الشعر الحر.

ومن أهم الموضوعات التي عالجها شعراء الخليج:

١- الأغراض التقليدية : حيث تناول الشعر موضوعات عدة، منها: الموضوعات الدينية، والمديح، والرتاء، والغزل، وشعر المناسبات .

٢- الأغراض الجديدة : ومن الأغراض الجديدة التي ظهرت موضوعات أوجدتها التغيرات الاجتماعية والسياسية، مثل :

(أ) الموضوعات الاجتماعية، نحو: شعر البحر والغوص، والدعوة إلى الإصلاح والنهوض.

(ب) الموضوعات الوطنية والقومية، مثل: شعر التغني بالوطن، والدعوة للوحدة، والمشاركة في القضايا القومية والإسلامية كقضية فلسطين .

٣- الفنون جديدة، مثل : الملحمة الشعرية، والشعر القصصي، والشعر التمثيلي. وتميَّز فيها: إبراهيم العريض في ملحمة: (أرض الشهداء)، وقصة: (قبلتان)، وتمثيلية: (وامعتصماه).

ثالثاً : الأدب القطري :

كانت قطر منذ القدم موطناً لعدد من الشعراء، الذين عاشوا فيها، أو نُسبوا إليها، ومنهم: المثلّمس، والمثقب العبدى، وقطري بن الفجاءة .

لم يلق الشعر الحديث في قطر العناية التي يستحقها من حيث الرصد والجمع، وحتى الدراسة والبحث في الأدب القطري جاءت خجولة ومحددة، فقد ظهرت بعض الكتب والدراسات التي أرخت لنشأة الأدب القطري، نذكر منها:

• كتابي الدكتور محمد عبد الرحيم كافود:

- الأدب القطري الحديث. ط: ٢. دار قطري بن الفجاءة للنشر والتوزيع، الدوحة ١٩٨٢.

- دراسات في الشعر العربي المعاصر في الخليج. دار قطري بن الفجاءة - ط٢ عام ١٩٩٦ الدوحة.

• كتاب: الشعر الحديث في قطر تطوره واتجاهاته الفنية، للدكتور عبد الله فرج المرزوقي،

ط: ١، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث، مطابع رينودا الحديثة، الدوحة ٢٠٠٥ .

• ملامح القصة القصيرة في الأدب القطري، للدكتور ماهر حسن فهمي، ط: ١، دار قطري بن

الفجاءة، الدوحة، ١٩٨٣ .

• القصة القصيرة في قطر: دراسة فنية اجتماعية، للدكتور محمد عبد الرحيم كافود وآخرين،

مركز الوثائق والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، ١٩٨٥ .

• القصة القصيرة في قطر: النشأة والتطور، للدكتور محمد عبد الرحيم كافود، مركز الوثائق

والدراسات الإنسانية، جامعة قطر، ١٩٩٦ .

ويمكننا أن نرصد مسيرة الشعر الحديث في قطر في مرحلتين^(١) :

• **المرحلة الأولى** : وتبدأ من أوائل القرن التاسع عشر الميلادي، وهي مرحلة اتسم فيها الشعرُ

بالجمود والركود وغلبة الروح التقليديّة عليه من الناحية الفنيّة والموضوعات (المدح - الرثاء -

الغزل - النقااض والمهاجاة). ومن شعراء تلك المرحلة: الطباطبائي، وابن عثيمين، وماجد

الخليفي .

(١) بتصرف: الأدب القطري الحديث، للدكتور محمد عبد الرحيم كافود، ص ٨١ - ٩٢ .

• **المرحلة الثانية :** وتبدأ في منتصف القرن العشرين، مع الانتقال من الحياة التقليدية إلى الحياة العصرية الحديثة، وهي تُمثّل بداية نهضة حقيقية للشعر الحديث في قطر، وظهرت مدرستان، أوتياران :

الأول : التيار التقليدي. وهو امتداد للمرحلة الأولى ، حيث اتّجه أنصاره نحو المحافظة على الموروث القديم من الناحية الفنية، وهو الأساس الذي جرى عليه الشعراء في هذا التيار. وكانت أغلب موضوعاته وأغراضه تتمثل في شعر المناسبات الدينية، والوطنية، والتهنئة بالأعياد، والمدح، والرثاء، كما ظهر الشعر الوطني والقومي. ومن شعراء هذا التيار: أحمد الجابر، وعبد الرحمن المعاودة، وعلي بن سعود آل ثاني .

الثاني : تيار التجديد. وظهر في أوائل السبعينيات مع مجموعة من الشعراء الجُدد المعاصرين الذين تأثروا بالثقافة الحديثة، ونال معظمهم قسطاً من التعليم الحديث، وخبر المذاهب الأدبية المعاصرة، وتأثر بها، فظهرت القصيدة الرومانسية، وقصيدة التفعيلة، وقصيدة النثر. ومن شعراء هذا التيار التجديدي : مبارك بن سيف آل ثاني، وعلي ميرزا محمود، ومحمد خليفة العطية، والدكتورة زكية مال الله، ومعروف رفيق، ومحمد أحمد عبد الله المطوع .

يرى الدكتور كافود أن الشاعر القطري أحمد يوسف الجابر ممن عاصر المرحلتين؛ لذلك عدّه من الشعراء المخضرمين، وإن كان أكثر إنتاجاً في المرحلة الثانية .

ومن الشعراء الذين تحدث عنهم الدكتور كافود:

- عبد الجليل الطباطبائي عراقي المولد، ولكنه أقام في مدينة الزبارة القطرية فترة طويلة .

- الشيخ جاسم بن محمد بن ثاني الذي حكم قطر في نهاية القرن التاسع عشر .

- ماجد بن صالح الخليفي (١٨٧٣ - ١٩٠٧) .

- محمد بن عثيمين.

- محمد بن حسن المرزوقي .

- عبد الرحمن المعاودة .

أما القصة القصيرة فيرى الدكتور محمد عبد الرحيم كافود^(١) أن ظهورها ارتبط بظهور الصحافة المحلية التي بدأت منذ أواخر الستينيات، كمجلة العروبة التي ظهرت سنة ١٩٦٩. وتتمثل أولى المحاولات في كتابة القصة تلك التي بدأها الأستاذ يوسف نعمة، فظهرت له مجموعة قصصية بعنوان: بنت الخليج، ولقاء في بيروت، والولد الهات. وفي السبعينيات بدأ فن القصة بالنمو بصورة منتظمة، ويمثل الدكتور كافود لهذه المرحلة بقصص ليوسف نعمة، وأحمد عبد الملك، وخليفة الكبيسي، وإبراهيم المريخي، وإبراهيم السادة، ومي سالم، وبشرى ناصر، وغيرهم.

وفي منتصف السبعينيات برزت مجموعة من الكاتبات عدّهن كافود البداية لنمو وظهور القصة القصيرة، وهن: كلثم جبر، وأم أكثم، ونورة آل سعد، وحصة الجابر، ومايسة الخليفي.

رابعاً : التعريف بالشاعر مبارك بن سيف آل ثاني^(٢) :

- نسبه وولادته :

هو الشيخ مبارك بن سيف بن أحمد بن محمد آل ثاني، ينتسب الى المعاضيد من بطن الوهبة من قبيلة بني تميم، والده (الشيخ سيف بن أحمد آل ثاني) جده (الشيخ أحمد بن محمد آل ثاني) الفارس الشهير، ويُعدُّ اليدُ اليمنى لأخيه (الشيخ جاسم بن محمد) مؤسس دولة قطر، صاحب الصّولات في الحروب، الذي استشهد أثناء ركوعه في الصّلاة بيدٍ غادرة. أما والدته، فهي (منيرة بنت شاهين الجلاهمة)، وهي حفيدة (أرحمة بن جابر الجلاهمة) أحد الشخصيات البارزة تاريخياً في منطقة الخليج العربي في القرن التاسع عشر الميلادي، والجلاهمة هم مَنْ حكموا الكويت مع آل الصّباح وآل خليفة، وكانوا يديرون شؤون البحر.

وُلِدَ الشيخ (مبارك بن سيف بن أحمد بن محمد آل ثاني) في مدينة المحرقّ في مملكة البحرين الحالية سنة ١٩٤٩م.

- دراسته وعمله :

درسَ الشيخ مبارك في بريطانيا، ثم في بيروت، وحصل سنة ١٩٧٤م على درجة البكالوريوس في العلوم السياسيّة والاقتصاد.

(١) بتصرّف: القصة القصيرة في قطر: النشأة والتطور، للدكتور محمد عبد الرحيم كافود، ص ٩ - ٢٢.

(٢) بتصرّف: الأعمال الشعرية، ٣٢٩ - ٣٤١.

عملَ شاعرُنَا في السُّلك الدِّبلوماسيِّ في وزارة الخارجية، حيث كان مستشارًا في السَّفارة القطريَّة في القاهرة، ومندوبًا لدولة قطر لدى جامعة الدَّول العربيَّة، ثمَّ وزيرًا مفوضًا في وزارة الخارجيّة القطريَّة .

حصل الشَّاعرُ على العديد من الجوائز، كما شارك في العديد من الأنشطة الثقافية، منها:

- حصل على وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى من جمهوريَّة مصر في عهد أنور السادات.
- حصل على جائزة (ولادة) سنة ١٩٨٥ م، عن ديوان (ليالٍ صيفيَّة) ضمن مسابقة ضمَّت عددًا من الشُّعراء العرب والإسبان.
- أصدر مع زملائه جريدة (الخليج اليوم)، وظلَّ يرأس تحريرها لمدة زمنيَّة، وما زالت تصدر إلى يومنا هذا باسم (جريدة الشَّرق القطريَّة) .
- نشر العديد من الكتابات والدراسات الأدبيَّة والقصائد والمقالات، في صحفٍ قطريَّة وعربيَّة.
- شارك في العديد من المؤتمرات الثقافيَّة والأمسيات الشُّعريَّة والنَّدوات الأدبيَّة في كثير من الدَّول العربيَّة، مثل: مصر، والسَّعوديَّة، والعراق، وتونس، وسلطنة عُمان، وغيرها.

- نتاجه الشُّعريُّ:

ينتمي الشَّاعر الشيخ مبارك بن سيف - على رأي الدُّكتور كافود - للتيار التجديدي الذي ظهر في قطر في سبعينيات القرن الماضي، ولكن من حيث الشَّكل الشُّعري كان مبارك بن سيف مُقلِّدًا في معظم قصائده التي حافظ فيها على القافية والوزن الشُّعري، كما أنَّ مضمونها لم يخرج عن مضامين الشُّعر التقليدي من وصف ومديح، وغير ذلك.

ومبارك بن سيف آل ثاني شاعرٌ قطريُّ، من الشُّعراء العرب المعاصرين الذين برَّعوا في ميدان الشُّعر في الخليج العربيِّ، إذ كانت له نتاجاتٌ متنوعةٌ صوِّر بها البيئة الخليجيَّة عامَّةً والقطريَّة خاصَّةً، كما اهتمَّ بالقضايا العربيَّة المركزيَّة كقضيَّة فلسطين^(١)، ولبنان^(٢)، ولم يغب عن باله أنَّ يكتب عن مصر النيل^(٣) التي مكث فيها طويلا من خلال عمله في السَّفارة القطريَّة في القاهرة. والنَّاظر في محتويات دواوينه يلمحُ في قصائده الأبعاد الوطنيَّة والقوميَّة والدينيَّة، وحتَّى الإنسانيَّة؛ مما يوحي

(١) قصيدة: أجراس القدس. ص ٣١. وقصيدة: فلسطين موطن الأديان. ص ٨٣. يُنظر: الأعمال الشُّعريَّة، لمبارك بن سيف آل ثاني.

(٢) السَّابق نفسه، تُنظر قصيدة: إلى شهيدة الجنوب. ص ٦٩.

(٣) نفسه، تُنظر قصيدة: «من ربوع النيل إلى شواطئ اللؤلؤ». ص ٣١، وقصيدة: أنشودة وادي النيل. ص ٢١٦.

بأننا أمام شاعر موسوعي المعرفة، إنساني المشاعر والأحاسيس. يقول مُعرِّفاً شعره: « كلماتي هي دَوْبٌ نفسي، وعُصارةٌ فكري، وصدى عواطفي .. فهل تراها تتألُّ منك (يقصد القارئ) مثلما نالت مني؟ »^(١). هذا من حيث المضمون الشعري الذي حاول فيه الشاعر تغطية معظم القضايا التي عاناها الإنسان الخليجي والعربي والمسلم، بل وحتى الإنسان حيثما كان. أمّا من حيث الشكل الشعري فقد تنوّعت أشعاره بين شعر التفعيلة، والشعر المقفى، كما كتب الشاعر في الشعر المسرحي، فله مسرحية شعرية بعنوان: (الفجر الآتي)، وكتب أيضاً شعراً ملحمياً من خلال قصيدته المطوّلة: (أنشودة الخليج)، وهي تزيد على الأربعمئة بيت من الشعر المقفى. استعرض فيها الشاعر الأحداث التاريخية التي مرّت بها البلاد العربية والإسلامية بشكل عام، ومنطقة الخليج العربي بشكل خاص.

كما أن شاعرنا خاض تجربة كتابة الأناشيد الشعرية فكتب الأناشيد الآتية:

• النشيد الوطني القطري (وهو السلام الأميري الحالي لدولة قطر).

• نشيد الشباب الرسمي لدولة قطر .

• نشيد المدينة الجامعية، وهي جامعة تضم كليات جامعية عالمية .

فهذا التنوع في شعر مبارك بن سيف من حيث الشكل والمضمون قد يساعد في فهم البناء النحوي الذي اعتمد عليه الشاعر من أجل إيصال أفكاره وعواطفه، فبراعة الشاعر تكمن في مدى قدرته على الاستفادة من الإمكانيات التي يتيحها له النظام النحوي.

كان الشاعر مُقلّداً في نشر نتاجه الشعري الجديد؛ وجاءت غزارة نشر نتاجه الشعري في السنوات (١٩٦٦ - ١٩٨٣م)، كما أن الشاعر بدأ بطباعة أول ديوان له وهو (الليل والضفاف) سنة ١٩٨٣م ثم نشر ديوانه (إنشودة الخليج) سنة ١٩٨٤م وهو مطوّلة شعرية تزيد على الأربعمئة بيت من الشعر المقفى، وفي سنة ١٩٩٠م طبع ديوانه المسمّى (ليال صيفية)، أمّا في سنة ١٩٩٢م فقد طبع مسرحيته (الفجر الآتي)، ثمّ جمّع دواوينه المذكورة آنفاً في كتاب (الأعمال الشعرية)، ونشرها أول مرة سنة ١٩٩٧م، وقد فاز هذا الكتاب بجائزة الدولة .قطر. التقديرية للآداب عام ٢٠٠٦م في نسختها الأولى، ثمّ أعاد طباعته ثانية سنة ٢٠٠٨م دون أن يضيف إليه أية دواوين أخرى. ولا نعلم أيّ نتاج شعري للشاعر بعد عام ٢٠٠٠م. وكان الباحث يأمل أن يتعرّف على رأي الشاعر في القضايا المعاصرة التي

(١) يُنظر مقدمة ديوانه: الليل والضفاف، ص ٣.

يتصدّرُها التّطوّرُ التّقنيّ الهائل في مجال الاتّصال، وغيرها من القضايا السّياسيّة التي غيّرت مسار التاريخ، مثل انهيار الاتّحاد السّوفيتي، وسيطرة أمريكا على مقدّرات الشّعوب باعتبارها القطب الأوحد في العالم بلا منازع، وقضيّة الرّكود، بل الانهيار الاقتصادي الذي يهدّد دول العالم بالدمار، وما يُسمّى بالربيع العربيّ. فكنا نحتاج لرأي الشّاعر بمثل هذه القضايا، وغيرها لاسيّما أنّه جسّد القضايا العربيّة والإسلاميّة والإنسانيّة بقصائد غاية في الرّوعة والإبداع .

الباب الأول

التقديم والتأخير في شعر مبارك بن سيف آل ثاني، ويشمل :

الفصل الأول : التقديم في الجملة الاسمية في شعر مبارك بن سيف، ويحتوي :

أولاً: أنماط التقديم في الجملة الاسمية في شعر مبارك بن سيف.

النَّمط الأول: تقديم المسند (الخبر) على المسند إليه (المبتدأ).

النَّمط الثاني: تقديم ما كان أصله خبراً (خبر النواسخ الفعلية).

النَّمط الثالث: تقديم ما كان أصله خبراً (خبر النواسخ الحرفية).

النمط الرابع: تقديم متعلقات الجملة المنسوخة، وغير المنسوخة.

ثانياً: استنتاجات حول قضايا التقديم في الجملة الاسمية في شعر مبارك بن سيف.

ثالثاً: القيم الدلالية لتقديم الخبر على المبتدأ .

الفصل الثالث : التقديم في الجملة الفعلية في شعر مبارك بن سيف، ويحتوي على:

أولاً: تقديم الفاعل على فعله، وقيمته الدلالية .

ثانياً: تقديم المفعول به، وقيمته الدلالية .

ثالثاً: تقديم متعلقات الجملة الفعلية، وقيمتها الدلالية .

الفصل الأول

التقديم في الجملة الاسمية، وقيمها الدلالية

في شعر مبارك بن سيف، ويحتوي:

أولاً: أنماط التقديم في الجملة الاسمية في شعر مبارك بن سيف، ويشمل:

النمط الأول: تقديم المسند (الخبر) على المسند إليه (المبتدأ).

النمط الثاني: تقديم ما كان أصله خبراً (خبر النواسخ الفعلية).

النمط الثالث: تقديم ما كان أصله خبراً (خبر النواسخ الحرفية) .

النمط الرابع: تقديم متعلقات الجملة المنسوخة وغير المنسوخة .

ثانياً: استنتاجات حول قضايا أنماط التقديم في الجملة الاسمية في شعر مبارك بن سيف .

ثالثاً: القيم الدلالية لتقديم الخبر على المبتدأ .

أولاً : أنماط التقديم في الجملة الاسمية في شعر مبارك بن سيف

- تمهيد :

يُعنى التقديم والتأخير بإعادة ترتيب نَسَق الجملة العربية، ويُعدُّ من شجاعة العربية، وبالتالي فالتقديم من العوارض المهمة التي ينبغي على الباحث التوقُّف عندها ودراستها بتأنٍ؛ لأنَّه « هو بابٌ كثيرُ الفوائد، جَمُّ المحاسنِ واسعُ النَّصْرِفِ بعيدُ الغايةِ، لا يزالُ يَفْتَرُّ لك عن بديعةٍ، ويُفْضي بك إلى لطيفةٍ »^(١). فمحاسن التقديم كثيرة تتضح عند معالجة القيم الدالة له، كما أنَّ من يعمل في الشعر يهتم بهذا العارض أَيْما اهتمام؛ لأنَّ فيه تحويلاً للفظ عن موقعه على حدِّ قول الجرجاني: «ولا تزالُ ترى شعراً يروِّقك مَسْمَعُهُ، وَيَلْطَفُ لديك مَوْقِعُهُ، ثُمَّ تَنْظُرُ فتجد سَبَبَ أنَّ راقَكَ وَلَطَفَ عِنْدَكَ أنَّ قُدَّمَ فيه شيءٌ، وَحَوَّلَ اللفظُ عن مكانٍ إلى مكانٍ »^(٢).

التقديم فنٌّ؛ لأنَّه يقوم على «التعامل مع الرتبة والمرتبة، والمكان والمكانة»^(٣). ويبقى السؤال: ما طبيعة ذلك التعامل؟ وما نسبة الإبداع فيه؟ وهل يستطيع مَنْ يخوض غماره التَّفَنُّن في نماذجه، فالتقديم والتأخير يرتبط بالأسلوب، وهو نشاطٌ أدبيٌّ ينتمي إلى الكلام الذي هو من صنيع المتكلم شاعراً كان أم ناثراً، وهذا ما عبَّر عنه الأستاذ الدكتور تمام حسان بقوله: «وهي، أي: التقديم والتأخير. ظاهرة مرتبطة بالأسلوب الذي هو عمل فرديٌّ في الأساس. بهذا يصبح العدول فكرة نحويَّة، ويصبح التقديم والتأخير نشاطاً أدبياً ينتمي إلى الكلام لا إلى نظام اللغة»^(٤). ومن هنا أثر الباحث النظر في شعر مبارك بن سيف للوقوف على نماذج من شعره تضمَّنت ذلك العارض؛ لدراستها وبيان جوانب الإبداع فيها.

وجد الباحث أنماطاً متعددة ورد فيها التقديم حيث تجاوزت (الخمسائة) موزعة على نوعي الجملة: الاسمية والفعلية .

قبل بيان أنماط التقديم في الجملة الاسمية ينبغي بيان كيف نظر النحاة قديماً ومحدثين إلى تعريف الجملة الاسمية، وإلى أقسامها، وترتيب مكوناتها .

(١) دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني، ص ٨٣ .

(٢) السابق نفسه، ص ٨٣ .

(٣) بديع التراكيب في شعر أبي تمام، للدكتور منير سلطان، ٥٦/٢ .

(٤) الخلاصة النحويَّة، ص ٨٦ .

- تعريف الجملة الاسمية ومكوناتها .

يُعرف ابن هشام المتوفى ٧٦١هـ الجملة الاسمية بأنها الجملة التي صدرها اسم: ك (زَيْدٌ قَائِمٌ...)، كما بيّن أنّ الجملة تُقسم إلى ثلاثة أقسام، هي: الجملة الاسمية، والجملة الفعلية: وهي التي صدرها فعل، كَقَامَ زَيْدٌ، والجملة الظرفية: وهي: « المُصَدَّرَةُ بظرف أو مجرور، نحو: أَعِنْدَكَ زَيْدٌ؟ وأفي الدَّارِ زَيْدٌ؟ إذا قَدَّرْتَ (زَيْدًا) فاعلا بالظرف والجار والمجرور، لا بالاستقرار المحذوف، ولا مبتدأ مُخْبَرًا عنه بهما »^(١).

وبهنا في هذا الفصل الجملة الاسمية التي عدّها الأستاذ الدكتور حماسة^(٢) النوع الأول من الجمل الإسنادية .

وتتكوّن الجملة الاسمية من ركنين رئيسيين هما: المبتدأ والخبر، وسماهما سيبويه: المسند والمسند إليه، فقال: « فالمبتدأ كلُّ اسمٍ ابْتَدِئَ بِهِ لِيُبَيَّنَ عليه كلامٌ، والمبتدأ والمبنيُّ عليه رفع، فالابتداء لا يكون إلا بمبنيٍّ عليه، فالمبتدأ الأول، والمبنيُّ ما بعده عليه، فهو مُسْنَدٌ ومُسْنَدٌ إليه »^(٣). وتحدّث سيبويه^(٤) وغيره من النحويين القدماء^(٥) عن التلازم بين المسند والمسند إليه، كما فصلوا الحديث في تعريف كل من المبتدأ والخبر.

وتعرّض المحدثون^(٦) لتعريف الجملة الاسمية، وبيّنوا كأسلافهم اعتمادها على ركني المسند والمسند إليه، ونظرتهم لتعريف الجملة الاسمية لا تكاد تختلف كثيرًا في مضمونها عن تعريف القدماء.

- أقسام الجملة الاسمية :

ذكر ابن جني^(٧) أنّ خبر المبتدأ يأتي على ضربين: مفرد وجملة، وقسم الخبر الجملة إلى: « جملة مركبة من مبتدأ وخبر، وجملة مركبة من فعل وفاعل. ولا بدّ لكل واحدة من هاتين الجملتين. إذا وقعت خبرًا عن مبتدأ - من ضمير يعود إليه منها، تقول: زَيْدٌ قَامَ أَخُوهُ ف (زيدٌ) مرفوع بالابتداء، والجملة

(١) يُنظر: مغني اللبيب، ٢/٢٧٦.

(٢) يُنظر: العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، للأستاذ الدكتور محمد حماسة، ص ٧٩.

(٣) يُنظر: الكتاب، ٢/١٢٦.

(٤) يُنظر: السابق نفسه، ١/٢٢.

(٥) منهم: ابن جني، اللُّع في العربية، ص ١٢، وأبو القاسم الزجاجي، الجمل في النحو، ص ٣٦، والجليس النحوي، ثمار الصناعة، ص ٨١، وابن عيش، شرح المفصل، ١/٨٧، وابن هشام الأنصاري، شرح قطر الندى، ص ١١٧.

(٦) منهم: الدكتور عبد العزيز عتيق، علم المعاني، ص ٤٩، والدكتور إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ص ٢١٨، والشيخ مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، ٢/٢٥٧.

(٧) يُنظر: اللع في العربية، ص ١٢.

بعده خبر عنه، وهي مركبة من فعل وفاعل، فالفعل (قَامَ)، والفاعل (أَخُوهُ)، والهاء عائدة على (زيد)، ولولا هي لما صحَّت المسألة، وموضع الجملة رفع بالمبتدأ^(١).

وقد قسم المجاشعي المتوفى ٤٧٩هـ^(٢) خبر المبتدأ إلى اسم مفرد، وجملة، وجعل الخبر المفرد نوعين، هما :

ما لم يحتمل ضميراً، نحو: زَيْدٌ غُلَامٌكَ.

ما احتمل الضمير، نحو: زَيْدٌ قَائِمٌ.

أما الخبر الجملة فبيّن أنه ضربان، هما :

الأول: جملة اسمية، وتتكوّن من مبتدأ وخبر، ويشتراط أن تشتمل على ذِكر الأول، أي: ضمير رابط (*) يعود على المبتدأ، نحو: زَيْدٌ أَبُوهُ قَائِمٌ.

الثاني: جملة فعلية من فعل وفاعل، ويشتراط فيها ما يشتراط في الجملة الاسمية من حيث الرابط، نحو: زَيْدٌ قَامَ أَبُوهُ.

تحدّث ابن عقيل المتوفى ٧٦٩هـ عن أقسام المبتدأ، فقال: «مبتدأ له خبر، ومبتدأ له فاعل سدّ مسدّ الخبر، فمثال الأول: زَيْدٌ عَاذِرٌ مِنْ اعْتَذَرَ، والمراد به: ما لم يكن المبتدأ فيه وصفاً مشتملاً على ما يُذكر في القسم الثاني، فزيد: مبتدأ، وعاذر: خبره ومن اعتذر مفعول لعاذر، ومثال الثاني: أسارِ ذانٍ؟ فالهمزة للاستفهام، وسار: مبتدأ، وذان: فاعل سدّ مسدّ الخبر»^(٣).

جعل الأستاذ الدكتور حماسة^(٤) لفظة المبتدأ ملخّصة لأُمور كثيرة تتعلق بمفهوم الابتداء، هي:

- الرفع؛ لأنّ المبتدأ لا يكون إلا مرفوعاً .
- الرتبة، فالمبتدأ لا يكون إلا أولاً، ولا يتأخّر إلا لدواعٍ، مع مراعاة أوليته.
- الصيغة؛ لأنّ المبتدأ لا يكون إلا اسماً .
- التّعيين، فالمبتدأ لا يكون إلا معرفة، أو مُخصّصاً.

(١) السابق نفسه، ص ١٣ .

(٢) بتصرّف، شرح عيون الإعراب ص ٩٤، ٩٥ .

(*) تحدّث ابن هشام مطوّلاً عن أنواع الروابط التي تربط الخبر الجملة بالمبتدأ، وبيّن أنّها أربعة أنواع هي: الضمير، والإشارة، وإعادة المبتدأ بلفظه، والعموم . يُنظر: شرح قطر الندى، ص ١١٨ . ١١٩ .

(٣) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ١/ ١٧٧، ١٧٨ .

(٤) يُنظر: العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، ص ٨٠ .

- ترتيب مكوّنات الجملة الاسمية.

والأصل في ترتيب الجملة الاسمية أن يتقدّم المبتدأ ويتأخّر الخبر، يقول عبد القاهر الجرجاني: «اعلم أن مرتبة الخبر أن يكون بعد المبتدأ؛ لأنّه إذا لم يُعلم ما يُخبر عنه لم يُستفد من الخبر شيءٌ، ويجوز تقديمه على المبتدأ»^(١). ويُبّرر الشّيخ خالد الأزهري ت ٩٠٥هـ هذا التقديم للمبتدأ، والتأخير للخبر؛ لأنّ «المبتدأ محكوم عليه، حقّه التقديم؛ ليتحقّق تعقُّله، فيكون حقّ الخبر التأخير؛ لأنّه محكوم به: ك (زَيْدٌ قائمٌ)»^(٢).

وردّ المراغي سبب تقديم المبتدأ على الخبر إلى الرتبة، فقال: «ومن البين أن رتبة المسند إليه التقديم؛ لأنّه المحكوم عليه، ورتبة المسند التأخير؛ إذ هو المحكوم به، وما عداهما فتوابع ومتعلقات تأتي تالية لهما في الرتبة»^(٣).

والسؤال الآن: هل يتغيّر ترتيب الجملة الاسمية ؟ الجواب: نعم؛ وذلك:

- عندما تصبح رتبة كل من المبتدأ والخبر غير مقيّدة، أو تصبح حرّة عندما لا يوجد ما يوجب التزام كل منهما مكاناً بعينه .
- عندما تصبح رتبة المبتدأ والخبر مقيّدة؛ وذلك إذا وُجد ما يوجب التزام كل منهما بمكان بعينه.

ولكن لم يميل المتكلم إلى التغيير في رتبة المبتدأ والخبر في الكلام ؛ لأنّ ترتيب الألفاظ في الجملة محكومٌ بترتيب المعاني في النفس كما قال الجرجاني: «... وأما نظمُ الكلام فليس الأمر فيه كذلك؛ لأنّك تقتفي في نظمها آثار المعاني وترتبها على حسب ترتيب المعاني في النفس، فهو إذن نظمٌ يُعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس هو النظم الذي معناه ضمّ الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق»^(٤). وذهب المراغي مذهب الجرجاني، فقال: «الألفاظ قوالب المعاني فيجب أن يكون ترتيبها الوضعي بحسب ترتيبها الطبيعي .. ولكن قد يعرض لبعض الكلام من المزايا ما يدعو إلى تقديمه وإن كان حقّه التأخير فيكون من الحسن تغيير هذا النظام؛ ليكون المُقدّم مُشيراً إلى الغرض الذي يُراد ومُترجماً عما يُقصد منه»^(٥).

(١) المقتصد في شرح الإيضاح، ١/ ٣٠٢.

(٢) شرح التصريح على التوضيح، ١/ ٢١٢.

(٣) علوم البلاغة، ١١٧.

(٤) دلائل الإعجاز، ص ٤٠.

(٥) علوم البلاغة، ص ١١٧.

بعد تقديم هذا الملخص لعناصر الجملة الاسمية نبين أنماط التقديم في الجملة الاسمية في شعر مبارك بن سيف. وجاء التقديم في الجملة الاسمية في شعر مبارك بن سيف متفوقاً في الكم على التقديم في الجملة الفعلية، حيث جاء التقديم في الجملة الاسمية في (اثنين وثمانين ومائة) موضع. في حين جاء التقديم في الجملة الفعلية في (مائتي) موضع.

جاءت أنماط التقديم في الجملة الاسمية على النحو الآتي:

النمط الأول: تقديم المسند (الخبر) على المسند إليه (المبتدأ).

ورد الخبر مقدماً على المبتدأ في حوالي (أربعة وعشرين ومائتي) موضع، ويُعدُّ هذا الكم كبيراً إذا ما قورن مع الأبواب النحوية الأخرى التي تقدّمت في رتبها في شعر مبارك بن سيف: كالفاعل والمفعول، وغيرهما. وجاء تقديم الخبر وفق الأنماط الآتية:

(١) تقدّم الخبر، وهو (شبه جملة جار ومجرور) على المبتدأ المعرفة.

ورد هذا النمط في شعر مبارك بن سيف في (ثمانية وخمسين) موضعاً، أمّا حروف الجر التي تصدرت هذا النمط فهي :

١. حرف الجر (اللام) ومجروره، وتكرّر في (واحد وثلاثين) موضعاً، منها:

♦ قوله في مطولته: (أنشودة الخليج) ^(١):

هَـذِي أَسَاطِيلُ الْمَلِكِ تَحِيَّةٌ لَكَ - يَا مَلِكُ - الْبَحْرُ وَالْبَطْحَاءُ

ويمكن تخريج البيت إعرابياً على الأوجه الآتية:

- لك: الجار والمجرور (خبر مُقدّم) . - البحر: مبتدأ مؤخر .

♦ وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج) ^(٢):

هَـذِي الْحَضَارَةُ مِنْ أَعْرَ قَوْمِنَا لَهُمُ الْبَيَانُ وَحِكْمَةُ غَرَاءُ

٢. حرف الجر (في) ومجروره، وتكرّر في (أربعة عشر) موضعاً، من ذلك قوله في قصيدته:

(ذكريات في ليلة شتوية) ^(٣):

(١) الأعمال الشعرية، ص ١٣٩ . (الكامل)

(٢) السابق نفسه، ص ١٥٥ . (الكامل)

(٣) نفسه، ص ٧١ . (المقارب)

وَفِي قَلْبِهَا نَبَضَاتُ الْحَيَاةِ

وَفِي شَفَتَيْهَا خَفِيُّ الْوَعُودِ

٣. حرف الجر (الباء) ومجروره، وتكرر في (ثلاثة) مواضع، من ذلك قوله في قصيدته:
(أنشودة الخليج)^(١) :

وَبِهَ الْعُيُونُ الْإِبَاسَمَاتُ لِحَاضِهَا فَجَنَانُهَا بَيْنَ الرَّمَالِ رَوَاءُ

٤. حرف الجر (من) ومجروره، وتكرر في (ثلاثة) مواضع، منها:

♦ قوله في مسرحيته الشعريّة: (الفجر الآتي)^(٢) :

لَيْتَنِي ذَاكَ لِحُزْنِي يَا أَخِي

مِنْ وَرَاءِ الْغُشِّ آفَافِ الْمَغَانِمِ

٥. حرف الجر (الكاف) ومجروره، وتكرر في (خمس) مواضع، هي:

♦ قوله في قصيدته: (عودة إبريل)^(٣) :

أَضْأَنَانِي بَيْنُكَ سَاحِرَتِي كَالنَّارِ لُظَاهُ وَكَالْجَمْرِ

♦ وقوله في قصيدته: (من ربوع النيل إلى شواطئ اللؤلؤ)^(٤) :

كَالسَّحْرِ مَاؤُكَ يَا خَلِيجُ وَلَيْتَنِي أَشْدُو بِذِيَاكَ الْجَمَالَ وَأَصْدُقُ

٦. حرف الجر (على) ومجروره، وتكرر في (موضع)، هو قوله في مسرحيته الشعريّة (الفجر الآتي)^(٥) :

سَلَامُ اللَّهِ يَا قَوْمِي عَلَيْكُمْ

عَلَيْكُمْ يَا أَخَا الْعَرَبِ السَّلَامُ

(١) الأعمال الشعريّة، ص ١١٤ . (الكامل)

(٢) الأعمال الشعريّة، ص ٢٦٨ . (الرمال)

(٣) السّابق نفسه، ص ٦٤ . (المتدارك)

(٤) نفسه، ص ٦٩ . (الكامل)

(٥) الأعمال الشعريّة، ص ٣٠٦ . (الوافر)

(٢) تقدم الخبر، وهو (شبه جملة ظرفية) على المبتدأ المعرفة.

وردت الظروف في شعر مبارك بن سيف مُقدّمة على المبتدأ المعرفة في (سنة) مواضع، موزعة على النحو الآتي:

- قُرْبَ، وَخَلْفَ، وَدُونَ، ووردت في (ثلاثة) مواضع، وَبَيَّنَ في موضع. وجاءت كلها كظروف مكانية وليست زمانية .

١. ظرف المكان (قُرْبَ)، يقول مبارك بن سيف في قصيدته: (أنشودة الخليج)^(١) :

وَتَرَى هُنَا (نُورِيَّةً) مَرْمِيَّةً هَوَّاقَ الرَّمَالِ وَقُرْبَهَا الْبَغْلَاءُ

٢. ظرف المكان (خَلْفَ)، ويقول في القصيدة السابقة ذاتها^(٢) :

وَشَهِدَتْ (ذَا يَزْنَ) يَسِيرُ بِجُنْدِهِ أَسَدٌ جَرِيحٌ خَلْفَهُ السُّجْنَاءُ

٣. ظرف المكان (دُونِ)، والمواضع الثلاثة التي ورد فيها هذا الظرف، هي :

♦ يقول في قصيدته السابقة نفسها^(٣) :

فَإِذَا أَنْكَ فِي الْخَلِيجِ مُقَامُهُ يَحْكِي خَيَالاً دُونَهُ الْعَنْقَاءُ

♦ ويقول في قصيدته عينها^(٤) :

هَذَا تُرَابُ الْقُدْسِ فِيكَ مُنَادِيًا وَيَقُولُ : فَتَحَا دُونَهُ الْإِذْرَاءُ^(*)

♦ ويقول في القصيدة السابقة نفسها مفتخرًا بالخليج العربي^(٥) :

هَآ أَنْتَ بَيْتٌ لِلصِّدِّيقِ مُشْرِعٌ هَآ أَنْتَ حِصْنٌ دُونَهُ الْأَعْدَاءُ

(١) السابق نفسه، ص ١٠٢ . النورية: قارب لا يزيد طوله على مترين يُصنع من سَعَف النَّخِيل. الْبَغْلَاء: من السُّفْن الضَّخْمَة. يُنظر

هامش (١) في الصفحة نفسها . (الكامل)

(٢) الأعمال الشعرية، ص ١٢٦ . (الكامل)

(٣) السابق نفسه، ص ١٢٤. الْمُنْقَاء: طائرٌ مُتَوَهِّمٌ لا وجود له (أي: أَنَّهُ طَائِرٌ أُسْطُورِيٌّ). المعجم الوسيط (عَنقَ) ٢/٦٣٨ . (الكامل)

(٤) الأعمال الشعرية، ص ١٦١ . (الكامل)

(*) يقول ابن منظور ت٧١١هـ في اللسان (ذَرَأَ) ٢٨٤/١٤ مبيِّنًا معنى (الإذراء): «وَالْإِذْرَاءُ: ضَرْبُكَ الشَّيْءِ تَرْمِي بِهِ، تَقُولُ: ضَرَبْتُهُ بِالسَّيْفِ فَأَذْرَيْتُ رَأْسَهُ، وَطَعْنْتَهُ فَأَذْرَيْتُهُ عَنْ فَرْسِهِ أَيْ صَرَعْتَهُ وَالْقَيْتَهُ. وَأَذْرَى الشَّيْءَ بِالسَّيْفِ إِذَا ضَرَبَهُ حَتَّى يَصْرَعَهُ. وَالسَّيْفُ يَذْرِي ضَرْبِيَّتَهُ أَيْ يَرْمِي بِهَا، وَقَدْ يَوْصَفُ بِهِ الرَّمِيُّ مِنْ غَيْرِ قَطْعٍ» .

(٥) الأعمال الشعرية، ص ١٦٤ . (الكامل)

فالشاعر هنا يعلي من مكانة القدس في نفوس العرب والمسلمين، ويفدي ترابها بالغالي والنفيس، فلو كلف فتحها فصل رؤوسنا عن أجسادنا فلن نتوانى عن ذلك.

ظرف المكان (بَيِّنَ)، حيث يقول في قصيدته: (حلم شرقيّ الألوان)^(١) :

فَقَالَتْ :

بِقَلْبِكَ أَمْضِي الْحَيَاةَ

وَبَيْنَ يَدَيْكَ

رَهِينَةَ قَلْبٍ مُحِبٍّ ضَنِينٍ !!

ويستنتج الباحث مما تقدّم ما يأتي :

١- لم يأتِ الشاعر على ذكر ظرف الزّمان مُقَدِّمًا في الجملة الاسمية، واقتصر على الظروف المكانية - التي سبق بيّنها - ، وربّما نستنتج من ذلك أنّ مبارك بن سيف كان مرتبطًا بالمكان أكثر من ارتباطه بالزّمان، ويتأكّد لنا هذا إذا علمنا أنّ الشاعر قد قضى زهرة شبابه متنقلا بحكم دراسته وعمله بين لبنان، وبريطانيا، ومصر، والولايات المتحدة، وهي مدّة ليست بالقصيرة؛ لذلك انعكس هذا الاغتراب في شعره، فوجدناه يفيضُ مشاعر جيّاشة نحو موطنه الأصل الذي تربطه به ذكريات الطّفولة وتكفيها نظرة إلى عناوين بعض قصائده^(٢) لتتأكّد من مدى عشق الشاعر لوطنه.

٢- يلاحظ الباحث أنّ حروف الجر لم تتكرّر جميعها في الجملة الاسمية التي يتقدّم فيها الخبر على المبتدأ، بل وَجَدَ الباحث أنّ حرفي الجر (اللام، وفي) هما الأكثر تكرارًا، ولعلّ مرجع ذلك لسببين :

الأول : ذُكِرَ أنّ من معاني حرف الجر (في) الطّرقيّة؛ ولذلك كُثِرَتْ في شعر مبارك بن سيف؛ لِيُؤَكِّدَ حقيقة تعلق الشاعر بالمكان - مهد طفولته - ، ومرتع ذكرياته الجميلة. ويكفي أن نقرأ بتأنّ قصيدة للشاعر بعنوان: (مسافر على أمواج الخليج)^(٣)، كتبها في نيويورك سنة ١٩٧٤م، وقد

(١) السّابق نفسه، ص ١٧٥. الضّنين: الشّديد البُخل، أو البخيل بالشيء النّفيس. المعجم الوسيط (ضن) ١/٥٤٧. (من المتقارب)

(٢) تُنظر القصائد في: الأعمال الشعريّة، منها: مسافر على أمواج الخليج، ص ١٥، والليل والضّفاف، ص ١٧، والبين والأقدار، ص ٤١، وسحر البداوة، ص ٤٥، وبحر الزّمرد، ص ٤٧، وأمام نخلة، ص ٦٦، وذكريات في ليلة شتويّة، ص ٧١، وذكريات الطّفولة، ص ٧٧، وترنيمة الشّواطئ الغافية، ص ٢٢٧، وتأمّلات في ليلة صيفيّة، ص ٢٣٠.

(٣) السّابق نفسه، ص ١٥، ١٦.

خاطب فيها مياه الخليج، ورياحه راجياً أن تأخذه إلى وطنه، ثم يصل الحنين مداه آملاً أن يلتقي بوطنه قريباً^(١) :

فَهَلْ عَجَبًا أَنْ طَوَانِي الْحَنِينِ وَقُلْتُ : لِقَائِي بِأَرْضِي قَرِيبٌ
وَقُلْتُ وَدَاعًا كَفَى غُرْبَةً عَبَرْتُ الْحَيَاةَ كَطِيفٍ غَرِيبٌ

الثاني : ذكر ابن فارس ت ٣٩٥هـ أن اللام « تكون للتخصيص، نحو: الحمد لله »^(٢)، كما بين ابن هشام^(٣) أن لحرف (اللام) اثنين وعشرين معنى، منها : (الاستحقاق، والاختصاص، والمُلك، والتَّمْلُك ..) . وقد وردت (اللام) في شعر مبارك بن سيف بهذه المعاني التي يمكن أن تُردّ لمعنى المُلْك، أو التَّمْلُك، ولَعَلَّهُ أراد من ذلك التأكيد على استحقاق الممدوح، أو الموصوف للصّفات التي نسبها إليه، مثل قوله في قصيدته (من ربوع النيل إلى شواطئ اللؤلؤ)^(٤) :

فَلَهُ مِنَ الْأَطْيَافِ سِحْرُ خَيَالِهَا وَمِنْ الزَّبَرْجَدِ وَاللَّائِي رَوْنُقٌ

فالشاعر يريد أن يؤكد على أن الخليج العربي يمتلك الجمال والرونق . ولاحظ الباحث أن اللام المستخدمة عند الشاعر والدالة على المعاني المشار إليها قد وردت ضمن سياقين، هما :

الأول : إصاق الصّفات الجماليّة للخليج من حيث جمال مياهه، وطبيعته، وبيئته الخلابة بوساطة (اللام) الدالة على المُلْك، أو الاختصاص. - كالمثال السابق - وقول الشاعر في مطولته : (أنشودة الخليج)^(٥) :

وَلَنَا النَّخِيلُ الْبَاسِقَاتُ عَلَانِمَا الشَّامِخَاتُ، وَتَاجُهَا الْخِيَلَاءُ

الثاني : استحقاق أهل الخليج لصفات المدح والفخر التي ذكرها الشاعر في قصائده، منها^(٦) :

لَهُمُ السَّوَابِجُ وَالْعِتَاقُ رَوَاكِبٌ فَتَسَاوَتْ الْأَمْوَاجُ وَالْدَّهْنَاءُ

(١) نفسه، ص ١٥ . (المقارب)

(٢) الصّاحبي في فقه اللغة، ص ٩٥ .

(٣) يُنظر: مغني اللبيب ١/ ٢٠٨ - ٢٢١ .

(٤) الأعمال الشعريّة، ص ٦٩ . (الكامل)

(٥) السابق نفسه، ص ١٦٥ . (الكامل)

(٦) نفسه، ص ١٣١ . (الكامل)

ثُمَّ جَاءَ فِي قَصِيدَتِهِ (أَنْشُودَةُ الْخَلِيجِ) بِصِفَاتٍ مُتتَالِيَةٍ أَلصَقَهَا لِأَهْلِ الْخَلِيجِ بِاسْتِخْدَامِ اللَّامِ الدَّالَّةِ عَلَى الْمَعَانِي الَّتِي أَشْرْنَا إِلَيْهَا^(١) :

وَلَنَا الْجِيَادُ الصَّافِنَاتُ عَزِيزُهَا وَلَنَا الْقَرِيضُ وَحِكْمَةُ غَرَاءِ
وَلَنَا السَّجَايَا الْعَالِيَاتُ، وَلَمْ نَزَلْ قَوْمًا هُمُومًا وَمَكْرَمَاتُ إِخَاءِ
وَلَنَا الْمَطَايَا الرَّافِعَاتُ أَنْوَفَهَا وَمَثِيلُهَا قَوْمٌ لَهَا عُظَمَاءُ

ذكر الشاعر خمسة أبيات^(٢) على هذه الشاكلة؛ إذ جعلها مبدوءة بخبر مُقَدَّم (جار ومجرور)، وحرف الجر (اللام الدالة) على الملك، أو الاستحقاق. فتكرار حرف الجر (اللام) الدالة على الملك وتقدمه في تركيب الجملة الشعرية عند الشاعر، مع ملاحظة مجيئه في مواطن المديح والاعتزاز بالخليج المكان، والإنسان يدل على صدق انتماء الشاعر لوطنه وعشقه لأهله .

هذا عرضٌ يتضمَّن النَّاحِيَةَ الشَّكْلِيَّةَ الَّتِي جَاءَتْ عَلَيْهَا الْجُمْلَةُ الْاسْمِيَّةُ الَّتِي تَقْدِّمُ فِيهِ الْخَبْرُ عَلَى الْمَبْتَدَأِ جَوَازًا، وَأَمَّا الْقِيَمَةُ الدَّلَالِيَّةُ لِتَقْدِيمِ الْخَبْرِ عَلَى الْمَبْتَدَأِ فَنَسِيتُ الْحَدِيثَ عَنْهُ لَاحِقًا .

(٣) تقدم الخبر، وهو اسم مشتق على المبتدأ المعرفة.

حظيت هذه الحالة من حالات تقديم الخبر - كونه اسمًا مشتقًا - على المبتدأ، باهتمام العلماء عامةً، ومدرسة الكوفة خاصةً. فسيبويه يتصدى لأستاذة الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي يستقبح تقديم الخبر إذا كان اسمًا مشتقًا، فيقول :

«وزعم الخليل - رحمه الله - أنه يستقبح أن يقول: قَائِمٌ زَيْدٌ، وذلك إذا لم تجعل قائمًا مُقَدَّمًا مَبْنِيًّا على المبتدأ، كما تؤخَّر وتُقدِّم، فنقول: ضَرَبَ زَيْدًا عَمْرُوً، و(عَمْرُو) على (ضرب) مُرتفع، وكان الحدُّ أن يكون مُقَدَّمًا، ويكون زَيْدٌ مُؤَخَّرًا وكذلك هذا. الحدُّ فيه أن يكون الابتداء فيه مُقَدَّمًا، وهذا عربيٌّ جيِّدٌ، وذلك قولك: تَمِيمِي أَنَا، وَمَشْنُوهُ مَنْ يَشْنُوْكَ، وَرَجُلٌ عَبْدُ اللَّهِ، وَخَزُّ صَفَّتِكَ»^(٣).

وأجاز ابن جني هذا التقديم، فقال: «يجوز تقديم خبر المبتدأ عليه، تقول: قَائِمٌ زَيْدٌ، خَلَفَكَ بَكْرٌ، والتقدير: زَيْدٌ قَائِمٌ، وَبَكْرٌ خَلَفَكَ»^(٤).

(١) الأعمال الشعرية، ص ١٦٥ . (الكامل)

(٢) يُنظر: السابق نفسه، ص ١٦٥ .

(٣) يُنظر: الكتاب، ٢ / ١٢٧ .

(٤) اللمع في العربية، ص ١٥ .

واختار الزمخشري المتوفى ٥٣٥هـ^(١) هذا المذهب، وعَلَّ ابن يعيش المتوفى ٦٤٣ هـ ذلك الاختيار قائلاً: «لكثرة استعماله في كلام العرب قالوا: مَشْنُوٌّ مَنْ يَشْنُوْكَ، ف (مَنْ يَشْنُوْكَ): مبتدأ، وقوله: (مَشْنُوٌّ): الخبر، وهو مقدّم، وكذلك: تَمِيْمِيُّ أَنَا، ف(أَنَا): مبتدأ، و(تَمِيْمِيُّ): خبر مقدّم، ألا ترى أنّ الفائدة المحكوم بها إنّما هي كونه تَمِيْمِيًّا، لا أَنَا المَتَكَلِّمُ»^(٢). ويرى ابن عقيل المتوفى ٧٦٩ هـ جواز ذلك التقديم، فيقول: «... والحق الجواز؛ إذ لا مانع من ذلك، وإليه أشار - يقصد ابن مالك - بقوله: «وجوّزوا التقديم إذ لا ضَرَرًا»، فنقول: قَائِمٌ زَيْدٌ، ومنه قولهم: «مَشْنُوٌّ مَنْ يَشْنُوْكَ»، فَمَنْ: مبتدأ، ومَشْنُوٌّ: خبر مقدّم، وقَائِمٌ أَبُوهُ زَيْدٌ»^(٣).

ولا يعتدُّ ابن هشام المتوفى ٧٦١ هـ بهذا التقديم، ويرجّح تأخير الخبر في مثل هذه الأمثلة، فيقول: «الحالة الثالثة (من حالات الخبر) جواز التقديم والتأخير، وذلك فيما فُقد فيه موجبهما»^(٤).

أمّا مدرسة الكوفة فردّت هذه المسألة بحجة أنّ المشتق يشتمل على ضمير يعود على الاسم الظاهر بعده، إذ لا يجوز عندهم تقدّم الضمير وتأخّر مرجعه، وهو المبتدأ المؤخر في مثل قولنا: قائمٌ زيدٌ. فلا يجوز عندهم تقدّم الخبر، وهو الاسم المشتق (قائم)؛ لأنّه يشتمل على ضمير يعود على المبتدأ (زيد). لكنّ الردّ على تلك المدرسة جاء من أبي البركات الأنباري وغيره من العلماء فقال: «أمّا الجواب عن كلمات الكوفيين قولهم: لو جوّزنا تقديمه؛ لأدّى ذلك إلى تقديم ضمير الاسم على ظاهره. قلنا: هذا فاسد؛ وذلك لأنّ الخبر وإن كان مُقدّمًا في اللفظ إلاّ أنّه متأخر في التقدير، وإذا كان مُقدّمًا لفظًا متأخرًا تقديرًا، فلا اعتبار بهذا التقديم في منع الإضمار؛ ولهذا جاز بالإجماع: ضَرَبَ غُلامُهُ زَيْدٌ، إذا جعلت: زيدًا فاعلاً، وغلامه مفعولاً»^(٥).

يرى الباحث ما يراه جمهور النحاة بأنّه لا مانع أن يتقدّم الخبر، وهو اسم مشتق للأسباب التي ذُكرت، ولغايات دلالية يُستفاد منها: اختصاص المبتدأ بهذه الصّفة، يقول يحيى بن حمزة العلوي اليميني: «فإنّك إذا أخّرت الخبر فليس فيه إلاّ الإخبار بأنّ زيدًا قائمٌ لا غير، من غير تعرّض لمعنى من المعاني البليغة، بخلاف ما إذا قدّمته، وقلت: قائمٌ زيدٌ، فإنّك تفيد بتقديمه أنّه مُختصّ بهذه الصّفة من بين سائر صفاته من الأكل والضّحك وغيرها، أو تفيد تخصيصه بالقيام دون غيره من

(١) يُنظر: المفصل في علم العربية، ص ٢٤.

(٢) شرح المفصل، ٩٢ / ١.

(٣) شرح ابن عقيل، ٢١٤ / ١.

(٤) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ص ١٩٦ / ١.

(٥) الإنصاف في مسائل الخلاف، المسألة (٩) ٧١ / ١.

سائر أمثاله، وتفيد وجهاً آخر، وهو أن يكون كلاماً مع مَنْ يعرف زيداً ويُكر قيامه فتقول: قَائِمٌ زَيْدٌ رُدًّا لِإِنْكَارِ مَنْ يَنْكُرُهُ»^(١).

ورد في شعر مبارك بن سيف تقديم الخبر، وهو اسم مشتق على المبتدأ بقلّة، ويمكن حصر تلك الحالات في الآتي:

- يقول مخاطباً مياه الخليج في قصيدته (سفن الغوص البائسة)^(٢):

ظَالِمٌ أَنْتَ وَجِبَارٌ وَغَدَارٌ وَقَاسِي

تَزْرَعُ اللُّؤْلُؤَ فِي الْأَعْمَاقِ ...

ظَالِمٌ: خبر مُقَدَّم وهو من المشتقات (اسم فاعل).

أَنْتَ: مبتدأ مؤخر.

- ويقول في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٣):

رَجَّعَ لَهَا ضَحِكَاتَهُ مُسْتَهْتَرًا أَذُنٌ تُصَمُّ وَأَعْيُنٌ عَمِيَاءُ

رَجَّعَ: خبر مُقَدَّم، لأنه مصدر، والمصدر أصل المشتقات على رأي البصريين. أمّا الهاء في (لها) فتعود على عدو آدم (إبليس) - عليه لعنة الله - المذكور في البيت الذي يسبق هذا البيت ببيتين، ونصّه^(٤):

قَدْ جَالَ فِيكَ عَدُوٌّ آدَمَ سَاخِرًا عَزَلَ الْفَصِيلَ عَنِ الْفَصِيلِ وَشَاوُوا

(٤) تقدم الخبر، وهو شبه جملة جار ومجرور، والمبتدأ نكرة.

تكررت هذه الحالة في شعر مبارك بن سيف في (ستة وخمسين) موضعاً، ويُعدُّ هذا الكمُّ كبيراً إذا ما قورن مع ما ورد من حالات أخرى، وقد استخدم الشاعر (خمسة) حروف للجُرِّ، هي:

١. حرف الجر (اللام). وورد في شعر مبارك بن سيف في (ثمانية وعشرين) موضعاً، وهي من أكثر حروف الجر وروداً في هذه الحالة، ومن أمثلة ذلك:

(١) الطراز، ص ٦٨.

(٢) الأعمال الشعرية، ص ٢٣. (مجزوء الرمل)

(٣) السابق نفسه، ص ١٣٢. (الكامل)

(٤) نفسه، ص ١٣١. شاؤوا: تفرّقوا جاء في المعجم الوسيط، ٤٧٢/١. (الكامل)

• قوله في قصيدته (أمجاد رمضان) ^(١) :

رَمَضَانُ فِيكَ الْمُعْجَزَاتُ كَرَامَةٌ لِلَّهِ شَهْرٌ وَالشُّهُورُ تُرْتَبُ

(لله) لفظ الجلالة: شبه جملة جار ومجرور (خير مُقَدِّم) . شهرٌ: مبتدأ مؤخر.

• وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج) ^(٢) :

لَكَ يَا خَلِيجُ تَحِيَّةٌ وَوَلَاءٌ هِيَ ذِي الْقُلُوبِ وَنَهْجُهَا الْقُدَمَاءُ

• وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج) ^(٣) :

أَنَا قَائِدُ الْجَيْشِ الْعَظِيمِ جَحَافِلَا لِي فِي الْخَلِيجِ مَمَالِكٌ وَنَرَاءُ

• وقوله في قصيدته السابقة نفسها ^(٤) :

قَدْ وَحَدَ الْإِسْلَامُ بَيْنَ قُلُوبِنَا وَلَنَا بِتَارِيخِ الْهُدَى أَفْيَاءُ

٢. حرف الجر (في) . وورد في شعر مبارك بن سيف في (سنة عشر) موضعاً، ومن الأمثلة على ذلك :

• قوله في قصيدته (بقايا سفينة غوص) ^(٥) :

فَاَحْظِي الذِّكْرَى..

فَفِي الذِّكْرَى عَزَاءُ

(في الذكرى) : شبه جملة جار ومجرور: خبر مُقَدِّم . عزاء : مبتدأ مؤخر، وهونكرة .

• وقوله في قصيدته (بين هياكل عشتار*) . المشهد الأول .) ^(٦) :

أَوْ تَسْتَسْقِي مِنْ مَاءِ النَّارِ؟

وَتَعِيبُ وَفِي يَدِهَا مِيزَانُ

(١) الأعمال الشعرية، ص ٧٦ . (الكامل)

(٢) السابق نفسه، ص ٩٦ . (الكامل)

(٣) نفسه، ص ١٢٨ . (الكامل)

(٤) الأعمال الشعرية، ص ١٦٣ . (الكامل)

(٥) السابق نفسه، ص ٥ . (الرمل)

(*) (عِشْتَار) في الأساطير: آلهة الحرب والحب لدى سكان ما بين النهرين. يُنظر: نفسه، ص ٣٤، هامش ١ .

(٦) الأعمال الشعرية، ص ٣٦ . (المتدارك)

• وقوله في قصيدته السَّابِقة (أَنْشُودَةُ الْخَلِيجِ)^(١) :

بَلْ إِنَّهَا أَنْتَ مُحْمُومُ الْهَوَى فِي هَمْسِهِ أَمَلٌ لَهُ وَرَجَاءُ

• قوله في قصيدته (مذكرات شاعر من العالم الثالث ٣ - سلة المهملات -)^(٢) :

فِي جَوْفِ السَّلَّةِ أَحْيَانًا

خَيْرٌ وَشَقَاءُ

أَمَلٌ وَنَدَاءُ

٣ - حرف الجر (الباء) . وتكرر هذا الحرف في (سلة) مواطن، منها :

• قوله في قصيدته (بقايا سفينة غوص)^(٣) :

ثُمَّ تَأْتِي الشَّمْسُ مِنْ مَخْبِئِهَا

وَبَأْيَدِيهَا سَيَاطُ

(بأيديها) : شبه جملة جار ومجرور. خبر مُقَدَّم . سياط : مبتدأ مؤخر .

• وقوله في قصيدته (أجراس القدس)^(٤) :

بُنُورِ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ..

مَهْدِيَّةُ

أَنَا مِنْ أُمَّةٍ بِالدِّمِّ مَرْوِيَّةُ

٤ - حرف الجر (من) . ولم يرد هذا الحرف إلا في موضعين، هما :

• قوله في قصيدته (الشوارع الخلفية)^(٥) :

ثُمَّ يَأْتِي مِنْ زَوَايَا شَارِعِ خَلْفِي

(١) الأعمال الشعرية، ص ٩٩ . (الكامل)

(٢) السابق نفسه، ص ١٨٥ ، ١٨٦ . (من المتدارك)

(٣) نفسه، ص ٨ . (الرمل)

(٤) الأعمال الشعرية، ص ٣٣ . (الهج)

(٥) السابق نفسه، ص ٦٠ . (الرمل)

مِنْ زَوَايَا اللَّيْلِ مِنْ كُلِّ الْأَجْهَاتِ

مِنْ مَوَاخِيرِ السُّكَارَى هَمَهَمَاتٌ

(مِنْ مَوَاخِيرِ السُّكَارَى): شبه جملة (جار ومجرور) . خبر مُقَدِّم . (هَمَهَمَاتٌ): مبتدأ مؤخر.

• قوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(١) :

فَاخْتَرُ جَمُوحًا لَا يُطَاطِئُ رَأْسَهُ فَمِنْ الْقَرِيضِ حَرَائِرُ وَأَمَاءُ

٥. حرف الجر (عَلَى) . ولم يرد هذا الحرف إلا في موضع، هو قوله في مسرحيته الشعريّة (الفجر الآتي)^(٢) :

أَتُونَا مِنَ الشُّعْبِ الْمُغْبِرَةِ

عَلَيْهِمْ وَقَارٌ

وَرُوحٌ مِنَ الصَّبْرِ فَوْقَ الْجَبِينِ

عليهم: شبه جملة جار ومجرور. (خبر مُقَدِّم) . وقار: مبتدأ مؤخر .

أما المبتدأ في هذه الحالة، فقد جاء على صورتين، هما :

الأولى - النكرة المحضة : ويُقصدُ بها النكرة المougلة في الإبهام، أي: غير المختصة بالوصف

أو بالإضافة. والنكرة هي: «ما لم تخصّ الواحد من جنسه، نحو: رجل، وغلّام»^(٣). والنكرة تختلف في درجة إبهامها «فأعمّ الأسماء وأبهما (شَيْءٌ)، وهو يقع على الموجود والمعدوم جميعاً»^(٤).

وبيّن ابن هشام^(٥) أنّ علامة النكرة قبُولُها دخول (رُبَّ) عليها، نحو: رُبَّ رَجُلٍ، ورُبَّ غُلّام . أما ابن عقيل، فقد عرّف النكرة بأنّها «ما يقبل (أل)، ويؤثّر فيه التعريف، أو يقع مَوْقِع ما يقبل (أل)، فمثال ما يقبل (أل)، ويؤثّر فيه التعريف رَجُلٌ، فتقول: الرَّجُلُ»^(٦). ويعرّف الغلاييني النكرة بأنّها: «اسم يدلّ على غير معيّن: كَرَجُلٍ وَكِتَابٍ وَمَدِينَةٍ»^(٧).

(١) نفسه، ص ٩٥ . (الكامل)

(٢) الأعمال الشعريّة، ص ٣٢١ . (من المتقارب)

(٣) اللمع في العربية، لابن جني، ص ٥٦ .

(٤) السّابق نفسه، ص ٥٦ .

(٥) يُنظر: شرح شذور الذّهب، ص ١٢١ .

(٦) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ١ / ٨٥ .

(٧) جامع الدروس العربية، ١ / ١٤٩ .

وقد ورد المبتدأ النكرة المحضة في شعر مبارك بن سيف في (ستة وخمسين) موضعاً، ذكرنا بعضاً منها عند حديثنا عن الخبر المُقدّم؛ شبه الجملة من الجار والمجرور، ونزيد عليها ما يأتي :

- قوله في قصيدته (أجراس القدس)^(١) :

أَنَا مِنْ أُمَّةٍ بِالدِّمِّ مَرْوِيَّةٌ

سَقَيْنَاهَا وَنَسَقِيهَا

لِتُطْعَمَنَا ثَمَارَ الْمَوْتِ حُرِيَّةٌ

- بِالدِّمِّ: خبر مُقدّم (شبه جملة) .
- مَرْوِيَّةٌ: مبتدأ مؤخر (نكرة) .

- وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٢) :

أَوْ لِلْخَلِيجِ وَسِحْرِهِ شُعْرَاءُ ؟ أَمْ جَاوَزَتْكَ الْبَيْدُ وَالْوَجْنَاءُ ؟

- لِلْخَلِيجِ: خبر مُقدّم (شبه جملة) .
- شُعْرَاءُ: مبتدأ مؤخر (نكرة) .

- وقوله في قصيدته السابقة نفسها^(٣) :

كَمْ قَدْ سَمِعْتَ مُنَاجِيَا لِحَبِيبَةٍ فِي مُقْلَتِيهِ تَصَبُّرٌ وَشَقَاءُ

- فِي مُقْلَتِيهِ: خبر مُقدّم (شبه جملة) .

- تَصَبُّرٌ: مبتدأ مؤخر (نكرة) .

- قوله في قصيدته السابقة^(٤) :

مَا لِي وَلِلتَّارِيخِ أَرْوِي صِدْقَهُ وَلَهُ عَلَى ذَاكَ الصَّدَى إِغْوَاءُ

- لَهُ: خبر مُقدّم (شبه جملة) .

- إِغْوَاءُ: مبتدأ مؤخر (نكرة) .

(١) السابق نفسه، ص ٣٣ . (الهج)

(٢) الأعمال الشعرية، ص ٩٥ . (الكامل)

(٣) السابق نفسه، ص ١٠٠ . (الكامل)

(٤) نفسه، ص ١٤٣ . (الكامل)

الثانية - النكرة المفيدة : ويُقصدُ بها النكرة المختصة، وعرفَ ركن الدين الحسن بن محمد الإسترابادي المتوفى ٧١٥هـ النكرة المفيدة في معرض حديثه عن جواز مجيء المبتدأ نكرة بأنّها التي تخصّصت « بوجه من الوجوه ؛ لأنّه حينئذٍ يقرب إلى المعرفة »^(١)، ويقصد بهذا إزالة شيءٍ من غموضها وإبهامها . ويبيّن أن النكرة تكون مختصة في ستة مواضع نقلاً عن سيبويه . أمّا ابن هشام ت ٧٦١هـ^(٢) فبيّن أنّ النكرة تأتي مختصة في نيّف وثلاثين موضعاً نقلاً عن بعض المتأخرين . أمّا الغلاييني فذكر أنّ النكرة تكون مفيدة « بأحد أربعة عشر شرطاً »^(٣) .

ذكر ابن عقيل أنّه إذا جاء المبتدأ نكرة « فإنّ كان للنكرة مسوِّغ جاز الأمران - أي: التقديم أو التأخير - ، نحو: رَجُلٌ ظَرِيفٌ عِنْدِي، وَعِنْدِي رَجُلٌ ظَرِيفٌ »^(٤) .

ذكر الغلاييني أنّ سيبويه والمتقدمين من النحاة لم يشترطوا « لجواز الابتداء بالنكرة إلّا حصول الفائدة . فكل نكرة أفادت إنّ ابتدئ بها صحّ أنّ تقع مبتدأ؛ ولهذا لم يجز الابتداء بالنكرة الموصوفة، أو التي خبرها ظرف، أو جار ومجرور مُقدِّماً عليها إنّ لم تُقدِّم »^(٥) .

جاء في شعر مبارك بن سيف آل ثاني أمثلة على المبتدأ (النكرة المفيدة) التي تقدّم فيها الخبر وهو شبه جملة جار ومجرور، أو ظرف على المبتدأ في (اثني عشر) موضعاً، مع ملاحظة جواز تقديم المبتدأ - على رأي بعض العلماء كما بيّنا آنفاً - ؛ لمجيئ النكرة في هذه المواضع مفيدة؛ حيث جاءت مختصة بـ :

١ - الوصف : ووردت في (أربعة) مواضع، منها :

• قوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٦) :

وَلَهُمْ صِنَاعَاتٌ تَقَادَمَ عَهْدُهَا وَتَجَارَةٌ فِيهَا هُمُ النُّبْغَاءُ

لهم: شبه جملة جار ومجرور (خبر مقدم) صناعات: مبتدأ، وقد جاء نكرة مفيدة؛ لأنها وُصِفَتْ بالجملة الفعلية (تقادمَ عهدها) .

(١) الوافية في شرح الكافية، ٦٢ .

(٢) يُنظر: شرح شذور الذهب، ص ١٨٢، وشرح قطر الندى، ص ١١٨ .

(٣) تُنظر تلك الشروط في: جامع الدروس العربية، ٢ / ٢٥٨ - ٢٦١ .

(٤) شرح ابن عقيل، ١ / ٢٢٤ .

(٥) جامع الدروس العربية، ٢ / ٢٦١ .

(٦) الأعمال الشعريّة، ص ١١٢ . (الكامل)

• وقوله في القصيدة السابقة نفسها^(١) :

سِيرُوا عَلَى سُبُلِ الْهُدَى فَأَمَامَكُمْ نُورٌ يُضِيءُ ، وَحَلَفَكُمْ ظُلُمَاءُ

فأمامكم: شبه جملة ظرفية (خبر مقدم) . نور: مبتدأ، وقد جاء نكرة مفيدة؛ لأنها وصفت بالجملة الفعلية (يضيء) .

• وقوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي)^(٢) :

لَدَيَّ عَطَرٌ حَضْرَمِيٌّ

مُعْتَقٌ مَعَ الزَّمَنِ

لدي: شبه جملة ظرفية (خبر مقدم) . عطر: مبتدأ، وقد جاء نكرة مفيدة؛ لأنها وصفت بـ : حضرمي، و- مُعْتَقٌ مَعَ الزَّمَنِ .

٢. الإضافة : وتكررت هذه في (خمسة) مواضع، منها :

• قوله في ملحمة الشعرية (أنشودة الخليج)^(٣) :

وَالْمِلْحَ قَدْ غَطَى الْإِهَابَ وَفَوْقَهُ أَشْلَاءُ (خَيْشٍ) وَالسَّمَاءُ غِطَاءُ

فوقه: شبه جملة ظرفية (خبر مقدم) . أشلاء: مبتدأ، وجاء نكرة مفيدة؛ لأنها أُضيفت إلى (خيش) .

• وقوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي)^(٤) :

بِدَاءِ كُلِّ عَزِيزٍ لِبَعْضِهِمْ أَلْفٌ رَاجِفٌ

لبعضهم: الجار ومجرور (خبر مقدم) . ألف: مبتدأ، وجاء نكرة مفيدة؛ لإضافته إلى (راجف) .

(٥) تقدّم الخبر وهو شبه جملة ظرفية، على المبتدأ النكرة .

وجاء الخبر شبه جملة ظرفية، والمبتدأ نكرة محضة أو مختصة في (أربعة) مواضع، أما الظروف

التي تصدرت شبه الجملة، فهي :

(١) السابق نفسه، ص ١٦٣ . (الكامل)

(٢) نفسه، ص ٢٦٦ . (من الكامل)

(٣) الأعمال الشعرية، ص ١٤٧ . (الكامل)

(٤) الأعمال الشعرية، ص ٢٧٣ . (الرجز)

- فوق : وقد سبق ذكر الشاهد في الصفحة السابقة: وَالْمَلْحُ قَدْ غَطَّى الْإِهَابَ ..

- أمام : وورد مثاله أنفًا في الصفحة السابقة: سِيرُوا عَلَى سَبِيلِ الْهُدَى فَأَمَامَكُمْ ..

- خلفكم : والشاهد عليه قول الشاعر في قصيدته (أنشودة الخليج)^(١) :

سِيرُوا عَلَى سَبِيلِ الْهُدَى فَأَمَامَكُمْ نُورُ يُضِيءُ ، وَخَلْفَكُمْ ظُلُمَاءُ

خلفكم : شبه جملة ظرفية (خبر مُقَدَّم) . ظُلُمَاءُ : مبتدأ مؤخر، وجاء نكرة .

- لَدَيَّ : ومرر بنا المثال على ذلك : لَدَيَّ عِطْرُ حَضْرَمِيِّ..

(٦) تقدم الخبر على المبتدأ؛ لأنَّ له صدارة الكلام كأسماء الاستفهام . نحو: أَيْنَ زَيْدٌ؟ فزيد:

مبتدأ مؤخر، وأين: خبر مُقَدَّم . وردَّ سيبويه تقديم الخبر - إذا كان من أسماء الاستفهام - على

المبتدأ لسببين، هما:

• الوظيفة الإعرابية . فالاستفهام عمل الرفع فيما بعده، وكان قد عمل فيه الرفع حين كان قبله.

يقول سيبويه: «... والذي عَمِلَ فيما بعده حتى رَفَعَهُ هو الذي عمل فيه حين كان قبله ...، وذلك

قولك: .. أَيْنَ زَيْدٌ؟، وَكَيْفَ عَبْدُ اللَّهِ؟، وما أشبه ذلك»^(٢) .

• المعنى الدلالي . إذ بيّن سيبويه أنَّ سبب وجوب تقديم الخبر في مثل هذه الحالة يرجع لدلالة

الاستفهام على المكان، أو الحال، فقال: «فمعنى أَيْنَ: في أيِّ مكان، وكيف: على أيّة حالة، وهذا

لا يكون إلا مبدوءًا به قبل الاسم؛ لأنّها من حروف الاستفهام»^(٣) .

ويضيف الجليس النحوي (الحسين بن موسى الدينوري) ت ٩٠هـ^(٤) سببًا آخر لتقدّم الخبر إذا

كان اسم استفهام وهو الضّرورة.

وردت أسماء الاستفهام كخبر مُقَدَّم في شعر مبارك بن سيف، حيث قَصَرَ استخدامه على سبعة

أسماء، جاءت كأخبار مُقَدَّمة على المبتدأ، ولم يأت بعدها جار ومجرور، أو فعل؛ لأنّه إذا جاء بعد

اسم الاستفهام أيّ من هذين أُعربت مبتدآت. علّمًا أننا سنخصص فصلا في بحثنا هذا للحديث عن

الاستفهام وأدواته واستخداماته في شعر مبارك بن سيف .

(١) السّابق نفسه، ص ١٦٣ . (الكامل)

(٢) الكتاب، ٢ / ١٢٨ .

(٣) السّابق نفسه، ٢ / ١٢٨ .

(٤) ثمار الصّناعة، ص ٨٣ .

وجد الباحث في شعر مبارك بن سيف (ثمانية وأربعين) موضعاً وردت فيها أسماء الاستفهام كأخبار مُقدّمة على المبتدأ، موزعة على النحو الآتي :

١ - أَيْنَ : وتكررت في (ثلاثة وعشرين) موضعاً. ومن الأمثلة على ذلك :

♦ قوله في قصيدته (البَيْن والأَقْدَار) ^(١) :

وَلَكُمْ سَأَلْتُ خَيَالَهَا مُتَرَدِّدًا أَيْنَ الْفِرَارُ وَأَيْنَ أَيْنَ قَرَارِي؟

الْفِرَارُ: مبتدأ مؤخر .

♦ قوله في قصيدته (مناجاة الدهر) ^(٢) :

فَأَيْنَ لِيَالِي الْأَمْسِ يَا جَالِبَ الْأَسَى وَيَا جَالِبًا مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَوَادِيَا؟

أَيْنَ: اسم استفهام (خبر مُقدّم) .

ليالي الأَمْسِ: مبتدأ مؤخر .

♦ وقوله في قصيدته (فلسطين موطن الأديان) ^(٣) :

عُذْرًا - فَاسْطِيقِ الْأَبَاةَ - فَإِنِّي ذَاكَ الْعَنِيدُ ، فَأَيْنَ يَوْمُ مَعَادِي؟

أَيْنَ: اسم استفهام (خبر مُقدّم) .

يوم معادي: مبتدأ مؤخر .

♦ قوله في قصيدته (أنشودة الخليج) ^(٤) :

أَيْنَ الْغُرَاةَ الطَّامِعُونَ وَجُنْدُهُمْ ذَهَبُوا كَمَا شَدُّوا الْعِتَادَ وَجَاوُوا

أَيْنَ: اسم استفهام (خبر مُقدّم) .

الْغُرَاةَ: مبتدأ مؤخر .

(١) الأعمال الشعرية، ص ٤٢ . (الكامل)

(٢) السابق نفسه، ص ٥٣ . (الطويل)

(٣) نفسه، ص ٨٣ . (الكامل)

(٤) الأعمال الشعرية، ص ١١٧ . (الكامل)

٢- مَا : وتكررت في (خمسـة عشر) موضعاً في شعر مبارك بن سيف. ومن الأمثلة على ذلك:

♦ قوله في قصيدته (عُشَّاقُ الشَّمْسِ) ^(١):

إِنَّهُمْ عُشَّاقُ تِلْكَ الشَّمْسِ فِي صَيْفِ الْخَلِيجِ

أَهْ مَا أَذْرَاكَ مَا صَيْفُ الْخَلِيجِ؟

مَا : اسم استفهام (خبر مقدّم) . صَيْفٌ : مبتدأ مؤخر .

♦ وقوله في قصيدته (بين هياكل عشتار- المشهد الأول) ^(٢):

لَكِنَّ عِيُونَكَ غَافِلَةٌ

مَا هَذَا الْخَلْقُ؟

أقزام .. أصنام من أحجار؟

مَا : اسم استفهام (خبر مقدّم) . هَذَا : اسم إشارة مبني في محل رفع مبتدأ مؤخر .

♦ وقوله في قصيدته (مُنَاجَاةُ الدَّهْرِ) ^(٣):

أَيَا لَيْلٍ مَا الدَّهْرُ الْمُقِيمُ وَمَا الدُّنَا؟ سَأَلْتُ وَمَا أَحْرَزْتُ رَدًّا شَفَانِيَا

مَا : اسم استفهام (خبر مقدّم) . الدُّنَا : مبتدأ مؤخر .

وقد يدخل حرف الجر على (ما الاستفهامية) فلا يتأثر موقعها الإعرابي، ولكن تُحذف منها

الألف . ذكر ابن هشام أنه يجب « حذف ألف ما الاستفهامية إذا جُرَتْ، وإبقاء الفتحة دليلاً عليها،

نحو: فِيمَ ، وَإِلَامَ ، وَعِلَامَ ، وَبِمَ ، وقال ^(٤):

فَتِلْكَ وَلَاةُ السُّوءِ قَدْ طَالَ مَكُتُّهُمْ فَحَتَّامُ حَتَّامِ الْعَنَاءِ الْمُطَوَّلُ؟..

حَتَّامُ : مكوّنة من حرف الجر (حتّى)، و(ما الاستفهامية) التي حُذِفَتْ أَلْفُهَا .

(١) السّابق نفسه، ص ١٠ . (الرمل)

(٢) الأعمال الشعريّة، ص ٣٥ . (المتدارك)

(٣) السّابق نفسه، ص ٥٤ . (الطويل)

(٤) الشّاهد بلا نسبة في: معني اللّبيب، لابن هشام، ٢٩٨/١، رقم (٤٩٣)، وتُنظر مصادر أخرى في: معجم شواهد العربية، لعبد

السلام هارون، ص ٣٦٤ . (الطويل)

وحُذفت أَلِف (ما الاستفهامية) في شعر مبارك بن سيف؛ لدخول حرف الجر عليها في:

• قوله في قصيدة (أَغْنِيَةِ الرَّبِيعِ)^(١) :

يَا رَبِيعًا لِمَ الرَّحِيلُ شُهُورًا وَهُبُوبُ النَّسِيمِ نَجْمِي وَفَجْرِي

(لِمَ) مكونة من: حرف الجر (اللام)، و(ما الاستفهامية)، وحُذفت أَلِفُهَا وَعُوِّضَ عنها بالفتحة.

• وقوله في القصيدة عينها^(٢) :

قَدْ أَلَفْتُ الرَّبَّ طَيُورًا وَرَوْضًا فَعَلَامَ الرَّحِيلِ هَذَا عَلَامًا ؟

(عَلَامَ) مكونة من: حرف الجر (على)، و(ما الاستفهامية)، وحُذفت أَلِفُهَا وَعُوِّضَ عنها بالفتحة.

• قوله في مسرحيته الشعريّة (الفجر الآتي)^(٣) :

أَلَا يَا رَا حِلُونَ بِكُلِّ جِيلٍ عِلَامَ الصَّدِّ عَنْ رَبِّ عَلَامًا^(٤) ؟

(عِلَامَ) مكونة من: حرف الجر (على)، و(ما الاستفهامية) وحُذفت أَلِفُهَا وَعُوِّضَ عنها بالفتحة.

وقد تُضاف هاء السّكت (*) لآخر (ما الاستفهامية) بعد حذف أَلِفُهَا، نحو: لِمَهُ، بِمَهُ. قال سيبويه: «وَأَمَّا قَوْلُهُمْ: عَلَامَهُ، وَفِيمَهُ، وَلِمَهُ، وَبِمَهُ، وَحَتَّامَهُ، فَالْهَاءُ فِي هَذِهِ الْحُرُوفِ أَجُودُ إِذَا وَقَفْتَ؛ لِأَنَّكَ حَذَفْتَ الْأَلِفَ مِنْ (مَا) فَصَارَ آخِرُهُ كَأَخْرِ أَرْمِهِ، وَاغْزَمَهُ»^(٥).

وورد هذا في شعر مبارك بن سيف حيث يقول في مسرحيته الشعريّة (الفجر الآتي)^(٦) :

وَأَنْتَ يَا رَجَسَ الْأَمَةِ

تَرَكْتَ أَرْبَابِي لِمَهُ

(١) الأعمال الشعريّة، ص ٢٩ . (الخفيف)

(٢) السابق نفسه، ص ٢٩ . (الخفيف)

(٣) الأعمال الشعريّة، ص ٣٣٢ . (من الوافر)

(٤) الألف في آخر كلمة (علاما) هي ألف الإطلاق، وهي التي تُرَاد في نهاية بيت الشعر. يُنظر: الخصائص، لابن جني ١/ ٢٩٢ .

(*) يسمّيها ابن جني: هاء بيان الحركة . يُنظر الخصائص ١/ ٢٩٢ ، ٢٩٣ .

(٥) الكتاب، ٤ / ١٦٤ .

(٦) الأعمال الشعريّة، ص ٢٨٥ . (من الكامل)

وقد تُركَّب (ما الاستفهامية) مع ذا، وعندئذٍ لا تُحذف ألفها؛ لأنّها - وكما قال ابن هشام^(١) - تصوير - أي الألف حَشَوًا - كما بيّن ابن هشام في فصل عقده في (لماذا) أنّها تأتي على أوجه، منها: «أن تكون ما استفهامية، وذا إشارة، نحو: ماذا التّواني؟، وماذا الوقوف؟»^(٢).

ودخلت (ما الاستفهامية) على (ذا) في شعر مبارك بن سيف في موطن، منها قوله في قصيدته (مذكرات شاعر من العالم الثالث - ٢ -)^(٣):

(فَيَجِيبُ مُحَرَّرُهُ الْأَتْعَس)

- مَاذَا مَوْلَانَا؟

أَوَلَمْ أُوصِكَ؟ ...

- مَاذَا: اسم استفهام (خبر مقدّم). - مَوْلَانَا: مبتدأ مؤخر.

٣- مَنْ: وتكررت في (أربعة) مواضع في شعر مبارك بن سيف. حيثٌ وليها فعل في بعض المواضع، ووليها جار ومجرور في مواضع أخرى؛ ولذلك أعربت مبتدأ، وليست خبرًا مُقدّمًا، وقد جاءت خبرًا مُقدّمًا في قول الشاعر في مسرحيته الشعريّة (الفجر الآتي)^(٤):

الآنَ إِنَّا لُعَبَةٌ أَبَدًا لِأَصْحَابِ السَّمُومِ

وَمَنْ الَّذِي أَعْطَاهُ هَذَا الشَّأْنَ بَلْ وَمِنْ الْمُلُومِ؟

- وَمَنْ: اسم استفهام (خبر مقدّم). - الْمُلُومِ: مبتدأ مؤخر.

٤- كَيْفَ: وتكررت في (ثلاثة) مواضع، هي:

• قوله في قصيدته (رفقة الصّبا)^(٥):

رَبَاهُ كَيْفَ لَنَا لُقْيَا عَلَى صَغَرٍ؟ وَكَيْفَ نُعَقِبُهَا بِالْبَيْنِ رَبَاهُ؟

كَيْفَ: اسم استفهام مبني في محل رفع خبر مُقدّم - لُقْيَا: مبتدأ مؤخر.

(١) يُنظر: مُغني اللبيب، ١ / ٣٠٠.

(٢) السّابق نفسه، ١ / ٣٠٠.

(٣) الأعمال الشعريّة، ص ١٨٢، ١٨٣. (من المتدارك)

(٤) الأعمال الشعريّة، ص ٢٦٨. (من الكامل)

(٥) السّابق نفسه، ص ٢١. (البسيط)

• وقوله في قصيدته (قراءة في كتاب قديم)^(١) :

فَكَيْفَ تَرَانَا ؟

وَتَسْأَلُ كَيْفَ الْمَسِيرَةِ ؟

كيف: اسم استفهام مبني في محل رفع خبر مُقَدِّم . - **المسيرة:** مبتدأ مؤخر .

• وقوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي)^(٢) :

وَكَيْفَ الْقَوْمُ فِي مَكَّةَ ؟

كَيْفَ: اسم استفهام مبني في محل رفع خبر مُقَدِّم . **القوم:** مبتدأ مؤخر .

هـ- كَمْ: وتكررت في (موضعين) في شعر مبارك بن سيف، هما :

• قوله في قصيدته (سفن الغوص البائسة)^(٣) :

إِيَّاهُ يَا مَاءَ الْخَلِيجِ

كَمْ جَمِيلٌ أَنْتَ مِنْ خَلْفِ الشُّطُوطِ

كَمْ: مبتدأ . **جَمِيلٌ أَنْتَ:** الجملة الاسمية (خبر المبتدأ) .

• قوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٤) :

هَذَا (ابْنُ مَا جَدَ) هَلْ نَسِيتَ شِرَاعَهُ ؟ **عَلِمَ الْبَحَارُ، وَكَمْ هُمُ الْعُلَمَاءُ ؟**

وَكَمْ: مبتدأ . **هُمُ الْعُلَمَاءُ:** الجملة الاسمية (خبر المبتدأ) .

٦- أي: ووردت في موضع، إذ يقول شاعرنا في قصيدته (حلم شرقيّ الألوان)^(٥) :

سَمِعْتُ الْحَبِيبَ

فَقَالُوا ظُنُونُ

(١) نفسه، ص ٢١١ . (من الوافر)

(٢) الأعمال الشعرية، ص ٣٠٦ . (من المتقارب)

(٣) السابق نفسه، ص ٢٣ . (الرمل)

(٤) نفسه، ص ١٣٦ . (الكامل)

(٥) الأعمال الشعرية، ص ١٧٣ . (من المتقارب)

وَأَيُّ الْأَحَبَّةِ ذَاكَ الْحُنُونُ ؟

أَيُّ: مبتدأ . ذَاكَ الْحُنُونُ: الجملة الاسمية (خبر المبتدأ) .

٧- تقدم الخبر المحصور في المبتدأ، نحو: إِنَّمَا فِي الدَّارِ زَيْدٌ، وَمَا لَنَا إِلَّا اتِّبَاعَ أَحْمَدَ. وقد شَرَحَتْ كُتُبُ الْبَلَاغَةِ الْقَصْرَ، وَبَيَّنَّتْ أَسَالِيْبَهُ وَطَرَائِقَهُ وَأَدَوَاتِهِ. فالجرجاني ت ٣٣٧ هـ أفرد باباً في كتابه (دلائل الإعجاز) أسماء: «باب القصر والاختصاص»^(١) .

يعتمد القصر على المعنى الذي يقصده المتكلم، وقد شرح هذا الجرجاني، فقال: «واعلم أنَّ الأمر في المبتدأ والخبر إنَّ كانا بعد (إنَّما) على العبرة التي ذَكَرْتُ لك في الفاعل والمفعول إذا أنت قَدَّمْتَ أحدهما على الآخر، معنى ذلك أنَّك إذا تركت الخبر في موضعه فلم تُقَدِّمه على المبتدأ كان الاختصاص فيه، وإنَّ قَدَّمْتَه على المبتدأ صار الاختصاص الذي كان فيه في المبتدأ، تفسير هذا: أنَّك تقول: إِنَّمَا هَذَا لَكَ، فيكون الاختصاص في (لك)، بدلالة أنَّك تقول: إِنَّمَا هَذَا لَكَ لَا لِغَيْرِكَ، وتقول: إِنَّمَا لَكَ هَذَا، فيكون الاختصاص في (هذا)، بدلالة أنَّك تقول: إِنَّمَا لَكَ هَذَا لَا ذَاكَ»^(٢) .

ووجد الباحث مثالا في شعر مبارك بن سيف على هذه الحالة هو قوله في (أنشودة الخليج)^(٣):

إِيرَانُ مَا أَنْتِ الْعَدُوُّ وَإِنَّمَا بَيْنَ الْجَوَارِ مَحَبَّةٌ وَآخَاءُ

أداة الحصر: إِنَّمَا . حيث حُصِرَ الخبر (شبه الجملة من الجار والمجرور بين الجوار) بالمبتدأ المؤخر (محبة) .

تحدَّثنا فيما مضى عن الحالات الواجبة والجائزة لتقديم الخبر على المبتدأ، ووجدنا أنَّ الشاعر كان أكثرًا من استخدام بعض الحالات ومُقلًّا في الأخرى ويبدو أنَّ هذا الأمر عاديٌّ؛ لأنَّ الشاعر يكتب بإحساسه الشعوري الذي قد يغيب عنه في بعض اللحظات الفكر الذي يعي الموازنة بين الحالات النحويَّة؛ ذلك أنَّ هَمَّ الشَّاعر وهدفه يتركِّز في التعبير عمَّا يجول في خاطره عن طريق التَّركيب النحوي الذي يحسبه أكثر دقة في إيصال مشاعره وأحاسيسه للآخرين.

(١) يُنظر دلائل الإعجاز: ص ٢٥٢ .

(٢) السَّابِق نفسه، ص ٢٦٥ .

(٣) الأعمال الشعريَّة، ص ١٦٣ . (الكامل)

النَّمط الثاني: تقديم ما كان أصله خبرًا، (خبر النَّوَاسخ الفعلية) .

تَقَدَّمَ خبرُ النَّوَاسخ الفعلية في شعر مبارك بن سيف في مواطن عدَّة، جاءت موزعة على الأنماط الآتية :

(أ) تقديم خبر الأفعال الناسخة على اسمها .

تَقَدَّمَ خبرُ الأفعال الناسخة على اسمها في (واحدٍ وثلاثين) موضعًا، وكان هذا التَّقديم محصورًا في الخبر شبه الجملة، والمبتدأ النكرة، وجاء على النحو الآتي :

أولاً : تقديم خبر ما العاملة عمل (ليس)، وهو جار ومجرور على اسمها المؤخر، وهو نكرة. تكرر تقدُّم خبر (ما) على اسمها في شعر مبارك بن سيف في (ثلاثة عشر) موضعًا، (تسعة) منها جاءت في قصيدته الشَّعْرِيَّة المطوَّلة (أنشودة الخليج)، أمَّا (الأربعة) الباقية فجاءت في مسرحيته الشَّعْرِيَّة (الفجر الآتي)، ومن ذلك :

● قوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(١) :

كَمْ - يَا خَلِيجُ - سَمِعْتَ مِنْ قِصَصِ الْهُوَى هَمْسُ الْأَحِبَّةِ مَا لَهُ إِخْفَاءُ

فالشاعر قدَّم خبر (ما): له، (الجار والمجرور) على اسمها (إخفاء) لاهتمامه وعنايته بالخبر الذي يشتمل على ضمير يعود على (همس الأحبة)؛ لأنَّ الشاعر مهتم ببيان حقيقة أنَّ تناجي الأحبة - وإنَّ كان همسًا - لا بدَّ أن يكون مسموعًا.

● وقوله في القصيدة ذاتها^(٢) :

(سَابُورُ*) (لَا سَلِمَتْ يَدَاكَ فَإِنَّهَا غَدْرُ وَمَوْتُ مَا بِهِ إِطْرَاءُ

فالشاعر معنيٌّ بالحديث عن سابور القاتل؛ ولذلك نجده قدَّمه في أوَّل البيت، ثمَّ قدَّم خبر ما (به) الذي يشتمل على ضمير يعود على صفات سابور: الغدر، الموت؛ وكأنَّي بالشاعر يريد أن يذكر هذا القاتل حيثما أتحت له الفرصة لا حبًّا، ولكن تعزيرًا له، وبيانًا لجرائمه .

ويمضي الشاعر في نهجه في تقديم خبر (ما)؛ لشدَّة اهتمامه به، وحرصه على بيانه. نحو:

(١) الأعمال الشَّعْرِيَّة، ص ١٠٠ . (الكامل)

(٢) السَّابِق نفسه، ص ١٢٥ . (الكامل)

(*) سابور: هو أحد أكاسرة فارس قبل دخول الإسلام. يُنظر: نفسه، هامش (١)، ص ١٢٥.

• قوله في القصيدة السابقة ذاتها^(١) :

كَمْ مِنْ مَذَاهِبٍ فَرَّقَتْ أُنَاءَهُ سَفَكُوا دِمَاءَ مَا لَهْنُ جَزَاءُ

• وقوله في قصيدته السابقة نفسها^(٢) :

هَآ أَنْتَ بَاقٍ وَالزَّمَانُ وَعَهْدُهُ وَالْدَّهْرُ يُجْرِي مَا لَهُ إِرْسَاءُ

ثانياً : تقديم خبر (لَيْسَ)، وهو جار ومجرور على اسمها المؤخر النكرة. وتكرّر هذا التقديم في (تسعة) مواضع، منها :

• يقول في قصيدته (أشودة الخليج)^(٣) :

فَإِنْ الْفُجَاءَةِ (*) هَا هُنَا مُتَفَاخِرًا يَشْدُو بِشَعْرِ لَيْسٍ فِيهِ حَبَاءُ

• ويقول في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي)^(٤) :

يَدُورُ فِي الْعَقْلِ سُؤَالُ

وَلَيْسَ فِي هَذَا مُحَالُ

ثالثاً : تقديم خبر (كَانَ) على اسمها. وتكرّر هذا التقديم في (ثلاثة) مواضع، هي :

• يقول في قصيدته (مُنَاجَاةُ الدَّهْرِ)^(٥) :

وَأَنْ كَانَ لِي سَاعَاتٌ صَفْوًا فإِنَّمَا أَسُوقُ سُوءِيَعَاتِ الصَّفَاءِ قَوَافِيَا

ويلاحظ هنا أنَّ الشاعر لم يأتِ باسم كان المؤخر (ساعات صفو) نكرة محضة، بل جعله نكرة مختصة بالإضافة حيث أضيفت النكرة إلى نكرة .

(١) الأعمال الشعرية، ص ١٣٣ . (الكامل)

(٢) السابق نفسه، ص ١٥٣ . (الكامل)

(٣) الأعمال الشعرية، ص ١٢٧ . (الكامل)

(*) ذكر البغدادى ت ١٠٩٢هـ أنَّ قَطْرِي هُوَ رَأْسُ الْخَوَارِجِ، كَانَ أَحَدُ الْأَبْطَالِ الْمَذْكُورِينَ، خَرَجَ فِي مَدَّةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، وَبَقِيَ يُقَاتِلُ، وَهُوَ يَسْتَظْهِرُ عَلَيْهِ « . وَذَكَرَ الْبَغْدَادِيُّ أَنَّ وَفَاةَ قَطْرِي كَانَتْ سَنَةَ ٧٧ هِجْرَةَ . يُنْظَرُ: خَزَانَةُ الْأَدَبِ، وَتَرْجَمَ لِقَطْرِي أَيْضًا: الدُّكْتُورُ يَحْيَى مُرَاد، فَقَالَ: هُوَ جَعُونَةُ بْنُ مَازَنْ بْنِ يَزِيدَ الْكِنَانِيِّ التَّمِيمِيِّ أَبُو نَعَامَةَ.. مِنْ أَهْلِ قَطْرِ.. وَكَانَتْ كُنْيَتُهُ فِي الْحَرْبِ أَبَا نَعَامَةَ (وَنَعَامَةَ: فَرْسُهُ)، وَفِي السَّلْمِ: أَبُو مُحَمَّدٍ. مَعْجَمُ تَرَاجُمِ أَعْلَامِ الشُّعْرَاءِ الْكَبِيرِ، ص ٥٩١، ٥٩٢ . وَتُنْظَرُ مَصَادِرُ تَرْجَمَتِهِ فِي: مَعْجَمِ الشُّعْرَاءِ مِنَ الْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ حَتَّى نَهَايَةِ الْعَصْرِ الْأُمَوِيِّ، لِلدُّكْتُورِ عَفِيفِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، ص ٢١٥، وَمَعْجَمِ الشُّعْرَاءِ الْمَخْضَرَمِينَ وَالْأُمَوِيِّينَ، لِلدُّكْتُورَةِ عَزِيزَةِ فَوَّالٍ، ص ٣٧٤، ٣٧٥ .

(٤) الأعمال الشعرية، ص ٢٩٣ . (من الكامل)

(٥) السابق نفسه، ص ٥٣ . (الطويل)

• ويقول في قصيدته (أنشودة الخليج)^(١) :

نَرْمِي بِوَجْهِ الشَّمْسِ أَسْنَانًا لَنَا لِيَكُونَ مِنْ رَشَا لَهَا نَظْرَاءُ

وجاء خبر كان المُقَدِّم جَارٌ ومَجْرُورًا (من رشأ)، واسمها المؤخَّر نكرة (نظرأء).

رابعًا: تقديم خبر (كَانَ) عليها :

يجوز أَنْ يتقدَّم خبر كان عليها وعلى اسمها، يقول ابن جني: «يجوز تقديم أخبار كان وأخواتها على أسمائها، وعليها أنفسها، تقول: كَانَ قَائِمًا زَيْدٌ، وَقَائِمًا كَانَ زَيْدٌ، وكذلك: لَيْسَ قَائِمًا زَيْدٌ، وَقَائِمًا لَيْسَ زَيْدٌ»^(٢). وكان الجزولي ت ٦٠٧ هـ قد قال بمثل هذا، لكنَّه وضع قيدًا، فقال: «يجوز أَنْ يتقدَّم فيه الخبر على العامل إِنْ خلا عن معنى الاستفهام، ويجب إِنْ كان فيه، وإِنْ كان المبتدأ معه ضمير يعود على شيء في الخبر، وجب تقديم الخبر، أو توسَّطه بين العامل والاسم»^(٣). ومعنى هذا أَنَّهُ إِنْ تضمَّن معنى الاستفهام كان التقديم واجبًا لا جائزًا، نحو: مَنْ كَانَ أَخوكَ؟ وأيْنَ بات زَيْدٌ؟ وبين ابن هشام أَنَّ من أحوال خبر كان «التقدُّم على الفعل واسمه، كقولك: عالمًا كَانَ زَيْدٌ، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿أَهْؤْلَاءَ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾^(٤)، إِيَّاكُمْ: مفعول (يعبدون)، وقد تقدَّم على كان، وتقدُّم المعمول يُؤدِّن بجواز تقدُّم العامل»^(٥). وعلَّق أبو البقاء العُكْبَرِي ت ٦١٦ هـ على هذه الآية فقال: «قوله تعالى: (أهؤلاء): مبتدأ، و(إيَّاكم): في موضع نصب بـ (يعبدون)، و(يعبدون): خبر كان، وفيه دلالة على جواز تقديم خبر كان عليها؛ لأنَّ معمول الخبر بمنزلته»^(٦).

وجاء في شعر مبارك بن سيف خبر كان مُقدِّمًا عليها وعلى اسمها في (موضعين)، هما:

• قوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٧) :

قَدْ عَشْتُ طِفْلًا فِي رُبُوعِكَ هَانِنًا كَالوُرُقِ كُنَّا، وَالرَّبِيعِ رَوَاءُ

تقدَّم خبر كان (الجار والمجرور: كالورق)، على اسمها (الضمير المتصل بكان - نا -).

(١) نفسه، ص ١٠٣ . (الكامل)

(٢) اللمع في العربية، ص ٢٠ .

(٣) المقدمة الجزولية في النحو، ص ١٠٥ .

(٤) سورة سبأ، آية ٤٠ .

(٥) شرح فطر الندى، ص ١٢٢، ١٢٣ .

(٦) التبيان في إعراب القرآن، ١٠٧٠/٢ .

(٧) الأعمال الشعرية، ص ١٠٣ . (الكامل)

• وقوله في مسرحيته الشعريّة (الفجر الآتي)^(١) :

سَوَائِمُ كُنَّا، وَهَلْ لِلْسَوَائِمِ يَوْمًا إِرَادَةٌ ؟

وَلَكِنِّي إِذْ أَرَى حَالَكُمْ

سَوَائِمَ: خبر كان مقدّم

(خامساً) تقديم خبر (ما زال)، وهو جار ومجرور على اسمها المؤخر. تكرر هذا التقديم في

(موضع)، هو قوله في قصيدته (البعد الرابع - ٢).^(٢) :

يَصْرُخُونَ

أَنْ دَعِ الشَّمْسُ نَرَاهَا

لَمْ يَزَلْ فِي حَيَاتِنَا رَجْعُ الطُّبُولِ

(رَجْعُ الطُّبُولِ): خبر (لم يزل) مؤخر، وهو معرفة (نكرة مضافة إلى معرفة).

كما قدّم مبارك بن سيف خبر ما زال عليها وعلى اسمها؛ لضرورة القافية في قصيدته (لحظات

غروب سعيدة)^(٣) :

وَعَيُونٌ فِي مَا قِيَهَا تَرَى خَالِدَ الْحَبِّ وَلَيْدًا لَمْ يَزَلْ

والتقدير: لم يزل خالد الحبّ وليدًا، فقدّم الشاعر خبر ما زال (وليّدًا) على اسمها الضمير

المستتر في (ما زال)؛ لضرورة القافية.

(سادساً) تقديم خبر (ما دام)، وهو جار ومجرور على اسمها المؤخر. تكرر هذا التقديم في

(موضع)، هو قوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٤) :

هَآ أَنْتَ وَادِي الْخِصْبِ مَا دَامَتْ بِهِ أَيْدٍ تُرَاعِيهِ لَهُ أُمْنَاءُ

أَيْدٍ تُرَاعِيهِ: خبر (ما دام) مؤخر، وهو معرفة؛ لأنّه موصوف.

(١) السابق نفسه، ص ٢٤٩. (المتقارب)

(٢) الأعمال الشعريّة، ص ١٨٩. (الرمل)

(٣) السابق نفسه، ص ٢٢١. (الرمل)

(٤) نفسه، ص ١٦٤. (الكامل)

النَّمط الثالث: تقديم ما كان أصله خبرًا، (خبر النَّوَاسخ الحرفية) .

ويُجمع النُّحاة على جواز تقديم خبر الحروف الناسخة على اسمها إنَّ كان ظرفًا، أو جارًّا ومجرورًا، يقول الزجاجيُّ ت ٢٤٠هـ، واعلم أنَّه إذا كان خبر هذه الحروف حرف خفضٍ، أو ظرفًا جاز تقديمه على الاسم لا لتَّساع العرب في الظُّروف، فتقول: إِنَّ عِنْدَكَ زَيْدًا، فتَنْصِب (زيدًا)؛ لأنَّه اسم إنَّ، و(عِنْدَكَ) الخبر، وهو مُقَدَّم، وكذلك: إِنَّ فِي الدَّارِ عَمْرًا، وَلَعَلَّ لَهُ عُدْرًا، وَإِنَّ أَمَامَكَ بَكْرًا، وكذلك ما أشبهه^(١). وكان المجاشعي قد شرح سبب توسُّع العرب بالظرف، حين قال: «إِنَّ العرب اتَّسعت في الظُّروف، فأجازتْ فيها ما لا تُجيزه في غيرها من قبل أن جميع الأفعال لا تخلو منها، فهي موجودة في الكلام، وإنَّ لم تُذكَر؛ لأنَّه لا يصحُّ وقوع فعل إلَّا في زمان ومكان. فلمَّا كان معناها موجودًا في الكلام أجازوا تقديمها والفصل بها بين إنَّ واسمها»^(٢). أمَّا ابن يعيش فقد فسَّر سبب جواز تقديم الخبر إذا كان ظرفًا لكثرة الاستعمال، فقال: «لم يجز ذلك (أي: تقديم الخبر على الاسم) في هذه الحروف اللهم إلَّا أن يكون الخبر ظرفًا، أو جارًّا ومجرورًا، فلا يجوز أن تقول: إِنَّ مُنْطَلِقَ زَيْدًا، ويجوز أن تقول: إِنَّ فِي الدَّارِ زَيْدًا؛ وذلك أنَّهم توسَّعوا في الظُّروف، وخصَّوها بذلك لكثرتها في الاستعمال»^(٣). وقال بهذا الإسترابادي ت ٧١٥هـ: «إنَّما يجوز تقديم الخبر على الاسم إذا كان ظرفًا لا لتَّساع في الظُّروف بما لم يتَّسع في غيرها»^(٤).

وجاء خبر الحروف الناسخة في شعر مبارك بن سيف مُقَدِّمًا على اسمها، وهو جار ومجرور في (ثمانية) مواضع، منها :

- قوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٥) :

يَكْفِيكَ ذِكْرًا أَنَّ فِيكَ مَعَالِمًا فَكَأَنَّهَا فَوْقَ الثَّرَى أَضْوَاءُ

- وقوله في قصيدته (البُعد الرابع - ٢ -)^(٦) :

لَا تَمَلِ الدَّرَبَ يَا ظَمَانُ أَنْتَ

(١) الجمل في النحو، ص ٥٢ .

(٢) شرح عيون الإعراب، ص ١١٣ .

(٣) شرح المفصَّل، ١ / ١٠٣ .

(٤) الوافية في شرح الكافية، ص ٧٥ .

(٥) الأعمال الشعريَّة، ص ١٤٣ . (الكامل)

(٦) السَّابِق نفسه، ص ١٩١ . (الرمل)

وَأَرْشَفَ الصَّبْرَ بِمَنْقَوْعِ الْأَمَلِ

إِنَّ لِلدَّرْبِ أَجَلَ

• وقوله في قصيدته (أنشودة وادي النيل)^(١) :

إِيهِ يَا مَصْرُ إِنَّ فِيكَ جَذُورِي وَمِنَ النَّيْلِ شَرَقَ الْأَبْوَانِ

ولا يختلف الغرض من تقديم خبر الحروف الناسخة على أسمائها عن الغرض من تقديم خبر المبتدأ عليه، فتقديم الخبر في الأمثلة المتقدمة يفيد أهمية الخبر، وأنه أعظم شأنًا من الاسم، كما يفيد تخصيص المسند بالمسند إليه، فالشاعر مثلاً خصَّ (مصر) بوجود جذوره فيها، وربط العلاقة بين (الحق) و (المطالب) به بأنّها علاقة وثيقة لا انفصام لها .

وإذا كان تقديم خبر الحروف الناسخة على اسمها غير جائز عند جمهور النحاة إلا إن كان ظرفاً أو جاراً ومجروراً، فمن الأوّل ألاّ يجوز تقديم معمولها عليها؛ وذلك لأنها أدوات غير متصرفة، ولا خلاف في ذلك بين النحاة. يقول ابن يعيش: « ولا يجوز تقديم خبرها ولا اسمها عليها، ولا تقديم الخبر فيها على الاسم، ولا يجوز ذلك في المبتدأ؛ وذلك لعدم تصرّف هذه الحروف وكونها فروعاً على الأفعال في العمل فانحطّت عن درجة الأفعال »^(٢). وأكّد على هذا ابن هشام أيضاً، فقال: « واستغنيّت بـتنبيهي على امتناع التوسّط في غير مسألة الظرف والجار والمجرور على امتناع التقدّم؛ لأنّ امتناع السّهل يلزم امتناع غيره بخلاف العكس »^(٣).

ويقدّم مبارك بن سيف خبر الحرف الناسخ عليه، وعلى اسمه، مخالفاً بذلك إجماع النحاة مُتَكِنًا على مقولة: يجوز للشاعر ما لا يجوز لغيره، فيقول في قصيدته (عالم الكلمات)^(٤) :

يَتَدَارَكُهَا الْعَقْلُ الْمَسْحُورُ بِعَالِمِهَا

مَسْحُورٌ إِنِّي قُلْتُ لَهَا

فَأَرْتَنِي أَبْعَادَ الْأَبْعَادِ

(١) نفسه، ص ٢١٩ . (الخفيف)

(٢) شرح المفصل، ٢ / ١٠٣ .

(٣) شرح قطر الندى، ٢٢٥ .

(٤) الأعمال الشعرية، ص ٢٠٣ . (المتدارك)

قدّم خبر إنَّ (مسحورٌ) على الحرف الناسخ، وعلى اسمها (الضمير المتصل بها)، وتقدير الكلام: قلتُ لها: إنَّي مسحورٌ. وقد يفيد تقديم الخبر في هذه الجملة التأكيد على مدى الإعجاب بعالم الكلمة التي أخذت على الشاعر لبُّه فجعلته كالمسحور لا يكاد يعي ما حوله، والشاعر بهذا التقديم ربما أراد أن يرسم صورةً واقعيّةً لانجذابه لعالم الكلمة التي تُفرّق عقله، فلا يُصبح عندئذ قادرًا على تمييز قواعد النحو، فالدليل على تأثر الشاعر بسحر الكلمة: خروجه على قاعدة نحوية أجمع النحاة عليها، وهي عدم جواز تقديم خبر الحرف الناسخ عليه وعلى اسمه، ونحن ندرك أن شاعرنا ملتزم بما يُجمع عليه النحاة، وهذه إشارة تجعل القارئ يدرك عمق العلاقة بين الشاعر وعالم الكلمة التي تُفرّق الشاعر في سحرها.

وفيما يأتي جدول يبين إجمالي الأخبار المقدمة في الجملة الاسمية:

العدد	الخبر
١٧٧	- الخبر المقدم على المبتدأ .
٣٧	- خبر النواسخ الفعلية والحرفية .
٢١٤	المجموع

فتقديم الخبر بهذا العدد الكبير يعطي دلالة على مدى اهتمام الشاعر بالخبر وعنايته به، وقد مرّ بنا بيان ذلك عند حديثنا عن القيم الدلالية لتقديم الخبر .

النمط الرابع: تقديم متعلقات الجملة المنسوخة وغير المنسوخة .

تقدّمت المتعلقات في الجملة الاسمية المنسوخة وغير المنسوخة في شعر مبارك بن سيف في نحو (أربعة وثلاثين ومائة) موضع. وتتوّعت المتعلقات المقدّمة بين الجار والمجرور والظروف، والمنادى وغيرها، وتوزعت تلك المواضع وفق الأنواع الآتية :

(١) التقديم في الجملة الاسمية، (غير المنسوخة) :

أولا - تقديم شبه الجملة من الجار والمجرور على الخبر، أو المبتدأ، أو عليهما معاً :

ورد شبه الجملة (الجار والمجرور) مقدّماً في الجملة الاسمية في شعر مبارك بن سيف بصور شتّى، هي :

(أ) تقدّم الجار والمجرور على الخبر. (مبتدأ + جار ومجرور + خبر).

وجاءت هذه الصّورة في (ثلاثة وسبعين) موضعاً، منها:

• قوله في قصيدته (مسافر على أمواج الخليج) ^(١) :

فَهَلْ عَجَبًا أَنْ طَوَانِي الْحَنِينُ وَقُلْتُ : لِقَائِي بِأَرْضِي قَرِيبٌ

لِقَائِي: مبتدأ. (بأرضي: جار ومجرور). قريب: خبر المبتدأ.

• وقوله في قصيدته (أمجاد رمضان) ^(٢) :

وَلَذِكْرُ رَبِّكَ فِي الْقُلُوبِ سَكِينَةٌ نُورُ السَّكِينَةِ لِلْمُجَاهِدِ مَطْلَبٌ

ذِكْرُ/نور السَّكِينَةِ: مبتدأ. (في القلوب/ للمجاهد: جار ومجرور) سَكِينَةٌ/مَطْلَبٌ: خبر المبتدأ

• وقوله في قصيدته (فلسطين موطن الأديان) ^(٣) :

وَالنَّصْرُ فِي سُوقِ الْجِهَادِ بَضَاعَةٌ بِدمِ الشَّهَادَةِ تُشْتَرَى كَالزَّادِ

النَّصْر: مبتدأ. (في سُوقِ الجهاد: جار ومجرور). بَضَاعَةٌ: خبر المبتدأ.

(ب) تقدم الجار والمجرور على المبتدأ المؤخر:

(خبر مُقَدَّم + جار ومجرور + مبتدأ مؤخر) . وتكررت هذه الصُّورة في شعر مبارك بن سيف

في (أربعة) مواضع، منها:

♦ قوله في قصيدته (أنشودة الخليج) ^(٤) :

أَنَا قَائِدُ الْجَيْشِ الْعَظِيمِ جَحَافِلًا لِي فِي الْخَلِيجِ مَمَالِكٌ وَشَرَاءٌ

- لِي: الجار والمجرور خبر مقدم . - مَمَالِكٌ: مبتدأ مؤخر .

♦ وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج) ^(٥) :

فَاسْعِدْ - أَبَا الْأَخْرَارِ - فَيْكَ قَدْ اعْتَلَى قَوْمٌ لَهُمْ فِي الْمَاضِيَّاتِ سَنَاءٌ

- لَهُمْ: الجار والمجرور خبر مقدم . - سَنَاءٌ: مبتدأ مؤخر .

(١) الأعمال الشعرية، ص ١٥ . (المتقارب)

(٢) السابق نفسه، ص ٧٤ . (الكامل)

(٣) نفسه، ص ٨٦ . (الكامل)

(٤) الأعمال الشعرية، ص ١٣٨ . (الكامل)

(٥) الأعمال الشعرية، ص ١٥٣ . (الكامل)

(ج) تقدّم الجار والمجرور على المبتدأ والخبر: (الجار والمجرور + المبتدأ + الخبر).

وتكررت هذه الصورة في شعر مبارك بن سيف في (سبعة) مواضع، منها:

♦ قوله في قصيدته (البيّن والأقدار)^(١):

إِنِّي أَرَاكَ بِكُلِّ شَيْءٍ نَاضِرٍ فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ خَيَالِكَ سَارِي

الجار والمجرور: فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ . المبتدأ: خَيَالِكَ . الخبر: سَارِي .

♦ وقوله في قصيدته (أمجاد رمضان)^(٢):

رَمَضَانُ فِيكَ الْمُعْجَزَاتُ كَرَامَةٌ لِلَّهِ شَهْرٌ وَالشُّهُورُ تُرْتَّبُ

الجار والمجرور: فِيكَ . المبتدأ: الْمُعْجَزَاتُ . الخبر: كَرَامَةٌ .

♦ قوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٣):

وَكَذَلِكَ التَّارِيخُ لَيْسَ بِغَافِلٍ بِهِ ذِكْرُكُمْ أَبْقَى وَفِيهِ جَزَاءُ

الجار والمجرور: بِهِ . المبتدأ: ذِكْرُكُمْ . الخبر: أَبْقَى .

ثانياً - تقديم الظرف:

وورد الظرف مقدّمًا في الجملة الاسمية في شعر مبارك بن سيف بصور متعددة، هي:

(أ) تقديم الظرف على الخبر. (مبتدأ + الظرف + خبر) .

وقدّم الشاعر (أحد عشر) ظرفاً^(*) على الخبر في (سبعة عشر) موضعاً، منها:

♦ قوله في قصيدته (بحر الزمرد)^(٤):

كَمْ مِنْ حَضَارَاتٍ قَدْ شَهِدَتْ عِمَادَهَا بَلْ أَنْتَ دَوْمًا لِلْحَضَارَةِ مَحْوَرٌ

أَنْتَ: المبتدأ . دَوْمًا: الظرف . مَحْوَرٌ: الخبر .

(١) السابق نفسه، ص ٤٢ . (الكامل)

(٢) نفسه، ص ٧٦ . (الكامل)

(٣) الأعمال الشعرية، ص ١٦٤ . (الكامل)

(*) الظروف هي: دَوْمًا، اليوم، حَوْلَ، عِنْدَ، بَيْنَ، مَعَ، فَوْقَ، بَعْدَ، دُونِ، لَدَى، هُنَا .

(٤) السابق نفسه، ص ٤٨ . (الكامل)

♦ وقوله في قصيدته (عودة إبريل)^(١) :

رُؤْيَاكَ الْيَوْمَ مُعَذِّبَتِي عِيدٌ لَنْ يَغْرِبَ عَنْ فِكْرِي

رُؤْيَاكَ: المبتدأ . الْيَوْمَ: الظرف . عِيدٌ: الخبر .

♦ وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٢) :

وَبِهِ الْغُيُونُ الْبَاسِمَاتُ لِحَاطِهَا فَجَنَانُهَا بَيْنَ الرَّمَالِ رُؤَا

فجنانها: المبتدأ . بَيْنَ: الظرف . رُؤَا: الخبر .

♦ وقوله في قصيدته السابقة ذاتها^(٣) :

وَعُيُونُهُمْ بَعْدَ الْمَغِيبِ هَوَاجِعٌ فَالسَّابِحَاتُ مَقَامُهَا الظُّلُمَاءُ

وَعُيُونُهُمْ: المبتدأ . بَعْدَ: الظرف . هَوَاجِعٌ: الخبر .

(ب) تقديم الظرف على المبتدأ المؤخر : (الخبر المقدم + الظرف + المبتدأ المؤخر) .

وجاء هذا النمط في شعر مبارك بن سيف في موضع، هو قوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٤) :

وَسَلِمَتْ يَا أَرْضَ الْإِمَارَاتِ الَّتِي فِي سَيْرِهَا نَحْوُ الرِّقِيِّ عِلَاءُ

فِي سَيْرِهَا: الخبر المقدم . نَحْوُ: الظرف . عِلَاءُ: المبتدأ المؤخر .

(ج) تقديم الظرف على المبتدأ والخبر: (الظرف + المبتدأ + الخبر) . وجاء في (موضعين) ،

هما:

• قوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٥) :

قَالُوا: قَرَاصِنَةٌ وَقُلْنَا: فَتِيَةٌ مَدْ مَوْلِدِ الدُّنْيَا هُمْ الطُّلَقَاءُ

• وقوله في قصيدته السابقة نفسها^(٦) :

(١) الأعمال الشعرية، ص ٦٥ . (المتدارك)

(٢) السابق نفسه، ص ١١٤ . (الكامل)

(٣) نفسه، ص ١٤٨ . (الكامل)

(٤) الأعمال الشعرية، ص ١٦٨ . (الكامل)

(٥) السابق نفسه، ص ١٥٤ . (الكامل)

(٦) نفسه، ص ١٠٢ . (الكامل)

وَالْيَوْمَ فِيكَ الْمَآخِرَاتُ عَمَالِقُ مُدُنُ الْبَحَارِ، وَسِيرُهَا ضَوْضَاءُ
وَالْيَوْمَ: الظرف . الْمَآخِرَاتُ: المبتدأ . عَمَالِقُ: الخبر .

ثالثاً - تقديم المنادى :

جاء المنادى مُقَدِّمًا في الجملة الاسمية في شعر مبارك بن سيف بصور شَتَّى، هي :
(أ) تقديم المُنَادَى على الخبر . (المبتدأ + المنادى + الخبر) .

وورد هذا النمط في شعر مبارك بن سيف في (ستة) مواضع، منها :

● قوله في قصيدته (أنشودة الخليج) ^(١) :

كُلُّ يُسَبِّحُ - لَوْ عَلِمْتَ - بِحَمْدِهِ دَقَّاتُ قَلْبِكَ - يَا جَهْلُ - دُعَاءُ
دَقَّاتُ قَلْبِكَ: المبتدأ . يَا جَهْلُ: المنادى . دُعَاءُ: الخبر .
● وقوله في مسرحيته الشعريّة (الفجر الآتي) ^(٢) :

سَلَامُ اللَّهِ يَا قَوْمِي عَلَيْكُمْ

عَلَيْكُمْ يَا أَخَا الْعَرَبِ السَّلَامُ

سَلَامُ اللَّهِ: المبتدأ . يَا قَوْمِي: المنادى . عَلَيْكُمْ: الخبر .

(ب) تقديم المُنَادَى على المبتدأ المؤخّر . (الخبر + المنادى + المبتدأ) .

ووردت هذه الصورة في شعر مبارك بن سيف في (موضعين)، هما :

● وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج) ^(٣) :

هَذِي أَسَاطِيلُ الْمَلِكِ تَحِيَّةُ لَكَ - يَا مَلِيكَ - الْبَحْرِ وَالْبَطْحَاءِ

لَكَ: (الجار والمجرور) خبر مقدّم . الْمُنَادَى: مَلِيكَ . الْبَحْرِ: المبتدأ المؤخّر .

● وقوله في قصيدته مسرحيته الشعريّة (الفجر الآتي) ^(٤) :

(١) الأعمال الشعريّة ، ص ١٢٢ . (الكامل)

(٢) السّابق نفسه، ص ٣٠٦ . (من المتقارب)

(٣) نفسه، ص ١٣٩ . (الكامل)

(٤) الأعمال الشعريّة، ص ٣٠٦ . (من المتقارب)

عَلَيْكُمْ يَا أَخَا الْعَرَبِ السَّلَامُ

أَعْبَدَ اللَّهُ أَنْتَ هُنَا

نَعَمْ يَا صَاحِبِي أَقْبِلْ

لك: (الجار والمجرور) خبر مقدم . المُنَادَى: يا أخا العرب . السَّلَامُ: المبتدأ المؤخر

رابعاً - اعتراض الجملة الشرطية :

جاءت الجملة الشرطية متقدمة على الخبر في شعر مبارك بن سيف، في (ثلاثة) مواضع، هي :
(المبتدأ + الجملة الشرطية + الخبر) .

● قوله في قصيدته (البين والأقدار)^(١) :

ضَوْءُ النَّهَارِ إِذَا بَعُدَتْ غَمَامَةٌ وَاللَّيْلُ قُرْبِكَ بَاهِرُ الْأَنْوَارِ

● وقوله في قصيدته (عودة إبريل)^(٢) :

فَالْبَيْدُ بِقُرْبِكَ جَنَاتٌ وَجَنَانِي إِنْ غَرَبَتْ أَسْرِي

● وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٣) :

هَذِي الْمَسَاجِدُ وَالْأَذَانُ مُوَحَّدٌ كُلُّ الْمَسَاجِدِ لَوْ عَلِمْتَ (قُبَاءٌ)

خامساً - تقديم الجملة الفعلية :

جاءت الجملة الفعلية متقدمة على الخبر في شعر مبارك بن سيف. في (موضع) ، هو:

قوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي)^(٤) :

كُلُّ مَا جِئْنَا بِهِ

بَلْ وَمَا نَرْجُوهُ مِنْهُ ..

بَيْنَ كَفَيْهِ تَبَعَثَ

(١) الأعمال الشعرية، ص ٤١ . (الكامل)

(٢) السابق نفسه، ص ٦٤ . (المتدارك)

(٣) نفسه، ص ١٢٣ . (الكامل)

(٤) الأعمال الشعرية، ص ٢٩٩ . (الكامل)

(المبتدأ (كلُّ) + **الجملة الفعلية - صلة الموصول -** (ما جئنا به، بل وما نرجوه) + الخبر، وهو:
الجملة الفعلية - تبعثر.

سادساً - تقديم الجملة الاسمية :

جاءت الجملة الاسمية متقدمة على الخبر في شعر مبارك بن سيف، في (موضع)، هو قوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(١) :

وَلَا تُؤَيُّ هِيَ كَالنُّجُومِ لَوَامِعُ فِي عَيْنٍ عَاشِقِهَا لَهَا أَسْمَاءُ

ولها تخريجان : - (لَا تُؤَيُّ: مبتدأ أول + جملة اسمية : هي كالنجوم + لوامع: خبر المبتدأ الأول) .

- (لَا تُؤَيُّ: مبتدأ + هي: خبر أول + لوامع: خبر ثان) .

ثانياً: تقديم متعلقات الجملة الاسمية المنسوخة :

أولاً : التواسخ الفعلية :

- تحدّث ابن عقيل عن تقديم معمول الخبر في جملة (كان وأخواتها)، وأكّد حقيقة أنّه: «لا يجوز أن يلي (كان) وأخواتها معمول خبرها الذي ليس بظرف ولا جار ومجرور»^(٢). ثمّ بحث ابن عقيل المسألة من جانبين، هما :

«الأول: أن يتقدّم معمول الخبر وحده على الاسم، ويكون الخبر مؤخراً عن الاسم، نحو: كان طعامك زيداً أكلاً، وهذه ممتنعة عند البصريين، وأجازها الكوفيون - ولم يجد الباحث أيّ مثال على هذا في شعر مبارك بن سيف - .

الثاني: أن يتقدّم معمول والخبر على الاسم، ويتقدّم معمول على الخبر، نحو: كان طعامك أكلاً زيداً، وهي ممتنعة عند سيبويه، وأجازها بعض البصريين .. فإنّ كان معمول ظرفاً، أو جاراً ومجروراً جاز إيلائه (كان) عند البصريين والكوفيين، نحو: كان عندك زيدٌ مقيماً، وكان فيك زيدٌ راغباً»^(٣). ولم ترد أمثلة على هذه الحالة في شعر مبارك بن سيف. وعلل المُرادي ت٥٧٤٩هـ جواز ذلك «للتوسّع في الظرف والمجرور»^(٤).

(١) السّابق نفسه، ص ١١٢ . (الكامل)

(٢) شرح ابن عقيل، ص ٢٥٩ / ١ .

(٣) السّابق نفسه، ص ٢٦٠ / ١ .

(٤) توضيح المقاصد والمسالك، ٤٩٩/١ .

ومن أنماط التقديم في الجملة الفعلية المنسوخة ما يأتي:

(أ) تقدّم الظرف على الاسم والخبر في الجملة المنسوخة .

(الفعل الناسخ + الظرف + اسمه + خبره) .

جاء الظرف في شعر مبارك بن سيف مُقدّمًا على اسم كان وعلى خبرها في (موضع) ، هو قوله في قصيدته (أغنية للربيع)^(١) :

إِنْ يَكُنْ عِنْدَكَ الْغَرَامُ رِبِيْعًا أَنْشِدِيهِ وَهَاتِي شَدُوْكَ هَاتِي

الفعل الناسخ: يَكُنْ . الظرف: عندك . اسم (يكن): الغرام . خبر (يكن): ربيعًا .

أفاد تقدّم الظرف (عندك) على اسم كان وخبرها اختصاص الممدوح (رفاقه من الطيور وغيرها) بالغرام. كما أفاد اهتمام الشاعر بها، وحبّه لهم؛ لذلك قدّمها على المبتدأ والخبر. ولم يرد - في ضوء علم الباحث - في شعر مبارك بن سيف الجار والمجرور مُقدّمًا على اسم كان وخبرها .

(ب) تقدّم الجار والمجرور على خبر الفعل الناسخ .

(الفعل الناسخ + اسمه + الجار والمجرور + خبر الفعل الناسخ)

تكرر تقدّم شبه الجملة من الجار والمجرور على خبر الفعل الناسخ في (ثمانية عشر) موضعًا، منها :

• قوله في قصيدته (سفن الغوص البائسة)^(٢) :

قَدْ يُلَاقِيهَا وَيَفْرَحُ

وَتَكُونُ الْمُسَكَّةُ الْأُولَى لَهُ آخِرَ مَرَّةٍ

وَتَكُونُ: الفعل الناسخ . الْمُسَكَّةُ: اسمه . لَهُ: الجار والمجرور . آخِرَ: خبر الفعل الناسخ .

• وقوله في قصيدته (بحر الزمرد)^(٣) :

هَذِي مَجَادِيْفُ السَّفَائِنِ لَمْ تَزَلْ أَصْوَاتُهَا فِي لُجٍّ مُوجِكَ تُبَحِرُ

(١) الأعمال الشعرية، ص ٢٨ . (الخفيف)

(٢) الأعمال الشعرية، ص ٢٤ . (الرملي)

(٣) السابق نفسه، ص ٤٩ . (الكامل)

لَمْ تَزَلْ : الفعل الناسخ. أَصَوَاتُهَا: اسمه. فِي لُجٍّ : الجار والمجرور. تُبْحِرُ: الجملة الفعلية خبر الفعل الناسخ .

• وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج) ^(١) :

قَدْ كُنْتُ لِلْفَيْنِيْقِ أَوَّلَ مَنْزِلٍ شَهِدْتُ لَهُ الْأَنْوَاءَ وَالْأَسْمَاءَ

كُنْتُ : الفعل الناسخ، واسمه . لِلْفَيْنِيْقِ : الجار والمجرور . أَوَّلَ : خبر الفعل الناسخ .

وجاء تقديم الجار والمجرور على خبر الفعل الناسخ في الأمثلة المتقدمة لغرض بلاغي، وهو الاختصاص. ففي المثال الأول تعجل الشاعر بذكر الجار والمجرور (له)؛ لتأكيد أن هذه المسكة لن تكون إلا لهذا الغواص وحده الذي اقتفى آثار تلك الدرة، وقد طال عناؤه حتى أمسك بها(*) . كما أن تأكيد الشاعر على خطورة تلك الأمواج قد دفعته لتقديمها على الخبر، فالشاعر مشغول ببيان عظمة السفائن، ومما يدل على عظمتها وقوتها بيان قوة ما تواجهه من أمواج عاتية. ومن هنا فتقديم الجار والمجرور قد أفاد اهتمام الشاعر بهذه المخاطر التي تظهر قوة السفائن.

(ج) تقدم الظرف على خبر الفعل الناسخ .

(الفعل الناسخ + اسمه + الظرف + خبر الفعل الناسخ)

تكرر تقدم الظرف على خبر الفعل الناسخ في (أحد عشر) موضعاً، منها:

• وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج) ^(٢) :

مَا كُنْتُمَا يَوْمًا ذُوِي قُرْبَى لَنَا كَلَّا وَلَا أَنْتُمْ بِنَا رُحَمَاءَ

كُنْتُمَا : الفعل الناسخ، واسمه . يَوْمًا : الظرف . ذُوِي قُرْبَى : خبر الفعل الناسخ .

• وقوله في قصيدته السابقة نفسها ^(٣) :

مَا كُنْتُ يَوْمًا لِلْغَرِيبِ مَنَازِلًا أَبَدًا وَلَا حَطَّتْ بِكَ التُّرُلَاءُ

كُنْتُ : الفعل الناسخ، واسمه . يَوْمًا : الظرف . مَنَازِلًا : خبر الفعل الناسخ .

(١) نفسه، ص ١١٧ . (الكامل)

(*) ذكرت هذه المعاني في المقاطع الشعرية التي سبقت هذا المقطع في الصفحة ذاتها .

(٢) الأعمال الشعرية، ص ١٤٢ . (الكامل)

(٣) السابق نفسه، ص ١٥٤ . (الكامل)

• وقوله في مسرحيته الشعريّة (الفجر الآتي)^(١) :

مَلُّوْا عُقُوْلَهُمْ ..

وَكَانَتْ

قَبْلَ ذَلِكَ خَاوِيَةً

سَيِّعُهُ هَذَا الشَّرُّ ..

كَالْنَّيِّرَانِ تُحْرِقُ كُلَّ بَيْتٍ

لِيَكُونَ قَوْمُكَ بَعْدَ حَيْنٍ فِي رُكَامِ الْهَاوِيَةِ

كانت / يكون: الفعل الناسخ . اسمه: (هي) / قومك . الظرف: قبل / بعد .

خبر الفعل الناسخ: خاوية / في ركام الهاوية .

فتقديم الظروف (يوماً، وقبل ذلك، وبعد حين) يعكس مدى اهتمام الشاعر بالظرف؛ لأنّه يخدم المعنى الذي يريد؛ لذلك قدّمه على الخبر. ففي البيت الأول أراد الشاعر أن ينفي عن محمد علي باشا وابنيه: إبراهيم وطوسون^(٢) أي صلة قربي مع أهل الجزيرة. فكلمة (يوماً) أكّدت أنّ التاريخ والزمان يشهدان بعدم وجود صلة قربي، ولو لم يقدّم الشاعر الظرف لتبادر لذهن السامع أنّه قد تكون هناك علاقة ود وقربي، وهذا ما لا يريده الشاعر. وهذا يصدق على البيت الثاني الذي قدّم الشاعر الظرف (يوماً) على الخبر (مَنَازِلًا) للتأكيد على أنّ الخليج العربي لم يكن في أية لحظة منزلاً للمستعمر. فتقديم الشاعر للظروف في هذه الأمثلة وغيرها يؤكّد على اهتمام الشاعر بها؛ لأنّها تشارك في تأكيد المعنى الذي يريده، أو تنفي ضده.

(د) تقدّم المنادى على خبر الفعل الناسخ .

(الفعل الناسخ + اسمه + المنادى + خبر الفعل الناسخ)

تقدّم المنادى على خبر الفعل الناسخ في شعر مبارك بن سيف في (ثلاثة) مواضع، هي :

• قوله في قصيدته (أغنية الربيع)^(٣) :

(١) نفسه، ص ٢٩٦ . (الكامل)

(٢) ذُكِرَا فِي الْبَيْتِ السَّابِقِ، وَنَصَّهُ: طُوسُونُ وَالْبَاشَا الرَّهْمِيَّةُ هَهُنَا أَوْ مَا شَفَاكَ مِنَ الْكِنَانَةِ دَاءٌ؟

يُنْظَرُ: الْأَعْمَالُ الشَّعْرِيَّةُ، ص ١٤١ . (الكامل)

(٣) الْأَعْمَالُ الشَّعْرِيَّةُ، ص ٣٠ . (الخفيف)

لَنْ يَكُونَ الْفِرَاقُ يَا فَجْرُ لَيْلِي لَنْ يَكُونَ الْبُعَادُ سَجْنِي وَأَسْرِي

يَكُونُ: الفعل الناسخ . الْفِرَاقُ: اسمه . يَا فَجْرُ: المنادى . لَيْلِي: خبر الفعل الناسخ.

• وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج) ^(١) :

كَمْ كُنْتُ - يَا شَطَّ الْخَلِيجِ - مَلَاعِبًا تَهْفُو إِلَيْكَ اللَّيْلَةُ الْقَمَرَاءُ

كُنْتُ: الفعل الناسخ، واسمه . يَا شَطَّ الْخَلِيجِ: المنادى . مَلَاعِبًا: خبر الفعل الناسخ.

• وقوله في القصيدة نفسها ^(٢) :

كُنْ - يَا خَلِيجُ - لِكُلِّ ذِي قَلْبٍ أَخَا فِي الْحَقِّ، إِنَّا وَالْحَيَاةُ إِخَاءُ

كُنْ: الفعل الناسخ، واسمه الضمير المقدر (أنت) . يَا خَلِيجُ: المنادى . أَخَا: خبر الفعل الناسخ.

(هـ) تقدم الجملة الفعلية على خبر الفعل الناسخ .

(الفعل الناسخ + اسمه + الجملة الفعلية + خبر الفعل الناسخ)

تقدمت الجملة الفعلية على خبر الفعل الناسخ في (موضعين)، هما :

• وقوله في قصيدة (أنشودة الخليج) ^(٣) :

سَيَكُونُ ذِكْرُكَ لَوْ عَلِمْتَ حِكَايَةَ أَثْرًا، سَيَفْنَى وَالْخَلِيجُ بَقَاءُ

(يكون): الفعل الناسخ. (ذِكْرُكَ): اسمه. (لو علمت): الجملة الفعلية. (حكاية، أثرًا): خبران

لِلنَّاسِخِ.

• وقوله في المسرحية الشعرية (الفجر الآتي) ^(٤) :

رَأَيْتُ غِلَظَ النُّفُوسِ وَأَوْتَانَهُمْ

وَكَانَ أَبِي كُلَّمَا جَنَّ لَيْلٍ

يَقْصُ عَلَيْنَا حَدِيثَ الرُّسُولِ وَقَوْلَ الصَّحَابَةِ

(١) السابق نفسه، ص ١٠٣ . (الكامل)

(٢) نفسه، ص ١٠٧ . (الكامل)

(٣) الأعمال الشعرية، ص ١٢٢ . (الكامل)

(٤) السابق نفسه، ص ٢٥١ . (المقارب)

كَانَ: الفعل الناسخ. أبي: اسمه. كُلَّمَا جَنَّ لَيْلٍ: الجملة الفعلية . يَقْصُّ عَلَيْنَا: خبر الناسخ.
(و) تقدّم الْقَسَم على خبر الفعل الناسخ .

(الفعل الناسخ + اسمه + القسم + خبر الفعل الناسخ)

تقدّم الْقَسَم على خبر الفعل الناسخ في شعر مبارك بن سيف في (موضع) ، هو قوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي)^(١) :

فَلَيْسَ الْمَقَامُ مَقَامَ عَقِيدَةٍ

وَلَسْنَا وَرَبِّكَ طُلَّابَ دِينٍ

الفعل الناسخ، واسمه: لسنا . الْقَسَم: وَرَبِّكَ . خبر الناسخ: طُلَّابَ .

(ب) النَّوَاسِخُ الحرفية :

جاء تقديم خبر النواسخ الحرفية في شعر مبارك بن سيف على الخبر على الصور الآتية:

أولاً: تقديم شبه الجملة (الجار والمجرور) على خبر الحرف الناسخ، أو اسمه، أو عليهما معاً:

جاء شبه الجملة (الجار والمجرور) مُقدِّماً في الجملة الاسمية المنسوخة بالنواسخ الحرفية في شعر مبارك بن سيف وفق الأنماط الآتية :

(أ) تقدّم الجار والمجرور على خبر الحرف الناسخ :

(الناسخ + اسمه + الجار والمجرور + الخبر)

تقدّم شبه الجملة من الجار والمجرور على خبر الحرف الناسخ في (ثلاثة عشر) موضعاً، منها :

• قوله في قصيدته (بحر الزُّمُرْد)^(٢) :

وَأَتَيْتَ مِنْ عُمُقِ الزَّمَانِ مُفَاخِرًا إِنَّ الزَّمَانَ بَعْدَ أَمْسِكَ أَفْخَرُ

إنّ: الحرف الناسخ . الزَّمَانُ: اسمه . بَعْدَ: الجار والمجرور . أَفْخَرُ: خبر الحرف الناسخ.

• وقوله في قصيدته (نُورَة)^(٣) :

(١) الأعمال الشعرية، ص ٣٣٦ . (من المتقارب)

(٢) السابق نفسه، ص ٤٨ . (الكامل)

(٣) نفسه، ص ٥٦ . (المتدارك)

يَا حُبِّي يَا أَحْلَى الْأَسْمَاءِ

لَمْ أَعْلَمْ أَنِّي فِيكَ عَشَقْتُ الشَّمْسُ

أَنِّي: الحرف الناسخ، واسمه. فِيكَ: الجار والمجرور. عَشَقْتُ الشَّمْسُ: خبر الحرف الناسخ.

• وقوله في قصيدته (أمجاد رمضان)^(١):

رَدَّ الرَّحِيمُ عَنِ الْقُلُوبِ شَعَاعَهَا إِنَّ الْقُلُوبَ بِغَيْرِ ذِكْرِ غُيِبُ

إِنَّ: الحرف الناسخ. الْقُلُوبُ: اسمه. بِغَيْرِ ذِكْرِ: الجار والمجرور. غُيِبُ: خبر الناسخ.

(ب) تقدّم الجار والمجرور على اسم الحرف الناسخ وخبره:

(الناسخ + الجار والمجرور + اسمه + الخبر)

جاء هذا النمط في شعر مبارك بن سيف في (موضع)، هو قوله في قصيدة (رفقة الصّبا)^(٢):

لَهُوَ كَانَ لَنَا الْأَيَّامَ بَاقِيَةً كَأَنَّهَا جَدُولٌ يَسْرِي بِمَجْرَاهُ

كَأَنَّ: الحرف الناسخ. لَنَا: الجار والمجرور. الْأَيَّامَ: اسم الناسخ. بَاقِيَةً: خبر الناسخ.

(ج) تقدّم الجار والمجرور على الحرف الناسخ واسمه وخبره:

(الجار والمجرور + الناسخ + اسمه + الخبر)

جاء هذا النمط في شعر مبارك بن سيف في (موضع)، هو قوله في قصيدته (حلم شرقي

الألوان)^(٣):

وَأَنِّي أَرَاكَ بِجَوْفِي جَنِينُ

وَمِنْ نُورِ عَيْنَيْكَ إِنِّي أَرَاكَ

مِنْ نُورِ..: الجار والمجرور. إِنِّي: الحرف الناسخ، واسمه. أَرَاكَ: خبر الناسخ (الجملة الفعلية).

(١) الأعمال الشعرية، ص ٧٤. (الكامل)

(٢) الأعمال الشعرية، ص ٢١. (الرمل)

(٣) السابق نفسه، ص ١٧٤. (المقارب)

ثانيًا - تقدُّم الظُّرف :

- تقدُّم الظُّرف على خبر الحرف النَّاسخ .

(الناسخ + اسمه + الظُّرف + خبره)

تقدِّم الظُّرف (*) على خبر الحرف النَّاسخ في شعر مبارك في (أحد عشر) موضعًا، منها :

• قوله في قصيدته (سفن الغوص البائسة) ^(١) :

وَاحْمِلِ الْقُبُلَاتِ مِنِّي

قُلْ لَهُمْ: إِنِّي مَعَ الْأَمْوَاجِ آتٍ

إِنِّي: الحرف النَّاسخ، واسمه . مَعَ الْأَمْوَاجِ: الظُّرف . آتٍ: خبر الحرف النَّاسخ .

• وقوله في قصيدته (ذكريات في ليلة شتوية) ^(٢) :

تَعَالِي إِلَيَّ فَإِنِّي هُنَا

بَبَيْتٍ طَرِيقُهُ عَنْكَ بَعِيدٌ

فَإِنِّي: الحرف النَّاسخ، واسمه . هُنَا: الظُّرف . بَبَيْتٍ: الجار والمجرور (خبر النَّاسخ) .

• وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج) ^(٣) :

مِنْ كُلِّ حَدْبٍ قَدْ أَتَاكَ مُغَامِرٌ فَكَأَنَّهُمْ فَوْقَ الْهَشِيمِ ذَرَاءُ

فَكَأَنَّهُمْ: الحرف النَّاسخ، واسمه . فَوْقَ الْهَشِيمِ: الظُّرف . ذَرَاءُ: خبر النَّاسخ .

ثالثًا - تقدُّم الجملة الفعلية :

- تقدُّم الجملة الفعلية على خبر الحرف النَّاسخ :

(الناسخ + اسمه + الجملة الفعلية + خبره)

(*) الظروف هي: مع: (تكرر ثلاثًا)، هاهنا: (تكرر ثلاثًا)، فوق: (تكرر مرتين)، وراء، وخلف.

(١) نفسه، ص ٢٧ . (الكامل)

(٢) الأعمال الشعرية، ص ٧١ . (المتقارب)

(٣) الأعمال الشعرية، ص ١٤٢ . (الكامل)

تقدّمت الجملة الفعلية على خبر الحرف الناسخ في شعر مبارك بن سيف في (موضع) ، وهو قوله في مسرحيته الشعريّة (الفجر الآتي)^(١) :

يَا قَوْمُ إِنَّكُمْ أَرَى فِي كُلِّ وَادٍ تَسْرَحُونَ

الناسخ: إنَّ. اسمه: الضمير المتصل (الكاف) . الجملة الفعلية (أرى..). خبره: جملة (تسرحون) .
رابعاً - تقدّم المُنَادَى :

- تقدّم المنادى على خبر الحرف النّاسخ :

(الناسخ + اسمه + المنادى + خبره)

وتقدّم المنادى على خبر الحرف الناسخ في شعر مبارك بن سيف في (موضع) ، وهو قوله في قصيدته (البُعد الرابع - ٢ -)^(٢) :

بَيْدَ أَنِّي يَا صَدِيقِي

عِنْدَمَا أَرْفَعُ رَأْسِي لِلسَّمَاءِ

لَا أَرَى لَمَعَ الضِّيَاءِ

الناسخ: أَنَّ. اسمه: الضمير المتصل (الياء) . المنادى: يا صديقي. خبره: الجملة الفعلية (لا أرى..)

خامساً - تقديم (كلاً) ، وهي: أداة ردع وزجر:

- تقدّم أداة الرّدع (كلاً) على خبر الحرف النّاسخ:

(الناسخ + اسمه + أداة الرّدع + خبره)

تقدّمت أداة الرّدع (كلاً) على خبر الحرف الناسخ في شعر مبارك بن سيف في (موضع) ، وهو قوله في قصيدته (البُعد الرابع - ٢ -)^(٣) :

يَا صِغَارُ.. يَا صِغَارُ

إِنَّ نُورَ الشَّمْسِ كَلَّا لَنْ يَمُوتَ

(١) السّابق نفسه، ص ٣٠١ . (مجزوء الكامل)

(٢) نفسه، ص ١٨٨ . (الرمل)

(٣) الأعمال الشعريّة، ص ١٩٠ . (الرمل)

الناسخ: إنَّ. اسمه: نورَ . أداة الرَّدع: كلاً. خبره: الجملة الفعلية (لَنْ يموت) .

اشتملت الجملة الشعرية على ثلاثة مؤكِّدات لغوية، هي:

- الأول: الحرف الناسخ (إنَّ) الذي يفيد التأكيد على وجود نور الشمس.

- الثاني: أداة الردع (كلاً) .

- الثالث: النَّفي بِ (لَنْ) . والتأكيد على نفي فناء نور الشمس وموته .

ونضيف مؤكِّداً دلاليّاً آخرَ، وهو تقدُّم أداة الرَّدع على الجملة الفعلية المنفية. وهذا زاد التأكيد على بقاء نور الشمس وديمومته. ولعل ما يؤكِّد زعمنا هذا أنَّ ابن فارس ذكر أنَّ (كلاً): « تكون رَدْعاً ونَفِياً لدعوى مُدَّعٍ إذا قال: لقيتُ زيِّداً. قلتُ: كلاً»^(١) .

وجاء المقطع لغايات، منها:

- الأولى: الرَّد على الموروث الشَّعبيّ الذي كان يُردِّدُ الفناءَ الشعبيّ: (كلُّهُ زَيْنٌ كُلُّهُ زَيْنٌ مَوْلُودُ الضُّحَى الْاَثْنَيْنِ)^(٢) عندما يحدث خسوف القمر.

- الثانية: الرَّد على الاعتقاد الذي كان سائداً في منطقة الخليج العربي قبل الإسلام بأنَّ خسوف القمر ناتج عن ابتلاع حوت له^(٣) .

ومن هنا تأتي (كلاً) المقدِّمة على النَّفي رَدْعاً لِمَنْ يعتقد مثل هذا، ونفيّاً لصحة ذلك الاعتقاد، وبثِّ الأمل في نفوس الصَّغار بأنَّ ضَوْءَ القمرِ لَنْ يُحْجَبَ وَلَنْ يَغِيبَ .

- الثالثة: جاء المقطع ضمن قصيدة بعنوان (مذكرات شاعر من العالم الثالث). فالشاعر أراد بيان عقلية إنسان العالم الثالث الذي ما زالت تسيطر عليه الأساطير والخرافات. فيأتي دور الشاعر لإزالة ذلك الاعتقاد من أجل النهوض بالعقل الإنساني نحو السمو الفكري .

ثانياً: استنتاجات حول قضايا التقديم في الجملة الاسمية :

وبعد هذا العرض لحالات التقديم والتأخير في الجملة الاسمية في شعر مبارك بن سيف آل ثاني،

فإنَّه يمكن استنتاج ما يأتي:

(١) الصَّاحبي في فقه اللغة العربية، ص ١١٨ .

(٢) وردت هذه العبارة في المقطع السابق. يُنظر: الأعمال الشَّعريَّة، ص ١٩٠ .

(٣) يُنظر: السَّابِق نفسه، هامش (× الثانية) في: ص ١٩٠ .

الاستنتاج الأول: قسّم النُّحاة حالات تقدّم الخبر إلى حالتين: الجواز والوجوب .

الأولى: حالات جواز تقديم الخبر على المبتدأ:

وتعني: أنّه يستوي تقديم الخبر على المبتدأ أو تأخيرها، يقول سيبويه: «هذا باب ما يقع موقع الاسم المبتدأ، ويسدّ مسدّه؛ لأنّه مُسْتَقَرٌّ لِمَا بعده، وموضع الذي عَمِلَ فيما بعده حتّى رَفَعَهُ هو الذي عَمِلَ فيه حين كان قبله، ولكنّ كلُّ واحدٍ منهما لا يُسْتَفْنَى به عن صاحبه...، وذلك قولك: فيها عَبْدُ اللَّهِ»^(١). أمّا الزجاجي(ت ٣٣٧ هـ)^(٢) فقد وضع شرطاً لتقدّم الخبر على المبتدأ، وهو ألا يكون الخبرُ فعلاً، أمّا ابن عقيل^(٣) فاشتراط أن يؤمّن اللبس .

وتحدّث الصّيمري^(٤) عن الحالات التي يجوز فيها تقديم الخبر على المبتدأ، بيد أنّه لم يأت على ذكر حالات الجواز جميعها . كما فعل ابن عقيل^(٥) الذي بيّن أنّ الخبر يتقدّم على المبتدأ إذا كان:

(أ) شبه جملة (جاراً ومجروراً، أو ظرفاً)، والمبتدأ معرفة . ووجد الباحث أمثلة متعددة على هذه الحالة في شعر مبارك بن سيف، ولا عجب في هذا الأمر، فالشاعر هو ابن اللغة يستخدم ما شاع منها .

(ب) اسماً مشتقاً، ومربّ بنا أنّ هذه المسألة كانت محطّ خلاف بين النُّحاة، وعرض الكتاب ذلك الخلاف بشيءٍ من التفصيل. ويلاحظ أنّ الشاعر كان مُقلّاً في الشواهد التي تمثّل هذه الحالة، فهي لم تزد على الثلاثة شواهد. ولعلّ لهذا ما يبرره هو أنّ الشاعر كان ينأى بنفسه - عن قصد، أو غير قصد - عن كلّ ما هو مثار خلاف بين النُّحاة .

(ج) جملة اسمية، نحو: أبوه قائمٌ زيدٌ . يقول الزّجاجي ت ٣٣٧ هـ : «واعلم أنّه يجوز تقديم خبر المبتدأ عليه إلا إذا كان فعلاً، فإنّه لا يجوز تقديمه، نحو قولك: زيدٌ قائمٌ، وقائمٌ زيدٌ، ومحمّدٌ في الدّار، وفي الدّارٍ محمّدٌ، وزيدٌ أخوه مُنْطَلِقٌ، وأخوه مُنْطَلِقٌ زيدٌ. كلّ ذلك جائزٌ عندنا»^(٦). ويؤيد ابن يعيش ت ٦٤٣ هـ^(٧) تقدّم الخبر إذا كان جملة اسمية على المبتدأ .

(١) الكتاب، ٢ / ١٢٨ .

(٢) يُنظر: الجمل في النحو، ص ٣٧ .

(٣) يُنظر: شرح ابن عقيل، ١ / ٢١٣ .

(٤) التبصرة والتذكرة، ١ / ١٠١ .

(٥) شرح ابن عقيل، ١ / ٢١٣ - ٢١٦ .

(٦) الجمل في النحو، ص ٣٧ .

(٧) شرح المفصل، ١ / ٢٣٥ .

ولم يعثر الباحث على شاهد في شعر مبارك بن سيف لتقديم الخبر، وهو جملة اسمية على المبتدأ؛ مما قد يوحي أنه لم يكن - في حسّه الشعوريّ - مؤيِّداً للنُّحاة الذين ذهبوا إلى جواز مثل هذا التقديم .

الثانية : حالات وجوب تقديم الخبر على المبتدأ .

ذكر المجاشعي ت ٤٧٩هـ^(١) حالات الوجوب، وهي: مجيء الخبر اسم استفهام في معرض حديثه عن الأضرُب التي يأتي عليها الخبر، أمّا الجليس النحوي ت ٤٩٠هـ فقد أرجع تقدُّم الخبر إذا كان اسم استفهام للضرورة؛ ذلك أنَّ « الاستفهام له صدر الكلام فلا يتقدّم عليه لفظ ما هو خبر له »^(٢) . ونجد ابن هشام يتوسّع في ذكر الحالات التي يجب فيها تقديم الخبر على المبتدأ، ولعل ما يميّز ما ذكره ابن هشام أنه يذكر علّة كلّ حالة، فيقول: « قد يتقدّم الخبر على المبتدأ جوازاً، أو وجوباً.. والثاني: - أي: حالات الوجوب - كقولك: في الدَّارِ رَجُلٌ، وَأَيُّنَ زَيْدٌ؟ وقولهم: عَلَى النَّمْرَةِ مِثْلُهَا زُبْدًا، وإنما وجب ذلك في تقديمه؛ لأنّ تأخيرها في المثال الأول يقتضي التباس الخبر بالصّفة؛ فَإِنَّ طَلَبَ النِّكْرَةِ الوصفَ لِيَتَخَصَّصَ به طَلَبٌ حَيْثُ فالتزم تقديمه دَفْعاً لهذا الوهم، وفي الثاني إخراج ماله صدرُ الكلام - وهو الاستفهام - عن صدريّته، وفي الثالث عَوْدُ الضَّمير على متأخّر لفظاً ورتبةً »^(٣) . فحالات وجوب تقديم الخبر على المبتدأ عند ابن هشام ثلاث .

وَحَصَرَ جمهور النُّحاة^(٤) حالات تقديم الخبر على المبتدأ بأربع حالات، هي:

الأولى : أَنْ يَكُونَ الْمَبْتَدَأُ نِكْرَةً لَيْسَ لَهَا مَسْوُوعٌ إِلَّا تَقَدَّمَ الْخَبَرُ، وَالْخَبَرُ شَبْهَ جُمْلَةٍ ظَرْفِيَّةٍ، أَوْ جَاراً وَمَجْرُوراً، نَحْوُ: عِنْدَكَ رَجُلٌ، وَفِي الدَّارِ امْرَأَةٌ. وَيَبَيِّنُ ابْنُ عَقِيلٍ^(٥) أَنَّ النُّحَاةَ أَجْمَعُوا عَلَى عَدَمِ جَوَازِ الْقَوْلِ: (رَجُلٌ عِنْدَكَ)، وَ(امْرَأَةٌ فِي الدَّارِ)، وَهَذَا يَعْنِي عَدَمَ جَوَازِ تَقَدُّمِ الْمَبْتَدَأِ النِّكْرَةِ فِي حَالِ كَوْنِ الْخَبَرِ شَبْهَ جُمْلَةٍ ظَرْفِيَّةٍ، أَوْ جَاراً وَمَجْرُوراً. ثُمَّ قَالَ: « فَإِنَّ كَانَ لِلنِّكْرَةِ مَسْوُوعٌ جَازَ الْأَمْرَانِ - أَي: تَقْدِيمِ الْمَبْتَدَأِ، أَوْ تَأْخِيرِهِ، نَحْوُ: رَجُلٌ ظَرِيفٌ عِنْدِي، وَعِنْدِي رَجُلٌ ظَرِيفٌ »^(٦) . وَأَشَارَ ابْنُ جَنِي إِلَى هَذَا الْمَسْوُوعِ؛ حِينَما يَبَيِّنُ أَنَّ تَقَدُّمَ النِّكْرَةِ فِي الْوَاجِبِ فِيهِ قُبْحٌ، « وَلَكِنْ لَوْ أَزَلَّتْ الْكَلَامَ إِلَى غَيْرِ الْوَاجِبِ

(١) شرح عيون الإعراب، ص ٩٦ .

(٢) ثمار الصناعة، ص ٨٣ .

(٣) شرح قطر الندى، ص ١٢٤، ١٢٥ .

(٤) منهم: سيبويه في: - الكتاب ١٢٨/٢ - والصِّميري، التبصرة والتذكرة ١٠١/١ -، والزمخشري، المفصل ٢٤ - ٢٥، وابن يعيش، شرح المفصل ٩٢/١ - ٩٣، وابن الوردي، شرح التحفة الوردية ١٤١ - ١٤٢، وابن هشام، أوضح المسالك، ١٩٢/١ - ١٩٣ .

(٥) يُنْظَر: شرح ابن عقيل، ١ / ٢٢٣، ٢٢٤ .

(٦) شرح ابن عقيل، ١ / ٢٢٤ .

لجاز تقديم النكرة، كقولك: هَلْ غُلَامٌ عِنْدَكَ؟ وما بِسَاطٌ تَحْتَكَ، فَجُنِيتِ الْفَائِدَةَ مِنْ حَيْثُ كُنْتَ قَدْ أَفَدْتَ بِنَفِيكَ عَنْهُ كَوْنَ الْبَسَاطِ تَحْتَهُ، وَاسْتَفْهَامَكَ عَنِ الْغُلَامِ: أَهْوَ عِنْدَهُ أَمْ لَا؟ إِذْ كَانَ هَذَا مَعْنَى جَلِيًّا مَفْهُومًا^(١).

ويمكن ردّ تقديم الخبر في هذا الموضع لسببين :

الأول : لَأَنَّ تَأْخِيرَ الْخَبَرِ قَدْ يُوْدِي إِلَى التَّبَاسِهِ بِالصِّفَةِ، يَقُولُ ابْنُ هِشَامٍ: « وَتَأْخِيرُهُ فِي الْأَمْثَلَةِ الْأَوَّلِ (أَي: الْمَشْتَمَلَةِ عَلَى الظَّرْفِ وَالْجَارِ وَالْمَجْرُورِ) يَوْقَعُ فِي الْإِبَاسِ الْخَبَرِ بِالصِّفَةِ »^(٢).

الثاني : لَوْقُوعِ الْمَبْتَدَأِ مَوْقِعَ الْخَبَرِ الَّذِي مِنْ شَرْطِهِ أَنْ يَكُونَ نَكْرَةً؛ لِأَنَّ الْمَبْتَدَأَ مُحْكَمٌ عَلَيْهِ، وَالْمُحْكَمُ عَلَيْهِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَعْرُوفًا؛ كَيْ يَقَعَ الْحُكْمُ عَلَى شَيْءٍ مَعْلُومٍ وَمَعْرُوفٍ، فَلَا مَعْنَى لِلْحُكْمِ عَلَى مَجْهُولٍ، وَفِي هَذَا يَقُولُ ابْنُ يَعِيشَ: « وَإِنَّمَا كَانَ تَأْخِيرُهُ - أَيِ الْمَبْتَدَأِ - أَحْسَنَ مِنْ تَقْدِيمِهِ؛ لِأَنَّهُ وَقَعَ مَوْقِعَ الْخَبَرِ، وَمِنْ شَرْطِ الْخَبَرِ أَنْ يَكُونَ نَكْرَةً، فَصَلَحَ اللَّفْظُ، وَإِنْ كُنَّا قَدْ أَحْطَيْنَا عِلْمًا أَنَّهُ الْمَبْتَدَأُ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: سَلَامٌ عَلَيْكَ، وَوَيْلَ لَهُ »^(٣). وَجَعَلَ فَضْلُ حَسَنِ عَبَّاسٍ تَقْدِيمَ الْخَبَرِ لِلتَّأْكِيدِ عَلَى أَنَّ الْمُقَدَّمَ خَبَرٌ لَا صِفَةٌ، وَالْخَبَرُ أَقْوَى فِي الدَّلَالَةِ، فَيَقُولُ: « قَدْ يُقَدِّمُونَ الْمُسْنَدَ لِنَدْرِكَ لِأَوَّلِ وَهْلَةٍ بِأَنَّهُ خَبَرٌ لَا صِفَةٌ، فَالْصِّفَةُ لَا تَتَقَدَّمُ عَلَى الْمَوْصُوفِ، وَلَكِنْ الْخَبَرُ قَدْ يَتَقَدَّمُ عَلَى الْمَبْتَدَأِ، وَإِذَا كَانَ خَبَرًا كَانَ أَقْوَى فِي الدَّلَالَةِ عَلَى مَا يَرِيدُونَ »^(٤).

ووقف الباحث على شواهد متعددة من شعر مبارك بن سيف على هذه الحالة .

الثانية : تَقَدُّمُ الْخَبَرِ عَلَى الْمَبْتَدَأِ؛ لِأَنَّ لَهُ صَدَارَةَ الْكَلَامِ كَأَسْمَاءِ الْاسْتِفْهَامِ. نَحْوُ: أَيْنَ زَيْدٌ؟ فزید: مبتدأ مؤخر، وأین: خبر مُقَدَّم .

وجاءت شواهد في شعر مبارك بن سيف على هذه الحالة بلغت (ثمانية وأربعين) شاهداً .

الثالثة : تَقَدُّمُ الْخَبَرِ الْمَحْصُورِ فِي الْمَبْتَدَأِ، نَحْوُ: إِنَّمَا فِي الدَّارِ زَيْدٌ، وَمَا لَنَا إِلَّا اتِّبَاعُ أَحْمَدَ.

ولم يقف الباحث إلا على شاهد في شعر مبارك بن سيف على هذه الحالة .

(١) الخصائص، ١/ ٢٩٩ .

(٢) أوضح المسالك، ١/ ١٩٤ .

(٣) شرح المفصل، ١/ ٨٦، ٨٧ .

(٤) البلاغة العربية فنونها وأقنائها، ص ٢٣٨ .

الرابعة : أن يشتمل المبتدأ على ضمير يعود على شيء من الخبر، نحو قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾^(١)، وقول القائل: في الدار صاحبها، فالضمير المتصل بـ (أقفالها، وصاحبها) راجع إلى: قلوب، وإلى الدار، وكلاهما جزء من الخبر .

يعلل ابن هشام وجوب تقديم الخبر في هذه الحالة لاشتمال المبتدأ على ضمير يعود على الخبر، فيصبح تقديم المبتدأ غير جائز؛ لأن فيه: «عود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة»^(٢). ولعل السبب في ذلك أن الضمير يأتي بعد ظاهر يسبقه ليعود عليه؛ لأن الضمير اسم مبهم .

ولم يقف الباحث على شاهد يمثل هذه الحالة في شعر مبارك بن سيف .

الاستنتاج الثاني: يلاحظ أن شعر مبارك بن سيف قد تضمن ذكر بعض الأمثلة على حالات تقدم الخبر وجوباً وجوازاً، ولم يذكر بعضها الآخر. وفيما يأتي جدول إحصائي يوضح عدد المرات التي جاءت فيها حالات الوجوب والجواز لتقديم الخبر على المبتدأ:

العدد	الحالة	العدد	الحالة
٥٨	١ - الخبر شبه جملة، والمبتدأ معرفة .	٥٧	١ - الخبر شبه جملة، والمبتدأ نكرة .
(٦)	حروف الجر المستخدمة .	(٥)	حروف الجر المستخدمة .
٢١	- اللام .	٢٨	- اللام .
١٤	- في .	١٦	- في .
٣	- الباء .	٦	- الباء .
٣	- من .	٢	- من .
١	- على .	١	- على .
٦	- الكاف .	٤	- الخبر شبه جملة ظرفية .
٦	- الخبر شبه جملة ظرفية .		

(١) سورة : محمد ، آية ٢٤ .

(٢) شرح قطر الندى، ص ١٢٥ .

العدد	الحالة	العدد	الحالة
٣	٢- الخبر اسم مشتق.	٤٨ (٦)	٢. الخبر له الصدارة كأسماء الاستفهام. حروف الجر المستخدمة.
		٢٣	- أَيْنَ .
		١٥	- مَا .
		٤	- مَنْ .
		٣	- كَيْفَ .
		٢	- كَمْ .
		١	- أَي .
-	٣- الخبر جملة اسمية.	-	٣- اشتغال المبتدأ على ضمير يعود على الخبر.
		١	٤- الخبر محصور في المبتدأ.
٦٧	حالات جواز تقديم الخبر على المبتدأ.	١١٠	حالات وجوب تقديم الخبر على المبتدأ

يقول الأستاذ الدكتور طه محمد الجندي: «إن وظيفة الدراسة اللغوية هي رصد السمات المميزة لكل عنصر لغوي على حدة، وتحديد أنماط وروده في بيئته اللغوية»^(١)؛ ولهذا قام بحثنا وفق هذا المنهج؛ إذ عمد الباحث إلى رصد الظواهر اللغوية في بيئتها الشعرية (شعر مبارك بن سيف) كالتقديم والتأخير في الجملة الاسمية. والجدول السابق يوضح تلك الظاهرة.

وبعد إنعام النظر في الجدول السابق، نستنتج ما يأتي:

أولاً؛ ورد تقديم الخبر على المبتدأ في حالتيه : الواجبة والجائزة في حدود (تسعة وثمانين ومائة) موضع، وهذا يُعطي انطباعاً بأن الشاعر قد استفاد مما يُتيح له النظام النحوي من إجراء تغييرات على الجملة النواة. ولا شك بأنّ لذلك دوافع شعورية جعلت الشاعر يُقدّم الخبر على المبتدأ لغايات بلاغية، وقيم دلالية .

ثانياً؛ ورد ما يزيد على عشرين ومائة موضع حالة من حالات وجوب تقديم الخبر على المبتدأ. أمّا حالات جواز تقديم الخبر على المبتدأ فجاءت في حدود ثمانية وستين موضعاً .

(١) المصدر المؤول، بحث في التركيب والدلالة، ص٦، الناشر: دار الثقافة العربية، (د.ت) .

وكما هو ملحوظ فإنّ حالات الوجوب تتفوّق بالضعف تقريباً على حالات الجواز؛ مما قد يوحي بقناعة الشاعر بحالات الوجوب. ولكن هل كان هناك تفاوتٌ في استخدام بعض الحالات؟ بمعنى هل وجدنا تنوّقاً في تكرار تقدّم الخبر وجوباً إذا كان شبه جملة والمبتدأ نكرة؟

ثالثاً: وللإجابة على التساؤل في الملحوظة الثانية فإنّ إعادة النّظر في الجدول قد تجعلنا نلاحظ توافقاً متقارباً إلى حدٍّ ما في:

• الحالات الواجبة والجائزة لتقدّم الخبر على المبتدأ في حال كونّ الخبر شبه جملة سواء أكان جاراً ومجروراً، أم شبه جملة ظرفية . حتّى حروف الجر المستخدمة هي نفسها المستخدمة في الحالتين مع زيادة حرف الكاف في حالة تقدّم الخبر جوازاً .

• والملاحظ تركيز الشّاعر على استخدام حرف الجر (اللام) في الحالتين وبنسبة متساوية، ويُعرّز ما ذكرنا أنّ لهذا الحرف وقعاً خاصّاً في الحسّ الشعوريّ للشّاعر من حيث دلّالته على المُلْك، والتَّمَلُّك، والاختصاص.. .

رابعاً: نجد في الجدول تفوّقاً لاسم الاستفهام (أَيِّنَ) على أقرانه المستخدمة كخبر مُقدّم على المبتدأ وجوباً؛ إذ تكرر في (خمسة وعشرين) موضعاً . والسؤال الآن: هل يمكن أن يكون وراء ذلك دلالة معينة؟

يُجمع النّحاة على أنّ (أَيِّنَ) تختصّ بالاستفهام عن المكان، أي: يُطلب بها تعيين المكان، يقول سيبويه: « ونظير (متى) من الأماكن (أَيِّنَ)، ولا يكون (أَيِّنَ) إلّا للأماكن كما لا يكون (متى) إلّا للأيّام والليالي، فإنّ قُلْتَ: أَيِّنَ سِيرَ عليه؟ قيل: سِيرَ عليه مَكَانٌ كَذَا وَكَذَا، وَسِيرَ عليه المكانُ الَّذِي نَعْلَمُ.. فأجر (أَيِّنَ) في الأماكن مَجْرَى (مَتَى) في الأيّام»^(١).

وأكد المبرد ت ٢٨٥هـ ما ذهب إليه سيبويه، فقال: «... وكذلك (أَيِّنَ) لا تكون إلّا للمكان، وكلّه محظور معروف في الجزاء والاستفهام»^(٢). وقال بهذا غير واحد من النحاة^(٣).

سبق أنّ ذكرنا أنّ الشاعر مبارك بن سيف يرتبط بالمكان ارتباطاً وثيقاً، ولعل سبب هذا الارتباط شعوره بالاغتراب؛ إذ يقول في المقدمة النثرية لمطولته الشعرية (أنشودة الخليج): «ولقد بيّن الشاعر من خلال المقدمة شعورَ الاغتراب، وأنّه لا يُخَفِّفُ عنه وطأة البُعدِ، إلّا المزيّد من الذّوبان في عِشْقِ

(١) الكتاب، ١ / ٢١٩، ٢٢٠. ويُنظر أيضاً: ١٢٨/٢، و ٢٢٣/٤.

(٢) المقتضب، ٢/ ٥٣، ٦٣/٣، ٢٨٩/٤، ٣٣٣.

(٣) يُنظر: حروف المعاني والصفات، لأبي القاسم الزجاجي. ص ٣٤. والصّاحبي في فقه اللغة العربية، لأحمد بن فارس، ص ١٠١.

الوطن حتّى يكاد أن يكون رُوحًا، أو طيفًا يمتزج بتراب الأرض، بل وبالمعاني السّامية، حيث يتجسّد فيه ومعه من خلاله»^(١)؛ ولذلك نجد الشاعر قد «التحم بخليجه، ورأت عيناه ذلك الخليج كائنًا حيًا، وجَمالًا مُطلقًا، ورَمَزًا للخلود، فينطلق بروحه عبر الزّمان وأسوار التاريخ»^(٢). ولعل هذا الولوج عبر البوابة التاريخية جعل الشاعر يسردُ كل ما مرَّ عليه من حوادث، وهذا السرد يتطلّب الحديث عن الأماكن التي كانت مسرحًا لتلك الأحداث، ومن هنا يرتبطُ الشّاعر ارتباطًا كبيرًا بالمكان؛ فلا غرو أن يُعبّر الشاعر عن تلك العلاقة بما يدلّ عليها ويؤكدُها بأسماء الاستفهام مثل (أَيْنَ)، أو بحرف الجر الدّال على الظرفيّة المكانية وهو (في) الذي تكرر مع الاسم المجرور كخبر مقدّم وجوبًا، أو جوازًا بما يزيد على الثلاثين موضعًا.

خامسًا: لا نكاد نجد أمثلة على بعض حالات تقدّم الخبر على المبتدأ وجوبًا أو جوازًا، فلم يعثر الباحث على شاهد من شعر مبارك بن سيف على تقدم الخبر وجوبًا إذا كان المبتدأ مشتملاً على ضمير يعود على الخبر، وكذلك الحال فلم نجد شاهدًا على تقدّم الخبر جوازًا في حال كون الخبر جملة اسميّة. كما لم يعثر الباحث إلا على مثال من شعر مبارك بن سيف على تقدّم الخبر جوازًا على المبتدأ في حال كون الخبر محصورًا بالمبتدأ.

وقد تُعزى أسباب إجماع الشّاعر عن ذكر شواهد للحالات المُشار إليها أنفًا إلى أن النُّحاة أنفسهم لم يتوسّعوا ببحثها - فيما قرأت -؛ إذ كانوا مُقلّين بذكر شواهد عليها؛ مما قد يؤكّد أن هذه الحالات قليلة التكرار في السيّاقات المختلفة، أو في الاستعمال الدّارج؛ ولذا فقد يكون الشاعر أدرك هذه الحقائق؛ فأثر الابتعاد عنها.

الاستنتاج الثالث: وقف الباحث على شواهد شعرية لمبارك بن سيف جاءت مليئة بالنّواسخ الفعلية والحرفية، ويلاحظ تفوّق النّواسخ الحرفية عدديًا على النّواسخ الفعلية. وكانت (إنّ، وأنّ) أكثر النّواسخ تكرارًا؛ إذ تكررت في نحو: سبعين موضعًا، ولعل مرجع ذلك إلى أن الحرفين المذكورين يُفيدان التوكيد، والتحقّق^(٣). وأراد الشاعر التأكيد على الحقائق الآتية:

- حقيقة شوقه وحنينه لوطنه.

- السّجايا والخصال الحميدة التي يتمتّع بها أهل الخليج.

(١) الأعمال الشعريّة، ص ٩١.

(٢) السّابق نفسه، ص ٩٢.

(٣) ممن قال بهذا: ابن جني، اللّمع، ص ٢٢، والمجاشعي، شرح عيون الإعراب، ص ١١١.

- تغيّر بعض العادات والقيم في هذا الزمان حتى كادت تتلاشى، كالجود، والنخوة، والعفة.
- الأوضاع المزرية التي أصبح يعيش فيها إنسان العالم الثالث من ظلم، وسيطرة الأساطير والخرافات عليه .
- شوق الشاعر وحنينه لذكريات الطفولة .

والسؤال الآن ما هي القضايا النحوية والدلالية التي برزت في شعر مبارك بن سيف المتضمن للنواسخ؟ وقبل الإجابة على هذا السؤال نستعرض بإيجاز المقصود بنواسخ الجملة الاسمية، ومفهوم النواسخ وأقسامها.

أولاً : نواسخ الجملة الاسمية :

المقصود بالجملة الاسمية المنسوخة هي جملة إنّ وأخواتها، وجملة كان وأخواتها، وتسميان معاً بنواسخ الابتداء، والجمع بينهما بمفهوم واحد هو «النواسخ» ليس جديداً، بل قال به سيبويه: «... هذا باب الحروف الخمسة التي تعمل فيما بعدها كعمل الفعل فيما بعده، وكذلك هذه الحروف منزلتها من الأفعال، وهي: أء ن^(*)، ولكنّ، وليّت، ولعلّ، وكأنّ. وذلك قولك: إنّ زيداً مُنْطَلِقٌ، وإنّ عمراً مُسَافِرٌ، وإنّ زيداً أخوك، وكذلك أخواتها. وزعم الخليل أنّها عملت عملين: الرفع والنصب كما عملت «كان» الرفع والنصب حين قلت: كان أخاك زيداً^(١). فالجمع بينهما جاء كونهما يعملان العمل نفسه في المبتدأ والخبر رفعاً ونصباً، وهو ما يُعرف بالنسخ. فما المقصود بالنسخ، أو الناسخ؟

- مفهوم النواسخ، وأقسامها .

النّواسخ: جمع (ناسخ)، وهو مُشتَقٌّ من الجذر الثلاثي (نَسَخَ) التي تعني الإزالة، وذكر السيّد الشريف الجرجاني ت ٨١٦ هـ أنّ: «النّسخ في اللغة: عبارة عن التّبديل والرفع والإزالة، يُقال: نَسَخْتُ الشَّمْسُ الظِّلَّ: أزالته، وفي الشريعة: بيان انتهاء الحكم الشرعيّ في حقّ صاحب الشرع»^(٢). وجاء في المعجم الوسيط: «نَسَخَ الشَّيْءُ نَسْخًا: أزاله، يُقال: نَسَخَتِ الرِّيحُ آثارَ الدِّيارِ، ونَسَخَتِ الشَّمْسُ الظِّلَّ، ونَسَخَ الشَّيْبُ الشَّبَابَ. ويُقال: نَسَخَ اللَّهُ الآيةَ: أزال حكمها. وفي التنزيل العزيز: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾^(٣). ويُقال: نَسَخَ الحاكمُ الحكمَ، أو القانون: أبطله»^(٤).

(*) هكذا وردت عند سيبويه، وهو يقصد فتح همزة أن وكسرها .

(١) الكتاب، ٢ / ١٣١.

(٢) التعريفات، ٢٩٦.

(٣) سورة البقرة، آية ١٠٦ .

(٤) ٢ / ٩٢٤ (نَسَخَ) .

وهذا التعريف اللغوي للنّواسخ يلتقي مع التعريف الاصطلاحي الذي ذكره بعض النحاة، فابن هشام يُعرّف النّواسخ بأنّها: « جمع ناسخ، وهو في اللغة من النسخ بمعنى الإزالة، يُقال نَسَخَتِ الشَّمْسُ الظِّلَّ، إذا أزالته، وفي الاصطلاح: ما يرفع حكم المبتدأ والخبر »^(١). ويُعرّف السيوطي ت ٩٩٥ هـ النّواسخ بأنّها: « الأدوات التي تدخل على المبتدأ أو الخبر، فتسوخ حكم الابتداء »^(٢). فتسمية النّواسخ جاءت من طبيعة عملها الذي يقوم على إلغاء الحكم السابق، والإتيان بحكم جديد. واختلف النحاة في أقسام النّواسخ، فابن هشام^(٣) جعلها ثلاثة أقسام، هي:

- ما يرفع المبتدأ وينصب الخبر، وهو كان وأخواتها .
- ما ينصب المبتدأ ويرفع الخبر، وهو إن وأخواتها .
- ما ينصبهما معاً، وهو ظنّ وأخواتها .

أمّا السيوطي^(٤) فقد أضاف إلى ما ذكره ابن هشام قسمًا رابعًا، وهو: كاد وأخواتها .

• الأفعال النّاسخة(*) :

أولاً : ما هي الأفعال النّاسخة ؟

يتفق جمهور النحاة على أنّ الأفعال النّاسخة (ثلاثة عشر) فعلاً، هي :

كَانَ، وَصَارَ، وَأَمْسَى، وَأَصْبَحَ، وَظَلَّ، وَبَاتَ، وَأَضْحَى، وَلَيْسَ، وَمَا دَامَ، وَمَا زَالَ، وَمَا انْفَكَّ، وَمَا فَتِيَ، وَمَا بَرَحَ .

لم يذكر سيبويه من هذه الأفعال سوى أربعة، «وذلك قولك: كَانَ وَيَكُونُ، وَصَارَ، وَمَا دَامَ، وَلَيْسَ، وما كان نحوهن من الفعل مما لا يستغني عن الخبر»^(٥) . وقد علّق ابن يعيش على نصّ سيبويه هذا مُبيّناً معنى العبارة الأخيرة التي انتهى بها النصّ، فقال: « سيبويه لم يأتِ على عدتها وإنّما ذكر بعضها، ثمّ نبّه على سائرهما بأنّ قال: «وما كان نحوهن من الفعل مما لا يستغني عن الخبر». يريد:

(١) شرح قطر النّدى، ص ١٢٧ .

(٢) همع الهوامع، ١/ ٦٣ .

(٣) شرح قطر النّدى، ص ١٢٧ .

(٤) السّابق: همع الهوامع، ١/ ٦٣ .

(*) يُسمّيها الزجاجي: الحروف التي ترفع الأسماء وتنصب الأخبار. يُنظر: الجمل في النحو، ص ٤١ .

(٥) الكتاب، ١/ ٤٥ .

ما كان مُجَرَّدًا من الحدث فلا يستغني عن منصوب يقوم مقام الحدث»^(١). أمّا الزمخشري^(٢) فألحق بالأفعال السابقة: عادَ، وأَضَ، وغدا، وراحَ .

بيّن ابن عقيل^(٣) أنّ هذه الأفعال قسمان:

- منها ما يعمل بلا شرط، وهي: كانَ، وصارَ، وأمسى، وأصبحَ، وظلَّ، وباتَ، وأضحى، وليسَ .

- ومنها لا يعمل إلا بشرط، وهي قسمان:

● ما يُشترط في عمله أنّ يسبقه نفْيٌ لفظًا، نحو: ما زالَ زيدٌ قائمًا، أو تقديرًا، نحو قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾^(٤)، أو شبه نفْي، نحو: لا تزلُ قائمًا. وهذه الأفعال أربعة، هي: زالَ، وبرحَ، وفَتِيَ، وانفَكَ .

● ما يُشترط في عمله اتصال ما المصدرية الظرفية، وهو (دامَ)، كقولك أعطِ ما دُمْتُ مُصِيبًا درهمًا، أي: أعطِ مدّة دوامك مُصِيبًا درهمًا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾^(٥) .

ثانيا : عملها :

يُجمع جمهور النحاة على أنّ كانَ وأخواتها ترفع المبتدأ تشبيهًا بالفاعل، وتنصب الخبر تشبيهًا بالمفعول، يقول الزمخشري في باب (الخبر والاسم في بابي: كانَ وإنَّ): «لَمَّا شُبِّهَ العاملُ في البابينِ بالفعلِ المتعديّ، شُبِّهَ ما عَمِلَ فيه بالفاعلِ والمفعولِ». وتحدّث أبو عليّ الفارسيّ ت ٣٧٧ هـ عن عَمَلِ كانَ وأخواتها فبيّن أثرها في المبتدأ والخبر، فقال: «... فيصير ما كان مرفوعًا بالابتداء قبل دخول هذه الأشياء مرتفعًا بكان، وما كان مرتفعًا بأنّه خبر مبتدأ منتصبًا بأنّه خبر كان، وذلك قولك: كانَ عَبْدُ اللَّهِ ذَاهِبًا، وكانَ بَكْرٌ خَارِجًا، وما زالَ أَخوكَ كَرِيمًا، وما أَكَلْتُكَ ما دُمْتُ مُقِيمًا، وأمسى زَيْدٌ مَسْرُورًا»^(٦) . والفارسيّ في هذا يخالف الكوفيين الذين يرون أنّ اسم تلك الأفعال باقٍ على رفعه .

(١) شرح المفصل، ٧ / ٩٠ .

(٢) المفصل، ٢٦٣ .

(٣) بتصرف: شرح ابن عقيل، ١ / ٢٤٥ - ٢٤٧ .

(٤) سورة يوسف، آية ٨٥ .

(٥) سورة مريم، آية ٣١ .

(٦) المقتصد في شرح الإيضاح، ١ / ٣٩٧ .

ويرى تمام حسّان أنّ الأفعال الناسخة هي التي تضيف للجملة الاسمية دلالة الزمن، فيقول: « والواضح أنّ الجملة الاسمية في اللغة العربية لا تشتمل على معنى الزمن فهي جملة تصف المسند إليه بالمسند، ولا تشير إلى حدث، ولا إلى زمن، فإذا أردنا أن نضيف عنصرًا زمنيًا طارئًا إلى معنى هذه الجملة جئنا بالأدوات المنقولة عن الأفعال، وهي الأفعال النَّاسخة فأدخلناها على الجملة الاسمية فيصبح وصف المسند إليه بالمسند منظورًا إليه من وجهة نظر زمنية معينة»^(١).

ولكن ألا يمكن أن يفهم معنى الحدث في الجملة الاسمية لا سيما إذا كان المسند مشتقًا؟ فحينما نقول: مُحَمَّدٌ مُجْتَهِدٌ فِي دُرُوسِهِ، ألا يدل ذلك على وجود حدث وهو الاجتهاد؟

• الحروف الناسخة :

يُجْمَعُ النَّحَاةُ عَلَى أَنَّ الحروف الناسخة، هي: إِنَّ، وَأَنَّ، وَكَأَنَّ، وَلَكِنَّ، وَلَيْتَ، وَلَعَلَّ. وأضاف ابن هشام للحروف النَّاسخة السّنة المعروفة عَسَى، ولا النَّافِيَةَ للجنس، فقال: «.. والسّابع: عَسَى في لُغِيَّةٍ، وهي بمعنى: لعلّ .. والثامن: لا النَّافِيَةَ للجنس»^(٢). ويرى جمهور النَّحَاة^(٣) أَنَّ (لَعَلَّ) حرف، وليست فعلًا من أفعال المقاربة، وخالفهم في ذلك أبو عليّ المرزوقيّ ت ٤٢١هـ، فقال: « (وَلَعَلَّ) وإن كان حرفًا يُعَدُّ مع أفعال المقاربة، وهي: عَسَى، وَكَأَدَ^(٤). وتدخل هذه الحروف على الجملة الاسمية، فتتصب الاسم ويُسمّى اسمها، وترفع الخبر ويُسمّى خبرها، نحو: إِنَّ زَيْدًا مُنْطَلِقٌ. وأشار سيبويه^(٥) إلى أنّ هذه الحروف تعمل فيما بعدها كعمل الفعل فيما بعده، ويُعِلُّ المُجَاشَعِي سبب عملها؛ لأنّها « أَشْبَهَتِ الأفعال من أربعة أوجه :

أحدها: إنّ معانيها معاني الأفعال من التّوكيد والتّشبيه والاستدراك والتّمني والترجي .

والثاني: إنّ أواخرها مفتوحة كأواخر الفعل الماضي .

والثالث: إنّ ضمائر النّصب تتصل بها على حدّ اتّصالها بالأفعال، نحو قولك: إِنِّي، وَإِنَّكَ، وإِنَّهُ، كما تقول: ضَرَبْتُ، وَضَرَبَكَ، وَضَرَبَهُ .

(١) اللغة العربية معناها ومبناها، ص ١٩٣ .

(٢) أوضح المسالك، ٢٣٨/١ - ٢٤٠ .

(٣) منهم: سيبويه، الكتاب ١٣١/٢، والمبرد، المقتضب ٧٣/٤، والزجاجي الذي ذكر أفعال المقاربة، ولم يذكر (لَعَلَّ) من ضمنها، يُنظر: الجمل، ٢٠٠ .

(٤) شرح ديوان الحماسة، للمرزوقيّ، ص ١١٦٣. وأكّد هذا في: ص ١٧٢٢ .

(٥) الكتاب، ٢ / ١٣١ .

والرَّابِع: إنَّها تطلب اسمين كما يطلبهما الفعل المتعدي، فتصبوا اسمها، وشبَّهوه بالمفعول، ورفعوا خبرها، وشبَّهوه بالفاعل»^(١).

وجعل ابن هشام للحروف الناسخة باباً، فقال: «هذا باب الأحرف الثمانية(*) الداخلة على المبتدأ والخبر، فتنصب المبتدأ، ويُسمَّى اسمها، وترفع خبره ويُسمَّى خبرها»^(٢). ثم راح يشرح دلالة تلك الحروف ومعانيها.

وقد تحدَّث النحويون عن المعاني التي يفيدها كل حرف ناسخ من تلك الحروف، وقد لخص تلك المعاني ابن جني، فقال: «ومعاني هذه الحروف مختلفة، فمعنى إنَّ وأنَّ جميعاً: التحقيق، ومعنى كأنَّ: التشبيه، ومعنى لكنَّ: الاستدراك، ومعنى ليتَ: التمني، ومعنى لعلَّ: التَّوقع والرَّجاء»^(٣). كما فصَّل عددٌ من النحاة الحديث في المعاني التي تفيدها الحروف الناسخة.

الاستنتاج الرَّابِع: وهناك بعض القضايا التي تتعلق بالنواسخ وردت في شعر مبارك بن سيف لا بدَّ من الإشارة إليها، وهي:

أولاً: (لا) الحجازية العاملة عمل (ليس).

وهي غير عاملة عند التميميين. بيد أنَّ الحجازيين يعملونها بشروط^(٤)، وهذه الشروط هي:

١. أن يكون اسمها وخبرها نكرتين.

٢. ألاَّ يتقدَّم خبرها على اسمها، فلا تقول: لا قائماً زيدٌ.

٣. ألاَّ ينتقض النفي باللا، فلا تقول: لا رَجُلٌ إِلَّا أَفْضَلُ مِنْ زَيْدٍ. بنصب (أفضل)، والواجب رفعها.

وبيَّن كلُّ من الزمخشري ت ٥٣٨هـ^(٥)، والإسفرائيني ت ٦٨٤ هـ^(٦)، وابن هشام ت ٧٦١هـ^(٧) أنَّ (لا) الحجازية تعمل سواء أكان اسمها وخبرها معرفتين أم نكرتين، كما ذكر ابن هشام أنَّ خبر لا العاملة عمل ليس يُحذف كثيراً في الشعر.

(١) شرح عيون الإعراب، ص ١١١.

(*) بإضافة: عَسَى، ولا النافية للجنس، كما بيَّنا آنفاً.

(٢) أوضح المسالك، ١ / ٣٣٦.

(٣) اللُّمع في العربية، ص ٢٢، ٢٣.

(٤) تُنظر تلك الشُّروط في: شرح المفصَّل، ١ / ١٠٩.

(٥) المفصَّل في علم العربية، ص ٣٠.

(٦) لُبَّاب الإعراب، ص ٢٧٣.

(٧) شرح شذور الذهب، ص ١٩٢.

ولخصَّ المرادي ت٥٧٤٩ رأي النُّحاة في عمل (لا) عمل ليس، فقال: « العاملة عمل ليس. ولا تعمل أيضاً إلا في النكرة .. ومنع المبرد، والأخفش، إعمال لا عمل ليس. وحكى ابن ولاد، عن الزجاج، أنها أُجريت مجرى ليس، في رفع الاسم خاصة، ولا تعمل في الخبر شيئاً. والسماع المتقدم يرد عليهم»^(١).
ذكر المرادي^(٢) أنَّ ابن جني أجازَ إعمال (لا) عمل ليس في المعرفة. ووافقه ابن مالك، وابن الشجري .

وواقع الأمر أنَّ المبرد لم يمنع إعمال لا عمل ليس، فقد جاء في المقتضب ما نصّه: « وقد تُجعل (لا)، بمنزلة (ليس)؛ لاجتماعهما في المعنى، ولا تعمل إلا في النكرات، فتقول: لارجلٌ أفضل منك»^(٣).
ذكر ابن جني في كتابه (التمام) ذلك في تفسيره لشعر المتنبي، فقال بعدما ذكر البيت:

إِذَا الْجُودُ لَمْ يَرْزُقْ خَلَاصًا مِنَ الْأَذَى فَلَا الْحَمْدُ مَكْسُوبًا وَلَا الْمَالُ بَاقِيَا

قال: «شبهه (لا) بـ (ليس) فنصب بها الخبر»^(٤). وعقَّب ابن الشجري على ابن جني بقوله: «وأقول: إنَّ مجيء مرفوع»لا« منكوراً في الشعر القديم هو الأعراف»^(٥). يفهم من هذا النص أنَّ ابن الشجري لم يُجز مجيء اسم لا معرفة صراحة . ومن هنا يرى الباحث أنَّ ما نسبته المرادي للمبرد وابن الشجري يفتقر للدقة العلمية .

وجاءت لا عاملة عمل ليس في شعر مبارك بن سيف في (ستة) مواضع، وجاءت متفقة مع الشروط التي وضعها النُّحاة لعمل (لا) عمل ليس - على رأي الحجازيين - . والمواضع هي:

• قصيدته (مذكرات شاعر من العالم الثالث - البعد الرابع ٢ -)^(٦) :

لا ضلالٌ لهمْ وإنْ همْ سارُوا

لا خطي ..

لا: عاملة عمل ليس. ضلالٌ: اسم لا النافية (نكرة). لهمْ: شبه الجملة في محل نصب خبر لا - متعلق بمحذوف - لا خطي: اسم لا النافية، وقد جاء نكرة، وخبرها محذوف لدلالة السياق عليه.

(١) الجنى الدَّاني، للمرَّادي ص ٢٩١ .

(٢) الجنى الدَّاني، للمرَّادي، ص ٢٩٣ .

(٣) المقتضب، ٣٨٢/٤ .

(٤) أمالي ابن الشجري، ٤٣١/١ .

(٥) السَّابِق نفسه، ٤٣١/١ .

(٦) الأعمال الشعريَّة، ص ١٩٤ . (الرمل)

● وقصيدته (إطلالة الفجر) ^(١) :

فَاللَّيْلُ يَبْقَى عَلَى حَالِهِ وَلَا عَاصِفُ الْغَيْمِ دَوْمًا يَظْلُ

لا : عاملة عمل ليس. الليل: اسم لا مرفوع (معرف بأل التعريف). يبقى: خبر لا الجملة الفعلية.

وجاءت (لا) مكررة في قوله في قصيدته (البعد الرابع - ٢ -) ^(٢) :

لا خَوْفٌ وَلَا عَارٌ عَلَيْهَا

ونلاحظ هنا تكرار (لا)، فهل هي عاملة، أم مهملة؟ وإذا كانت عاملة فأين خبر (لا) الأولى؟

يجيب ابن هشام على هذه التساؤلات من خلال طرحه مثالا مشابها لما ذكره شاعرنا، ويعطي تخريجات متعددة لذلك، فيقول: «وإذا قيل: (لا رجل ولا امرأة في الدار) برفعهما احتمل كون الأولى عاملة في الأصل عمل إن، ثم ألغيت لتكرارها، فيكون ما بعدها مرفوعا بالابتداء، وأن تكون عاملة عمل ليس، فيكون ما بعدها مرفوعا بها، وعلى الوجهين فالظرف خبر عن الاسمين إن قدرت (لا) الثانية تكرارا للأولى وما بعدها معطوف، فإن قدرت الأولى مهملة والثانية عاملة عمل ليس، أو بالعكس فالظرف خبر عن أحدهما، وخبر الآخر محذوف كما في قولك: زيد وعمرو قائم، ولا يكون خبرا عنهما؛ لئلا يلزم محذوران: كون الخبر الواحد مرفوعا ومنصوبا، وتوارد عاملين على معمول واحد» ^(٣).

جاء مبارك بن سيف بهذه الجملة الشعرية: ليعبر عن الأمان الذي أصبح فيه أهل الخليج. فالزهرة تعيش بأمان؛ ولهذا انتفى عنها جنس الخوف؛ ولذلك لا عار عليها إن هي رفعت أكمامها. ويرى الباحث أن (لا) عاملة عمل ليس؛ لأنه أراد نفي الخوف، وليس تأكيده؛ لتكون عاملة عمل إن فالأولى محذوفة الخبر وتقديره: عليها، ولا الثانية خبرها: عليها (شبه الجملة).

ثانياً: الباء الزائدة الواقعة في خبر ليس لتأكيد النفي.

قد تزايد الباء كثيراً في خبر (ليس)، و(ما)، نحو قوله تعالى: ﴿الْيَسَّ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ ^(٤)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ ^(٥). وبين ابن جني ^(٦) أن زيادة الباء في خبر (ليس) تفيد التوكيد.

(١) السابق نفسه، ص ٥٨. (المقارب)

(٢) الأعمال الشعرية، ١٨٨، (الرمل)

(٣) مغني اللبيب، ٢٤٠، ٢٤١.

(٤) سورة الزمر، آية ٣٦.

(٥) سورة فصلت، ٤٦.

(٦) اللمع في العربية، ص ٢٢.

وبيّن الجليس النحوي^(١) أنّ زيادة الباء تكون لتأكيد النفي. أمّا المجاشعي^(٢) فبيّن أنّ للعلماء في زيادة الباء في خبر (ما) ثلاثة أقوال، هي :

- تباعد الخبر عن النفي فربطوه بالباء .

- قد يطول الكلام، ويُنسى أوله، فجاءوا بالباء؛ ليُشعروا أنّ في صدر الكلام نفيًا .

- هذا جواب مَنْ قال: إِنَّ زَيْدًا لَقَائِمٌ، فتقول أنت: مَا زَيْدٌ لَقَائِمٌ. فتجعل الباء بإزاء اللام، وما بإزاء (إِنَّ). فَإِنْ قال: إِنَّ زَيْدًا قَائِمٌ، قلت: مَا زَيْدٌ قَائِمًا .

يرى الباحث أنّ القول الأول والثاني يمكن ردهما لأمر واحد؛ ذلك أنّ تباعد الخبر عن النفي، هو نفسه احتمال نسيان أول الكلام بسبب طوله. أمّا القول الثالث فمرده لتأكيد النفي كما قال ابن جني والجلس النحوي. وزيدت الباء في خبر ليس في شعر مبارك؛ في قصيدته (فلسطين موطن الأديان^(٣)):

الْحُسْنَيَانِ لَنَا وَلَسْتُ بِجَاهِلٍ لَبِيكَ، تِلْكَ مَشِيئَتِي وَمُرَادِي

جاء الشاعر بـ (الباء الزائدة) في خبر ليس (بجاهل) لغرض تأكيد النفي، فهو يعرف حق المعرفة أنّ الحُسْنَيَيْنِ للمسلمين، فهو ينفي عن نفسه الجهل بذلك. فمثل هذه القضية لا ينساها أيُّ عربيٍّ، أو مسلم غيور، فالشاعر لم يكتفِ بالنفي بـ (لا)، بل أراد تأكيد ذلك النفي. بوساطة الباء الزائدة. ولعلّ الشاعر أراد من ذلك: بث الأمل في النفوس بأنّ النصر قادم لا محالة، والتأكيد على إرادته المؤمنة بعدالة القضية، وأنّه ليس جاهلا، أي ليس مستسلماً لليأس والقنوط.

ثالثاً: (كَانَ) النَّاقِصَةُ، وَ(كَانَ) التَّامَّةُ .

اختار الباحث (كان) لبيان أحوالها - كما وردت في شعر مبارك بن سيف -: لأنّها (أَمُ الباب)، وبيّن ابن عقيل أنّ « كان على ثلاثة أقسام: أحدها الناقصة، والثاني يقول الجليس النحوي: «(كَانَ) أَمُ الأفعال، يقصد الأفعال الناقصة كلها؛ لأنّ سائرهما يدخل تحت معنى الكَوْن»^(٤).. والثالث الزائدة .. تُزاد بين الشَّيْئَيْنِ المتلازمَيْنِ: كالمبتدأ وخبره، نحو: زَيْدٌ كَانَ قَائِمٌ، والفعل ومرفوعه، نحو: لَمْ يُوْجَدْ

(١) ثمار الصناعة، ص ١١٤ .

(٢) يُنظر: شرح عيون الإعراب، ص ١٠٨ .

(٣) الأعمال الشعريّة، ص ٨٤ . (الكامل)

(٤) شرح عيون الإعراب، ص ١١١ .

كَانَ مِثْلَكَ، وَالصَّلَةُ وَالْمَوْصُولُ، نَحْو: جَاءَ الَّذِي كَانَ أَكْرَمَتُهُ، وَالصِّفَةُ وَالْمَوْصُوفُ، نَحْو: مَرَرْتُ بِرَجُلٍ كَانَ قَائِمًا^(١).

- (كَانَ) النَّاقِصَةُ - جاءت (كان) كفعل ناسخ متصرف في شعر مبارك بن سيف في (سبعين) موضعًا موزعة على النحو الآتي:

- فعل ماضٍ : وجاءت (كان) كفعل ماضٍ ناقص في (ستين) موضعًا، منها قوله:

• في قصيدته (الليل والضفاف)^(٢) :

هَلْ سَمِعْتَ رَجَعَ آهَاتِ الْكَلِيمِ ؟

يَا هَجِيرًا كُنْتُ أَشْكُو لَفْحَهُ

• وفي قصيدته (مناجاة الدهر)^(٣) :

أَلَا أَيُّهَا الدَّهْرُ الْخَوْنُ لِحِيظَةٍ فَوَاللَّهِ مَا كَانَ الْوُجُودُ مُرَادِيَا

- فعل مضارع : وجاءت (كان) الناقصة كفعل مضارع ناقص في شعر مبارك بن سيف في (عشرة) مواضع، منها:

• قوله في قصيدته (سفن الغوص البائسة)^(٤) :

قَدْ يُلَاقِيهَا وَيَفْرَحُ

وَتَكُونُ الْمُسَكَّةُ الْأُولَى لَهُ آخِرَ مَرَّةٍ

• وقوله في قصيدته (أغنية الربيع)^(٥) :

إِنْ يَكُنْ عِنْدَكَ الْغَرَامُ رَبِيعًا أَنْشِدِيهِ وَهَاتِي شِدْوَكِ هَاتِي

- فعل أمر : وجاءت (كان) الناقصة كفعل أمر ناقص في شعر مبارك بن سيف في (خمسة) مواضع، منها:

(١) شرح ابن عقيل، ١ / ٣٦٧ .

(٢) الأعمال الشعرية، ص ١٧ . (الرملة)

(٣) الأعمال الشعرية، ص ٥٤ . (الطويل)

(٤) السابق نفسه، ص ٢٤ . (الرملة)

(٥) نفسه، ص ٢٨ . (الخفيف)

• في قصيدته (نُؤارة)^(١) :

إِنِّي أَبْحَرْتُ بِلا رُؤْيَا

كُونِي نُورًا وَسَنَاءً

• وفي قصيدته (أنشودة الخليج)^(٢) :

كُنْ - يَا خَلِيجُ - لِكُلِّ ذِي قَلْبٍ أَخَا فِي الْحَقِّ إِنَّا وَالْحَيَاةُ إِخَاءُ

- (كَانَ) التَّامَّةُ .

ذَكَرَ النُّحَاةُ^(٣) أَنَّ (كَانَ) تَأْتِي تَامَّةً، وذلك إذا جاءت بمعنى: حَدَثَ، أَوْ حَصَلَ، أَوْ وَقَعَ، أَوْ خَلَقَ. ولكن ما المقصود بالتَّامَّةُ؟ يجب الجليس النَّحْوِي قَائِلًا «تستغني باسم واحد يرتفع بارتفاع الفاعل بفعله، وتكون حينئذٍ بمعنى الحدوث، أو الوقوع، أو الحضور، أو شبه ذلك كقوله سبحانه: ﴿وَإِنْ كَانَ دُوْ عُسْرَةٌ﴾»^(٤).

وجاءت (كَانَ) تَامَّةً في شعر مبارك بن سيف في المواضع الآتية :

• قوله في قصيدته (لقاء عابر مع حاتم الطائي)^(٥) :

وَحَيْثُ تُقِيمُ يُشِيرُ الدَّلِيلُ

فَلَا يُخْطِئُ النُّجْمُ فِي الْأُمْسِيَّاتِ

وَحَيْثُ تَكُونُ .. تَكُونُ الْجِهَاتُ

• وقوله في قصيدة (أنشودة وادي النيل)^(٦) :

تَسْأَلُ اللَّيْلُ نَفْرَةً كَيْفَ كَانَتْ أَمِنْ الْأُسْدِ تُسْتَرَاذُ الْمَعَانِي؟

(١) الأعمال الشعرية، ص ٥٦، ٥٧ . (المتدارك)

(٢) السابق نفسه، ص ١٠٧ . (الكامل)

(٣) منهم: - سيبويه، ٤٦/١، والمبرد، المقتضب، ٩٦/٤ - وابن شقير.. المَحَلَّى في وجوه النَّصْب، ص ٩٨، اللمع، ص ٢٠، - وأبو علي المرزوقي ت ٤٢١ هـ، شرح ديوان الحماسة، لأبي تمام، ص ٢٣١، ١٠٧٠، ١٣٤٧.

(٤) ثمار الصناعة، للجليس النحوي، ص ١١٢، ١١١ . سورة البقرة، آية ٢٨٠ .

(٥) الأعمال الشعرية، ص ٢٠٧ . (من المتقارب)

(٦) السابق نفسه، ص ٢١٩ . (الخفيف)

• وقوله في قصيدته (حلم شرقي الألوان)^(١) :

تَطَوِّفِينَ حَيْثُ تَكُونُ النُّجُومُ

سَأَبْنِيهِ .. مِنْ أَلْفِ لَوْنٍ وَلَوْنٍ

• وقوله في مسرحيته الشعريّة (الفجر الآتي)^(٢) :

يَا أَمْرَ الرُّعُودِ

يَا أَمْرَ الدَّمَارِ أَنْ يَكُونَ

يَا بَاعِثَ الْمَطَرِ

ف (تكون) ، و (كَانَتْ) ، و (يَكُونُ) جاءت في الأبيات تامة؛ لأنها بمعنى الحدث، أو الوقوع. ولكن لم جاءت (كَان) في هذه المقاطع تامة؟ ولم تأت ناقصة؟

أولاً: تتميز المقاطع الشعريّة الثلاثة بأنها تنتمي لقصائد لها ما يُميّزها. فقصيدة (لقاء عابر مع حاتم الطائي) تمثّل مفارقة بين مجتمعين متناقضين في نظرتهم للقيم ومنها قيمة الكرم. فأراد الشاعر أن يطرح قضية تغيّر المفاهيم في هذا الزّمان، بل انحطاط بعض القيم وخروجها من إطارها الذي كان مفخرة للعرب. فاللقاء مع حاتم طيّئ كان عابراً؛ لأنّ اللقاء المطوّل معه قد يكشف عيوباً أكثر لهذا الزمان الذي سيطر عليه البخل، ولتأكيد هذه الفكرة عمد الشاعر إلى إيجاز الحذف، فحذف فاعل (تكون) الأولى، وخبر (تكون) الثانية. فجعل (كان) تامةً - في مثل هذا المقام - يعطي انطباعاً للقارئ بأنّ العلاقة بين حاتم والكرم علاقة متأصّلة، فهي موجودة معه حيث يوجد (يكون). كما أنّ الحذف الذي أتى به الشاعر يدلّ على تقدير الشاعر لحاتم الذي ضرب أروع الأمثلة في الكرم، فجعله فاعلاً محذوفاً لـ (تكون) علّ القارئ الذي يعيش في زمن البخل يعمّل عقله فيبحث عن (حاتم) نحوياً - كوظيفة إعرابية - ، وقيماً - قيمة الكرم - فيحاول تقليده .

ثانياً: يتغنّى الشاعر في المقطع الثاني بوادي النيل وأهله الأسود، مُبيناً جماله، وعمق أصالته، وحضارته، وتتجسّد في البيت قيمةُ القوّة والشّجاعة التي قد تكون في ساحة النّضال، أو في ساحات

(١) نفسه، ص ١٧٣ . (من المتقارب)

(٢) الأعمال الشعريّة، ص ٣٠٩ . (الرجز)

الحياة العامة من تقدّم ونهضة، وهذا الأمر يتطلب المجيء بكلمات تدلّ على التجديد والحدوث والإيجاد فنحن أمام أسد وليوث ينفرون إذا دهمهم خطر؛ ولذلك جاءت كان تامة لتؤكد على أنّ هؤلاء لا يسألون كيف وجدت نفرتهم؛ لأنّهم أسود أولاً، ولتأكيد سرعتهم في الاستجابة عن طريق استخدام كان التامة وكأنّ النفرة تحدث أو توجد بسرعة فائقة .

ثالثاً: وفي المقطع الأخير فإنّ عظمة الخالق تتجلّى في تلك الظواهر الكونية (الرعود، والدّمار - المتمثّل في: الزلازل والبراكين -، والمطر)؛ فكان التامة هي الأنسب من حيث دلالتها على الحدوث بكلمة كُنّ فإذا هي كائنة، أو حادثة، كما بدأ المقطع بياء النداء الدّالة على القرب فالعبد قريب من خالقه يدعوه ويناجيه فيستجيب. و(يكون) التامة جاءت مقيدة بعلامة الوقف السكون ففعل (الكون) يسكن ويُقيد أمام الأمر الإلهي، وكذلك تلك الظواهر جاءت ساكنة مقيدة فليس أمامها وقد صدر الأمر الإلهي إلا الطّاعة والانصياع .

رابعاً: يتفق مبارك بن سيف مع ما جاء به النّحاة في مسائل تقديم خبر الأفعال النّاسخة: إذ مرّ بنا الحالات التي قدّم فيها الشاعر خبر الأفعال النّاسخة، وقد جاءت جميعها متفقة مع ما جاء به النّحاة الذين يرون أنّ الأصل في ترتيب الجملة المنسوخة على النحو الآتي: الفعل النّاسخ، يليه اسمه، ثم خبره، وقد يتقدّم الخبر على الاسم، أو على الفعل النّاسخ نفسه. وقد لخصّ المجاشعي موقف العلماء من تقديم خبر الأفعال النّاسخة على اسمها، فقال: « إنّ هذه الأفعال على ثلاثة أضرب :

أحدها: ما يجوز فيه التقديم والتأخير والتوسيط، وذلك: كانَ، وأصبحَ، وأمسى، وظلّ، وأضحى، وصارَ، وباتَ.

والثاني: ما اختلف فيه النّحاة؛ فأجاز بعضهم تقديم الخبر عليه، في حين منعه آخرون، وأجمعوا على جواز التوسيط، وذلك: مَا زَالَ، وَمَا انْفَكَّ، وَمَا فَتَى، وَمَا بَرَحَ، وَلَيْسَ. فَمَنْ أجاز التقديم، اعتلّ بأنّ الكلام إثبات. وَمَنْ منعَ، اعتلّ بأنّ ما نُفي ولا يتقدّم عليه ما حكمه أنّ يكون بعده. واعتلّ الأولون في (لَيْسَ) بأنّها فعل، مثل (كَانَ) فيتقدّم خبرها عليها، كما يتقدّم خبر كانَ، واعتلّ الآخرون بأنّها لا تنصرف فلم يتصرّف معمولها .

والثالث: ما أجمعوا عليه من امتناع تقديم خبره عليه، وذلك: ما دامَ؛ لأنّ (ما) ها هنا موصولة، وما بعدها في صلتها. ولا يجوز تقديم الصّلة على الموصول»^(١) .

(١) شرح عيون الإعراب، ص ١٠١، ١٠٢ .

ويؤيد ابن جني^(١) وغيره من علماء العربية^(٢) تقديم خبر الأفعال الناسخة على أسمائها. ويجوز تقديم خبر المبتدأ على المبتدأ؛ نحو: قائم أخوك، وفي الدار صاحبك. وكذلك خبر كان وأخواتها على أسمائها، وعليها أنفسها. وكذلك خبر ليس، نحو: زيداً ليس أخوك، ومُنْطَلَقَيْنِ لَيْسَ أَخَوَاكَ^(٣).

ويعلل ابن يعيش^(٤) تقديم خبر الأفعال الناسخة على اسمها، وعليها نفسها؛ لأنها في حكم المفعول به الذي قد يتقدم على الفاعل، ويُمانع تقديم اسمها عليها؛ لأنها في حكم الفاعل الذي لا يجوز أن يتقدم على فعله، ويعارض ابن هشام ابن درستويه في منعه تقديم خبر ليس، ومنع ابن مُعْطٍ في ألفيته تقديم خبر دَامَ، وردَّ بقوله: «وهما محجوجان بما ذكرنا من الشواهد وغيرها»^(٥).

أما تقدم خبر الأفعال الناسخة عليها، فقد ذهب الجليس النحوي^(٦)، وابن هشام إلى جوازه إلا في (لَيْسَ) و (مَا دَامَ). وقد تحدّث ابن هشام^(٧) مُطَوَّلًا عن ذلك ذاكرًا علة منع تقدم خبر ليس وما دام عليهما، ومفندًا مزاعم القائلين بجواز ذلك، ومُبيِّنًا تردد سيبويه في الحكم بالجواز تارة، وأخرى بالمنع.

خامساً: عَمَدُ مَبَارِكِ بْنِ سَيْفٍ إِلَى تَقْدِيمِ خَبَرِ (كَانَ)، وَخَبَرِ (مَا زَالَ) عَلَيَّهِمَا، وَعَلَى اسْمَيْهِمَا؛ إِذْ يَجُوزُ أَنْ يَتَقَدَّمَ خَبَرُ كَانٍ عَلَيْهَا وَعَلَى اسْمِهَا، يَقُولُ ابْنُ جَنِيِّ: «يَجُوزُ تَقْدِيمُ أَخْبَارِ كَانٍ وَأَخَوَاتِهَا عَلَى أَسْمَائِهَا، وَعَلَيْهَا أَنْفُسُهَا، تَقُولُ: كَانَتْ قَائِمًا زَيْدٌ، وَقَائِمًا كَانَتْ زَيْدٌ، وَكَذَلِكَ: لَيْسَ قَائِمًا زَيْدٌ، وَقَائِمًا لَيْسَ زَيْدٌ»^(٨). وكان الجزولي ت ٦٠٧ هـ قد قال بمثل هذا، لكنّه وضع قيداً، فقال: «يجوز أن يتقدم فيه الخبر على العامل إن خلا عن معنى الاستفهام، ويجب إن كان فيه، وإن كان المبتدأ معه ضمير يعود على شيء في الخبر، وجب تقديم الخبر، أو توسّطه بين العامل والاسم»^(٩). ومعنى هذا أنّه إن تضمّن معنى الاستفهام كان التقديم واجباً لا جائزاً، نحو: مَنْ كَانَ أَخُوكَ؟ وَأَيْنَ بَاتَ زَيْدٌ؟ وَبَيْنَ ابْنِ

(١) الخصائص، ٢ / ٢٨٢، ٢٨٣.

(٢) منهم: الجليس النحوي في: ثمار الصناعة، ص ١١٤، والمُرادي الذي يرى أنّه يجوز توسّط خبر تلك الأفعال جميعها - أي الأفعال الناقصة - بينها، وبين أسمائها حتّى في (لَيْسَ) و (مَا دَامَ)، يُنظر: توضيح المقاصد والمسالك، ١ / ٤٩٤، وابن هشام في: شرح قطر الندى، ص ١٢٩-١٣٢.

(٣) الخصائص، ٢ / ٢٨٢، ٢٨٣.

(٤) شرح المفصل، ٧ / ١١٣. عالم الكتب، بيروت (د.ت.).

(٥) شرح قطر الندى، ص ١٣٢. وقال بهذا المُرادي، ويُنظر المصدر السابق: توضيح المقاصد، ١ / ٤٩٤، ٤٩٥.

(٦) ثمار الصناعة، ١١٤.

(٧) شرح قطر الندى، ص ١٣٣.

(٨) اللمع في العربية، ص ٢٠.

(٩) المقدمة الجزولية في النحو، ص ١٠٥.

هشام أنّ من أحوال خبر كان « التقدّم على الفعل واسمه، كقولك: عالمًا كان زيدٌ، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿أَهْوَلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾^(١)، فإياكم: مفعول (يعبدون)، وقد تقدّم على كان، وتقدّم المعمول يؤذّن بجواز تقدّم العامل»^(٢). وعلق أبو البقاء العكبري على هذه الآية بقوله: «قوله تعالى: (أهؤلاء): مبتدأ، و(إياكم): في موضع نصب بـ (يعبدون)، و(يعبدون): خبر كان، وفيه دلالة على جواز تقديم خبر كان عليها؛ لأنّ معمول الخبر بمنزلته»^(٣).

وجاء في شعر مبارك بن سيف خبر كان مُقدّمًا عليها وعلى اسمها في (موضعين)، هما:

• قوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٤):

قَدْ عَشْتُ طِفْلاً فِي رُبُوعِكَ هَانِئًا كَالْوُرْقِ كُنَّا، وَالرَّبِيعُ رَوَاءُ

تقدّم خبر كان (الجار والمجرور: كالورق)، على اسمها (الضمير المتصل بكان. نا.)

• وقوله في مسرحيته الشعريّة (الفجر الآتي)^(٥):

سَوَائِمُ كُنَّا، وَهَلْ لِّلْسَوَائِمِ يَوْمًا إِرَادَةٌ؟

وَلَكِنِّي إِذْ أَرَى حَالَكُمْ

أَرَاكُمْ فَيُسْعِدُنِي شَمْلُكُمْ سَوَائِمِ : خبر كان مقدّم.

وجاء أيضاً خبر (ما زال) مُقدّمًا عليها وعلى اسمها في شعر مبارك بن سيف، وهو قوله

في قصيدته (لحظات غروب سعيدة)^(٦):

وَعَيُونٌ فِي مَاقِيهَا تَرَى خَالِدَ الْحُبِّ وَلِيدًا لَمْ يَزَلْ

فقدّم الشاعر خبر (لم يزل) عليها، وهو: وليدًا . والتقدير: ترى في مآقي العيون خالد الحب لم

يزل وليدًا . وعلى هذا يكون اسم (لم يزل) مُقدّر، وخبرها مقدّم عليها .

(١) سورة سبأ، آية ٤٠ .

(٢) شرح قطر الندى، ص ١٣٢، ١٣٣ .

(٣) التبيان في إعراب القرآن، ٢/١٠٧٠ .

(٤) الأعمال الشعريّة، ص ١٠٣ . (الكامل)

(٥) السابق نفسه، ص ٢٤٩ . (الرمل)

(٦) نفسه، ص ٢٢١ . (الرمل)

سادساً: يخالف مبارك بن سيف ابن يعيش في مسألة تقديم اسم (كان) عليها فابن يعيش لم يُجز تقديم اسم الأفعال الناسخة عليها؛ لأنه في حكم الفاعل الذي لا يجوز أن يتقدم على فعله. وجاء اسم كان مُقدِّماً على (كان) في شعر مبارك بن سيف في (سنة) مواضع، هي:

● قوله في قصيدته (أمام نخلة) ^(١) :

مَنْ كَانَ يَرُويكَ بِأَمْسِكَ ؟

مَنْ يَا تُرَى غَرَسَ الْبُذُورَ ؟

مَنْ: اسم استفهام مبني على السكون في محل رفع اسم كان مُقدِّم، أو مبتدأ، واسم كان: ضمير يعود عليه. **يرويك**: جملة (يرويك) في محل نصب خبر كان .

● وقوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي) ^(٢) :

وَأَذْكُرُ صَوْتَ أَبِي

أَبِي كَانَ يَلْعَنُ يَوْمَ الْوِلَادَةِ

أَبِي: اسم كان مقدم، أو مبتدأ خبره جملة: كان يلعن.. يَلْعَنُ يَوْمَ الْوِلَادَةِ: الجملة الفعلية في محل نصب خبر كان .

● وقوله في مسرحيته (الفجر الآتي) ^(٣) :

مَنْ كَانَ يَعْلُو فَوْقَ هَامَاتِ هُبَلٍ ؟

مَنْ كَانَ يَعْلُوهَا أَجِيبُونِي ؟

مَنْ: اسم استفهام مبني (اسم كان مقدم)، أو مبتدأ، واسم كان: ضمير يعود عليه. جملة (يعلو/ يعلوها) في محل نصب خبر كان.

يُلاحظ أن اسم كان المُقدِّم في المثالين السابقين جاء اسم استفهام؛ لأنه من الألفاظ التي لها الصدارة. يقول الدكتور محمد حماسة: «إنَّ الأسماء التي لها الصدارة والتي تصلح أن تكون مبتدأ لا تدخل عليها هذه النواسخ مطلقاً، مثل: أسماء الاستفهام، فإذا كانت الجملة مثلاً: مَنْ أَخَوَكَ؟، وأردنا

(١) الأعمال الشعرية، ص ٦٧ . (من الكامل)

(٢) السابق نفسه، ص ٢٤٩ . (المتقارب)

(٣) نفسه، ص ٢٦٥ . (من الكامل)

إدخال (كَانَ) عليها لا يُقال: كَانَ مَنْ أَخَاكَ؟ بل يجب أَنْ تُصاغ على هذا النحو: مَنْ كَانَ أَخُوكَ؟ حتى لا يحدث لبس بين الاستفهام والموصول»^(١).

• وقوله في المسرحية الشعرية نفسها^(٢):

حَمْزَةٌ كَانَ قَدْ صَبَا فَرَفَعْنَا أَكْفُنَا
مَا الَّذِي يَمْنَعُ الْفَتَى عَمْرًا أَنْ يُدْزِلَنَا

حمزة: اسم كان مقدّم، أو مبتدأ، واسم كان: ضمير يعود عليه. قد صبا: الجملة الفعلية في محل نصب خبر كان.

• وقوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي)^(٣):

تَرْكُوا دِيَانَتَنَا إِلَى دِينٍ جَدِيدٍ
ذَا الْقَوْلِ كَانَ عَلَانِيَةً
قَالُوا بِأَنَا وَالْعَبِيدَ مَعَ الْوَلِيدِ سَوَاسِيَةً

ذا: اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع اسم كان مقدّم، أو مبتدأ، واسم كان: ضمير يعود عليه. علانية: خبر كان منصوب.

ويلاحظ أَنَّ اسم كان يقع على نوعين:

- أسماء الاستفهام الممثلة بـ (مَنْ).

- الأسماء الصريحة (الأعلام).

والرتبة هنا بالنسبة لـ (مَنْ) رتبة محفوظة - كما نصّ على ذلك النحاة -، ومن ثَمَّ فهي تُعرب مبتدأ إذا وقعت في صدر الكلام، أو خبرًا مقدّمًا، لكنّ الأسماء الصريحة نحاول أَنْ ننظر فيها نظرةً تستلهم أصول النحو الذي يُعَدُّ القياس فيه مظهرًا رئيسًا من مظاهره، والقياس - هنا - قائمٌ على ما يراه الكوفيون من جواز تقديم الفاعل على فعله، وبهذا الطّرح نستطيع أَنْ نقول بجواز تقديم اسم (كان) عليها. فنُعرب أسماء الأعلام التي قُدِّمت على كان اسمًا مُقدّمًا عليها، أو مبتدأ، واسم كان: ضمير يعود عليه.

(١) بناء الجملة العربية، ص ١٢٥.

(٢) الأعمال الشعرية، ص ٢٩٥. (مجزوء الخفيف)

(٣) السّابق نفسه، ص ٢٩٦. (الكامل)

سابعاً: تكررت معظم الحروف الناسخة في شعر مبارك بن سيف بما فيها (لا النافية للجنس) التي عدّها ابن هشام - كما مرّ بنا - حرفاً سابعاً من الحروف الناسخة. ومن قضايا النواسخ الحرفية في شعر مبارك بن سيف:

(١) لم يستخدم الشاعر مبارك بن سيف (لَعْلٌ) إلا بمعنى التّرجّي في المحبوب، ولم يستعملها بمعنى الإشفاق في المكروه الذي أشار إليهما ابن هشام^(١)، والمرادي^(٢).

وردت (لَعْلٌ) في (سبعة) مواضع في شعر مبارك بن سيف، منها:

• قوله في قصيدته (مناجاة الدهر)^(٣):

فِيَا نَائِحًا فَوْقَ الْغُصُونِ هُنَيْهَةً لَعْلَكَ تَدْرِي يَا أَخَا الطَّلَعِ مَا بِيَا

• وقوله في قصيدته (ذكريات الطفولة)^(٤):

تَعَالِي لِنَلْعَبَ فَوْقَ الرِّمَالِ

نُعِيدُ خُطَانًا عَلَيْهَا

لَعْلَ خُطَانًا تُعِيدُ الْخَيَالَ

• وقوله في قصيدته (قراءة في كتاب قديم)^(٥):

يَقُولُ أَمَا كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ؟

وَكُنْتُمْ فِيهَا صُدُورَ الْأُتَمَّةِ؟

وَأَنْصَتُ مُسْتَغْرِبًا فَلَعْلِي

أُصَدِّقُهُ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ ذِمَّةِ

(٢) وردت (لَعْلٌ) في شعر مبارك بن سيف على أصلها (عَلٌ) في (أربعة) مواضع، هي:

• قوله في قصيدته (البُعد الرَّابِع - ٢)^(٦):

(١) شرح قطر الندى، ص ١٤٧.

(٢) توضيح المقاصد والمسالك، ٥٢٣/١.

(٣) الأعمال الشعريّة، ص ١٨٨. (الطويل)

(٤) السّابق نفسه، ص ٧٧. (من المتقارب)

(٥) نفسه، ص ٢١٣. (من المتقارب)

(٦) الأعمال الشعريّة، ص ١٨٨. (الرمل)

كُلُّ فَجْرٍ أَرْقُبُ الشَّمْسَ وَأَدْعُو
عَلَّ يَأْتِي مِنْ وَرَاءِ الْأُفُقِ الْمَحْجُوبِ..

أَنْوَارٌ تَوَارَتْ

• وقوله في قصيدته (البُعد الرابع - ٢ -) ^(١) :

فَيَرَى الْأَفَاقَ حَيْثُ الْخَطُوسَانِرِ

عَلَّهُ يَعْرِفُ مَا خَلْفَ الطَّرِيقِ

• وقوله في قصيدته (رسالة من شهيد) ^(٢) :

فَأَرْكَعْ لِلَّهِ.. عَلَّ السَّمَاءِ

تُضِيءُ.. إِذَا مَا أَهْلَ الْمَطَرِ

• وقوله في مسرحيته الشعريّة (الفجر الآتي) ^(٣) :

ادْعُوا الْحِجَارَةَ تَنْتَقِمُ

عَلَّ الْحِجَارَةَ خَيْرُ عَاصِمٍ

ولاستخدام (علّ) قيم دلالية نوضحها في الآتي:

• استخدم الشاعر (علّ) محذوفة اللام التي قال عنها الجليس النحوي ^(٤) إنها تُفيد التأكيد، ولعلّ الشاعر أراد الابتعاد عن التأكيد في هذه المواطن؛ لأنه قصد بيان معنى الترجي، والتوقع ^(٥)، والإشفاق.

ففي المقطع الأول مَزَجَ الشاعر بين الإشفاق والرجاء، فهو يُشفق على ذاك الذي يبقى يراقب الفجر كلّ يوم متوقّعا، أو راجيا أن تأتي (أنوارٌ توارَتْ*) من وراء الأفق الذي حجبها. مع ما في كلمة

(١) السّابق نفسه، ص ١٩٥ . (الرمّل)

(٢) نفسه، ص ١٩٧ . (من المتقارب)

(٣) الأعمال الشعريّة، ص ٢٨٧ . (من الكامل)

(٤) ثمار الصّناعة، ١١٦، ١١٧ .

(٥) يقول أحمد بن فارس: «وأهل البصرة يقولون: (لعلّ) تَرَجَّ. وبعضهم يقول: تَوْعَّع. وتكون (لعلّ) بمعنى عَسَى...». يُنظر: الصّاحبي

في فقه اللغة العربيّة، ص ١٢٤ .

(*) يقصد بها نور القمر الذي اختفى بفعل ظاهرة الخسوف .

الأفق من دلالة على الاتساع الكبير الذي لم يعد مفيداً؛ لأنه محجوب؛ مما يزيد الأمر تعقيداً، وهنا تبرز قيمة الرجاء في (عل) التي عبّرت عن مدى الحاجة لتلك الأنوار. وكأنني بالشاعر أراد أن يعبر بذلك عن الرغبة الجامحة بـ:

- الرجاء بسرعة إزالة الضائقة التي يعيشها الناس وهي ظاهرة خسوف القمر؛ لأنها ظاهرة تُخيفهم، وتجعلهم في قلق على مستقبلهم؛ لارتباطها بخلافات موروثية في المجتمع .

- التوقع المرتبط بالأمل بأن هذه المحنة زائلة لا محالة. فما بعد الضيق إلا الفرج .

• وفي المقطع الثاني يعبر الشاعر بـ (عل) عن مدى الرغبة الجامحة لدى إنسان العالم الثالث - موضوع القصيدة - لمعرفة مستقبله الذي تحيط به الأخطار من كل صوب؛ ولهذا تأتي (عل) دالة على مدى شوق الشاعر ورجائه للتوقع، أو التنبؤ بذلك المجهول.

• أمّا المقطع الثالث ففيه يرتقي الرجاء لأعلى درجاته؛ ليطلع القارئ على مدى رغبة الشهيد برؤية الضياء؛ ولتوضيح القيمة الدلالية لـ (عل) نستعرض ما جاء في مجمل القصيدة :

(أ) تضمّن مقاطع القصيدة جملاً شعرية تصف مشاهد من يوم القيامة، وهي:

- قول الشاعر^(١): «يَقُولُ: تَعَالِ إِلَى الْمُسْتَقَرِّ». والمستقر لا يكون إلا في يوم القيامة، وهو المستقر الدائم للخلائق (الخلود)، مصداقاً لقوله تعالى: «إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ»^(٢) .

- الناس يوم القيامة فريقان:

الأول: عيونهم آمنة؛ لأن أصحابها مطمئنون لما قدّموا من أعمال. وهؤلاء هم الذين ينظر إليهم الشاعر، يقول^(٣): «فَأَنْظُرُ فِي الْأَعْيُنِ الْأَمْنَةِ». مصداقاً لقوله تعالى: «وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ»^(٤) .

الثاني: عيونهم الزائغة، أي: منحرفة عن الحق، وأصحاب هذه العيون تُرعب الشاعر، فيقول^(٥): «وَتُرْعِبُنِي زَائِعَاتُ الْبَصَرِ». يقول تعالى: «وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بِاسِرَةٍ»^(٦) .

(١) الأعمال الشعرية، ص ١٩٩ . (من المتقارب)

(٢) سورة القيامة، آية ١٢ .

(٣) الأعمال الشعرية، ص ١٩٩ . (من المتقارب)

(٤) سورة القيامة، آية ٢٢، ٢٣ .

(٥) الأعمال الشعرية، ص ١٩٩ . (من المتقارب)

(٦) سورة القيامة، آية ٢٤ .

(ب) يتضح من هذا العرض أنَّ الشاعر في قصيدته (رسالة من شهيد) أراد أن يبت فيها مشاهد من أهوال يوم القيامة سيرها الشهيد. وفي المقطع الذي تضمّن (علّ) يعكس رغبة الشهيد برؤية الضياء (يوم القيامة)؛ لأنَّ الله - عزَّ وجل - قد وعد الشهيد بمنزلة رفيعة. فالتقبر ظلام في ظلام، ويوم القيامة يُمثِّلُ للشَّهيد غاية السَّعادة لما أعدَّه الله له من خير ونعيم، فالشَّهيد في قبره يركع لله داعياً أن يُنزل مطر الحياة - الذي يُمثِّلُ بداية البعث والنَّشور، فيُحيي الله به العظام. و(علّ) هنا تفيد الرِّجاء بوقوع أمر مرغوب ومحبوب، وهو البعث يوم القيامة.

وفي المقطع الأخير (ادعوا الحجارة..) يبلغ الشَّاعر قمة النَّجاح؛ لأنَّه استخدم (علّ) في غير ما وضعت له. فهي تفيد التَّرجي في الممكن - على رأي المرادي^(١) - إلاَّ أنَّه جاء بها لإفادة التَّرجي في غير الممكن، فهو رجاء لا يمكن تحقيقه. فالشَّاعر مبارك بن سيف أراد أن يسخر من المشركين الذين يدعون أصنامهم، وهي حجارة لا تسمع؛ كي تنتقم، ثم جاء بـ (علّ) متبوعة باسمها الظاهر (الحجارة)؛ ليقول لهم: هذه حجارتكم فادعوها على أمل ورجاء أن تنتقم لكم وتعصمكم من الأخطار، وهذا رجاء ساخر؛ لأنَّه لا يتحقق، ولا يختلف عن وصف البخيل بالجواد إمعاناً في السخرية والاستهزاء. ويتفق الشَّاعر مبارك بن سيف مع النحاة^(٢) القائلين بمجيء لعلّ على أصله (علّ) .

(٣) الحروف التي تعمل عمل إن (لا النافية للجنس)، وفيها المسائل الآتية :

(أ) ذكرنا أنَّ ابن هشام أضاف للحروف الناسخة حرفين يعملان عملها، هما: عسى، ولا النافية للجنس، حيث بيّن النحاة أنَّ هناك حروفاً قد تعمل عمل إن، منها: لا النافية للجنس، واشتروا لعملها شروطاً عدّة، أشهرها شرطان ، هما: الأول : أن يكون اسمها وخبرها نكرتين . الثاني : ألاَّ يُفصل بينها وبين اسمها بفواصل .

جاءت (لا) العاملة عمل إن في شعر مبارك بن سيف في (خمسة عشر) موضعاً، منها:

● قوله في قصيدته (إطلالة الفجر)^(٣) :

وَهَانَتْ عَلَيْهِ صَعَابُ الْحَيَاةِ فَلَا بُدَّ لِلْمُبْتَغَى أَنْ يَصِلَ

(١) توضيح المقاصد والمسالك، ٥٢٣/١ .

(٢) قال هذا غير واحد من النحاة، منهم: - سيبويه في الكتاب، ٣/٣٢٢، والمبرّد، المقتضب، ٤/٧٣، وأبو علي الفارسي في: شرح الأبيات المشككة الإعراب، المُسمّى: إيضاح الشَّعر، ص ٨٦، ٨٧، والجرجاني، المقتصد في شرح الإيضاح، ١/٤٤٢.

(٣) الأعمال الشَّعرية، ص ٥٨ . (المقارب)

اسمها: بُدْ (نكرة) . خبرها: (أَنْ يَصِل) المصدر المؤول، وتقديره: وصول (نكرة) .

• وقوله في قصيدته (أَنْشُودَةُ الْخَلِيجِ)^(١) :

فَسَأَلْتُ مَا الدُّرُّ الْعَزِيزُ فَقَالَ لِي : لَا عَزَافِيهِ وَالصُّخُورُ سَوَاءٌ

عَزَافِيهِ: اسمها (نكرة)، والجار والمجرور: (فيه) متعلق بمحذوف خبر (لا) تقديره: موجود (نكرة).

• وقوله في مسرحيته الشعريّة (الفجر الآتي)^(٢) :

سَوَاسِيَةٌ نَحْنُ يَا وَالِدِي

فِيْلَا فَرْقَ بَيْنَ الصَّغَارِ

وَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْكِبَارِ

فرق: اسم لا (نكرة) . (بين الصغار، بين الكبار) شبه الجملة الظرفية: متعلق بمحذوف خبر (لا) تقديره: موجود (نكرة) .

(ب) وقوع لا النافية للجنس بين الخافض والمخفوض، فقد بين ابن هشام أنّ (لا) قد تقع بين

الخافض والمخفوض، أي: يدخل عليها حرف الجر، نحو: جئت بلا زاد. وللنحاة فيها رأيان:

الأول: يرى الكوفيون أنّها اسم، وأنّ الجار دخلَ عليها نفسها، وأنّ ما بعدها خفض بالإضافة^(٣).

الثاني: «وغيرهم (أي: غير الكوفيين) يراها حرفاً، ويُسمّيها زائدة كما يُسمّون (كَانَ) في نحو: زَيْدٌ كَانَ فَاضِلٌ، زائدة، وإنّ كانت مفيدة لمعنى المضي والانقطاع»^(٤).

ذكر ابن هشام^(٥) أنّ (لا) تُخالف إنّ من سبعة أوجه، كما حدّد الغلابي^(٦) شروطاً أربعة لإعمال

(لا) عمل إنّ، منها: ألاّ يدخل عليه حرف جر. فإنّ سُبقت بحرف جرٍّ عَدَتْ مُهْمَلَةً، وأُعْرِبَ ما بعدها

مَجْرُورًا بحرف الجر، نحو: سافرتُ بِلا زاد .

(١) السّابق نفسه، ص ١٤٥ . (الكامل)

(٢) نفسه، ص ٢٤٧ . (المتقارب)

(٣) شرح مغني اللبيب، ١ / ٢٤٥ .

(٤) السّابق نفسه، ١ / ٢٤٥ .

(٥) نفسه، ١ / ٢٣٨، ٢٣٩ .

(٦) جامع الدروس العربية، ٢ / ٣٢٤، ٣٢٥ .

جاءت (لا) في شعر مبارك بن سيف مسبوقة بحرف الجر، في قوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي)^(١) :

مَنْ يَشْتَرِي هَذَا الرِّقِيقَ فَلَيْسَ يَعْرِفُهُ الْوَهْنُ ؟

هَذِي السَّلَالُ مَعَ الزُّبَيْبِ مَعَ الْخُمُورِ بِلَا رَهْنٍ

بِلا: الباء: حرف جر. لا: زائدة. رَهْن: اسم مجرور بالباء .

وعلى هذا فالشاعر مبارك بن سيف استخدم (لا) مسبوقة بحرف الجر؛ كي لا يُعملها عمل النواسخ الحرفية؛ لأنه أراد استخدامها لإفادة النفي؛ لذلك جاء بها زائدة بعد حرف الجر.

(ج) تكرار (لا) النافية للجنس. تحدّث النحويون عن أحوال اسم (لا)، وأحوال خبرها، يقول ابن عقيل مبيّناً حالاتها: « لا يخلو اسم (لا) من ثلاثة أحوال.. الثاني: النَّصْبُ عَطْفًا على محل اسم (لا)، وتكون (لا) الثانية زائدة بين العاطف والمعطوف، نحو: لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، ومنه قوله^(٢): لا نَسَبَ الْيَوْمَ وَلَا خُلَّةَ اتَّسَعَ الْخَرْقُ عَلَى الرَّاقِعِ »^(٣).

جاء مثل هذا في شعر مبارك بن سيف، فقال في قصيدته (ذكريات في ليلة شتوية)^(٤) :

فَلَا طَيْرٍ يَبْدُو أَحَدُهُ

وَلَا خُضْرَةٌ فَالْحَيَاةُ جُمُودٌ

(٦) اللام الزائدة للتوكيد (اللام المزحلقة) . ووردت اللام الزائدة للتوكيد (المزحلقة) في

شعر مبارك بن سيف في (ثلاثة) مواضع، هي:

● قوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٥) :

فَابْتُؤُوا غَدًا ، إِنَّ النِّعِيمَ لِرَازِلٍ وَالْعِلْمُ بَاقٍ فِيهِ وَالْإِنْشَاءُ

(١) الأعمال الشعرية ، ص ٢٦٠ . (من الكامل)

(٢) الشاهد لأنس بن العباس السلمي، تُنظَرُ مصادره في: المعجم المفصّل في شواهد النحو الشعرية، للدكتور إميل بديع يعقوب، ص ٥٥٢ . (الرجز)

(٣) شرح ابن عقيل، ١/ ٣٦٦.

(٤) الأعمال الشعرية، ص ٧١ . (المتقارب)

(٥) الأعمال الشعرية، ص ١٥٩ . (الكامل)

البنية الأساسية للجملة المنسوخة (النعيم زائل) ، ويقصد به: نعيم الدنيا. وأراد الشاعر حثَّ أهل الخليج على العمل والبناء للمستقبل، وأراد دعم تلك الدعوة وتأكيدا بمؤكدين:

الأول: الحرف الناسخ (إنَّ) . الثاني: اللام المرحقة التي تقيد تأكيد مضمون الجملتين معاً:

الجملة الطلبية: (فابنوا غداً) ، والجملة الخبرية: (النعيم زائل) .

● وقوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي)^(١) :

زَيْدٌ تَمَهَّلُ فَإِنِّي عَلَى الْأَمِينِ لِحَاثِفٍ
فَفِي قُرَيْشٍ رِجَالٌ يَرْمُونَ تَاجَ الطَّوَائِفِ
غَدًا تَفِيضُ قُلُوبٌ حَقْدًا وَإِنِّي لِعَارِفٌ

يعبر الشاعر في هذا المقطع بـ (اللام المرحقة) عن خوفه الكبير على الأمين محمد ابن عبد الله - صلى الله عليه وسلم - ، كما يؤكد معرفته بالحق الذي يملأ قلوب المشركين على المسلمين ودعوتهم .

واللام المرحقة هي لام جواب إنَّ - كما سمّاها أبو الحسن المزني^(٢) - وكان ابن جني^(٣) وغيره من النحويين^(٤) قد بينوا أنّ هذه اللام تكون زائدة للتوكيد .

(٧) متى تُصبح الحروف النّاسخة غير عاملة ؟

ذكر النُّحاة أنّه إذا دخلت (ما) على الحروف النّاسخة، فإنّها تكفّها عن العمل، أي: تمنعها، نحو: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾^(٥) . وقد بين المجاشعي سبب الإلغاء: «لأنّ (ما) كفّتها، وحالت بينها وبين معمولها، وليها الاسم والفعل؛ لأنّ (ما) هيأت لها ذلك»^(٦) .

ومن النحويين^(٧) مَنْ ذكر أنّ من العرب مَنْ لا يُلغي عمل تلك الحروف بدخول (ما) عليها، كما ذكروا أنّ أكثر ما جاء ذلك عن العرب في (لَيْتَما) .

(١) السابق نفسه، ص ٢٧٢ . (المجتث)

(٢) الحروف، ص ٦٨ .

(٣) اللمع في العربية، ص ٢٣ .

(٤) منهم: المجاشعي، شرح عيون الإعراب، ص ١٠٩، وابن هشام، مغني اللبيب، ٢٢٨/١ .

(٥) سورة النساء، آية: ١٧١ .

(٦) شرح عيون الإعراب، ص ١١٤ .

(٧) منهم: المجاشعي، شرح عيون الإعراب ص ١١٤، والجليل النحوي، ثمار الصّناعة، ص ١١٧، وابن هشام، شرح قطر الندى، ص

وجاء في شعر مبارك بن سيف من الحروف الناسخة المُلغى عملها حرفان، هما:

١ - إِنَّمَا:

جاءت في شعر مبارك بن سيف غير عاملة، ومفيدة لمعنى القصر؛ لتأكيد المعنى الذي يريده الشاعر. علماً أنَّ بعض النحاة^(١) يرون جواز إعمال إِنَّمَا، وليتَمَّا، أمَّا المبرد^(٢) فيرى إلغاء عمل إِنَّمَا، وذهب الزمخشري^(٣) إلى إلغاء عمل إِنَّ وجميع أخواتها إذا اتصلت بما، وذهب إلى هذا أيضاً المالقي ت٧٠٢هـ^(٤) الذي ذكر أنَّه يُلغى اختصاصها بالجملة الاسمية.

وجاءت (إِنَّمَا) في شعر مبارك بن سيف في:

• قوله في قصيدة (بقايا سفينة غوص)^(٥):

إِنَّمَا أَنْتَ بَقِيَّةٌ

قَدْ رَمَاهَا الزَّمَنُ الطَّاحِنُ..

أراد الشاعر هنا أن يرد بهذا المقطع - الذي ابتدأ به القصيدة - على أولئك الذين يدعون أنهم لا يزالون يحافظون على التراث وقيمه باستخدام القصر بإنَّمَا الذي لا يكون - كما نقل ابن فارس عن الفراء: «إِلَّا رَدًّا، يعني أَنَّ قولك: ما أَنْتَ إِلَّا أَخِي، وَإِنَّمَا قَامَ أَنَا. لا يكون هذا ابتداءً أبداً، وَإِنَّمَا يكون رَدًّا على آخر، كأنَّه ادَّعى أَنَّهُ أَخٌ وَمَوْلَى وَأَشْيَاءُ أُخَرُ، فنفاه وأقرَّ له بالإخوة»،^(٦) وأيد ابن فارس الفراء، فقال: «والذي قاله الفراء صحيح، وحجته قوله - صلى الله عليه وسلم -^(٧): (إِنَّمَا الْوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ)»^(٨). فالشاعر مبارك بن سيف أراد أن يردَّ على مَنْ زَعَمَ أَنَّ مهنة الغوص ما زالت تُقدَّر في هذا الزمن؛ فجاء بإنَّمَا ليقصر صفة البقية، أي: التلاشي والاختفاء والانهاء على سفينة الغوص، فقد أخرج تلك السفينة من دائرة الأشياء المتكاملة إلى دائرة الأشياء المتناقضة والمتلاشية، فلم يبقَ

(١) منهم: أبو بكر بن السَّراج، الأصول في النحو ٢٨١/١، وأبو الحسن الرَّماني، معاني الحروف، ص ٨٩، وابن هشام، شرح قطر الندى، ص ١٥٢، ١٥٣.

(٢) المقتضب ٣٦٠/٢.

(٣) المفصل، ص ٢٩٢.

(٤) رصف المياني، ص ٢٠٣، ٢٨٧.

(٥) الأعمال الشعرية، ص ٥. (البحر: الرمل)

(٦) الصاحبى في فقه العربية، ص ٩٣.

(٧) الحديث مروى عن عائشة - رضي الله عنها - بإسناد صحيح، وورد في: غوث المكذوب بتخريج ابن الجارود ٢/٢٤٠، والمعجم المفهرس للأحاديث النبوية، لأبي إسحاق الحويني، ١/٦٠٢. رقم (٥٠٢٩).

(٨) الصاحبى في فقه العربية، ص ٩٤.

منها إلا بقيَّةٌ، فليست سفينة الغوص في هذا الزمن سوى قطعة بالية لا قيمة لها؛ لأنَّ الزمن قد رماها ووضعها في سلة الذكريات. وهذه صورة تثير في النفس مشاعر الأسى والحزن على الحالة التي آلت إليها سفينة الغوص - التي ترمز لمهنة الآباء والأجداد - بعد أن كانت تحظى بالمنزلة الرفيعة.

• وقوله في قصيدة (عُشَّاقُ الشَّمْسِ) ^(١) :

انْظُرِ الْيَوْمَ إِلَيْهِ وَتَأْمَلْ

إِنَّمَا الْأَسْمَاءُ لَا شَيْءَ سِوَاهَا قَدْ تَبَدَّلْ

تتحدَّث القصيدة عن (عُشَّاقُ الشَّمْسِ)، أي: أهل الخليج الذين عانوا شظف العيش وقسوة الحياة في القديم، وها هم اليوم يكابدون في سبيل النهضة والبناء، فأراد الشاعر أن يبيِّن وبأسلوب القصر أن المعاناة ما زالت موجودة كما هي، ولم يتبدَّل سوى أسماء المهن. وأكد الشاعر على هذه الحقيقة بأسلوبه: القصر بأنَّما، المتبوع بأسلوب النَّفْيِ، وهذان الأسلوبان يتجهان لهدف واحد هو التأكيد على أنَّ كلَّ المتاعب والمعاناة وكل شيء باق كما هو، ولم يتبدَّل سوى الأسماء.

• وقوله في قصيدة (بحر الزُّمُرْد) ^(٢) :

لَا تَعْرِفُ الْغَدْرَ الدَّفِينِ وَإِنَّمَا هِيَ صَفْحَةٌ مَنظُورَةٌ لَا تُنْكَرُ

والشاعر في هذا البيت جاء بعكس الأسلوب الذي أورده في المقطع السابق. جاء هنا بالجملة الفعلية المسبوقه بالنفي ليؤكد بها صفة الأمانة وعدم الغدر والخيانة التي تتصف بها مياه الخليج، ثم أتبع هذا بقصر صفة الصفاء والنقاء على مياه الخليج لتأكيد صفة عدم الغدر. وأسلوب القصر هذا يعكس شعوراً خاصاً من الشاعر تجاه الخليج وأهله .

٢- كأنَّما :

جاءت (كأنَّما) غير عاملة في شعر مبارك بن سيف، حيث ألغى عملها لدخولها على (ما) التي كَفَّتْها عن العمل، وألغت اختصاصها بالدخول على الجملة الاسمية - على رأي المالقي - الذي سبقت الإشارة إليه .

وجاءت (كأنَّما) في شعر مبارك بن سيف داخلة على الجملة الفعلية في قصيدته (أنشودة

الخليج) ^(٣) :

(١) الأعمال الشعرية، ص ١٤ . (الرملي)

(٢) السابق نفسه، ص ٤٧ . (الكامل)

(٣) نفسه، ص ١٣٥ . (الكامل)

وَيَجِيءُ صَوْتُ السُّنْدِبَادِ كَأَنَّمَا عَبَرَ الزَّمَانَ فَدَوَّتِ الْأَصْدَاءُ

(٨) جدول إحصائي للنواسخ الواردة في شعر مبارك بن سيف .

وفيما يأتي جدول إحصائي يبين النواسخ الفعلية والحرفية في الجملة الاسمية ، وعدد مرات ورودها في شعر مبارك بن سيف آل ثاني :

العدد	الحرف الناسخ	العدد	الفعل الناسخ
ثانياً : إن وأخواتها		أولاً : كان وأخواتها	
١٠٤	أَنَّ وَإِنَّ	٧٠	كَانَ
١٧	كَأَنَّ	١٣	لَيْسَ
١٦	لَكِنَّ	١٢	مَا زَالَ
٧	لَعَلَّ	٥	صَارَ
٥	لَيَّتْ	٣	أَصْبَحَ
		٣	ظَلَّ
		٣	مَا دَامَ
		٢	أَضْحَى
		٢	أَمْسَى
		١	مَا بَرَحَ
١٤٩	المجموع	١١٤	المجموع
ثانياً : الحروف العاملة عمل إن		ثانياً : الحروف العاملة عمل ليس	
١٥	لا النافية للجنس	١٦	ما
		٦	لا
١٥	المجموع	٢٢	المجموع
الحروف المكفوفة عن العمل		ثالثاً : أفعال المقاربة (كاد وأخواتها)	
١٥	إِنَّمَا	١٤	أَخَذَ
١	كَأَنَّمَا	٨	كَادَ
		٤	عَسَى
		١	جَعَلَ
١٦	المجموع (الكافة والمكفوفة)	٢٧	المجموع
١٦٤	الحروف الناسخة وما يعمل عملها	١٦٣	الأفعال الناسخة وما يعمل عملها

وبعد إنعام النّظر في الجدول السّابق نستنتج ما يأتي :

أولاً : تكررت (كَانَ) - أمّ الباب في الأفعال الناسخة . في شعر مبارك بن سيف في نحو (سبعين) مرّة، في حين لم يزد تكرار بقية الأفعال الناسخة عن (أربع وأربعين) مرّة . والقول نفسه يصدق على الحروف الناسخة؛ إذ تكررت (إِنَّ) أمّ الباب فيما يزيد على (مائة) مرّة .

ثانياً : يُلاحظُ الباحثُ تفوّقَ الحروف الناسخة الأصيلية، وليست العاملة عملها عددياً على الأفعال الناسخة الأصيلية؛ إذ وردت الحروف في حوالي (تسعة وأربعين ومائة) موضع، في حين تكررت الأفعال الناسخة في حوالي (أربعة عشر ومائة) موضع، علماً أنّ المنطق ما تقتضيه الحاجة لزيادة استخدام الأفعال الناسخة؛ ذلك أنّ عددها يبلغ في اللغة ضِعْفَ عدد الحروف الناسخة تقريباً، لكنّ شاعرنا أثر استخدام النّواسخ الحرفية بكثرة، وقد يرجع هذا إلى أنّ شاعرنا يريد أنّ يؤكّد حقائق متعددة . لاسيّما أنّ أكثر الحروف تكراراً كانت (إِنَّ) التي تفيد معنى التوكيد . ابتداءً من تأكيده على الشّوق والحنين لموطنه؛ ليرسم صورة تعلقه بموطنه، وعمّق انتمائه له، أو من خلال تأكيده على الصّفات الأصيلية التي يتمتع بها أهل الخليج، أو التّأكيد على التّأريخ العريق لأرض الخليج .

ثالثاً : كان الشاعر مُقلّلاً في توظيف الأفعال العاملة عمل كَان وأخواتها، وكذلك الحروف العاملة عمل إنّ وأخواتها؛ وقد يرجع ذلك إلى قلة دورانها في الاستعمال اليومي؛ لهذا أثر التّركيز على النّواسخ الأصيلية مبتعداً عن إشكالية ما يعمل عملها؛ إذ لكل واحدة منها حالاتٌ شائعة .

ثالثاً: القيم الدلالية لتقديم الخبر على المبتدأ .

ذكر ابن جني أنه : « يجوز تقديم خبر المبتدأ عليه، تقول: قَائِمٌ زَيْدٌ، وخَلَفَكَ بَكْرٌ، والتقدير: زَيْدٌ قَائِمٌ، وبَكْرٌ خَلَفَكَ، فَقَدَّمَ الخبرانِ اتِّسَاعاً، وفيهما ضميرٌ؛ لَأَنَّ النِّيةَ فيهما التأخير»^(١). وقسم ابن الأثير التقديم والتأخير من حيث ارتباطه بالدلالة إلى ضربين:

«الأول: يختصُّ بدلالة الألفاظ على المعاني، ولو أُخِّرَ المُقَدَّم، أو قُدِّمَ المؤخَّر لتغير المعنى . الثاني: يختصُّ بدرجة التقدُّم في الذكر؛ لاختصاصه بما يوجب له ذلك، ولو أُخِّرَ لما تغيَّر المعنى»^(٢). يتضح من كلام ابن الأثير أنَّ للتقديم علاقة بتغير الدلالة، وأحياناً أخرى لا تتأثر الدلالة بهذا التقديم وكنا قد ذكرنا سابقاً أنَّ الدكتور عبد العزيز عتيق يرى أنَّ تقديم جزء من الكلام لا يرد اعتباراً في نَظْم الكلام، وإنَّما يأتي لغرضٍ بلاغيٍّ . كما نبّه عتيق «إلى أنَّ ما يدعو بلاغياً إلى تقديم جزء من الكلام هو هو ذاته ما يدعو إلى تأخير الجزء الآخر. وإذا كان الأمر كذلك فإنه لا يكون هناك مبررٌ لاختصاص كلٍّ من المسند إليه والمسند بدواعٍ خاصة عند تقديم أحدهما أو تأخيره عن الآخر؛ لأنَّه إذا تقدَّم أحدُ ركني الجملة تأخَّر الآخر، فهما متلازمان»^(٣). وقد يلمح القارئ تعارضاً بين ما ذهب إليه الدكتور عتيق مع ما يقوله يحيى بن حمزة العلوي في معرض حديثه عن تقديم الظرف وتأخيره على عامله: « اعلم أنَّ الظرف لا يخلو حاله إمَّا أنَّ يكون وارداً في الإثبات، أو يكون وارداً في النفي، فإذا ورد في الإثبات فتقديمه على عامله إنَّما يكون لغرض لا يحصل مع تأخيره، فلا جرم التزم تقديمه؛ لأنَّ في تأخيره إبطاءً لذلك الغرض، ثمَّ هو على وجهين: أحدهما: أنَّ يكون وارداً دلالة على الاختصاص، وهذا كقوله تعالى: ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾^(٤).. وثانيهما: أنَّ يكون تقديمه من أجل مراعاة المشاكلة لرؤوس الآي في التسجيع، وهذا كقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾^(٥). أمَّا شرف الدين حسين بن محمد الطيبي ت ٧٤٣ هـ فيرى: «أنَّ المسند إذا تقدَّم على المسند إليه، فالمراد تخصيص المسند إليه به، نحو: تميميُّ أنا، قال تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾»^(٦). فالمسند في الآية (لكم، ولي/ وهما: خبر مقدم) . أمَّا المسند إليه (المبتدأ) فقد جاء

(١) اللمع في العربية، ص ١٥ .

(٢) المثل السائر، ٢/ ٢١٠ .

(٣) علم المعاني، ص ١٤٩ .

(٤) سورة الشورى، آية ٥٣ .

(٥) الطراز، ٢ / ٥٥ . سورة القيامة، آية ٢٢، ٢٣ .

(٦) التبيان في علم المعاني والبدیع والبيان، ص ٩٥ . سورة الكافرون، آية ٦ .

مؤخراً، وهو (دينكم، ودين). وقال المراغي: «يُقدّم المسند لأغراض منها: تخصيصه بالمسند إليه، نحو: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينٌ﴾»^(١).

ويرى الباحث ما يراه العلوي أنّ تقديم جزء من الكلام يكون لغرض بلاغي لا يوجد مع عدم التقديم، كما يؤكد الباحث على ما يراه أستاذنا الدكتور طه الجندي أنّ لكلّ عنصر لغويّ معنىً دلاليّاً خاصّاً، يقول: «إنّ آية دراسة جادة ينبغي أنّ تعتمد في تفسيرها للمتغيرات اللغويّة على ظواهر لغويّة محضة؛ ولذا يجب على الباحث أن ينطلق من المعطيات اللغويّة التي تقدّمها له مفردات اللغة؛ لاقتناعه بأنّ لكلّ عنصر لغويّ معنىً دلاليّاً خاصّاً به، وعليه أنّ يُجهد نفسه؛ لإبراز هذا المعنى، وربطه بشكله التعبيري الخاصّ به»^(٢). وانطلاقاً من هذه النصيحة الواقعيّة للباحثين من ضرورة الوقوف على المعاني الدلالية الخاصّة بكلّ عنصر لغويّ، قام الباحث بمحاولة رصد العديد من القيم الدلالية لظاهرة التقديم والتأخير، كتقديم الخبر على المبتدأ.

من القيم الدلالية لتقديم الخبر على المبتدأ في شعر مبارك بن سيف آل ثاني:

أولاً : الاختصاص. أشرنا فيما مضى؛ إلى أنّ من العلماء من يبيّن أنّ من أغراض تقديم المسند تخصيصه بالمسند إليه، وقد وردت أمثلة عدّة في شعر مبارك بن سيف على هذه القيمة، منها :

• قوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي)^(٣) :

فَلْقُرْآنِهِ الْعُلَا حَيْثُمَا الشَّعْرُ مُسْتَمَر

فتقدّم الخبر (لقرآنه) على المبتدأ (الْعُلَا) أفاد اختصاص القرآن بالعلو والسّمو والرّفعة .

• وقوله في (أنشودة الخليج)^(٤) :

فَسَلِمَتْ يَا أَرْضَ الْخَلِيجِ بَعْرَةً فَلَيْكَ الْبَقَاءُ وَقَوْمُكَ النُّبَلَاءُ

فلك: جار ومجرور (خبر مُقدّم)، البقاء: مبتدأ مؤخر . وقد خصّ الشاعر هذه الصّفة التي تدلّ على الديمومة والاستمرار بأرض الخليج، وكأنّ الشاعر يدعو للخليج وأهله بالعمر المديد .

(١) علوم البلاغة، ص ١٢٢ . سورة الكافرون، آية ٦ .

(٢) المصدر المؤول، بحث في التركيب والدلالة، ص ٢ .

(٣) الأعمال الشعريّة، ص ٢٧٧ . (مجزوء الخفيف)

(٤) السّابق نفسه، ص ١٦٧ . (الكامل). النُّبَلَاءُ: جمع (نبيل)، وهم الشّرفاء. المعجم الوسيط (نَبِيلٌ) ٩٠٥/٢.

• وقوله أيضًا في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي)^(١) :

وَلَنَا الْعُزَّى وَعِزُّ حَوْلَنَا

وَلغَيْرِ السَّادَةِ النَّجْبِ الْهُوَانُ

فقدّم الخبر الجار والمجرور (لغير السَّادَةِ النَّجْبِ) على المبتدأ (الهُوَانُ)؛ ليؤكد على أمرين:

- **الأول** : أنَّ قريشًا هم السَّادَةُ النَّجْبِ أي: أنهم يَفْضُلُون غيرهم بما يملكون من آلهة كالْعُزَّى التي تجلب لهم العزّة والرفعة .

- **الثاني** : اختصاص الآخرين (غير قريش) بالهُوَان .

• وقوله مخاطبًا مياه الخليج في قصيدته (سفن الغوص البائسة)^(٢) :

ظَالِمٌ أَنْتَ وَجِبَارٌ وَغَدَارٌ وَقَاسِي^(*)

تقديم الخبر (ظالم)، وهو اسم مشتق على المبتدأ جاء لغرض الاختصاص، وكأنّ الشاعر أراد أن يبيّن اختصاص مياه الخليج بظلم الغوّاص البائس، وعزا الشاعر سبب وصف مياه الخليج بصفة الظلم؛ لأنّها^(٣) :

تَزْرَعُ اللَّوْثُوفِ فِي الْأَعْمَاقِ

كَالْصَّيْدِ الدَّفِينِ

وَهُوَ لَا يَعْدُو سَرَابًا أَوْ كَمِينًا

(١) نفسه، ص ٢٦٨ . (الرمل) . النَّجْبُ: جمع (النَّجِيب)، وهو الفاضل على مثله النَّفِيس في نوعه. يُنْظَر: المعجم الوسيط، (نَجَب) ٩٠٨/٢ .

(٢) الأعمال الشعرية، ص ٢٣ . (الرمل)

(*) أثبت الشاعر (الباء)؛ لأنّه يريد من القارئ الوقوف على الكلمة؛ فالباء تثبت في الاسم المنقوص إذا وَقَفَ عليها، يقول ابن هشام: « فَإِنْ كَانَ (أي: الاسم المنقوص) مُنَوَّنًا، فَالْأَصَحُّ الْوَقْفُ عَلَيْهِ رَفْعًا، وَجَرًّا بِالْحَذْفِ، تَقُولُ: هَذَا قَاضٍ، وَمَرَرْتُ بِقَاضٍ، وَيَجُوزُ أَنْ تَقِفَ عَلَيْهِ بِالْبَاءِ، وَبِذَلِكَ وَقَفَ ابْنُ كَثِيرٍ عَلَى (هَادٍ)، وَ (وَالِ)، وَ (وَاقٍ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ»، «وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَاقٍ» «وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّوْثِ مِنْ وَاقٍ» سورة الرعد، آية ٧، ١١، ٢٤ - وذكر ابن هشام الآيات بإثبات الباء . يُنْظَر: شرح قطر الندى، ٢٢٦ . ويقول الحملأوي: « إِذَا وَقَفَ عَلَى الْمُنْقُوصِ ثَبَّتَ بِأَوِّهِ .. فَإِنْ كَانَ غَيْرَ مَنْصُوبٍ جَازَ الْإِثْبَاتُ وَالْحَذْفُ، وَلَكِنْ يَتَرَجَّحُ فِي الْمُنَوَّنِ الْحَذْفُ، نَحْوُ: هَذَا قَاضٍ » شَذَا الْعَرَفِ فِي فَنِّ الصَّرْفِ، ١٩٠، ١٩١ . وَيَرَجَّحُ الْغَلَايِينِي حَذْفَ الْبَاءِ فِي الْمُنْقُوصِ الْمُنَوَّنِ. يُنْظَر: جامع الدروس العربيّة ١٢١/٢ . وعزا الدكتور عبده الرَّاجِحِي إثبات الباء في مثل تلك الحالة إلى أنّها «لهجة عربية قديمة فصيحة كانت تُجِيزُ إثبات الباء في حالتي الرَّفْعِ وَالْجَرِّ، فَتَقُولُ: جَاءَ قَاضِي، وَمَرَرْتُ بِقَاضِي .. لَكِنْ حَذْفَ الْبَاءِ هِيَ الْلُغَةُ الْغَالِبَةُ، يُنْظَر: التَّطْبِيقُ الصَّرْفِيُّ، ١٩٩، ٢٠٠ .

(٣) الأعمال الشعرية، ص ٢٣، ٢٤ . (الرمل)

فلهذه الأسباب، وغيرها التي ذكرها الشاعر أصبحت مياه الخليج مختصة بصفة الظلم لروادها الغواصين، وما كان هذا ليتحقق لو جاء الشاعر بالجملة الاسمية على رتبها الأصلية، فلو قال: (أنت ظالم)؛ لأفاد الإخبار عن المبتدأ بصفة الظلم، أما تقديمه للخبر على الصورة التي جاءت، فقد أفاد اختصاص المبتدأ بهذه الصفة .

• ويقول أيضاً في قصيدته (أنشودة الخليج) ^(١) :

رَجْعُ لَهَا ضَحِكَاتُهُ مُسْتَهْتَرًا أَذُنُ تَصْمُ وَأَعْيُنُ عَمِيَاءُ

مر بنا أن (رَجْعُ): خبر مُقَدَّم؛ وهو مشتق؛ لأنه مصدر، وضحكاته: مبتدأ مؤخر. وجاء التقديم هنا لبيان أن ضحكات إبليس المستهترة مختصة بالخبر (رَجْع، أي: صدى)، وهذا قد يدل على أمرين، هما :

- نجاح الهدف الذي سعى إبليس لتحقيقه، وهو: إغواء أتباعه، وإبعادهم عن طريق الهدى والصّلاح .

- التأكيد على كثرة الضحك، وشدة الذي يُعبّر عن السّعادة التي أضحى عليها إبليس .

وما كان لهذه الدلالات أن تتحقق لو قال الشاعر (لضحكاته رجّع)، فعندئذ لن تفيد الجملة سوى الإخبار عن وجود صدى للضحكات .

ثانياً: التّشويق لمعرفة المتأخر (المسند إليه). ومن الأمثلة على ذلك في شعر مبارك بن سيف:

• قوله في قصيدة (بقايا سفينة غوص) ^(٢) :

وَأَتَى الْفَجْرَ وَلِيدًا فِي ثَنَائِهِ الْوِصَالُ

فالقارئ يتشوّق لمعرفة ما الذي يُخبئه الفجر الوليد في ثناياه ؟ فيأتي الجواب: يخبئ الوصال، أي: وصال الغواص مع أهله وأسرته بعد أن أمضى مدّة من الزّمن بعيداً عنهم. فلو انقطع كلام الشاعر عند شبه الجملة (في ثناياه)؛ لتعددت التأويلات والاحتمالات في التفسير، فتأخير المبتدأ حقّق الهدف المنشود وهو التّشوّق لمعرفة المسند إليه (المبتدأ المؤخّر).

(١) السّابق نفسه، ص ١٣٢ . (الكامل)

(٢) الأعمال الشعريّة، ص ٨ . (الرمّل)

• وقوله في (أنشودة الخليج) ^(١) :

فِي اللَّيْلَةِ اللَّيْلَاءِ نَجَلِسُ حَلَقَةً حَوْلَ (الْفَنَارِ) وَكُنَّا إِصْغَاءُ
لِحِكَايَةِ فِيهَا الْخِيَالِ وَسِرُّهُ فِيهَا الْفَوَارِسُ شِيْمَةً وَوَفَاءُ

فالشاعر قدّم المسند (الجار والمجور: فيها)، وأخّر المسند إليه: المبتدأ (الخيال)؛ ليشوق القارئ لمعرفة ما تتضمنه الحكاية .

• وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج) ^(٢) :

وَشَهِدْتَ ذَا يَزْنَ يَسِيرُ بِجُنْدِهِ أَسَدُ جَرِيحٍ خَلْفَهُ السَّجْنَاءُ

فالشاعر أخّر الخبر (السّجناء) بهدف تشويق القارئ لمعرفة ما الذي يكون خلف الأسد الجريح، فلولم يتم هذا التقديم للمسند (خلفه) لما كان هناك تشويق .

ثالثاً : كراهية ذكر المتأخر؛ لأنه محط الاحتقار . ومما ورد في شعر مبارك بن سيف على هذه القيمة الدلالية :

• وقوله في مطولته (أنشودة الخليج) ^(٣) :

وَبِهَا الْيَهُودُ كَذَا الْمَجُوسُ وَمِثْلُهُمْ الْأَسْبَذِيَّةُ وَالْعُقُولُ سَبَاءُ

بها: جار ومجور خبر مُقدّم، اليهود: مبتدأ مؤخر وقد كره الشاعر تقديمه؛ احتقاراً لهم؛ لذلك أثر تأخير اللفظ الدالّ عليهم ليُعبر عن كراهيته الشديدة لهم .

• وقوله في مطولته أيضاً ^(٤) :

هَآ أَنْتَ بَيْتٌ لِلصَّدِيقِ مُشْرَعٌ هَآ أَنْتَ حِصْنٌ دُونَهُ الْأَعْدَاءُ

فضّل الشاعر تأخير المبتدأ (الأعداء)، وتقديم الخبر: شبه الجملة الظرفية (دونه)؛ لأنه يكره العدو ويحتقرهم .

(١) السّابق نفسه، ص ١٠٤ . الفَنَارُ: مصباح قويّ الضّوء يُنصبُّ على سارية عالية، أو شبه برج مرتفع لإرشاد السّفن في البحار والمحيطات إلى طريق السّير، يُنظر: المعجم الوسيط (فَنَرٌ) ٧١٠/٢ . (الكامل)

(٢) الأعمال الشعريّة، ص ١٢٦ . (الكامل)

(٣) الأعمال الشعريّة، ص ١١١ . (الكامل) الأسبذية: عبادة الخيل، واسمها مُشتقٌّ من (الأسب) أي: الفرس أو الحصان، وهي ذات أصل فارسيّ . يُنظر: السّابق نفسه، هامش (١) في الصفحة نفسها .

(٤) نفسه، ص ١٦٤ . (الكامل)

رابعاً : الاهتمام بالمتقدم، والعناية به . ومن الأمثلة على ذلك في شعر مبارك بن سيف :

• قوله على لسان أبي جهل في المسرحية الشعرية (الفجر الآتي)^(١) :

الأحلامنا السَّفَاهَةُ مِنْهُ؟ قَدْ طَفَى الْهَزْءُ يَا صَحَابِي وَأَجْزَى

لأحلامنا: جار ومجرور، خبر مُقدِّم، السَّفَاهَةُ: مبتدأ مؤخر . وقد قدَّم الشاعر الخبر (أحلام قريش)، أي: عقولهم - على المبتدأ (السَّفَاهَةُ، وهي شتيمة سيدنا محمد - صَلَّى الله عليه وسلم -) لغرض العناية والاهتمام، فأبو جهل - عليه لعنة الله - يتباهى بعقول قريش الحليمة، وبالتالي يستفهم بهدف الإنكار والتعجب من تلك الشَّتيمة من قبل مُحَمَّد - صَلَّى الله عليه وسلم -، وصحبه الكرام - رضي الله عنهم - .

• وقوله على لسان عُتْبة في المسرحية الشعرية (الفجر الآتي)^(٢) :

فَلْقُرْآنَهُ الْعُلَا حَيْثُمَا الشَّعْرُ مُسْتَمِرٌّ

مرّبنا أنّ تقديم الخبر على المبتدأ في هذا البيت يفيد التخصيص، وبالإضافة لهذا الغرض، فقد يكون التقديم هنا لغرض العناية والاهتمام؛ ذلك أنّ شأن القرآن ومكانته عند المسلمين عالٍ جداً؛ لذلك فهو يستحقُّ التقديم حتى في اللفظ؛ ليؤكد القائل على قدسيّة القرآن ورفعته في قلبه .

خامساً : الفخر والمديح . وتتنضح هذه القيمة الدلالية في بعض الأشعار التي قدّم فيها الشاعر الخبر . وهو شبه جملة - على المبتدأ من خلال تقديم الخبر على المبتدأ، واشتمال الخبر المُقدِّم على ضمير يعود على الممدوح؛ للتأكيد على إلحاق الصِّفة المتضمنة التي يدلّ عليها المبتدأ للخبر . والأمثلة على هذه القيمة الدلالية كثيرة جداً، فقد ذكرنا بعضها، ونضيف الأمثلة الآتية لما سبق :

• قوله على لسان أبي جهل مخاطباً آل هاشم في المسرحية الشعرية (الفجر الآتي)^(٣) :

لَكُمْ الزَّعَامَةُ وَالسَّقَايَةُ وَالنُّبُوءَةُ وَالْجُنُونُ

فالخبر المُقدِّم تضمّن ضميراً (لَكُمْ) يعود على آل هاشم؛ ليمتدح أبو جهل آل هاشم من باب ذكر الصِّفات الكثيرة لآل هاشم التي يتمتعون بها . وبالتالي ألا تكفيهم تلك الصِّفات فيتخلوا بعدئذٍ عن

(١) الأعمال الشعرية، ص ٣١٧ . (الخفيف)

(٢) السابق نفسه، ص ٢٧٧ . (مجزوء الخفيف)

(٣) الأعمال الشعرية، ص ٣٠١ . (مجزوء الكامل)

محمد - صَلَّى اللهُ عليه وسلم - ودعوته الجديدة ؟! فماذا يريدون أكثر من الزّعامة وشرف سقاية حجّاج بيت الله الحرام ؟!

• وقول الشاعر على لسان مسلم في المسرحية ذاتها^(١) :

لَنَا الْأَنْجُمُ الْبَاسِطَاتُ الضِّيَاءُ وَقَوْمُ الْجَهَالَةِ فِي الْهََاوِيَةِ

الضمير (لنا) يعود على المسلمين، وأراد الشاعر من خلال تقديم الخبر المشتمل على الضمير العائد على الممدوح الافتخار بالمسلمين الذين يملكون الأنجم، - أي: الإسلام - التي تبسط ضياءها على العالمين، فيهتدي بها العباد، أمّا الجهّال من الأقوام فسيذهبون إلى الهاوية؛ لأنّهم كفّار ضالّون. **سادساً :** المُتقدّم محط الإنكار والتعجب . قد يكون تقديم الخبر بهدف التعبير عن إنكاره والتعجب منه؛ لما ارتكب من جرائم، أو أخطاء، ومثال ذلك :

• قول الشاعر في (أنشودة الخليج)^(٢) :

سَفَكُوا دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ مُهَانَةً أَوْ لِلْغَرِيبِ الذِّمَّةَ الْقَعَسَاءُ ؟!

للغريب: جار ومجرور، خبر مُقدّم، الذِّمّة: مبتدأ مؤخر. فقدّم الشاعر الخبر؛ ليدلّ على أمرين: الأول : مدى استنكاره أنّ يكون لهذا الغريب ذمّة - أي: عهد - ثابتة، وبالتالي فالشاعر يعجب من كلّ مَنْ يُصدّق أنّ يكون للعدو عهدٌ وميثاق .

الثاني : التأكيد على أنّ هذا الغازي هو غريب عن ديارنا، والشاعر هنا يُشير إلى غزو (محمد علي باشا) للجزيرة العربية؛ ولذلك جاء بلفظة الغريب مُقدّمة على الذِّمّة .

سابعاً : التّجاهل، وعنى به البلاغيون أنّ يسأل الشاعر سؤالاً يعرف جوابه، لكنّه يتساءل وكأنّه جاهل به، يقول الجرجاني : « تَجَاهُلُ المعارف هو سَوْقُ المعلوم مَسَاقٍ غيره لِنُكْتة، كقوله تعالى حكاية عن نبيينا - صلى الله عليه وسلم - : ﴿ قُلْ اذْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرْكِ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴾ »^(٣).

(١) السّابق نفسه، ص ٣٠٥ . (من المتقارب)

(٢) نفسه، ص ١٤١ . (البحر: الكامل)

(٣) التعريفات، ٧٩ . سورة سبأ، آية: ٢٤ .

ويُظهر الشاعرُ تجاهله في معرفة الجواب لأمر من الأمور الآتية :

١. إِمَعَانٍ فِي السُّخْرِيَةِ مِنَ الْمُخَاطَبِ، وَتَوِيخٍ لَهُ .

٢. يتضمّن هذا الأسلوب تقريراً من السائل بأن هؤلاء الذين كانوا موضع الاستفهام قد انتهوا، كما أنّ السؤال تبعه جواب من السائل نفسه، والسائل - في العادة لا يُجيب - ولكنه سارع في الإجابة؛ ليقرّر بأن كل مَنْ يَسْلُكُ مَسْلَكَ هَؤُلَاءِ سيكون مصيره كمصيرهم، ومن الأمثلة على هذه القيمة الدلالية في شعر مبارك بن سيف :

• قوله في قصيدته (أنشودة الخليج) ^(١) :

السؤال	الجواب
<u>أَيْنَ الْأَبَاطِرَةُ الْعِظَامُ وَمُلْكُهُمْ ؟</u>	<u>مَرُّوا عَلَيْكَ كَمَا يَمُرُّ جُفَاءُ</u>
<u>أَيْنَ الْغَزَاةُ الطَّامِعُونَ وَجُنْدُهُمْ ؟</u>	<u>ذَهَبُوا كَمَا شَدُّوا الْعِتَادَ وَجَاوُوا</u>
<u>أَيْنَ الْأَسَاطِيلُ الْغَزَاةُ وَبَاسُهَا ؟</u>	<u>ذَهَبَتْ، وَلَمْ تَبْقَى (*) لَهَا أَصْدَاءُ</u>

• وقوله في القصيدة نفسها ^(٢) :

يَا جَانِلًا فِي الشَّرْقِ غَيْرُ مُمَيِّزٍ أَيْنَ الذِّكَاةُ وَقَدَرَمَاكَ غِبَاءُ ؟

وقد يصل الإنسان مرحلة يسخر فيها من نفسه، ويوبخها؛ وذلك حينما يسأل نفسه سؤالاً لا يجهل إجابته، نحو قول شاعرنا في قصيدته (البين والأقدار) ^(٣) :

وَلَكُمْ سَأَلْتُ خَيَالَهَا مُتَرَدِّدًا أَيْنَ الْفِرَارُ وَأَيْنَ أَيْنَ قَرَارِي ؟

فالشاعر يستفهم بـ (أَيْنَ) لا لأنه لا يعرف الجواب، بل يعرفه، لكنه يتساءل وكأنه جاهل، أو مُتجاهل إمعاناً في السُّخْرِيَةِ من نفسه التي باتت تائهة في ميادين الهيام، ففدا الرجل لا يعرف نهاية لهذا الحب، فلا يدري كيف يتخلص من هذه المشكلة، كل ذلك من أجل:

- تويخ نفسه العاجزة عن الوصول للخلاص، والسُّخْرِيَةِ من هذه الحالة التي أصبح عليها .

(١) الأعمال الشعرية، ص ١١٧ . (البحر: الكامل)

(*) (تبقى) الألف المثبتة هي الألف الناشئة عن إشباع فتحة القاف، وليست حرف علة، لأنه حُذِفَ كعلامة على جزم الفعل .

يُنظر: الخصائص، لابن جني باب (في مَطَلِ الحركات) ، ٢ / ١٢١ ، ١٢٢ .

(٢) الأعمال الشعرية، ١٢٢ . (الكامل)

(٣) السابق نفسه، ص ٤٢ . (الكامل)

- التّعبير عن مدى ارتباطه بمعشوقته التي قد يرمز بها الشّاعر إلى (وطنه) الذي كتب عليه القَدْرُ
فراقه والابتعاد عنه .

٣. تعظيم المخاطب بالسؤال عنه والإعلاء من قدره ومكانته فخراً به . من ذلك قول الشاعر في
مسرّحته الشّعريّة (الفجر الآتي)^(١) :

رِفَاقَ السَّعَادَةِ مِنْ أَيْنَ أَنْتُمْ ؟

أَمِنْ نَسْلِ مَنْ هَاجَرُوا لِلضِّيَاءِ ؟

أَمِنْ نَسْلِ مَنْ نَصَرُوا خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ ؟

فَمِنْ أَيْنَ أَنْتُمْ ؟

فالشاعر يسألهم لا ليعرف الإجابة منهم؛ لأنّه أجاب على سؤاله بنفسه في المقتعين: الثاني
والثالث (. أمن نسل .. أمن نسل ..) ، وإنّما توجيه السؤال مع تجاهل الإجابة كان بهدف الفخر بهم،
لأنهم هاجروا للنور، وناصروا سيد الأنبياء وخاتمهم - صلى الله عليه وسلم - .

٤. التّهديد والتّخويف، وذلك كقول مبارك بن سيف على لسان أبي جهل مُهدداً يأسراً في
مسرّحته الشّعريّة السّابقة نفسها^(٢) :

أَيْنَ الرَّمَاحُ لَتَشْرَبَ الدَّمَ الْقَبِيحَ ؟

حَتَّى أُرِيحَ وَأَسْتَرِيحَ

فأبو جهل يعرف مكان وجود الرُّمح، ويمكنه أن يذهب ويحضره؛ ليطعن به يأسراً، لكنّه تساءل عن
مكانه، ليُهدّد به يأسراً الصّابر المحتسب والمتحدي^(*) . وأبو جهل تساءل عن الرماح (جمع تكسير) ،
والرَّمح الواحد يكفي لقتله، لكنّه التّخويف والتّهديد .

سابعاً : التّحسُّر على واقع مرير، أو على ماضٍ عريق، أو كليهما معاً، أو التّحسُّر على مستقبلٍ
مجهول . وقد وجدنا هذه المعاني مُمثّلة في شعر مبارك بن سيف، منها :

- التّحسُّر على ماضٍ عريق .

(١) الأعمال الشّعريّة ، ص ٢٤٥ . (المقارب)

(٢) السّابق نفسه، ص ٢٨٧ . (من الكامل)

(*) نلمح هذه الصّفات في المقطع السّابق الذي جاء على لسان ياسر .

• يقول في قصيدته (سحر البداوة)^(١) :

النَّاحِلَاتُ عَلَى الْأَكَامِ مَرْبُعُهَا أَيْنَ الْبِدَاوَةِ مِنْ تِلْكَ الرِّعَابِيبِ؟

فالشاعر يتحسّر على نساء البادية اللواتي يتصفن بالرشاقة والجمال .

• وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٢) مُتَحَسِّرًا على العبيدين الذين قامت حضارتهم في العراق:

أَيْنَ الْعَبِيدِیُّونَ أَوْ بَصَمَاتُهُمْ أَتَرَى الْعُهُودَ بِسِحْرِهِمْ لَكَ بِأَوْوَا؟

- التحسّر على واقع مرير .

• وقوله في قصيدته (قراءة في كتاب قديم)^(٣) :

أَتَسْأَلُ عَنَّا ؟

فَكَيْفَ تَرَانَا ؟

وَتَسْأَلُ كَيْفَ الْمَسِيرَةِ ؟

وَأَيْنَ الْأَمَانَةِ ؟

فالشاعر هنا يتحدث عن واقع مرير أصبحت عليه الأمة وقد جاءت هذه المعاني على شكل تساؤلات طرحها الكتاب القديم نلمح منها تأخر مسيرة التّقدّم، وتضييع الأمانة .

- التحسّر على الماضي العريق والحاضر المرير .

يقول في قصيدة له بعنوان (مناجاة الدّهر)^(٤) :

فَإَيْنَ لِيَا لِي الْأَمْسِ يَا جَالِبَ الْأَسَى وَيَا جَالِبًا مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَوَادِيَا

وهنا يتحسّر الشاعر على الواقع الذي أصبح مليئاً بالأسى، وبمصائب الدّهر الكثيرة . ولا ينسى الشّاعر تلك الليالي الجميلة التي عاشها في الماضي، فطيفها يمرُّ أمامه حتى في هذه اللحظات العصيبة .

(١) نفسه، ص ٤٥ . (البيسيط)

(٢) الأعمال الشعريّة، ص ١٠٨ . (الكامل)

(٣) السّابق نفسه ، ص ٢١١ . (من المتقارب)

(٤) نفسه، ص ٥٣ . (الطويل)

- التحسّر على المستقبل المجهول .

وقد يدخل هذا التحسّر تحت معنى من معاني الاستفهام، وهو الاستبطاء وهو: « عدّ الشيء بطيئاً في زمن انتظاره، وقد يكون محبوباً مُنتظراً؛ ولهذا يخرج الاستفهام فيه عن معناه الأصل للدلالة على بُعد زمن الإجابة عن بُعد زمن السؤال، وهذا البُعد يستلزم الاستبطاء، نحو قولك لمخاطب دَعَوْتُهُ فأبطأ في الاستجابة لك: كَمْ دَعَوْتُكَ؟^(١) . ومبارك بن سيف يتحسّر على المستقبل المجهول لفلسطين من استبطاء يوم العودة والتحرير، فيراه بعيداً جداً؛ إذ يقول في قصيدته (فلسطين موطن الأديان)^(٢):

عُدْرًا فَلَسْطِينَ الْأُبَاةَ فَإِنِّي ذَاكَ الْعَنِيدُ ، فَإَيْنَ يَوْمٌ مَعَادِي؟

(١) علم المعاني، للدكتور عبد العزيز عتيق، ص ١٠٩ ، ١١٠ .

(٢) الأعمال الشعريّة، ص ٨٣ . (الكامل)

الفصل الثاني

التقديم في الجملة الفعلية، وقيمه الدلالية وفيه :

أولاً: تقديم الفاعل على فعله، وقيمته الدلالية .

ثانياً: تقديم المفعول به، وقيمته الدلالية .

ثالثاً: تقديم متعلقات الجملة الفعلية، وقيمتها الدلالية .

أولاً: تقديم الفاعل على فعله، وقيّمته الدلالية :

جاء الفاعل في شعر مبارك بن سيف مُقدِّماً على فعله للعناية والاهتمام في (ثمانية وثلاثين) موضعاً، منها:

• قوله في قصيدته (بين هياكل عشتار - المشهد الأول) -^(١) :

وَطَيُورٌ تَسْبَحُ فِي أَفْيَاءٍ

وَطَيُورٌ تَاهَتْ فِي لُجِّ الإِعْصَارِ

• وقوله في قصيدة (أمجاد رمضان)^(٢) :

خَفِرُوا بِنَصْرِ وَالْمَلَائِكِ حَوْلَهُمْ جَيْشٌ يُعَزِّزُ جَيْشَهُمْ وَيُؤَلِّبُ

• وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٣) :

نَدَمٌ تَجَاذَبَكَ الْغَدَاةُ إِذِ ابْتُلَى بَحْرُ هَوِيَّتْ، وَأَنْتَ مِنْهُ بَرَاءُ

• وقوله في قصيدته السابقة نفسها^(٤) :

وَسَلِمْتَ يَا أَرْضَ الرِّيَاضِ وَجُدَّةٍ أَمِنْ يَعْيشُ بِرَبْعِكَ وَصَفَاءُ

• وقوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي)^(٥) :

سَيَلْفُظُ الظَّلَامُ

أَنْفَاسُهُ الْعَقِيمَةَ

إِشْرَاقَةٌ^(*) تَحُومُ فِي الْفَضَاءِ

(١) الأعمال الشعرية، ص ٣٤ ، ٣٥ . (المتدارك)

(٢) السابق نفسه، ص ٧٥ . (الكامل)

(٣) نفسه، ص ١٢٧ . (الكامل)

(٤) الأعمال الشعرية، ص ١٦٧ . (الكامل)

(٥) السابق نفسه، ص ٣٠٧ . (الرجز)

(*) قد يتبادر للذهن أنّ الكلمات: (طَيورٌ، جيشٌ، ندمٌ، أمنٌ، إشراقةٌ) تعرب مبتدأ، لكن وبعد مراجعة مسوغات الابتداء بالنكرة التي ذكرها ابن عقيل، لم يجد الباحث ما ينطبق عليها لتعرب مبتدأ. يُنظر: شرح ابن عقيل، ٢٠٣/١ - ٢١١ .

جاء تقديم الفاعل (طيور، وجيش، ونَدَم، وأمن، وإشراقه) في هذه المقاطع؛ لخصوصية تميّز بها، وأهمية استوجبت على الشاعر تقديمه. فالطيور - على وداعتها وضَعْفُها - تسبحُ في الفضاء تعترضها مشكلتان: الأولى: التّيه والضياع. والثانية: مواجهة الأعاصير. فتقديم الفاعل (الطيور) الضعيفة على الفعل يجعل القارئ يتعاطف معها؛ لأنّها تواجه أخطاراً جمّة، وعلى الرغم من ذلك تسبح وتتابع المسير. وهذا (الجيش) الذي سَطَّر أروع الانتصارات يستحق أن يُقدّم حتى في الرُّتبة النحوية على الفعل؛ لأنّه أصبح مُقدِّماً بما حققه من نصر بفضل مساندة ملائكة الله له، فتقديم الفاعل كان لأهميته وأحقّيته أن يكون أولاً. وتقديم الفاعل (النَّدَم) جعل القارئ يشعر بالفضل العظيم لابن ماجد(*) في عالم البحار لاسيما على القائد البرتغالي (فاسكو دي جاما). فابن ماجد نادى على ما قدّمه لذلك العالم الغربي من معرفة للسواحل العربية والهند، وكان هذا الركيزة للاستعمار الأوروبي للمحيط الهندي والسواحل العربية، لكنّ ابن ماجد براء من هذا الجرم؛ لأنّه يهوى ذلك البحر، فتقديم الفاعل (النَّدَم) قد يجعل القارئ يدركُ عظمة ذلك العالم العربيّ المسلم. كما أنّ (الأمن) يستحق التقديم على الفعل لما له من أهمية في الاستقرار، ودلّ تقديمه على أهميته في الحياة العامة من ناحية، ومن الناحية الأخرى دلّ على انتشاره في عموم الديار الحجازية. ونسب الشاعر العيش للأمن، والأصل أنّ الناس هم الذين يعيشون بأمن، وما ذاك من الشاعر إلا تأكيد على أهمية الأمن. ثم تأتي إشراقه (الفاعل المقدم) في المقطع الأخير؛ ليؤكد على أهمية النور والضياء ومدى الحاجة إليه لاسيما بعد الظلام الدّامس، فالمعاناة في ترقّب الضياء تستوجب تقديم الفاعل لبيان أهميته والحاجة الماسة إليه. وجاء هذا التعبير على لسان المسلم في المسرحية الشعرية الذي يسعى لبث الأمل في نفوس فاقديه؛ لأنّهم نيام عن وعد الحق لهم بالنّصر.

فالشاعر مبارك بن سيف في تقديمه للفاعل على الفعل في الأمثلة التي عرضناها يخالف بعض النحاة القدماء، ويتفق مع بعضهم، كما يتفق مع بعض المحدثين. فالنحاة وضعوا ترتيباً للجملة الفعلية فجعلوا الفعل أولاً، والفاعل ثانياً، والمفعول ثالثاً، وعلة ذلك - كما يرى الشيخ خالد الأزهرى^(١) - أنّ الفاعل مُنَزَّل من الفعل منزلة جزئه، ثم يجيء المفعول بعدهما. وتعريف النحاة للفاعل يدل على قولهم بهذا الترتيب للجملة الفعلية؛ إذ لا نكاد نجد تعريفاً للفاعل - ما عدا تعريف الكوفيين - يخلو

(*) ذكر العالم ابن ماجد في البيت السادس قبل البيت المذكور، ونصّه:

هَذَا (ابْنُ مَاجِدٍ) هَلْ نَسِيتَ شِرَاعَهُ ؟ عِلْمُ الْبَحَارِ، وَكَمْ هُمْ الْعِلْمَاءُ ؟ (البحر: الكامل)

ذكر مكتشف رأس الرجاء الصالح (دي جاما) فذكر في البيت السابق للبيت المتضمن للنَّدَم، ونصّه:

كُنْتُ الدَّلِيلَ تَسْوَقُ (دِي جَامَا) إِلَى بَرِّ الْأَمَانِ أَتُؤْمِنُ الرُّقْطَاءُ ؟ (البحر: الكامل)

يُنظر: الأعمال الشعرية، ص ١٣٦، ١٣٧.

(١) يُنظر: شرح التصريح على التوضيح، ١ / ٤١٢.

من التأكيد على ضرورة أن يتقدم الفعل على الفاعل. يقول ابن جني: «ولا يجوز تقديم الفاعل على الفعل»^(١). وقال بهذا غير واحد من النحاة المتقدمين.

ومنع سبويه تقديم الفاعل على فعله، بل وصف من أجازوا ذلك بأنهم يحملون الكلام على غير وجهه، يقول: «ويحملون قُبَحَ الكلام حتى يضعوه في غير موضعه؛ لأنه مستقيم ليس فيه نقص»^(٢). ولكن لم يُنَعِ تقديم الفاعل؟ يختلف النحاة في علة المنع، فأبو العباس المبرد ت ٢٨٥هـ، يرى أن الفاعل إذا تقدم على فعله صار مبتدأ، وضميره المستتر في الفعل هو الفاعل؛ وذلك لأنه لا يكون فاعلاً لفعل واحد، ومثل لذلك بقوله: «فإذا قُلْتَ: عَبْدُ اللَّهِ قَامَ، ف(عَبْدُ اللَّهِ) رُفِعَ بالابتداء، و(قَامَ) في موضع الخبر، وضميره الذي في (قَامَ) فاعل؛ فإن زعم زاعم إنه إنما يرفع (عبد الله) بفعله، فقد أحال من جهات، منها: أن (قَامَ) فعل، ولا يرفع الفعل فاعلين إلا على جهة الاشتراك، نحو: قَامَ عَبْدُ اللَّهِ وَزَيْدٌ، فكيف يرفع عبد الله وضميره؟، وأنت إذا أظهرت هذا الضمير بأن تجعل في موضعه غيره بأن لك؛ وذلك قولك: عَبْدُ اللَّهِ قَامَ أَخُوهُ. فإنما ضميره في موضع (أخيه)»^(٣). وقال بعدم جواز تقديم الفاعل على فعله كل من ابن جني^(٤)، والجرجاني^(٥)، وغيرهما من النحاة القدماء. أما الكوفيون فيجيزون تقديم الفاعل، يقول الكنغراوي: «الفاعل ما أُسْنِدَ إليه الفعل أو شبهه، نحو: كَانَ زَيْدٌ عَالِماً، وَقَامَ زَيْدٌ، وَحَقَّهُ أَنْ يَلِيَ الْفِعْلَ، وَقَدْ يَتَقَدَّمُ عَلَيْهِ»^(٦). كما أجاز الكوفيون تقديم الفاعل من غير تقدير فعله بعد إن الشرطية، قال الأنباري: «ذهب الكوفيون إلى أنه إذا تقدم الاسم المرفوع بعد إن الشرطية، نحو قولك: إِنَّ زَيْدٌ أَتَانِي آتِهِ، فإنه يرتفع بما عاد إليه من الفعل من غير تقدير فعل. وذهب البصريون إلى أنه يرتفع بتقدير فعل، والتقدير: إِنَّ أَتَانِي زَيْدٌ، والفعل المظهر تفسير لذلك الفعل المقدّر»^(٧). والكوفيون بهذا يخالفون رأي سبويه الذي يُقَدَّرُ فعلاً بعد إن الشرطية، فيقول: «واعلم أن قولهم في الشعر: إِنَّ زَيْدٌ يَأْتِكَ يَكُنْ كَذَا، إنما ارتفع على فعل هذا تفسيره، كما كان ذلك في قولك: إِنَّ زَيْدٌ رَأَيْتَهُ يَكُنْ ذَلِكَ؛ لأنه لا يُبْتَدَأُ بعدها الأسماء ثم يُبْنَى عليها»^(٨).

(١) اللع في العربية، ص ١٦، والخصائص، ٢ / ٢٨٥.

(٢) الكتاب، ١ / ٣١.

(٣) المقتضب، ٤ / ١٢٨.

(٤) اللع في العربية، ص ١٦.

(٥) الجمل في النحو، ص ٦٠.

(٦) الموفي في النحو الكوفي، للكنغراوي، ص ١٨.

(٧) الإنصاف في مسائل الخلاف، (المسألة الخامسة والثمانون)، ٦١٦، ٦١٥/٢.

(٨) الكتاب، ٣ / ١١٣، ١١٤.

ومن المحدثين مَنْ لا يمانع تقديم الفاعل على فعله، منهم (مهدي المخزومي) الذي يرفض أنَّ تكون الجملة من نحو: (عبدُ الله قامَ) جملة اسمية؛ «لأنَّ الجملة الاسمية هي التي يتَّصفُ فيها المسندُ إليه بالمسند اتِّصافًا ثابتًا لا يتجدد، وأما الجملة الفعلية فهي التي يتَّصفُ فيها المسندُ إليه بالمسند اتِّصافًا متجددًا، وبعبارة أوضح هي التي يكون فيه المسند فعلاً؛ لأنَّ الدلالة على التجدد إنّما تُستمدُّ من الأفعال وحدها. فالجملة السابقة عنده فعلية لم يطرأ عليها جديد إلا تقديم المسند إليه، وهو أمرٌ لا يُغيّر من طبيعة الجملة؛ لأنَّه إنّما قُدِّم للاهتمام به»^(١). ويرى (إبراهيم مصطفى) أنَّ منع تقديم الفاعل حُكْمٌ «نحويّ صناعيّ لا أثر له في الكلام، وليس مما يُصحُّ به أسلوب، أو يُزيّف، وإنّما هو من أوجه الصناعات النحويّة المتكلّفة لا تعيننا أن نلتزمه، بل يجب أن نتحرّر منه»^(٢). ويذهب الدكتور خليل عمايرة للقول: «إنَّ الجملَ من نحو: مُحمَّدٌ بَلَغَ الرِّسَالَةَ، هي جملة تحويلية فعلية جاء التَّحويل فيها بتقديم الفاعل للعناية، والأهميّة، أو للتوكيد، فهي تتقلّ عنده من جملة تُحقّق بنية سطحيّة (Surface Structure) إلى جملة تُحقّق شبه بنية عميقة (Deep Structure) لا يخضع المعنى فيها للظنِّ، أو التفسير الذي يُعتمدُ فيه الحدس»^(٣). ويلتقي رأي المحدثين مع ما ذهب إليه الجرجاني في كتابه (دلائل الإعجاز)^(٤)؛ إذ ركّز اهتمامه على المعنى وبيان أثر تقديم الفاعل في تغيير دلالة الجملة حسب ما تقتضيه الحال، فبيّن أنَّ الغرض من الاستفهام هو طلب الفهم لشيء مجهول، فإنَّ كان المطلوب معرفة الفعل بدأت الجملة به، وفي حال كون الفاعل مجهولاً فلا بدَّ أن يكون الاستفهام مبدوءاً بالفاعل. وهذه إشارة صريحة من الجرجاني إلى جواز تقدم الفاعل على الفعل لغرض بلاغيّ.

وللباحث ملحوظات على ما تقدّم يلخصها فيما هو آت:

الأولى: عناية الشاعر مبارك بن سيف بالفاعل واهتمامه به جعله يؤثر تقديمه على الفعل، وهذه مساحة من حرية التقديم والتأخير يجيزها نظام اللغة؛ كي يُعبّر الشاعر بحرية عمّا يجول في خاطره من مشاعر وأحاسيس؛ لذلك كان الشاعر يقَدِّم الفاعل في الأمثلة التي عرضنا بعضها، ليأخذ برأي الجرجاني، ورأي الكوفيين. بقصد، أو من غير قصد. الذي أيده بعض المحدثين كما أسلفنا.

الثانية: يقول ابن جني: «فليس في الدُّنيا مرفوعٌ يجوزُ تقديمه على رافعه»^(٥). يرى الباحث أنَّ حجة ابن جني فيها نظر، فالخبر قد يتقدّم على المبتدأ في حالات تستوجب التقديم؛ إذ لا يستقيم

(١) في النحو العربي، نقد وتوجيه، ص ٤٢-٤١.

(٢) إحياء النحو، لإبراهيم مصطفى، ص ٥٥.

(٣) العامل النحوي بين مؤيديه ومعارضيه، ص ٨٦، للدكتور خليل عمايرة.

(٤) يُنظر: دلائل الإعجاز، ص ٨٧.

(٥) الخصائص، ٢/٢٨٥.

التَّركيب إلا بالتقديم عِلْمًا أَنَّ الخبر مرفوع بالمبتدأ، وهذا مذهب الكوفيين، يقول أبو البركات الأنباري المتوفى ٥٧٧هـ: «ذهب الكوفيون إلى أَنَّ المبتدأ يرفع الخبر، والخبر يرفع المبتدأ؛ فهما يترافعان.. وذهب البصريون إلى أَنَّ المبتدأ يرتفع بالابتداء، وأمَّا الخبر فاختلفوا فيه: فذهب قومٌ إلى أَنَّهُ يرتفع بالابتداء وَحْدَهُ، وذهب آخرون إلى أَنَّهُ يرتفع بالابتداء والمبتدأ معًا، وذهب آخرون إلى أَنَّهُ يرتفع بالمبتدأ والمبتدأ يرتفع بالابتداء»^(١). وأيد أبو البركات الأنباري الكوفيين في رأيهم قائلًا: «والتحقيق فيه عندي أَن يُقال: إِنَّ الابتداء هو العامل في الخبر بواسطة المبتدأ؛ لأنَّه لا ينفكُّ عنه، ورتبته أَن لا يقع إلا بعده، فالابتداء يعمل في الخبر عند وجود المبتدأ، لا به»^(٢).

الثالثة: يؤيد الباحث ما ذهب إليه المخزومي؛ ذلك أَنَّ جعل (عبد الله) مبتدأ في جملة: قام عبدُ الله. يُحِيلُهَا إلى جملة اسمية يتصف فيها المسند إليه بالمسند اتِّصافًا ثابتًا لا يتجدد. وهذا غير معقول؛ لأنَّ المسند إليه (عبد الله) متصف بالقيام اتِّصافًا متجددًا لا ثابتًا؛ ولهذا فهو فاعل مُقَدَّم للفعل (قام) الذي أكسبه دلالة التجدد لا الثبوت.

الرابعة: لا ضرورة لتحويل الجملة البسيطة إلى جملة مركبة تتكوَّن من جملتين: عبدُ الله قام، وقام عبدُ الله. وهذه الجملة ذات دلالة واحدة. فكيف تتحوَّل إلى جملة مركبة ليس لها إلا دلالة واحدة؟! وإذا كان الأمر كذلك فما فائدة هذا التحويل إذا كان لا يخدم المعنى الدلالي؟

الخامسة: الضمير العائد على (عبد الله) أليس هو ضمير المبتدأ نفسه؟ وبالتالي ما الفائدة من تقسيم (عبد الله) قسمين: قسم للمبتدأ، وآخر للفاعل؟ وهل يستقيم أَن يكون الاسم نفسه - وفي الوقت نفسه - فاعلاً ومبتدأً.

السادسة: قد يكون المعنى الذي يفيدُه جَعَلَ (عبد الله) فاعلاً للفعل المتأخر أقوى في الدلالة من جَعَلَهُ مبتدأ؛ ذلك أَنَّ المتكلم قَدَّم الاسم (الفاعل)؛ لاهتمامه به، وعنايته له، وهذا ما ذهب إليه الجرجاني، والمحدثون من أَنَّ الفاعل قد يُقَدَّم لِمُلْحَةٍ بلاغية، وهي العناية والاهتمام. والأمثلة الشعريَّة لمبارك بن سيف - التي قام الباحثُ برصدها - قد توكَّد ما زعمناه آنفاً؛ إذ جاء الفاعل عنده مقدِّمًا على فعله للعناية والاهتمام.

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف، (المسألة الخامسة)، ١٠/٤٤.

(٢) السَّابِق نفسه، ١/٤٤.

ثانيًا: تقديم المفعول به، وقيمتة الدلالية :

جاء تقديم المفعول به في شعر مبارك بن سيف آل ثاني على صورتين، هما:

الصورة الأولى: تقديم المفعول به، على الفاعل .

جاء تقديم المفعول به على الفاعل في شعر مبارك بن سيف وفق الأنماط الآتية:

النمط الأول: المفعول به اسم ظاهر والفاعل اسم الظاهر:

تَقَدَّمَ المفعول به وهو اسم ظاهر في شعر مبارك بن سيف آل ثاني على الفاعل، وهو اسم ظاهر أيضًا في (تسعة وعشرين) موضعًا. وقُدِّم المفعول في هذه المواضع؛ لوجود قرائن لفظية، أو معنوية:

أولاً - التقديم لوجود قرينة لفظية.

قُدِّم المفعول به لوجود قرينة لفظية في (ثلاثة عشر) موضعًا، منها :

• قوله في قصيدة (أجراس القدس)^(١) :

تُغَطِّي جِسْمِي الْمُسْلُوكُ ...

وَالْمَحْرُوقُ بِالْجَمْرِ

بَقَايَا بَدَلَةٍ صَفْرَاءَ كَاكِيَّةٌ

كَلَوْنِ الْمَوْتِ وَالْغَدْرِ

تُغَطِّي: الفعل . جِسْمِي: المفعول به المقدم . بَقَايَا: الفاعل المؤخر .

• قوله في قصيدة (أنشودة الخليج)^(٢) :

مُرْجَبَتْ دِمَاءُ الْيَعْرُبِيِّ بِسَيْفِهِ لَمَّا أَبَتْ مَرْجَا لَهُ الْخَرْقَاءُ

الفعل: أَبَتْ . المفعول: مَرْجَا . الفاعل: الخرقاء .

• قوله في قصيدة (رسالة من شهيد)^(٣) :

(١) الأعمال الشعرية، ص ٣١ . (من الهزج)

(٢) السابق نفسه، ص ١٢٤ . (الكامل)

(٣) نفسه، ص ١٩٧ . (من المتقارب)

وَيَفْجَعُ قَلْبِي نَعْيَ الرَّبِّابِ

وَتَنْهَشُ حَلْمِي ذَنْابٌ .. ذَنْابٌ

الفاعل: تنهشُ، المفعول: حلمي. الفاعل: ذَنْابٌ .

ويلاحظ هنا دور العلامة - في الأمثلة السابقة - في الدلالة على الفاعل المؤخر المتمثلة في تأنيث الأفعال: (تَغْطِي، وَأَبَتْ، وَتَنْهَشُ) للدلالة على الفاعل المؤنث (بقايا، والخَرْقَاء، والذَّنَاب)، وتضاف قرينة المعنى في المثال الثالث الذي يعني أَنَّ (النَّهَشُ) للذَّنَاب، وليس للأحلام. فالقرينة في الأمثلة المتقدمة لفظية تتمثل في: **العلامة** - أي: علامة التأنيث - على رأي الجليس النحوي، **والمطابقة** - على رأي حسان - أي: مطابقة الفاعل المؤنث لتاء التأنيث اللاحقة في بداية الفعل، أو في نهايته .

ثانياً - التقديم لوجود قرينة معنوية.

قَدِّم المفعول به على الفاعل لوجود قرينة معنوية في (سنة عشر) موضعاً، منها :

• وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج) ^(١) :

يَا بَحْرُ هَلْ ضَمَّ الصَّبَاحُ لِقَاءَهُمْ؟ أَتَرَاهُ هَلْ ضَمَّ اللِّقَاءَ مَسَاءً؟

الفعل: ضَمَّ . المفعول: اللِّقَاء . الفاعل: مَسَاءً . (فالْمَسَاءُ يَضُمُّ اللِّقَاءَ وليس العكس)

• وقوله في قصيدته السابقة نفسها ^(٢) :

لَمْ يَنْسَكَ الْعُلَمَاءُ فِي يَوْمٍ فَهَلْ يَنْسَى الْوَرِيدَ الدَّافِقَ الْعُلَمَاءُ

الفعل: ينسى. المفعول: الوريث. الفاعل: العلماء. (فالعلماء هم الذين لا ينسون، وليس الوريث).

• وقوله في القصيدة ذاتها ^(٣) :

لَا تَبْكُ قُدْسًا - يَا صَدِيقُ - فَإِنَّهُ مَا أَرْجَعُ الْمَفْقُودَ قَطُّ بُكَاءُ

الفعل: أَرْجَعُ . المفعول: المفقود . الفاعل: بُكَاءُ . (فالبكاء هو الذي لا يُرْجَعُ مفقوداً)

(١) الأعمال الشعرية، ص ١٠٠ . (الكامل)

(٢) السابق نفسه، ص ١٢٣ . (الكامل)

(٣) نفسه، ص ١٦١ . (الكامل)

- وقوله في قصيدة (مذكرات شاعر من العالم الثالث - ٣ سلة المهملات -) ^(١):

وَيُلَطِّخُ جُدْرَانَ السَّلَّةِ

مَاءً ، دَمْعٌ ، وَرَمَادٌ سَجَائِرٌ .. لَا شَيْءَ

الفاعل: يُلَطِّخُ. المفعول: جدران. الفاعل: ماء، دمع. (فالماء والدمع يُلَطِّخَانِ جدران السَّلَّةِ)

والمعنى - على رأي المجلس النحوي - هو الذي أجاز تقديم المفعول على الفاعل في الأمثلة المتقدمة.

النمط الثاني: المفعول به ضمير مُقَدَّم على الفاعل المشتمل على ضمير يعود على المفعول.

ورد في شعر مبارك بن سيف شواهد قُدِّم فيها المفعول به وهو ضمير على الفاعل المشتمل أيضاً

على ضمير يعود على المفعول به في (أربعة) مواضع، هي:

- قوله في قصيدة (أغنية الربيع) ^(٢):

سَوْفَ يَمُضِي الرَّبِيعُ بِالزُّهْرِ يَوْمًا وَسَاقَى تَشْدُنِي ذِكْرِيَاتِي

فالشاعر قدَّم المفعول به (ياء المتكلم المتصل بالفعل: تشدُّ)، وآخر الفاعل (ذكريات)، وألحق به أيضاً (ياء المتكلم نفسها). فلم يُعَدَّ على المفعول ضميراً؛ لكنه أعاد ياء المتكلم نفسها الدالة على المفعول به، ربما ليعبر الشاعر عن مدى انجذابه للربيع وذكرياته الحلوة، من ناحية ومن ناحية أخرى لاهتمامه بالمفعول المتأثر بتلك الذكريات، فبيان التأثر بالذكريات أهم من الذكريات؛ لذلك قدَّم المفعول على الفاعل.

- قوله في قصيدة (الزهر من رسائل) ^(٣):

عَيْنَايَ مِرْسَالُ الْهَوَى إِنْ لَمْ يُطَاوِعْنِي لِسَانِي

- وقوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي) ^(٤):

(١) الأعمال الشعرية، ص ١٨٥ . (من المتدارك)

(٢) الأعمال الشعرية، ص ٢٨ . (الخفيف)

(٣) السابق نفسه، ص ٢٨ . (مجزوء الكامل)

(٤) نفسه ، ص ٢٦٥ . (من الكامل)

أَهْلًا أَبَا سُفْيَانَ إِنَّ السُّوقَ قَدْ جَفَّتْ دَمَاؤُهُ

وَنُجُومُنَا غَارَتْ وَبَدَرُ الصَّيْفِ يُشْقِيهِ ضِيَاؤُهُ

قدم الشاعر المفعول به (الهاء المتصلة بالفعل: يُشْقِي التي تعود أصلاً على الاسم الظاهر - بَدْر-) ، وآخر الفاعل (ضياؤه) ، وألحق به أيضاً (ضمير الغائب: الهاء) . فلم يُعَدَّ على المفعول ضميراً آخر؛ لكنه أعاد الهاء نفسها الدالة على المفعول به. وتقدير الجملة: يُشْقِي الضياءُ بَدْرَ الصَّيْفِ؛ لأنَّ الشاعر اعتنى بِمَنْ وقع عليه أثر الضياء أكثر من اعتناؤه بالضياء نفسه؛ لذلك قدم المفعول على الفاعل .

• وقوله في مسرحيته الشعرية نفسها^(١) :

مَا لِي أَرَاكُمْ وَاجِمِينَ كَأَنَّكُمْ أَشْبَاهُ مَرْضَى

أَوْ مَا يَزَالُ مُحَمَّدٌ فِيكُمْ يَطْوَحُهُ شَقَاؤُهُ

وهنا يظهر مدى عناية الشاعر واهتمامه بالمفعول؛ لذلك قدمه على الفاعل (شقاؤه) . ويبدو الشاعر محقاً فيما ذهب إليه، فالإنسان الذي يتعرض لأمرٍ ما يكون محل عناية الآخرين واهتمامهم وليس الأثر نفسه، فنتيجة الأثر وما سببته أهم من الأثر نفسه .

النمط الثالث: المفعول به ضمير مُقَدَّم على الفاعل الاسم الظاهر.

ومثاله: ضربني زيدٌ. (فـ(الياء): ضمير المتكلم في محل نصب مفعول به مُقَدَّم. و(زيدٌ): فاعل مؤخَّر مرفوع. والتزام الترتيب يستوجب فصل الضمير، وقد أشار إلى ذلك ابن هشام في قوله:.. وكذلك نحو قولك: «ضَرَبَنِي زَيْدٌ» وذلك أَنَّهُ لَوْ قِيلَ: «ضَرَبَ زَيْدٌ أَيَّايَ» لَزِمَ فَصْلُ الضَّمِيرِ مَعَ التَّمَكُّنِ مِنْ اتِّصَالِهِ، وَذَلِكَ أَيْضًا لَا يَجُوزُ^(٢). والأمثلة على هذه الحالة كثيرة في شعر مبارك بن سيف، فقد وصلت إلى (سبعة عشر ومائة) موضع، من ذلك :

• قوله في قصيدة (عُشَّاقُ الشَّمْسِ)^(٣) :

كَيْفَ عَادَتْ لِذَرَى هَذَا الْخَلِيجِ الْعَافِيَةِ ؟

أَتَرَى جَالُوتَ قَدْ أَرَدَتْهُ - أَمْوَاجُ الْخَلِيجِ . ؟

(١) الأعمال الشعرية، ص ٢٦٥ . (مجزوء الكامل)

(٢) شرح قطر الندى، ص ١٨٥ .

(٣) الأعمال الشعرية، ص ١٢ . (الرملة)

• وقوله في قصيدة (سفن الغوص البائسة)^(١) :

كَمْ عَيُونٍ مَزَّقَتْهَا الشَّمْسُ ...

أَضْنَاهَا السُّهَادُ .. ثم يقول :

وَأَكْفَّ ضَارِعَاتُ

أَحْرَقَتْهَا الشَّمْسُ حَرَّتْهَا الْحِبَالُ

وَكَوَاهَا مَأْوُكُ الْمَالِحِ ...

الشاعر في هذا المقطع مهتمٌ بتصوير معاناة الإنسان الخليجي؛ لذلك نجده قدّم الأعضاء التي اكتوت بتلك المعاناة. فبدأ بالعيون التي مزّقتها الشمس، وأتعبها السّهر والأرق، فقدّم كلمة (عيون)، ثم قدّم الضمير العائد عليها (الهاء: المفعول به) في مزّقت، كل ذلك للتأكيد على أنّ معاناة العيون - ولعلها أهم ما يملك الإنسان - كانت عظيمة. ويصدق هذا الكلام على المقطع الثاني الذي صوّر فيه معاناة الكفّ التي أحرقتها الشمس وجرّحتها الحبال، وكواها الماء المالح. فتقديم المفعول به جاء لاهتمام الشاعر وعنايته به؛ لأنه محور الكلام وهدفه .

• وقوله في قصيدة (أنشودة الخليج)^(٢) :

دُم- يَا خَلِيجُ - فَإِنْ جُنْدَكَ فَتِيَّةٌ تَفْدِيكَ أَرْوَاحُ لَهُمْ وَدِمَاءُ

قدّم الشاعر الضمير العائد على (الخليج) - المفعول به - في الفعل (تفدي)؛ لأنه عاشق له. وآخر الفاعل (أرواح). فالأرض مُقدّمة على الأرواح؛ لأنها رخيصة أمام كرامة الأرض واستقلالها.

الصورة الثانية: تقديم المفعول به على الفعل والفاعل:

جاء المفعول به في شعر مبارك بن سيف مُقدّمًا على الفعل والفاعل وفق نمطين، هما:

النمط الأول: المفعول به اسم ظاهر مُقدّم على الفعل والفاعل:

قدّم مبارك بن سيف المفعول به، وهو اسم ظاهر على الفعل والفاعل في ثلاثة مواضع، هي:

• قوله في مسرحيته الشّعريّة (الفجر الآتي)^(٣) :

(١) السّابق نفسه، ص ٢٢، ٢٣ . (الرمل)

(٢) نفسه، ص ١٧٠ . (الكامل)

(٣) الأعمال الشّعريّة، ص ٢٦٦ . (من الكامل)

حُلَّ الشَّامِ وَالْيَمَنِ

مَنْ يَشْتَرِي وَمَنْ وَمَنْ؟

يُلاحظ هنا أَنَّ الشاعر قدَّم المفعول به (حُلَّ) على الفعل والفاعل، فما الغرض من ذلك مع أَنَّ الجملة غير مسبوقة بنفي أو استفهام؟

يقول الدكتور عبد العزيز عتيق: «فمن تقديم المفعول على الفعل قولك: (مُحَمَّدًا أَكْرَمْتُ)، والأصل: (أَكْرَمْتُ مُحَمَّدًا)، فَإِنَّ فِي قَوْلِكَ بِالتَّقديم: (مُحَمَّدًا أَكْرَمْتُ) تَخْصِيصًا لمحمد بالكرم دون غيره، وذلك بخلاف قولك: (أَكْرَمْتُ مُحَمَّدًا)؛ لَأَنَّكَ إِذَا قَدَّمْتَ الفعل كنت بالخيار في إيقاع الكرم على أيِّ مفعول شئت، بَأَنَّ تقول: (أَكْرَمْتُ خَالِدًا، أَوْ عَلِيًّا، أَوْ غَيْرَهُمَا). فتقديم المفعول على الفعل هنا قُصِدَ به اختصاصه به، أي: اختصاص محمد دون غيره بالإكرام»^(١).

وشاعرنا في تقديمه للمفعول به (حُلَّ الشَّامِ) أراد تخصيص تلك الحُلَّ بالأهمية، فقال هذه الجملة الشعريَّة على لسان بائع يحمل معه أمتعة شتَّى غير (حُلَّ الشَّامِ واليمن)، لكنَّه قدَّمها بهدف تخصيصها ربَّما لوجودتها، أو لاستحسان الناس لها ورواجها بينهم، فيتقديمه للحُلَّ أعطى إيحاءً بأنَّه لا يبيع غيرها. ولو قال الجملة الشعريَّة برتبتها المحفوظة: (مَنْ يَشْتَرِي حُلَّ الشَّامِ واليمن)، لتبادر للذهن أنَّه يبيع حُلَّ الشَّامِ وغيرها، ولكن تقديمه للمفعول على الفعل أفاد هنا اختصاصه ببيع حُلَّ الشَّامِ دون غيرها، وكأنَّ هذه الحُلَّ قد سيطرت على ذهن البائع، فلم يرَ غيرها، ومن ثمَّ لم يذكر غيرها.

● وقوله في قصيدته (البُعد الرَّابع - ٢ -) ^(٢):

كُلَّ فَجَرٍ أَرْقُبُ الشَّمْسَ وَأَدْعُو

عَلَّ يَأْتِي مِنْ وَرَاءِ الْأَفْقِ الْمَحْجُوبِ ..

فتقديم الشاعر للمفعول به (كُلَّ) على الفعل (أَرْقُبُ) يدلُّ على اختصاص الفجر بحصول المراقبة فيه، وهي مراقبةٌ مستمرةٌ ومتتابعةٌ في كلِّ فجر.

● وقوله في مسرحيته الشعريَّة (الفجر الآتي) ^(٣):

(١) علم المعاني، ص ١٥٥ .

(٢) الأعمال الشعريَّة، ص ١٨٨ . (الرمل)

(٣) الأعمال الشعريَّة، ص ٣١٣ . (مجزوء الخفيف)

وَأَمِينٌ عَرَفْتُهُ مَنْ تَرَى غَيْرَنَا عَرَفَ؟

قال الشاعر هذه الأبيات على لسان عتبة التي تحدّث فيها عن الخصال الشريفة في سيّد الخلق محمد بن عبد الله - صَلَّى الله عليه وسلّم - ، والأبيات السابقة هي :

لَسْتُ بِاللَّهِ نَاكِراً إِنَّهُ مَنْبَعُ الشَّرَفِ

فالشاعر أراد أن يؤكّد على أنّه لا يوجد أحد يعرف صفات الرسول - صَلَّى الله عليه وسلّم - أكثر من الصحابة، وكأنّهم اختصّوا بمعرفتها دون غيرهم، أو كأنّه أراد أن يقول إذا كنّا نحن لا نعرف هذه الصفات فمَنْ غيرنا يعرفها على سبيل الاستفهام الإنكاري، وكأنّهم أرادوا أن ينكروا أن غيرهم يعرف أكثر منهم، وما كان هذا ليستبين لولا هذا التقديم، ولو ذكر البيت بلا تقديم: (فَمَنْ عَرَفَ غَيْرَنَا) لكان هناك إقرار بأنّه قد يكون هناك من يعرف أكثر منهم. ولعلّ ما يدعّم زعمنا هذا تعليق (الجرجاني) على تقديم المفعول به في موضع الاستفهام حيث بيّن ما فيه من مزيّة وحسن وفخامة لا توجد مع التأخير، فقال: «.. فإذا قلت: أَزَيْدًا تَضْرِبُ؟ كنت قد أنكرت أن يكون (زيد) بمثابة أن يُضْرَب، أو بموضع أن يُجْتَرَأَ عليه ويُستَجَازَ ذلك فيه، ومن أجل ذلك قدّم (غير) في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ اتَّخَذُ وَلِيًّا﴾^(١)، وقوله عزّ وجل: ﴿أَعْيَرَ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٢)، وكان له من الحُسن والمزيّة والفخامة ما تعلم أنّه لا يكون لو أُخِّرَ، فقل: قُلْ أَتَتَّخِذُ غَيْرَ اللَّهِ وَلِيًّا، وأتدعون غير الله؟ وذلك لأنّه قد حصل بالتقديم معنى قولك: أَيْكون غير الله بمثابة أن يتخذ وليًّا؟ وأيرضى عاقل من نفسه أن يفعل ذلك؟ وأيكون جهلٌ أجهل وعمى أعمى من ذلك؟ ولا يكون شيءٌ من ذلك إذا قيل: أَتَتَّخِذُ غَيْرَ اللَّهِ وَلِيًّا»^(٣).

النّمط الثاني: قُدّم المفعول به؛ لأنّه من الألفاظ التي لها الصّدارة (اسم استفهام) :

وقف الباحث على (اثنتين وعشرين) شاهداً في شعر مبارك بن سيف قدّم فيها المفعول به، وهو اسم استفهام على الفعل والفاعل؛ لأنّه من ألفاظ الصّدارة، منها :

● قوله في قصيدته (حلم شرقيّ الألوان)^(٤) :

(١) سورة الأنعام، آية ١٤ .

(٢) السّورة نفسها، آية ٤٠ .

(٣) دلائل الإعجاز، ص ٩٥ .

(٤) الأعمال الشعريّة، ص ١٧٤ . (من المتقارب)

أَبِي تَهْزَيْنِ؟

فَمَاذَا تُرِيدُ النِّسَاءَ؟

• وقوله في قصيدته (عندما يطول الانتظار) ^(١) :

وَمَضَيْتُ وَحْدِي .. لَمْ أُجِبْ

مَاذَا أَقُولُ؟

مَاذَا أَقُولُ؟

وَقَدْ نَسِيتُ حُرُوفَ مَعْنَى الْاِعْتِذَارِ؟

• وقوله في مسرحيته الشعريّة (الفجر الآتي) ^(٢) :

مَاذَا جَنَيْتُمْ يَا تَرَى بِدِمَاءِ يَاسِرِ الزَّكِيَّةِ؟

مَاذَا فَعَلْتُمْ سَادَتِي بِدَمٍ تَدْفُقُ مِنْ سُمِيَّةِ؟

فاسم الاستفهام (ماذا) في الأمثلة المتقدمة في محل نصب مفعول به مُقدّم على الأفعال الآتية: (تُرِيدُ، أَقُولُ، جَنَى)؛ لأنّ له صدر الكلام، فالذي يهْمُ المتكلّم في الجملة الاستفهامية هو المجهول الذي يُطلَبُ تعيينه، ودليل أهميته أنّ الجواب عن جملة الاستفهام يكون بتعيين المسؤول عنه من غير ذكر فعله في الأعم الأغلب . وتأسيساً على هذا يكون تقديم المفعول في جملة الاستفهام لأهمية المستفهم عنه؛ لذلك قُدّم، وللتشوّق لمعرفة ذلك المجهول المُستفهم عنه. ففي المثال الأول لا يريد الشاعر إجابة بقدر ما يريد انتزاع الإجابة ممّن وَجّه إليه السُّؤال بدليل أنّه أجاب على سؤاله بنفسه في المقطع الأول (أبي تهزئين..)، فقال: فُؤَادٌ مُحِبٌّ صَبُورٌ أَمِينٌ.

أمّا في المثالين الآخرين فالأمر مختلف. فقدّم الشاعر المفعول به لا لأنّه متشوّق لتلقي الجواب، لكنّه أراد توبيخ القوم على فعلتهم الشنيعة فهو يُنكر عليهم إراقتهم لدم ياسرٍ وسُمِيَّة - رضي الله عنهما -؛ ولذلك قُدّم المفعول لتشوّقه لتقريعهم على جريمتهم .

(١) الأعمال الشعريّة، ص ٢٠٦ . (من الكامل)

(٢) السّابق نفسه، ص ٢٢٣ . (مجزوء الكامل)

بعد استعراض الأنماط التي تقدّم فيها المفعول به على الفاعل، أو على الفعل والفاعل في شعر مبارك بن سيف، فإنه يمكن استنتاج ما يأتي:

أولاً: تقدّم المفعول به في شعر مبارك بن سيف فيما يزيد على (ستين ومائة) موضعاً، وهذا الكم ليس بالقليل. ويُلاحظ أنّ حالات التقديم تباينت بين تقديم المفعول على الفاعل تارة وتقديمه على الفعل والفاعل تارة أخرى، وتقديمه على الفعل تارة ثالثة .

والجدول الآتي يوضح رتبة المفعول به تقديمًا وتأخيرًا بين أركان الجملة، وعدد مرّات ورودها :

الموضع (الرتبة)	العدد
- تقديم المفعول به على الفاعل .	١٤٣
- تقديم المفعول به على الفاعل لوجود قرينة لفظية .	١٣
- تقديم المفعول به على الفاعل لوجود قرينة معنوية .	١٦
- تقديم المفعول به على الفعل والفاعل .	٢٥
- تقديم المفعول به على الفعل والفاعل، وهو اسم استفهام على الفعل والفاعل .	٢٢
- المجموع الكلي.	١٦٨

ثانياً: وبالنظر للجدول السابق يُلاحظ أنّ تقدّم المفعول به على الفاعل هو الأكثر تكراراً في شعر مبارك بن سيف، حيث ورد فيما يزيد على (أربعين ومائة) موضعاً، وهو في هذا يتفق مع ما ذكره النُّحاة من جواز تقديم المفعول به على الفاعل، حيث أشار سيبويه^(١) في (باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعوله) أنّ المفعول به قد يتقدّم على الفاعل من غير أن يتأثر المعنى، أو يختل التركيب. وبه قال الزجاجي المتوفى ٣٤٠هـ^(٢)، وابن جني^(٣)، وابن عقيل^(٤)، والسيوطي^(٥)؛ ولذلك فليس مستغرباً أن يُقدّم مبارك بن سيف المفعول على الفاعل في شعره .

ولكن لم يكثر تقديم المفعول به على الفاعل؛ حاول المجاشعي الإجابة على هذا السؤال، فقال: «إنهم أرادوا أن يتوسّعوا في الكلام بالتقديم والتأخير؛ لأنهم يحتاجون إلى ذلك في الشعر والسجع.

(١) الكتاب، ١/ ٣٤ .

(٢) الجمل في النحو، ص ٢٤ .

(٣) الخصائص، ٢ / ٢٨٢. كما أكد ابن جني -في موطن آخر من الخصائص - على أنّ تقديم المفعول قد شاع كثيراً في كلام العرب إلى أن أصبح باباً مستقلاً بنفسه. يُنظر: ١/ ٢٩٥ .

(٤) شرح ابن عقيل، ١/ ٤٣٩ .

(٥) همع الهوامع، ص ٩/٢ .

فلو لم يجيزوا ذلك لضاق عليهم الأمر، ولم يخافوا لبساً؛ لأنَّ رفع الفاعل ونصب المفعول، يُفَرِّق بين المعنيين. ألا ترى أنَّهم متى خافوا اللبس لم يجيزوا إلاَّ الترتيب، نحو: ضَرَبَ موسى عيسى. وَضَرَبَتِ الْكُبْرَى الصُّغْرَى...^(١). أمَّا الجليسُ النَحْوِيُّ فيرى أنَّ «الوجه تقديم الفاعل على المفعول لفظاً؛ لأنَّه يُقَدِّم عليه معنى؛ وذلك لقوة الفاعل وشرفه؛ ولأنَّه علَّةُ المفعول وسببه»^(٢). فالفاعل أصلاً مُقَدِّماً على المفعول؛ لأنَّ تركيب الجملة العربية جاءت عن العرب على هذا النحو، ويرى الباحث أنَّه لا مزية للفاعل إذا تقدَّم سوى القيمة الدلالية التي قد تختلف في حال تقديم المفعول عليه. كما بيَّن الجليس النحوي أنَّ العرب أجازوا تقديم المفعول؛ «لأنَّه كلام فيه المُقَفَّى والمُسَجَّع، وربَّما وقعت القافية، أو السَّجعة في المفعول»^(٣).

ويلاحظ هنا أنَّ المجاشعي والجليس النحوي لم يُشيرَا إلى النَّاحية البلاغية في التقديم، بل نراهما يعزوان التقديم إلى التوسعة والضرورة التي تقتضيها الجملة الشعريَّة، أو فاصلة السَّجع في النثر، ونحن نعلم أنَّ أيَّ تغيير في المبنى يصحبه تغيير في المعنى. ونجد الجرجاني يرفض أنَّ يكون التقديم تارة للعناية والاهتمام، وأخرى للتوسعة والاضطرار، فيقول: «واعلم أنَّ من الخطأ أنَّ يُقَسَّم الأمرُ في تقديم الشَّيء وتأخيرهِ قسمين، فيُجعل مفيداً في بعض الكلام وغير مفيد في بعض، وأنَّ يُعلَّل تارة بالعناية وأخرى بأنَّه توسعة على الشَّاعر والكاتب، حتى تطرَّد لهذا قوافيه ولذاك سجعه؛ ذاك لأنَّ من البعيد أنَّ يكون في جملة النَّظم ما يدلُّ تارة، ولا يدلُّ أخرى. فمتى ثبت في تقديم المفعول مثلاً على الفعل في كثير من الكلام أنَّه قد اختصَّ بفائدة لا تكون تلك الفائدة مع التأخُّر، فقد وجب أنَّ تكون تلك قضية في كل شيء، وكل حال»^(٤). فالجرجاني يؤكِّد على أنَّ التقديم لا بُدَّ وأنَّ تكون له مزية، وفائدة بلاغية لا تتوافر دون ذلك التقديم. وقد رأينا كيف أنَّ تقديم المفعول به على الفاعل في شعر مبارك بن سيف كان لا يخلو من طُرْفٍ بلاغيَّة.

ثالثاً: عطفاً على ما جاء في الاستنتاج السابق، فقد بيَّن النحاة أنَّ تقدُّم المفعول به على الفاعل يأتي لقيم دلالية حددها النحاة، ومبارك بن سيف شاعر عربيٍّ عمدَ إلى تقديم المفعول به في شعره لقيم دلالية متعددة، منها:

(١) شرح عيون الإعراب، ص ١٢١.

(٢) ثمار الصَّناعة، ص ٩٣.

(٣) السَّابِق نفسه، ص ٩٣.

(٤) دلائل الإعجاز، ص ٨٦، ٨٧.

(١) التعظيم، أو الافتخار، أو التحقير والاستهزاء^(١).

ومما ورد في شعر مبارك بن سيف من تقديم للمفعول به للتعظيم، أو الافتخار قوله:

• قوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٢) :

وَالنَّشْلُ وَالْكَفَّانِ زَانَ جَمَالِهَا لَمَعَانُ خَيْطِ التَّبْرِ وَالْحِنَاءِ

قدّم الشاعر المفعول به (جمالها) على الفاعل (لمعان) للتعبير عن تعظيمه وافتخاره بذاك الجمال.

• وقوله في قصيدته (عالم الكلمة)^(٣) :

تَتَبَاعَدُ فِيهَا الْأَعْمَاقُ

يَتَدَارَكُهَا الْعَقْلُ الْمَسْحُورُ بِعَالَمِهَا

الشاعر مفتون بعالم الكلمة؛ ولذلك قدّم الضمير العائد عليها في الفعل: (يتداركها) على الفاعل (العقل) افتخاراً وتعظيماً لها .

• وقوله في قصيدته (قراءة في كتاب قديم)^(٤) :

تُرَدُّ سَبَاحُهَا مِنْ سَائِمَاتٍ وَيَأْنَسُ نَارَنَا سَرْبُ الطَّيُورِ

يفتخر الشاعر بقبيلته صاحبة الكرم ذلك الكرم الذي لم يقتصر على الأناسي، بل لقد تجاوزه إلى عالم الحيوان، فهذه الطيور تأنس لهم وتقترب من نارهم طمعاً في الأكل؛ ولهذا قدّم الشاعر المفعول به (نارنا) - وأضافه لضمير المتكلم العائد على القبيلة - على الفاعل (سرب) . وورد مثل هذا في مواطن أخرى في شعر مبارك بن سيف .

ومما ورد في شعر مبارك بن سيف من تقديم للمفعول به للتحقير والاستهزاء، قوله:

• قوله في قصيدته (بين هياكل عشتار - المشهد الأول -)^(٥) :

(١) يُنظر: معاني النجو، للدكتور فاضل صالح السامرائي، ٨٠ - ٧٦/٢.

(٢) الأعمال الشعرية، ص ٩٩ . (الكامل)

(٣) السابق نفسه، ص ٢٠٢ . (من المتدارك)

(٤) نفسه، ص ٢١٤ . (الوافر)

(٥) الأعمال الشعرية، ص ٣٦ . (المتدارك)

تَبَا لَكَ مِنْ آلِهَةٍ عَمِيَاءَ

عَمِيَاءَ... يُسِيرُهَا الْعُمِيَانُ

فالشاعر أراد أن يُحَقِّرَ الآلهة، ويستَهْزِئَ بها؛ لذلك وصفها بالعمياء في البيت الأول (آلهة عمياء)، وجعلها مقدّمة على الفاعل (الهَاء) الضمير المتصل بالفعل (يُسِيرُ) في البيت الثاني (العميان).

• وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج) ^(١) :

يَا جَانِلًا فِي الشَّرْقِ غَيْرَ مُمَيِّزٍ أَيْنَ الذِّكَاؤُ وَقَدْ رَمَاكَ غَبَاءُ

فالشاعر قدّم المفعول (كاف الخطاب) الضمير المتصل بالفعل (رماك) على الفاعل (غباء)؛ ليُظْهِرَ تحقيره وسخريته من هؤلاء المستعمرين الأغبياء.

وجاء مثل هذا في مواطن أخرى من شعر مبارك بن سيف.

(٢) مراعاة الموسيقى، والسّجع في القرآن الكريم، ومراعاة القافية في الشعر، وقال بهذا كلُّ

من الجليس النحوي ^(٢)، وإبراهيم أنيس ^(٣).

ومما جاء في شعر مبارك بن سيف مراعاة لموسيقى السّطر الشعري، قوله:

• في قصيدته (بقايا سفينة غوص) ^(٤) :

إِنَّهَا شَرَعُ الْحَيَاةِ

كَمْ حَيَاةٍ عَاشَهَا الدَّهْرُ...

(- ب - / - ب - -) جاء تقديم المفعول به على الفاعل هنا مراعاة للنغمة الموسيقية التي

لا تتحقق إلاّ بهذا التقديم؛ ذلك أنّ عدم التقديم سيؤدي إلى اختلاف التفعيلة في السّطر الشعري.

• وفي قصيدته (عشاق الشمس) ^(٥) :

(١) الأعمال الشعرية، ص ١٢٢ . (الكامل)

(٢) ثمار الصناعة، ص ٩٣ .

(٣) من أسرار اللغة، ص ٢٢٣ .

(٤) الأعمال الشعرية، ص ٩ . (من الرمل)

(٥) السابق نفسه، ص ١٢ . (الرمل)

كَيْفَ عَادَتْ لِذُرَى هَذَا الْخَلِيجِ الْعَافِيَةِ ؟

أَتَرَى جَالُوتَ قَدْ أَرَدْتَهُ - أَمْوَاجُ الْخَلِيجِ - ؟

• وقوله في قصيدة (عندما يطول بنا الانتظار)^(١) :

وَعَلَى مَحَطَّاتِ الْحَيَاةِ

أَغْضُو فَيُوقِظُنِي الصَّفِيرُ

والشاعر قدّم المفعول - (ياء المتكلم) الضمير المتصل بالفعل (يوقظني) - على الفاعل (الصفير) ؛ وذلك لغرض لفظي يتعلّق بالإيقاع الموسيقي للبيت، فلو تمّ فصل الضمير لانكسر السّطر الشعري، وهو ما لا يجيزه ابن هشام كما مرّ بنا آنفاً .

• وقوله في قصيدته (أغنية الرّبيع)^(٢) :

سَوْفَ يَمْضِي الرَّبِيعُ بِالزَّهْرِ يَوْمًا وَسَاقِبَى تَشْدُنِي ذِكْرِيَاتِي

جاء تأخير الفاعل (ذكرياتي)، وتقديم المفعول (ياء المتكلم) الضمير المتصل بالفعل: (تشدّني) مراعاة للقافية التي بُني عليها هذا المقطع من القصيدة (التاء المكسورة) .

• وفي قصيدته (البين والأقدار)^(٣) :

هَلْ أَنْ لَيْلِي قَدْ طَوَى شَمْسَ الضُّحَى أَمْ أَنْ لَيْلِي قَدْ طَوَاهُ نَهَارِي ؟

وهنا أيضاً جاء تأخير الفاعل (نهاري)، وتقديم المفعول (هاء الغائب) الضمير المتصل بالفعل: (طواه) مراعاة للقافية التي بُنيت عليها القصيدة (الرّاء المكسورة) .

• وفي قصيدته (أشودة الخليج)^(٤) :

يَا جَانِلاً فِي الشَّرْقِ غَيْرَ مُمَيِّزٍ أَيْنَ الذِّكَاؤُ وَقَدْ رَمَاكَ غِبَاءُ

فالشاعر قدّم المفعول (كاف الخطاب) الضمير المتصل بالفعل (رماك) على الفاعل (غباء) ؛ ليُظهر تحقيره وسخريته من هؤلاء المستعمرين الأغبياء .

(١) نفسه، ص ٢٠٥ . (من الكامل)

(٢) الأعمال الشعريّة، ص ٢٨ . (الخفيف)

(٣) السّابق نفسه، ص ٤١ . (الكامل)

(٤) نفسه، ص ١٢٢ . (الكامل)

(٣) إفادة معنى الاختصاص، والعناية، والاهتمام^(١). ومَرَّت بنا شواهد من شعر مبارك بن سيف

قُدِّمَ فيها المفعولُ به على الفاعل للاختصاص، والعناية والاهتمام.

رابعاً: ذكر النحاة أنَّ المفعول به يتقدَّم على الفاعل جوازاً ووجوباً، فيتقدَّم المفعول به على الفاعل جوازاً في كل موضع وُجِدَتْ فيه قرينة تُحدِّد كُلاً من الفاعل والمفعول. والقرائن بعمومها - كما بيَّنها الدكتور تمام حسان^(٢) - نوعان :

- قرائن معنويَّة، وتشمل: الإسناد، والتَّخصيص، والنَّسبة، والتَّبعيَّة، والمخالفة.

- قرائن لفظيَّة، وتشمل: الإعراب، والرُّتبة، والصَّيغة، والمطابقة، والرَّبط، والتَّضام، والأداة، والتَّغيم.

وقد قيَّد الجليس النحوي جواز تقديم المفعول على الفاعل بوجود واحدة من القرائن الآتية في الجملة، وهي: الإعراب، ومثَّل لها ب: ضَرَبَ زَيْداً مُوسَى، والعلامة الدَّالة عليهما، ومثالها: ضَرَبَتْ مُوسَى الحُبْلَى، والمعنى الذي يرشد إليهما، ومثَّل له بقوله: أَحَبَّتِ الدُّنْيَا الحُبْلَى. ثمَّ عَقَّبَ على ذلك بقوله: « فَإِنَّ خِلاَ الكلام من هذه الأوجه الثلاثة أعني الإعراب، والعلامة والمعنى لم يجز إلاَّ التَّرتيب نحو: ضَرَبَ مُوسَى عِيسَى. إِذَا كَانَ مُوسَى هو الفاعل، وتقول ضَرَبَ عِيسَى مُوسَى إِذَا كَانَ عِيسَى هو الفاعل»^(٣).

فإنَّ وُجِدَتْ في الجملة قرينة لفظيَّة، أو معنويَّة، فلا مانع من تقديم المفعول على الفاعل. وإنَّ لم توجد قرينة، وخيف اللَّبس كان التَّأخير أَوْلى. ففي قولنا: ضَرَبَ مُوسَى عِيسَى وجوب تأخير المفعول؛ وذلك « لانتفاء الدلالة على فاعلية أحدهما، ومفعوليَّة الآخر، فلو وُجِدَتْ قرينة معنوية، نحو: أَرْضَعَتِ الصُّغرى الكُبرى، وأَكَلَ الكُمَثرى موسى، أو لفظيَّة، كقولك: ضَرَبَتْ موسى سَلَمَى، وضَرَبَ موسى العاقل عِيسَى، جاز تقديم المفعول على الفاعل، وتأخيرُه عنه؛ لانتفاء اللَّبس في ذلك»^(٤).

ولاحظنا تقدُّم المفعول به في شعر مبارك بن سيف جوازاً؛ لوجود القرائن المعنويَّة واللفظيَّة.

(١) يُنظر: سيبويه، الكتاب، ٣٤/١، وابن الأثير، المثل السائر ٢/٢٧٢.

(٢) يُنظر: اللغة العربية معناها ومبناها، صفحة الرَّسم البياني في الصفحة التالية لـ ١٨٩.

(٣) ثمار الصَّناعة، ص ٩٤.

(٤) شرح قطر النَّدَى، لابن هشام، ص ١٨٥، ١٨٦.

خامساً؛ ذكر النُّحاة^(١) حالات وجوب تقدُّم المفعول به على الفاعل. ويُلاحظ أنَّه لم يرد في شعر مبارك بن سيف من حالات الوجوب تلك سوى حالة واحدة، هي:

- تقدُّم المفعول به إذا كان ضميراً، والفاعل اسماً ظاهراً، نحو: ضربني زيدٌ. أمَّا الحالتان الأخريان. وهما:

- أن يشتملَ الفاعل على ضمير يعود على المفعول به، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ﴾^(٢).

- أن يكون الفعل محصوراً في الفاعل، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٣). فلم يعثر الباحث على أمثلة من شعر مبارك بن سيف على أيٍّ منهما .

سادساً؛ وجد الباحث في شعر مبارك بن سيف شواهد قدِّم فيها المفعول به على الفعل والفاعل، وهذه القضية مُختلف فيها بين النُّحاة قدماء ومُحدثين، فبيّن سيبويه أنَّه لا مزية بلاغية في التقديم والتأخير، بل هما سواء في العناية والاهتمام، فقال: «وإنَّ قَدِّمَتَ الاسمَ فهو عربيٌّ جيّدٌ، كما كان ذلك عربياً جيّداً، وذلك قولك: زَيْداً ضَرَبْتُ، والاهتمام والعناية هنا في التّقديم والتّأخير سواء، مثله في: ضَرَبَ زَيْدٌ عَمَرًا، وضَرَبَ عَمَرًا زَيْدٌ»^(٤). ويخالف ابن الأثير سيبويه في هذا؛ إذ يرى أنَّ التّقديم أبلغ من التّأخير، فيقول: «فأمّا القسم الأول الذي يكون فيه التقديم فيه هو الأبلغ، فكتقديم المفعول على الفعل، وتقديم الخبر على المبتدأ، وتقديم الطّرف، أو الحال، أو الاستفهام مع العامل»^(٥). ويرى الباحث صحة ما ذهب إليه ابن الأثير؛ ذلك أنَّ ما من تغيير في المبنى إلّا ويتبعه تغيير في المعنى. كما أشرنا إلى ذلك من قبل.

ويؤيّد ابن جني^(٦) تقديم المفعول على الفعل إذا كانت له صدارة الكلام كالاستفهام، والشرط. وذهب إلى هذا أيضاً مكّي بن أبي طالب القيسي^(٧)، وأبو البركات الأنباري^(٨).

(١) منهم: ابن عصفور، في: المقرب، ٥٤/١، والجليس النحوي، ثمار الصّناعة، ص ٩٤ - ٩٧، وابن هشام، أوضح المسالك، ١١٢/٢ - ١١٨، وشرح قطر الندى، ص ١٨٦، وشرح ابن عقيل، ٤٤٧/١ - ٤٥٢.

(٢) سورة البقرة، آية ١٢٤.

(٣) سورة فاطر، آية ٢٨.

(٤) الكتاب، ٨٠/١.

(٥) المثل السائر، ٢ / ٢١٠.

(٦) الخصائص، ٢٩٨ / ١.

(٧) مشكل إعراب القرآن، ٢/٣٣٥.

(٨) البيان في إعراب غريب القرآن، ٢/٢١٧.

كما أيد ابن هشام^(١) مَنْ سبقه من النحاة في مسألة تقديم المفعول به على الفعل والفاعل، فابن هشام أجاز تقديم المفعول على الفعل ما لم يوجد مانع لذلك، في حين أوجب التقديم إذا كان المفعول من ألفاظ الصدارة، ومن الألفاظ ذات الصدارة: أسماء الاستفهام، وأسماء الشرط. وقد رَفَضَ الدكتور إبراهيم أنيس تقديم المفعول على الفعل والفاعل ما لم يعتمد على نفي، أو استفهام، وعلل ما جاء في القرآن من مفاعيل مقدمة دون التزام بذلك القيد بأنه «لا يعدو أن يكون رعاية لموسيقى الفاصلة القرآنية، فهي إذن أشبه ما تكون بالقافية الشعرية التي يحرص الشاعر على موسيقاها كل الحرص.. أما في الجمل الاستفهامية، أو المعتمدة على نفي فقد أمكن أن يتقدم المفعول على ركني الإسناد، مثل: قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾^(٢). ويرى الباحث أن التقديم وإن جاء رعاية للفاصلة القرآنية فإنه جاء لغرض بلاغي قد لا يكون مع عدم التقديم. كما أن الحرص على سلامة اللغة قد لا يكون أهم من الحرص على إكمال المعنى، وكذلك فإن موافقة التقديم للفاصلة القرآنية لا تمنع وجود أهمية للمتقدم. يقول الدكتور عبد العزيز عتيق: «فالأصل في العامل أن يُقدّم على المعمول، فإذا عكس الأمر فقدّم المعمول على العامل، فإنما يكون ذلك لغرض بلاغي يقتضيه، وفي هذه الحالة يكون التقديم أبلغ من التأخير»^(٣).

ومما ذكرنا من شواهد شعرية وردت في شعر مبارك بن سيف، يتبين لنا أن الشاعر يتفق مع النحاة القائلين بجواز تقديم المفعول به، ويختلف مع القائلين بعدم جواز ذلك .

(١) شرح فطر الندى، ص ١٨٦ .

(٢) من أسرار اللغة، ص ٣٣٣ . سورة المائدة، آية ٥٠ .

(٣) علم المعاني، ص ١٥٤ .

ثالثاً : تقديم متعلقات الجملة الفعلية، وقيمتها الدلالية .

يبيّن الدكتور عبد العزيز عتيق أنّ متعلقات الفعل هي: « المفعول، والجار والمجرور، والحال، والاستثناء، وما أشبه ذلك »^(١).

وقام الباحث بحصر التقديم في متعلقات الجملة الفعلية كما وردت في شعر مبارك بن سيف، وتمّ تصنيفها على النحو الآتي :

١ - الجار والمجرور .

يبيّن الدكتور محمد حماسة أنّ « الجار والمجرور من أكثر الوظائف النحويّة ارتباطاً بالفعل وتعلّقاً به، مثله في ذلك مثل الظرف، وقد خصّهما الدرس النحويّ بمصطلح يدلُّ لفظه على قوّة هذا الارتباط وتماصّكه وهو التعلُّق »^(٢).

وجاء تقدّم الجار والمجرور في شعر مبارك بن سيف وفق الأنماط الآتية :

النّمط الأول: تقدّم (الجار والمجرور) على الفعل . جاء الجار والمجرور مقدّماً على الفعل في شعر مبارك بن سيف في (أربعة وعشرين ومائة) موضع، منها:

● قوله في قصيدته (مسافر على أمواج الخليج)^(٣) :

وَقُلْتُ إِيْكَ شَدَدْتُ الرَّحَالَ فَهَيَّا خُذْنِي رِيَّاحَ الْجَنُوبِ

هذا البيت من قصيدة عبّر الشّاعر في أبياتها عن عظيم شوقه وحنينه لوطنه، فقد كتب هذه القصيدة في نيويورك سنة ١٩٧٣ م، ويبدو أنّ رياح الحنين للأهل، والوطن قد عبثت بأحاسيس الشّاعر وعواطفه، فأراد أنّ يُعبّر في جملته الشعريّة التي قدّم فيها (الجار والمجرور: إليك) على العامل، وهو فعله (شدّ)؛ ليُدلّل على أنّ سفره لن يكون إلّا صوبَ بلده ووطنه، ولو جاءت العبارة الشعريّة محفوظة الرتبة لتبادر للذهن أنّ الشّاعر سيشدّ الرّحال لوطنه، أو لغير وطنه، فأصل الكلام: شَدَدْتُ إِلَيْكَ. والشّاعر أثر تقديم الجار والمجرور؛ ليفيد قصر شدّ الرّحال على بلده، وليزيل أيّ شكٍّ بالرحيل لغير بلده .

(١) علم المعاني، ص ١٥٤ .

(٢) بناء الجملة العربيّة، ص ١٧٢ .

(٣) الأعمال الشعريّة، ص ١٥ . (المقارب)

• وقوله في قصيدته (بقايا سفينة غوص)^(١) :

وَاسْتَعِيدِي صَوْتَ نَهَامٍ ..

عَلَى سَطْحِكَ يَشْدُو بِالْغِنَاءِ

قدّم الشاعر الجار والمجرور (على سطحك) - أي: سطح السفينة - على فعله: (يشدو)؛ ليكون دليلاً على أنّ ذلك المكان هو الذي يشدو عليه النهام بالغناء، وليس أيّ مكان آخر، ولو تُركت الجملة الشعريّة بلا تقديم لاحتل أن يكون الغناء على سطح السفينة، أو على غيرها. فتقديم الجار والمجرور أفاد تقييده وتخصيصه للمكان الذي حصل فيه الشّدو، وفي عدم تقديمه خياراً بأن يقع الغناء على السطح، أو على غيره . ومثل هذا التقديم الذي يفيد اختصاص المكان بالحدث، قول الشاعر في قصيدة (رفقة الصّبا)^(٢) :

عَلَى الشَّوْاطِي كَمْ رَاحَتْ أَنَامُنَا تَبَعَثُ الرَّمْلَ فِي شَوْقِ الْفَنَاءِ

قدّم الشاعر الجار والمجرور (على الشّواطئ) على الفعل (تبعث) تلذّذاً بذكرها، وعشقاً وهياماً بها من ناحية، ومن النّاحية الأخرى أراد التأكيد على أنّ تلك الشّواطئ، لا غيرها مختصةً بذكريات الطّفولة، وبمكان المرح واللعب .

• وقوله في قصيدته (فلسطين موطن الأديان)^(٣) :

وَالنَّصْرُ فِي سُوقِ الْجِهَادِ بَضَاعَةٌ بَدِمَ الشَّهَادَةَ تُشْتَرَى كَالزَّادِ
وَالنَّصْرُ لَا يَأْتِي رَخِيصًا إِنَّمَا بَدِمَ سَتُكْتَبُ قِصَّةُ الْأَمْجَادِ

وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٤) :

فَهَضَابُهُ عَطَشَى إِلَى مَاءِ الصَّفَا بَدِمَ الشَّهَادَةَ تَرْتَوِي الْعُطْشَاءُ

جاء تقديم (الجار والمجرور) في الأبيات السابقة على النحو الآتي :

بَدِمَ الشَّهَادَةَ ————— ◀ تقدّمت على الفعل: (تُشْتَرَى) .

(١) الأعمال الشعريّة، ص ٥ ، ٦ . (الرمّل)

(٢) السّابق نفسه، ص ٢١ . (البسيط)

(٣) نفسه، ص ٨٦ . (الكامل)

(٤) الأعمال الشعريّة، ص ١٦١ . (الكامل)

بِدَمٍ ————— ← تقدّمت على الفعل: (سُكِّتَبُ) .

بِدَمِ الشَّهَادَةِ ————— ← تقدّمت على الفعل: (تَرْتَوِي) .

ولعلّ الشاعر أراد من هذا التّقديم التّأكيد على الحقائق الآتية :

١- النّصر بضاعةٌ في الأسواق ثمنُها دَمُ الشّهادة، فكأنّ الشاعر أراد أن يؤكّد اختصاص دم الشّهادة بتحقيق النّصر .

٢- لا تُكْتَبُ قصص المجد والتّضحية إلّا بالدماء، ولو لم يُقدّم الشاعر (الجار والمجرور) لكان هناك شكٌّ أنّها تُصاغ بِمداد الدّماء، وبغيرها، ولكنّ التّقديم جعل الدّماء مختصةً بكتابة قصص المجد والتّضحية .

٣- ذَكَرَ الشّاعر البيت الثالث من تلك النماذج المختارة ضمن مقطع يتحدّث فيه عن فلسطين المغتصبة، فأراد الشاعر أن يبيّن أنّ هضابَ فلسطين عطشى، ولنّ ترتوي إلّا بدماء الشّهداء . فاختصّت تلك الدّماء - بفضل تقديمها - بالشّرب لحد الارتواء لهذا النوع من العطش .

ونخلص بعد هذا العرض إلى أنّ الشّهادة من وجهة نظر الشاعر تختصُّ بـ :

- تحقيق النصر . - تسطير قصص المجد والكفاح . - إعادة ما اغتُصِبَ من أراضٍ عربية .
- والذي أفاد كل تلك الحقائق تقديم الجار والمجرور على عامله فعله .

٤- اقتصار تحقيق النّصر ونيل الشّهادة، واسترجاع الأوطان على الدّماء - التي ترمز للتّضحية- فبدونها لن تُحَقَّقْ أَهْدَافٌ .

النّمط الثاني: تقدّم الجار والمجرور على الفاعل . جاء هذا النّمط في شعر مبارك بن سيف في

(ثمانية ومائة) موضع، منها:

• قوله في قصيدته (الشّوارع الخلفية)^(١) :

ثُمَّ يَأْتِي مِنْ زَوَايَا شَارِعِ خَلْفِي

مِنْ زَوَايَا اللَّيْلِ مِنْ كُلِّ الْجِهَاتِ

مِنْ مَوَاقِيرِ السُّكَّارَى هَمَهَمَاتِ

هَمَهَمَاتِ؛ فاعل مؤخر .

(١) الأعمال الشعريّة، ص ٦٠ . (الرمّل)

• وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(١):

فِي سِيرَةٍ هِيَ كَالشَّهَابِ بَرِيقُهَا ضَاءَتْ بِشَطِّكَ سِيرَةٌ سَمَحَاءُ

يُلاحظ أنَّ الشاعر قدَّم (الجار والمجرور) المشتمل على ضمير يعود على الخليج العربي على الفاعل في إشارة قد تدلُّ على:

- اهتمام الشاعر بالخليج، وبيان مكانته الرفيعة لديه .

- اختصاص الخليج العربي بالصفة - موضوع الحديث - وليس سواها. وكأنَّه ينفرد بها.

وجاء تقديم الجار والمجرور مراعاةً للقافية في قوله في قصيدته السابقة نفسها^(٢):

فِي غَيْهَبِ الدِّيَجُورِ فِي ظُلُمَاتِهِ ظَهَرَتْ بِوَادِي مَكَّةِ أَضَوَاءُ

فلو جعل الشاعر الجملة الشعرية برتبتها المحفوظة (ظهرت أضواء بوادي مكة)؛ لاختلت القافية التي بُنيت عليها القصيدة لذلك اضْطُرَّ لتقديم الجار والمجرور على الفاعل (أضواء) .

النَّمط الثالث: تقدُّم الجار والمجرور على المفعول به . وجاء هذا النمط في شعر مبارك بن

سيف في (ثمانية وثمانين) موضعاً، منها:

• وقوله في قصيدته (إطلالة الفجر)^(٣) :

أَعَانِقُ فَيْكَ رَبِيعَ الْحَيَاةِ وَأَقْطِفُ مِنْكَ جَنِّي الْقُبْلِ

قدَّم الشاعر الجار والمجرور (فَيْكَ، مِنْكَ) على المفعول به (رَبِيعَ، جَنِّي) في البيت مرتين، ولعلَّه أراد من وراء ذلك:

- التأكيد على تعلق الشاعر بالحياة، ودليل ذلك تكرار ضمير الخطاب العائد على (الحياة) .

- اختصاص الحياة بمحبة الشاعر وتقديره لها. يتضح هذا بتقديمه الجار والمجرور على المفعول

به، ولو جاءت الجملة الشعرية برتبتها المحفوظة: (أَعَانِقُ رَبِيعَ الْحَيَاةِ فَيْكَ)؛ لعبرت عن عشق

الشاعر لربيع الحياة، وليس للحياة نفسها .

(١) السابق نفسه، ص ٩٦ . (الكامل)

(٢) نفسه، ص ١٢٨ . (الكامل)

(٣) الأعمال الشعرية، ص ٥٩ . (المقارب)

• وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج) ^(١) :

فَشَرِبْتَ مِنْ ظَلَمِ الْغَزَاةِ وَغَدِرِهِمْ كَأْسَ الْمُنَى فَتَفَرَّقَ الْأَبْنَاءُ

عبر الشاعر في هذا البيت عن أمرين مهمين:

الأول: الظلم الذي تعرّض له الخليج العربي على يد الغزاة. يتّضح هذا عن طريق تقديم الجار والمجرور (من ظلم الغزاة) على المفعول به (كأس المنى) .

الثاني: رفع شأن الخليج ومكانته؛ لأنّه يشتمل على كنوز أمان تُغري الغزاة؛ لتحقيق مطامعهم؛ إذ كان الظلم للخليج لما فيه من موارد يطمع بها الغزاة .

• وقوله في قصيدته (عندما يطول الانتظار) ^(٢) :

أَوْدَعْتُ شَمْسِي فِي الْجُفُونِ

أَخْشَى عَلَيْهَا يَا نُسَيْمَاتِ الصَّبَا

كَيْدَ السَّنِينِ

بيّن الشاعر أنّه أكثر خوفاً على محبوبته التي رمز لها بـ (شمسي) من خوفه على نفسه من غدر السنين. وتقديم الجار والمجرور (عليها) على المفعول به (كيد السنين) هو ما أفاد ذلك، ولو جاءت العبارة الشعريّة بلا تقديم لما تولّد هذا المعنى .

• وقوله في قصيدته (تأملات في ليلة صيفية) ^(٣) :

وَتَبَعْتُ فِي فُؤَادِي الدَّفْءَ

وَتَرَمِي مِنْ وَرَاءِ الْبُعْدِ..

سَمْرَائِي وَشَاخَ اللَّيْلِ

جاء تقديم الجار والمجرور (في فؤادي، من وراء البعد) على المفعول به (الدّفء، وشاخ الليل)؛ للتعبير عن اختصاص الفؤاد بالدّفء الذي تبعته (عينها)، كما أفاد اختصاص ليالي الصيف بالطول، فالصيف يرمي الليل بوشاح الظلام .

(١) السّابق نفسه، ص ١٤٠ . (الكامل)

(٢) نفسه، ص ٢٠٥ . (من الكامل)

(٣) الأعمال الشعريّة، ص ٢٣٠ . (الهمز)

• وقوله في مسرحيته الشعريّة (الفجر الآتي)^(١) :

لا ضاق بالصدر رجاء

يا باعنا في القلب ألوان الضياء

تقديم الجار والمجرور (في القلب) على المفعول به (ألوان) يفيد اختصاص القلب بـ (الهداية) ، ولولا هذا التقديم لتبادر للذهن أنّ هناك مكاناً آخر للهداية .

٢ - الظرف .

النمط الأول: تقدّم الظرف على الفعل . وجاء هذا النمط في شعر مبارك بن سيف في (ستة وثلاثين) موضعاً ، والجدول الآتي يبيّن الظروف المستخدمة في التقديم :

العدد	الظروف
٢٠	الْيَوْمَ (٨) ، غَدًا (٣) ، أحيانًا (٢) ، دَوْمًا (٢) ، دَائِمًا (٢) ، أَبَدًا (٢) ، أُمْسِيَّةً ، عِنْدَ .
١٦	عِنْدَ (٢) ، فَوْقَ (٣) ، بَيْنَ (٢) ، هُنَا (٢) ، حَوْلَ (٢) ، هُنَاكَ (٢) ، مَعَ ، حَيْثُ ، نَحْوَ ، خَلْفَ .
٣٦	المجموع . ←

ومما ورد من ظروف مقدّمة على الفعل في شعر مبارك بن سيف ، ما يأتي :

• قوله في قصيدته (سفن الغوص البائسة)^(٢) :

تَلْسَعُ الْجِلْدَ فَشَمْسِي ...

دَائِمًا تَعْشُقُ جِلْدَ الْأَشْقِيَاءِ

قدّم الشاعر ظرف الزّمان (دائمًا) على فعله (تعشق) ، وقد أفاد التقديم المعاني الآتية :

- لا يمكن أن نتصوّر أنّ الشّمسَ تترك جسم الغوّاص ولو للحظات قليلة .

- اختيار الظرف (دائمًا) يؤكّد استمرارية معاناة الغوّاص (الشّقيّ) من شدّة لسع أشعة الشمس لجسده العاري . ولولا هذا التقديم لتبادر للذهن أنّ الشّمسَ تَلْسَعُ الجلد تارةً ، وتتركه أخرى .

(١) السّابق نفسه، ص ٣٠٥ . (الرجز)

(٢) نفسه، ص ٢٥ . (الرمل)

- وقوله في قصيدته (الشَّوَارِعُ الْخَلْفِيَّةُ) ^(١) :

بَيْنَ دُخَانِ السَّهَارَى

وَسُعَالِ الْعَاثِرَاتِ

وَهُنَا خَلْفَ الطَّرِيقِ

تَوْجَدُ الْحَانَاتُ .. أَسْوَاقُ الرِّقِيقِ

اشتمل المقطع على ثلاثة ظروف مكانية، هي: بَيْنَ، وَهْنَا، وَخَلْفَ. وجاءت متقدمة على فعلها (توجد) لغرض بلاغي ملخصه اختصاص هذه الأماكن - دُخَانِ، وما يلحقه من سُعَالِ، وَخَلْفَ الطريق - بوجود الحانات فيها، فتقديم هذه الظروف أفاد اختصاصها بوجود الحانات فيها.

- وقوله في قصيدته (لقاء عابر مع حاتم طيٍّ) ^(٢) :

دَرَأَتِ الظُّمَأُ

وَعِنْدَكَ يُقْبِرُ جُوعُ الْجَوَارِ

تقديم الشاعر لظرف المكان المضاف إلى ضمير الخطاب الذي يعود على حاتم الطائي (عندك) على فعله (يُقْبِرُ) يفيد اختصاص المكان الذي يقيم فيه حاتم بالقضاء على الجوع. فَمَنْ يجاور حاتم الطائي لا يمكن أَنْ يجوع، أو اقتصار الشَّيْءِ (عكس الجوع) على المكان الذي يوجد فيه حاتم الطائي .

النَّمط الثاني: تقدُّم الظَّرْفِ على الفاعل:

وجاء هذا النَّمط في شعر مبارك بن سيف في (اثني عشر) موضعاً. والجدول الآتي يوضِّح الظروف التي تقدّمت على الفاعل:

العدد	الظَّرُوف
٤	ظروف الزَّمان . مَعَ، عِنْدَ، بَعْدَ، الْغَدَاةَ .
٨	ظروف المكان . نَحْوُ(٢)، بَيْنَ(٢)، بَعْدَ، مَعَ، خَلْفَ، لَدَى .
١٢	المجموع. ←

(١) الأعمال الشعريَّة، ص ٦٠ . (الرملة)

(٢) السَّابِق نفسه، ص ٢٠٧ . (من المتقارب)

ومما ورد من ظروف مقدّمة على الفعل في شعر مبارك بن سيف، ما يأتي:

- قوله في قصيدته (فلسطين موطن الأديان)^(١) :

سُنْعِيدُ الْقُدْسِ الْحَبِيبُ صَفَاءُهُ لِتُضِيءَ بَعْدَ حَدَادِهَا أَعْيَادِي

للعيد بهجة وسعادة، وعلى الرغم من ذلك نجد الشاعر يُقدِّم الظرف (بعد حدادها) على الفاعل (أعيادي)؛ ذلك أنّ الحداد الذي يرمز للحزن هو المسيطر على الشاعر حتى في الأعياد . التي ترمز للفرح .. فالتقديم جاء بهدف بيان الحالة النفسية المسيطرة على الشاعر، وهي حالة الحزن التي ينبغي إبعادها على الأقل في الأعياد .

- وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٢) :

تَسْقِيهِ حَرْمَانًا وَمَاءَ عُلُقَمًا وَتَطُوفُ بَيْنَ بُيُوتِهِ الْأَرْزَاءُ

تقديم الشاعر للظرف (بين بيوته) على الفاعل (الأرزاء) دلّ على اختصاص البيوت بالأرزاء، أو دلّ على أنّ الأرزاء لم تختار مكاناً آخر سوى بيوت أبناء الخليج لتمكث بينها في سنوات القحط التي مرّت على المنطقة. هذا من ناحية، ومن الناحية الأخرى جاء تقديم الظرف على الفاعل مراعاة للقافية؛ إذ لا تستقيم قافية القصيدة بتأخير الظرف وتقديم الفاعل .

- وقوله في المسرحية الشعريّة (الفجر الآتي)^(٣) :

وَلَكِنْ سَتَرْتُدُّ نَحْوَ الرِّقَابِ

سَيُوفٌ يَهِيْمُ بِهَا الثَّأْرُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ

جاء هذا المقطع على لسان أمية يُهدّد به آل هاشم ويتوعدهم. فتقديم الشاعر للظرف (نحو الرّقاب) على الفاعل (سيوف) تأكيدٌ على أنّ تلك السيوف ستسلط على رقاب آل هاشم وحسب، وهي رمز العزة والفخار. فتسليط السيوف على الرّقاب يحمل معنى الإهانة والإذلال .

النّمط الثالث: تقدّم الظرف على المفعول به :

ورد في (أحد عشر) موضعاً، والجدول الآتي يبيّن الظروف التي تقدّمت على المفعول به:

(١) الأعمال الشعريّة، ص ٨٤. (الكامل)

(٢) السّابق نفسه، ص ١٥٨. (الكامل)

(٣) نفسه، ص ٢٢٤. (المقارب)

العدد	الظُروف
٦	ظروف الزّمان . مَعَ، صباح، أَحْيَانًا، الْفَدَاةُ، الْآنَ، الْيَوْمَ .
٦	ظروف المكان . بَيْنَ (٢)، بَعْدَ، قُرْبَ (٢)، خَلْفَ .
١٢	المجموع. ←

ومما جاء من شواهد في شعر مبارك بن سيف تقدّم فيها الظرف على المفعول به:

- قوله في قصيدته (بين هياكل عشتار - المشهد الأول -) ^(١) :

وَالظِّلُّ يُجُوبُ الْأَرْضَ لِيَبْحَثَ عَنْ مَاوَى

وَيُعَانِقُ بَعْدَ لَهَا أَقْدَامَ الْأَشْجَارِ

قدّم الشاعر في المقطع صورة فنية رائعة فالظّل يعانق، وللاشجار أقدام يُعانقها الظّل بعد التعب، وتقديم الظرف (بعد لهاث) على المفعول به (أقدام) يُعبر عن التعب الكبير والمعاناة.

- وقوله في قصيدته (ذكريات في ليلة شتوية) ^(٢) :

وَأَذْكُرُ بَيْنَ النَّخِيلِ لِقَاكَ

كَحُورِيَّةٍ غَارَ مِنْهَا الْوُرُودُ

يدلّ تقديم الظرف (بين النخيل) على المفعول به (لِقَاكَ) على اختصاص المكان باللقاء.

- وقوله في قصيدته (ذكريات الطفولة) ^(٣) :

رَمَيْتُ بِضُرْسِيكُمَا فِي السَّمَاءِ

لِتُهْدِيَ ذَاتَ صَبَاحٍ

مَعَ الْفَجْرِ أُخْرَى جَمِيلَةً ؟

ذكر الشاعر - على التوالي - ظرفين للزمان، وقدّمهما على المفعول به؛ للدلالة على أهميته من ناحية. ومن الناحية الأخرى للتأكيد على الأسطورة الشعبية التي تهتم بأدق التفاصيل، فإرجاع الأسنان للطفل لا تكون إلا في الصباح ومع الفجر.

(١) الأعمال الشعريّة، ص ٣٥. (المتدارك)

(٢) السّابق نفسه، ص ٧٢. (المتقارب)

(٣) نفسه، ص ٧٨. (من المتقارب)

٣- الحال .

يرى النُّحاة^(١) أنّ الحال فضلة يَسْتغْنِي الكلام عنها، ويصحُّ بدونها؛ ولهذا أجازوا تأخيرها، وأجازوا حذفها.

وجاءت الحال مُتقدِّمة على الفعل والفاعل (صاحب الحال) في شعر مبارك بن سيف في

(عشرة) مواضع، منها:

- قوله في قصيدته (مذكرات شاعر من العالم الثالث - ١ -) ^(٢):

مُضْطَرًا أَبْقَى .. مُضْطَرًا

حَتَّى بَعْدَ الْقُرْنِ الْعَشْرِينَ

فالشاعر قدّم الحال (مُضْطَرًا)، على الفعل (أَبْقَى)، وعلى صاحب الحال (الضمير المستتر - أنا -)؛ لإفادة اختصاص الحاكم بهذه الحالة، وكأنّه أراد أن يؤكد بأنّ بقاء الحاكم في الحكم ليس لمطمع، وإنّما الاضطرار لذلك بمعنى حاجة الشعب له تضطره للاستمرار في الحكم حتّى بعد القرن العشرين. ولو جاء الشاعر بالحال حسب رتبته المحفوظة، فقال: أبقي مضطراً لبيّن أنّ الحال التي عليها الحاكم هو الاضطرار، لكنّ مجيئه بالحال مُتقدِّمة؛ أفاد بيان مدى الحاجة والاضطرار لاستمراره في الحكم .

- وقوله في قصيدته (مذكرات شاعر من العالم الثالث - ٢ -) ^(٣):

مَرْهُوًّا .. يَبْدُو كَالْعَادَةِ

وَعَظِيمًا يَبْدُو كَالْعَادَةِ

قدّم الشاعر الحال (مَرْهُوًّا) على الفعل (يَبْدُو)، وعلى الفاعل - صاحب الحال: ضمير مستتر تقديره هو يعود على الحاكم (سيدنا) .. وأفاد بهذا التقديم اختصاص الحاكم بصفة الزهو دائماً، ولو جاءت الحال غير متقدمة لبيّنت الحالة التي عليها الحاكم حسب .

(١) منهم: الزمخشري، المفصل، ص ٦١، وابن يعيش، شرح المفصل ٥٥٠٥٦/٢، وابن مالك ت ٦٧٢ هـ في ألفيته، ص ٢٤، وابن هشام،

شرح فطر الندي، ص ٢٣٤، ٢٣٥، شرح شذور الذهب، ص ٢٤٤ - ٢٤٦، وشرح ابن عقيل ٥٦٨/١.

(٢) الأعمال الشعرية، ص ١٧٩ . (المتدارك)

(٣) السابق نفسه، ص ١٨٢ . (من المتدارك)

وتقدّمت الحال في شعر مبارك بن سيف على الفعل وصاحبها؛ لأنّه اسم استفهام في (خمسة وعشرين) موضعاً، منها:

- قوله في قصيدته (عُشّاق الشّمس) ^(١):

عَلِّمُوهُ كَيْفَ يَرْكَعُ
كَي يَشُمَّ الْمَاءَ..

- وقوله في قصيدته (رفقة الصّبا) ^(٢):

أَهْفُوا إِلَى طَيْفِهَا صُبْحًا وَأُمْسِيَّةً آه لَهُ قَدْ تَوَارَى كَيْفَ أَسْلَاهُ؟

- وقوله في قصيدته (مذكرات شاعر من العالم الثالث - البعد الرابع) ^(٣):

يَا صِغَارِ يَا صِغَارِ
لَا تَكُونُوا أَغْبِيَاءَ
كَيْفَ تُدْمِي ذَلِكَ الْمَجْهُولَ جَمْرَةَ؟

٤- المفعول لأجله. وجد الباحث مَوْطِنِينَ قَدَّمَ فيهما مبارك بن سيف المفعول لأجله على الفعل والفاعل، هما:

- قوله في قصيدته (أنشودة الخليج) ^(٤):

خَجَلًا وَلَمَّا يَنْطِقُوا بِشَهَادَةٍ وَتَسَاءَلُوا: هَلْ تَعْبُدُ الصَّمَاءَ؟

- وقوله في قصيدته السّابقة نفسها ^(٥):

عُشِّقًا لِبَحْرِ لَا لِأَجْلِ غَنَائِمٍ بَذَلُوا دِمَاءَ مَا لَهَا أَفْيَاءَ

فاهتمام الشاعر ببيان السّبب دفعه ليقدمه على الفعل، فحجل هؤلاء مُقدّم على فعل النطق بالشّهادة بسبب خجلهم. وكذلك الحال في البيت الثاني، فالعشق للبحر مُقدّم على (بذل الدّماء)؛ ذلك أنّ السّبب أهم عند الشّاعر من الفعل نفسه وإن كان متضمناً لأعلى درجات التّضحية.

(١) الأعمال الشعريّة، ص ١٢. (الرمّل)

(٢) السّابق نفسه، ص ٢١. (البسيط)

(٣) نفسه، ص ١٩٣. (الرمّل)

(٤) الأعمال الشعريّة، ص ١١٠. (الكامل)

(٥) السّابق نفسه، ص ١٥٥. (الكامل)

الباب الثاني

الحذف في شعر مبارك بن سيف آل ثاني، ويشمل :

- الفصل الأول : الحذف في العناصر الإسنادية (الجملة الاسمية) ويشمل :

أولاً: الحذف في الجملة الاسمية، وفيه :

(١) مفهوم الحذف .

(٢) حذف المسند إليه (المبتدأ) .

(٣) القيم الدلالية لحذف المسند إليه (المبتدأ) .

(٤) حذف المسند (الخبر) .

(٥) القيم الدلالية لحذف المسند (الخبر) .

(٦) حذف الجملة الاسمية .

(٧) استنتاجات حول قضايا الحذف في الجملة الاسمية في شعر مبارك بن سيف.

- الفصل الثاني : الحذف في الجملة الفعلية، ويشمل :

(١) حذف الفاعل . حذف المفعول به .

(٢) حذف العامل في المصدر .

(٣) حذف الفعل وجوباً بعد إذا الشرطية .

(٤) حذف فعل القسم .

- الفصل الثالث : الحذف في العناصر غير الإسنادية، ويشمل :

(١) حذف المفعول به .

(٢) حذف الموصوف .

(٣) حذف الفاء الواقعة في جواب الشرط .

(٤) حذف حرف النداء .

الفصل الأول

الحذف في العناصر الإسنادية (الجملة الاسمية)، ويشمل:

أولاً: الحذف في الجملة الاسمية، وفيه:

- (١) مفهوم الحذف .
- (٢) حذف المسند إليه (المبتدأ) .
- (٣) القيمة الدلالية لحذف المسند إليه (المبتدأ) .
- (٤) حذف المسند (الخبر) .
- (٥) القيمة الدلالية لحذف المسند (الخبر) .
- (٦) حذف الجملة الاسمية .
- (٧) استنتاجات حول قضايا الحذف في الجملة الاسمية في شعر مبارك بن سيف.

- الفصل الأول : الحذف في العناصر الإسنادية (الجملة الاسمية) ويشمل :

(١) مفهوم الحذف :

تذكر المعاجم اللغوية^(١) دلالات متعددة للجذر الثلاثي للفظة : الحَذَف (ح ذ ف) ، منها :

- الإسقاط .

- الأخذ، يُقال: حَذَفْتُ من شعري، ومن ذَنْب الدَّابة، أي: أخذتُ، وحَذَفُهُ من شعره: أخذه .

- القطع، وحَذَفْتُ رأسه بالسيف، إذا ضَرَبْتَهُ، فَقَطَعْتَ منه قِطْعَةً، وحَذَفَ الشَّيْءَ يَحْذِفُهُ، وأُذِنَّ حَذَفًا كأنَّها حُذِفَتْ. أي: قُطِعَتْ .

- الطَّرح، والحُذَافَة: ما حُذِفَ من شيء فطُرِحَ .

تلتقي المعاني اللغوية لكلمة (حَذَفَ) المعنى الاصطلاحي لمفهوم (الحذف)، حيث ذكر علي بن محمد الجرجاني المتوفى ٨١٦ هـ تعريف الإسقاط في علم العروض، فقال: « هو إسقاط سبب خفيف، مثل: (لُنْ) من (مَفَاعِيلُنْ) ليبقى: مَفَاعِي »^(٢).

فَالْحَذَفُ يعني التَّرك، أو الإسقاط. أي: إسقاط عنصر من عناصر التَّركيب، أو الاستغناء عن جزء من الكلام لدلالة سياق الحال عليه، وجعل الدكتور فريد عوض حيدر^(٣) لسياق الحال عناصر هي: المتكلم، والمستمع، وأثر الحدث الكلامي في المستمع، والمكان، ثم قام بتحليل هذه العناصر من خلال أمثلة من التراث العربي. ينبغي ألا يُفهم من هذا أنَّ العنصر المحذوف لا يعني في التَّركيب شيئاً، بل قد لا تقلُّ أهميته أحياناً عن أهمية المذكور، يقول ابن جني: « وإنَّما كلامنا على حذف ما يُحذف، وهو مُراد »^(٤)، ويشرح ابن جني كلامه هذا بمثال يبيِّن فيه أنَّ قولنا: (انْطَلَقَ زَيْدٌ)، يُقصدُ به: الإخبار عن زيد بالانطلاق؛ ولذلك لم يذكر القائل شيئاً من الفضلات: كالمصدر، والظرف، والحال، والمفعول له، والمفعول معه... فالمحذوف إذا يُمثِّلُ عنصراً مهماً من عناصر الجملة، فهو يؤدي وظيفة تركيبية ودلالية. وبالتالي فهو مراد وإن كان غير ملفوظ. ولكنَّ لفظه، أو تركه يخضع لاعتبارات يريدها المتكلم أحياناً، وتقرضها دلالة السياق، أو الحال المشاهدة أحياناً أخرى التي تُمثِّلُ مُسوَّغاً ثابتاً للحذف .

(١) منها: الصَّاح، للجوهري، (حذف) ١٣٤١/٤، ومجمل اللغة، لابن فارس، (حذف)، ص ١٦٠، والمحكم والمحيط لابن سيده، (الحاء الدال والفاء) ٢٩١/٣، ولسان العرب، لابن منظور، (جمل) ٢٠٣ / ٣، تاج العروس للزبيدي (حذف).

(٢) التعريفات، ص ١١٧ .

(٣) يُنظر: فصول في علم الدلالة، ص ١٣٩ - ١٤٤ .

(٤) الخصائص، ٣٧٩/٢ .

(٢) حذف المسند إليه (المبتدأ) .

حُذِفَ المبتدأ في شعر مبارك بن سيف في (مائة وستة) مواضع، وجاء الحذف وفق الأنماط الآتية:

النمط الأول: النعت المقطوع إلى الرفع في مدح . حُذِفَ المبتدأ؛ لأنّ الخبر نعتٌ مقطوع في موقف المدح في شعر مبارك بن سيف في (ثلاثة) مواضع، منها :

• قوله في قصيدته الشعريّة (بحر الزمرد) ^(١):

تَمْضِي وَقَدْ ضَمَّتْ قُلُوبَ كَوَاسِرٍ صَبِرَ الرِّجَالُ عَزَائِمَ لَا تَفْتَرُ
الْبَاحِثُونَ عَنِ اللَّائِي عَنَوَ وَالسَّاهِرُونَ الْمُتَعَبُونَ الضُّمَرُ

الباحثون: خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هم . فالشاعر مهتم بإبراز صفات الغواصين الذين يركبون تلك السفائن؛ ولذلك أعرض عن ذكر المبتدأ مكثفياً بتقديره؛ ولهذا جعل الخبر في صدارة الجملة مكان المبتدأ إبرازاً لهذه الصفة واهتماماً بها. وقد أتى بالخبر على صيغة اسم الفاعل للتأكيد على أنّ دأبهم في الحياة هو استمرار البحث عن اللآئى، على ما فيها من مصاعب وأخطار .

• وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج) ^(٢) :

عَرَبٌ بِشَطِيطِكَ الْكِرَامُ عَرَفَتْهُمْ دَهْرًا، فَمَا بَيْنَ الْجَوَارِ بِنَاءُ

عَرَبٌ: خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هم. وحذف الشاعر المبتدأ؛ لأنّه مهتم بالخبر والذي يعكس صفة يتفاخر بها كل عربيّ، وهي صفة الكرم. ولعلّ هذه الصفة تعظم كلّما دعت الحاجة إليها، وأي حاجة لتحقق تلك الصفة في سني القحط والجوع حيث يتخطّف الموتُ الفقراء الجوعى؛ فقد تحدّث الشاعر في البيتين السابقين عن سنوات القحط التي لحقت بعرب الخليج؛ مما دفعهم للنزوح إلى الشاطئ الفارسيّ متحمّلين المهالك، وشقاء الحياة. يقول في قصيدته السابقة نفسها ^(٣):

هَرَبُوا مِنَ الْمَوْتِ الْمُقِيمِ بِأَرْضِهِمْ لَمَّا سَعَتْ بِأَوَارِهَا الشَّهْبَاءُ
فَالْجُوعُ يَدْفَعُ كُلَّ ذِي كَبِدٍ إِلَى خَوْضِ الْمَهَالِكِ، وَالْحَيَاةُ شَقَاءُ

(١) الأعمال الشعريّة، ص ٤٩ . (الكامل)

(٢) السابق نفسه، ص ١٢٥ . (الكامل)

(٣) نفسه، ص ١٢٥ . (الكامل)

فالشاعر آثر حذف المبتدأ، مكتفياً بذكر الخبر؛ لينبّه المخاطب لأهمية الخبر (صفة الكرم التي اتّصف بها العرب)؛ لأنه أراد إظهار ما يأتي:

أولاً: الهروب من الموت المحقق الذي سببته سنوات القحط.

ثانياً: فسّر الشاعر مفهوم (الجوع) الوارد في البيت الثاني: فالجوع يدفع... بالموت.

ثالثاً: بيّن أنّ الجوع إذا لحق بأي مخلوق (كلّ ذي كبد)؛ فإنّه يدفعه لأنّ يخوض الصّعب، والمهالك، وهو ما يُطلق عليه: صراع البقاء.

رابعاً: كلّ ما تقدّم قد يجعل الإنسان المُبتلى - بهذه المِحَن: الجوع، القحط، خوض المهالك - فاقداً لصفات تحلّى بها، كالكرم. ولكن ومع كلّ ذلك يبقى العربيّ كريماً بأخلاقه مُتحملاً الجوع، وسني القحط؛ ولهذا آثر الشاعر ذكّر هذه الصفة حادفاً المبتدأ. وجاء حذف المبتدأ وذكّر الخبر مؤكّداً على تلك الصّفات.

النمط الثاني: حذف المبتدأ؛ لأنّ الخبر مخصوص بالمدح، أو بالذّم في شعر مبارك بن سيف في (خمسة) مواضع، وجاءت على النحو الآتي:

(١) **في موقف المدح،** حذف المبتدأ؛ لأنّ الخبر مخصوص بالمدح في موضع، هو قوله في مسرحيته الشعريّة (الفجر الآتي) ^(١) :

نَعَمْ الْحَدِيثُ أَبَا الْوَلِيدِ

مَا جَاءَنَا الْيَوْمَ جَدِيدٌ

حذف المبتدأ، وهو المخصوص بالمدح وتقديره: حديثك، وجملة المدح (نعم الحديث): خبره.

(٢) **في موقف الذّم،** حذف المبتدأ؛ لأنّ الخبر جاء مخصوصاً بالذّم في قوله - على لسان أبي لهب - في مسرحيته الشعريّة (الفجر الآتي) ^(٢) :

إِنْ كَانَ قَبْلًا جَارَنَا

فَلَبِئْسَ ذَاكَ الْجَارُ جَارُ

جَارُ: (المخصوص بالذّم): خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو، أو المذموم.

(١) الأعمال الشعريّة، ص ٢٥٦ . (مجزوء الكامل).

(٢) السّابق نفسه، ص ٢٧٠ . (مجزوء الكامل).

وحُذِفَ الخبر، وهو مخصص بالذم في ثلاثة مواضع أخرى من شعر مبارك بن سيف، هي:

- قوله في قصيدته (سفن الغوص البائسة)^(١) :

قُلْ لَهُمْ: إِنِّي مَعَ الْأَمْوَاجِ آتٍ

وَيُحِ نَفْسِي بِئْسَ مُرًّا لَانتِظَارُ

- وقوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي)^(٢) :

أَبُو سَفْيَانَ: أَلَيْسَ بِجَارِكَ؟

أَبُو لَهَبٍ: وَبَيْتُ الْجَوَارِ

حُذِفَ المبتدأ، وهو المخصص بالذم تقديره: جوارك، وجملة (بئس الجوار): خبره .

- وقوله في مسرحيته الشعرية نفسها^(٣) :

بَيْتُ مَا قُلْتَ إِنَّمَا قَوْلُنَا دَاخِلَ الْغُرْفِ

المخصص بالذم محذوف، تقديره: قولك، وهو مبتدأ خبره جملة الذم (بئس ما قلت) .

النمط الثالث: حُذِفَ المبتدأ في (سبعة عشر) موضعاً: لأنه أخبر عنه بقسم صريح^(٤). منها:

- قوله في قصيدة (بحر الزمرد)^(٥) :

يَا نَجْمُ إِنَّكَ قَدْ شَهِدْتَ عَنَاءَهُمْ بِاللَّهِ يَا نَجْمَ الثُّرَيَّا تُخْبِرُ

بِاللَّهِ: (لفظ الجلالة) الجار والمجرور خبر لمبتدأ محذوف تقديره: يمين .

- وقوله في قصيدة (مناجاة الدهر)^(٦) :

فَوَاللَّهِ مَا أَنْتَ الْمُجِيبُ وَلَا الَّذِي يَرُدُّ قَضَاءَ إِنَّهُ الْعُمَرُ جَارِيَا

وَاللَّهِ: (لفظ الجلالة) الجار والمجرور خبر لمبتدأ محذوف تقديره: يمين .

(١) نفسه، ص ٢٧ . (الرمّل) .

(٢) الأعمال الشعرية، ص ٢٧٨ . (من المتقارب) .

(٣) الأعمال الشعرية، ص ٣١٢ . (مجزوء الخفيف) .

(٤) شرح ابن عقيل ١/ ٢٢٨ . وقد حكى هذه الحالة عن الفارسي .

(٥) الأعمال الشعرية، ص ٥٠ . (الكامل) .

(٦) السابق نفسه، ص ٥٣ . (الطويل) .

• وقوله في مسرحيته الشعريّة (الفجر الآتي)^(١) :

وَرَبِّكَ إِنَّ الْبَلَاءَ الْبَلَاءَ هُوَ الصَّدُّ عَنْ دَعْوَةِ شَافِيَةٍ

وَرَبِّكَ: (لفظ الجلالة) الجار والمجرور خبر لمبتدأ محذوف تقديره: يمين

النمط الرابع: حُذِفَ المبتدأ في شعر مبارك بن سيف؛ لأنّه وقع في جواب الاستفهام؛ وذلك في (تسعة) مواضع، منها:

• قوله في قصيدته (بين هياكل عشتار- المشهد الأول -)^(٢) :

مَا هَذَا الْخَلْقُ ؟

أَقْرَامٌ.. أَصْنَامٌ مِنْ أَحْجَارٍ ؟

أَقْرَامٌ، أَصْنَامٌ: خبر لمبتدأ محذوف جوازاً تقديره: هم، أو الخلق؛ لأنّه جواب استفهام بـ (ما).

• وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٣) :

هَذَا (ابْنُ مَا جَدَ) هَلْ نَسِيتَ شِرَاعَهُ ؟ عَلِمَ الْبِحَارِ، وَكَمْ هُمْ الْعُلَمَاءُ ؟

عَلِمَ: خبر لمبتدأ محذوف جوازاً تقديره: هو (ابن ماجد)؛ لأنّه جواب استفهام بـ (هل).

• وقوله في قصيدته (قراءة في كتاب قديم)^(٤) :

أَتَسْأَلُ عَنَّا

شُمُوسٌ تَلْعَنُ فِيهَا الضُّيَاءُ ؟

شُمُوسٌ: خبر لمبتدأ محذوف جوازاً تقديره: نحن؛ لأنّه جواب استفهام بـ (الهمزة).

النمط الخامس: إذا جاء المبتدأ بعد فعل القول، وما اشتق منه، نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ

عَقِيمٌ﴾^(٥)، أي: أنا عجوز عقيم.

وجاء المبتدأ محذوفاً بعد فعل القول، ومشتقاته في (اثنين وعشرين) موضعاً، منها:

(١) نفسه، ص ٣٠٥. (المتقارب)

(٢) الأعمال الشعريّة، ص ٣٥. (المتدارك)

(٣) السّابق نفسه، ص ١٣٦. (الكامل)

(٤) الأعمال الشعريّة، ص ٢١١. (من المتقارب)

(٥) سورة الذّاريات، آية ٢٩.

• قوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(١) :

قَالُوا: السَّلَامُ، فَإِنَّا مِنْ مَعْدِنٍ لَيْسَتْ لَهُ فِي الْكَائِنَاتِ سَوَاءٌ

السَّلَامُ: خبر لمبتدأ محذوف جوازاً تقديره: هو. فعل القول: (قالوا) .

• وقوله في قصيدته السابقة نفسها^(٢) :

قَالُوا: قَرَاصِنَةٌ وَقُلْنَا: فَتِيَّةٌ مُذْ مَوْلِدِ الدُّنْيَا هُمْ الطُّلَقَاءُ

قَرَاصِنَةٌ / فَتِيَّةٌ: خبر لمبتدأ محذوف جوازاً تقديره: هم. فعل القول: (قالوا، قلنا) .

• وقوله في قصيدته (قراءة في كتاب قديم)^(٣) :

أَقُولُ: هَرَاءٌ

فَيَنْهَرُنِي صَارِخًا: أَغْبِيَاءُ

هَرَاءٌ / أَغْبِيَاءُ: خبر لمبتدأ محذوف جوازاً تقديره: أنتم. فعل القول: (أقول، صارخاً) .

النَّمط السَّادِسُ: حُذِفَ الْمَبْتَدَأُ فِي شَعْرِ مَبَارِكِ بْنِ سَيْفٍ لِدَلَالَةِ الْحَالِ، أَوِ السِّيَاقِ عَلَى الْمَحْذُوفِ

في: (ثمانية وعشرين) موضعاً، منها :

• قوله في قصيدته (عودة إبريل)^(٤) :

حَيْرَانُ الْقَلْبِ فَهَلْ نَظَرْتُ عَيْنَاكَ ضِيَاءَ كَالسَّحْرِ

حَيْرَانُ: خبر لمبتدأ محذوف تقديره: (هو) . وحُذِفَ المبتدأ لدلالة السِّيَاقِ عليه .

• وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٥) :

قَابِيلُ أَمْ هَابِيلُ أَمْ مَاذَا أَرَى؟ فَيَضَانُ دَمٌ زَقَّهُ الْأَعْدَاءُ

قَابِيلُ: خبر لمبتدأ محذوف تقديره: (أهذا) . وحُذِفَ المبتدأ لدلالة السِّيَاقِ عليه .

(١) الأعمال الشعرية، ص ١٠٩ . (الكامل)

(٢) السابق نفسه، ص ١٥٤ . (الكامل)

(٣) نفسه، ص ٢١٣ . (من المتقارب)

(٤) الأعمال الشعرية، ص ٦٤ . (المتدراك)

(٥) الأعمال الشعرية، ص ١٦٣ . (الكامل)

• وقوله في قصيدته (رسالة من شهيد)^(١) :

نُجُومٌ... نُجُومٌ... نُجُومٌ...

أَرَى خَلْفَهَا ضَحِكَاتِ الْقَدَرِ

نُجُومٌ : خبر لمبتدأ محذوف تقديره: (هم، أي: الشهداء). وحُذِفَ المبتدأ لدلالة السَّيِّاق عليه.

النمط السَّابِق : حُذِفَ المبتدأ؛ لتقدُّم ذكر المحذوف في: (ثمانية وعشرين) موضعاً، منها :

• وقوله في قصيدته (أمجاد رمضان)^(٢) :

شَهْرٌ طَهُورٌ قَدْ سَمَتْ بِكَ أُمَّةٌ وَعَلَتْ مَرَاتِبُهَا وَأَنْتَ الْمُطْلَبُ

شَهْرٌ^(*) : خبر لمبتدأ محذوف تقديره: (أنت، أي: رمضان). وحُذِفَ المبتدأ لتقدُّم ذكره في البيت السَّابِق^(**). والتقدير: يا رمضان أنت شهرٌ طهورٌ.

• وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٣) :

وَشَهِدْتَ (ذَا يَزْنِ) يَسِيرُ بِجُنْدِهِ أَسَدٌ جَرِيحٌ خَلْفَهُ السُّجْنَاءُ

أَسَدٌ : خبر لمبتدأ محذوف تقديره: (هو، أي: سيف بن ذي يزن). وحُذِفَ المبتدأ لتقدُّم ذكره في الشَّطر الأول من البيت. وبهذا الإعراب يكون قد دخل في باب النعت المقطوع.

• وقوله في مسرحيته الشَّعْرِيَّة (الفجر الآتي)^(٤) :

أَنَا بِالَّذِي خَلَفَ الْكَوَاكِبَ مُسْتَجِيرٌ

عَطْشَانُ لَكِنْ مِنْ وَرَاءِ النَّارِ..

عَطْشَانُ : خبر لمبتدأ محذوف تقديره: (أنا). وحُذِفَ المبتدأ لتقدُّم ذكره في المقطع الأول.

(١) السَّابِق نفسه، ص ١٩٧ . (من المتقارب)

(٢) نفسه، ص ٧٣ . (الكامل)

(*) ويجوز فيه وجه آخر: شهرٌ: مبتدأ (نكرة موصوفة). قد سمت: الجملة الفعلية في محل رفع خبر.

(**) ونصه: رَمَضَانُ أَهْلًا غُرَّةً وَمُغْرَبٌ رَوَى الْعَطَّاشَى فِي الْهَجِيرِ الصَّيْبُ

(٣) الأعمال الشَّعْرِيَّة، ص ١٢٦ . (الكامل)

(٤) السَّابِق نفسه، ص ٢٨٥ . (من الكامل)

- حذف ما كان أصله مبتدأ (اسم الفعل النَّاسخ، اسم الحرف النَّاسخ) .

وحُذِفَ اسم الفعل النَّاسخ في شعر مبارك بن سيف في: (أربعين) موضعاً، منها :

• قوله في قصيدته (بين هياكل عشتار - المشهد الثاني) ^(١) :

تَغْرِسُ الظُّلْمَةَ فِي أَعْيُنِ شَمْسِي

كَانَ حُلْمِي أَمَلًا .. أَمْسَى رَمَادًا

اسم أَمْسَى محذوف لتقدّم ذكره (حُلْمِي) .

• وقوله في قصيدته (الشّوارع الخلفية) ^(٢) :

وَقَعَهَا كَاللَّيْلِ أَعْمَى

إِنَّمَا اللَّيْلُ هَبَاءٌ صَارَ مَعْصُوبَ الْعُيُونِ

حُذِفَ اسم صار؛ لتقدّم ذكره (الليل) .

• وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج) ^(٣) :

وَكَذَلِكَ التَّارِيخُ لَيْسَ بِغَافِلٍ بِهِ ذِكْرُكُمْ أَبْقَى وَفِيهِ جَزَاءٌ

اسم ليس محذوف لتقدّم ذكره (التاريخ) .

• وقوله في قصيدته (نوّارة ياعالمي الصّغير) ^(٤) :

وَتَقُولُ: أَنِّي لِلْحَقِيقَةِ أَنْ تَجِيءَ مِنْ الْخَيَالِ؟

وَأُظِلُّ أَسْأَلُ بِسَمَةِ الْفَجْرِ الْوُصَالِ

اسم (أُظِلُّ) محذوف؛ لدلالة السّياق عليه (أنا) .

وحُذِفَ الحرف النَّاسخ مع اسمه في شعر مبارك بن سيف في (موضعين)، هما :

(١) الأعمال الشعريّة، ص ٣٨ . (الرّمّل)

(٢) السّابق نفسه، ص ٦٠ . (الرّمّل)

(٣) نفسه، ص ١٦٤ . (الكامل)

(٤) الأعمال الشعريّة، ص ٢٢٤ (من الكامل)

• قوله في قصيدة (أنشودة الخليج)^(١):

فَكَانَهُنَّ ^(*)الرَّيْمُ فِي خُطَوَاتِهَا وَكَانَهُنَّ - إِذَا مَشَيْنَ - ظِبَاءُ

أَوْ نَحْلَةٌ وَسَنَى ^(**)يُدَاعِبُهَا الصَّبَا كَمْ فِي الْخَلِيجِ نُخَيْلَةٌ مَيْسَاءُ

حُذِفَ الحرف الناسخ (كَانَ)، واسمه الضمير المتصل: (هُنَّ). والتقدير: فكانهنَّ الرِّيمَ ..، أو كأنهنَّ نَحْلَةً وَسَنَى. ويجوز العطف على ظباء .

• وقوله في مسرحيته الشعريَّة (الفجر الآتي)^(٢):

إِنَّا حُمَاتُكَ شِعْرَى

حُمَاةُ تِلْكَ التَّوَاقِبِ

حُذِفَ الحرف الناسخ (إِنَّ)، واسمه الضمير المتصل: (نا). والتقدير: إِنَّا حُمَاةُ تِلْكَ التَّوَاقِبِ، ويجوز أن يكون (حُمَاةُ) بدلا من (حُمَاتُكَ) .

حُذِفَ الحرف الناسخ في شعر مبارك بن سيف في قوله في قصيدة (أنشودة الخليج)^(٣):

فَانْعَمْ خَلِيجِي إِنَّ سَعْدًا لَمْ يَزَلْ يَحْيَا وَعَمَّارًا لَهُ أَبْنَاءُ

الحرف النَّاسِخ المحذوف تقديره: (إِنَّ)، ويجوز عطف (عَمَّارًا) على (يَحْيَا) .

بعد هذا الاستعراض نجد أنَّ مجموع الحالات التي حُذِفَ فيها المبتدأ، أو ما كان أصله مبتدأ في شعر مبارك بن سيف قد بلغت: (تسعة وأربعين ومائة) موضع. وهذا ليس بالعدد اليسير؛ مما يوحي باهتمام الشاعر بالخبر من ناحية، ووضوح الدليل على حذف المبتدأ، فبدونه لا يصحّ الحذف لاسيما أنَّ المبتدأ هو محور الحديث ومركزه الرئيس، وقد يجعلنا هذا نؤكِّد على أنَّ حذف المبتدأ في شعر مبارك بن سيف لم يكن حذفًا غامضًا، أو حذفًا فيه إخلال - كما يقول قدامة بن جعفر - فيما ينقله عنه (الدكتور محمد حسنين أبو موسى): «ويُشير قدامة بن جعفر إلى فساد الشعر الذي يكون فيه دليل الحذف غامضًا، ويُسمِّيهِ (الإخلال)، وهو عنده من عيوب اللفظ والمعنى»^(٤) .

(١) السابق نفسه، ص ٩٩، ١٠٠. (الكامل)

(*) يعود الضمير (هُنَّ) على (العذارى) المذكورة في البيت قبل السابق: وَتَرَى الْعَذَارَى قَدْ خَلَيْنَ بِسَاحَةِ..

(**) وَسَنَى: «الْوَسْنَى: امرأةٌ وَسْنَى: فاترة الطرف، كَسَلَى مِنَ النِّعْمَةِ». يُنظر: المعجم الوسيط، (وسى) ١٠٤٥/٢ .

(٢) الأعمال الشعريَّة، ص ٢٨٩. (المجتث)

(٣) السابق نفسه، ص ١٦٩. (الكامل)

(٤) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، للدكتور محمد أبو موسى، ص ١١٧ .

وفيما يأتي جدول يوضّح الحالات التي حُذِف فيها المبتدأ في شعر مبارك بن سيف وعدد مرّات تكرارها في شعره مرتبة تنازلياً.

العدد	الحالة	التسلسل
٢٢	حُذِفَ المبتدأ بعد فعل القول، أو إحدى مشتقاته .	١
٢٣	= = لتقدّم ذكره .	٢
٢٨	= = لدلالة الحال، أو السياق عليه .	٣
١٧	= = لأنّه أخبر عنه بقسم صريح .	٤
٨	= = = جواب لاستفهام .	٥
٥	= = = مخصص بالمدح، أو الذم .	٦
٣	= = لأنّ خبره نعت مقطوع إلى الرفع .	٧
٤٠	= ما كان أصله مبتدأ (اسم الفعل الناسخ) .	٨
١	= ما كان أصله مبتدأ (اسم الحرف الناسخ) .	٩
١٤٧	المجموع ←	

يتضح من الجدول ما يأتي:

أولاً: حُذِف المبتدأ في شعر مبارك بن سيف في: (سبعة وخمسين ومائة) موضع، وهو في هذا يمتلك الجرأة اللغوية، والموهبة الشعرية التي تُمكنه من حذف عنصر رئيس في الجملة الاسمية ألا، وهو المبتدأ الذي يُعدُّ ركيزة أساسية للخبر، فالشاعر لا يتهيبُ من حذف المبتدأ؛ لأنّه أودع في الجملة ما يدلُّ عليه.

ثانياً: حُذِف ما كان أصله مبتدأ - اسم الأفعال الناسخة، والحروف الناسخة - في مواطن كثيرة بلغت (خمسة وثلاثين) موطناً .

ثالثاً: كثر حذف المبتدأ في شعر مبارك بن سيف في حال وروده بعد فعل القول، أو تقدّم ذكره، أو دلالة السياق، أو الحال عليه؛ إذ تكررت هذه الحالات الثلاث فيما يقرب من (ثلاث وثمانين) مرة .

رابعاً: كثر حذف المبتدأ كذلك؛ لأنّه أخبر عنه بقسم صريح، إذ تكررت هذه الحالة في: (ثمانية عشر) موضعاً .

خامساً: أمّا الحالات الأخرى فوردت بقلّة .

(٣) القيم الدلالية لحذف المسند إليه (المبتدأ) .

تَبَيَّنَ لَنَا أَنَّ الشاعِرَ مِبارَكَ بَن سِيفَ كانَ مُهْتَمًّا بِالخَبَرِ؛ لِذَلِكَ كَثُرَ فِي شَعْرِهِ حَذْفُ الْمَبْتَدَأِ، فَالْخَبَرُ فِي شَعْرِهِ طاعَ على المبتدأ؛ لِهَذَا عَمِدَ لِإِظْهَارِهِ وَإِبْرازِهِ. وَلَمْ يَكُنْ حَذْفُ الْمَبْتَدَأِ اعْتِبَاطًا، وَإِنَّمَا جَاءَ لِأَغْرَاضٍ مُتَعَدِّدَةٍ^(١)، مِنْهَا:

أَوَّلًا: الِاحْتِرازُ مِنَ الْعَبْثِ . يَقُولُ الدُّكْتُورُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَتِيقُ: «...المُرَادُ هُنَا بِالِاحْتِرازِ مِنَ الْعَبْثِ: أَنَّ مَا قَامَتْ عَلَيْهِ الْقَرِينَةُ، وَظَهَرَ عِنْدَ الْمُخاطَبِ يُعَدُّ ذِكْرُهُ عَبْثًا مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ يُقَلَّلُ مِنْ قِيَمَةِ الْعِبَارَةِ بِلَاغِيًّا، فَإِذَا تَقَرَّرَ ذَلِكَ قُلْنَا: إِنَّ الْمَبْتَدَأَ يَكْثُرُ حَذْفُهُ لِدَاعِي الِاحْتِرازِ مِنَ الْعَبْثِ»^(٢). وَيَقُولُ الدُّكْتُورُ مُحَمَّدُ أَحْمَدُ قاسِمٌ، وَالدُّكْتُورُ مُحْيِي الدِّينِ دِيبُ مَوْضَعَيْنِ الْمَقْصُودِ بِالِاحْتِرازِ: « الْمُرَادُ بِالِاحْتِرازِ مِنَ الْعَبْثِ أَنَّ الْمَسْنَدَ إِلَيْهِ مَعْلُومٌ بِحَيْثُ يُعَدُّ ذِكْرُهُ عَبْثًا يَقَلَّلُ مِنْ قِيَمَةِ الْعِبَارَةِ بِلَاغِيًّا »^(٣).

وَيَبَيِّنُ الدُّكْتُورُ مُحَمَّدُ أَحْمَدُ قاسِمٌ، وَالدُّكْتُورُ مُحْيِي الدِّينِ دِيبُ أَنَّ الْمَسْنَدَ إِلَيْهِ (المبتدأ) يُحذفُ احْتِرازًا فِي مَوَاضِعَ عَدَّةٍ^(٤)، هِيَ:

- وَقوعه بعد: الاستفهام.
- الفاء المقترنة بجواب الشرط.
- فعل القول، ومشتقاته.
- ضيق الصدر عن إطالة الكلام بسبب تضجّر وتوجّع.
- الحذر من فوات فرصة.
- تعجيل المسرّة بالمسند.
- إنشاء المدح، أو الذم، أو الترحّم.
- كون المسند إليه مُعَيَّنًا مَعْلُومًا. تَكثِيرُ الْفائِدَةِ.

وَمِمَّا وَرَدَ مِنْ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ فِي شَعْرِ مِبارَكَ بَن سِيفَ، مَا يَأْتِي:

أَوَّلًا: وَقوعُ الْمَسْنَدِ إِلَيْهِ فِي جَوَابِ الِاسْتِفْهَامِ، وَسَبَقَ أَنْ بَيَّنَّا أَنَّ الْمَبْتَدَأَ حُذِفَ بَعْدَ الِاسْتِفْهَامِ فِي شَعْرِ مِبارَكَ بَن سِيفَ فِي (ثَمَانِيَةِ) مَوَاضِعَ، مِنْهَا:

● قَوْلُهُ فِي قَصِيدَتِهِ (بَيْنَ هَيَاكِلِ عِشْتَارِ - الْمَشْهَدِ الْأَوَّلِ -)^(٥):

(١) بِتَصَرُّفٍ: عِلْمُ الْمَعْنَى، لِلدُّكْتُورِ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَتِيقٍ، ص ١٣٢ - ١٣٧، وَعِلُومُ الْبِلَاغَةِ، لِأَحْمَدَ مُصْطَفَى الْمِرَاغِي، ص ١٠٤ - ١٠٧، وَظَاهِرَةُ الْحَذْفِ فِي الدَّرْسِ الْلُغَوِيِّ، لِلدُّكْتُورِ طَاهِرِ سَلِيمَانَ حُمُودَ، ص ٨٩ - ١٠٠، وَعِلُومُ الْبِلَاغَةِ (الْبَدِيعُ وَالْبَيَانُ وَالْمَعْنَى)، لِلدُّكْتُورِ مُحَمَّدِ أَحْمَدَ قاسِمٍ، ص ٣١٥ - ٣١٧.

(٢) عِلْمُ الْمَعْنَى، ص ١٣٣.

(٣) عِلُومُ الْبِلَاغَةِ، ص ٣١٥.

(٤) السَّابِقُ نَفْسُهُ، ص ٣١٥ - ٣١٧.

(٥) الْأَعْمَالُ الشَّعْرِيَّةُ، ص ٣٥. (الْمَتَدَارِكُ)

مَا هَذَا الْخَلْقُ؟

أَقْرَأْ.. أَصْنَامٌ مِنْ أَحْجَارٍ؟

أَقْرَأْ، أَصْنَامٌ: خبر لمبتدأ محذوف جوازاً تقديره: هم، أو الخلق؛ لأنه جواب استفهامٍ بـ (ما).
وجاء الحذف لقيمة دلالية، وهي الاحتراز من العبث، فتكرار المبتدأ نوع من العبث.

• يقول في قصيدته (أنشودة الخليج)^(١):

هَذَا (ابْنُ مَاجِدٍ) هَلْ نَسِيتَ شِرَاعَهُ؟ عَلِمَ الْبَحَارُ، وَكَمْ هُمْ الْعُلَمَاءُ؟

عَلِمَ: خبر لمبتدأ محذوف جوازاً تقديره: هو (ابن ماجد)؛ لأنه جواب استفهامٍ بـ (هل). وحذف المبتدأ احترازاً لإعادة ذكره، وتجنباً للتكرار.

ثانياً: وقوع المسند إليه بعد فعل القول، ومشتقاته. وحذف المبتدأ - بعد فعل القول، ومشتقاته - في شعر مبارك بن سيف في (اثني عشرين) موضعاً، وسبق شرح ذلك. ومن الأمثلة الأخرى على ذلك:

• قوله في قصيدته السابقة نفسها^(٢):

قَالُوا: قَرَاَصِنَةٌ وَقُلْنَا: فِتْيَةٌ مُذْ مَوْلِدِ الدُّنْيَا هُمْ الطُّلَقَاءُ

قَرَاَصِنَةٌ / فِتْيَةٌ: خبر لمبتدأ محذوف جوازاً تقديره: هم. فعل القول: (قالوا، قلنا).

• قوله في قصيدته (قراءة في كتاب قديم)^(٣):

أَقُولُ: هُبْرَاءُ

فَيَنْهَرُنِي صَارِخًا: أَغْبِيَاءُ

هُبْرَاءُ / أَغْبِيَاءُ: خبر لمبتدأ محذوف جوازاً تقديره: أنتم. فعل القول: (أقول، صارخاً).

وحذف المبتدأ في المثالين احترازاً من العبث؛ لوقوعهما بعد فعلي القول؛ قال، وصارخاً.

ثالثاً: ضيق المقام عن إطالة الكلام بسبب تضجر وتوجع، وجاء حذف المبتدأ لهذا الغرض في

شعر مبارك بن سيف في (تسعة) مواضع موزعة على سببي الحذف لضيق المقام، وهما:

(١) الأعمال الشعرية، ص ١٣٦. (الكامل)

(٢) السابق نفسه، ص ١٥٤. (الكامل)

(٣) نفسه، ص ٢١٣. (من المتقارب)

الأول: التوجُّع. وجاء حذف المبتدأ لضيق المقام عن ذكره لانشغال الشاعر مبارك بن سيف عنه بسواه في (أربعة) مواضع، هي:

• قوله في قصيدته (سفن الغوص البائسة) ^(١) :

كَمْ مَكُنْنَا فَوْقَ جُنْحِ الْمَاءِ مَا بَيْنَ رَجَاءٍ وَرَجَاءٍ

وْظِلَامٍ دَامِسٍ الْأَرْجَاءِ يَغْتَالُ الضِّيَاءُ

ضُمِّرَ لَيْسَ لَنَا غَيْرَ التَّمَنِّي وَالْغِنَاءِ

ضُمِّرَ: خبر لمبتدأ محذوف تقديره: (نحن) يعود على الغواصين، وقد حذفه الشاعر توجُّعاً، كما أنَّ المقام يضيق عن ذكره؛ ذلك أنَّه مشغول بتصوير معاناة الغواصين الماكثين فوق جنح الماء في ظلام دامس.

• وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج) ^(٢) :

أَشْبَاهُ أَحْيَاءٍ تَرَى أَكْفَانَهُمْ وَعَلَى الْوُجُوهِ شَقَاؤُهُمْ سِيَمَاءُ

أَشْبَاهُ: خبر لمبتدأ محذوف تقديره: (هم) يعود على الغواصين، وقد حذفه الشاعر توجُّعاً، كما أنَّ المقام يضيق عن ذكره؛ ذلك أنَّه مشغول بتصوير معاناة الغواصين الذين ظهرت علامات الشقاء على وجوههم، فهم أشباه أحياء لما هم فيه من التعب والمعاناة .

• وقوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي) ^(٣) :

خُذْ .. ذَاكَ «مَقَالَ»

حَادِثَةٌ كُبْرَى

هَوْلٌ .. هَوْلٌ

حادثة / هول: خبر لمبتدأ محذوف تقديره الحادثة، فتوجُّع الشاعر لعظم الحادثة وهولها أشغله عن ذكر المبتدأ، فحذفه .

(١) الأعمال الشعرية، ص ٢٥ . (الرملة)

(٢) الأعمال الشعرية، ص ١٤٨ . (الرملة)

(٣) السابق نفسه، ص ٣٥ . (من المتدارك)

• وقوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي)^(١) :

وَهَذَا وَهَذَا بَقَايَا أَثَرِ

أَجَلِ سَيِّدِي

رَمَادُ وَنَارُ

رمادُ: خبر لمبتدأ محذوف تقديره: (البقايا)، وقد حُذف المسند إليه؛ لأنّ الغلام (قائل هذه العبارة لسيده أبي جهل) يريد أنّ يظهر توجعه وتحسره أمام سيده لتمكّن المسلمين من الخروج من مكة، وبالتالي نجاتهم؛ إذ لم يتبقّ منهم إلا ما يدلّ عليهم من بقايا (الرماد والنار). ولعل في تقديم الغلام الرماد على النار ما يؤكّد ارتباك الغلام أمام سيده؛ إذ من المعلوم أنّ النار مقدمة على الرماد؛ لأنّ الرماد نتاج النار، لكنّ انشغال الغلام بنجاة المسلمين، وتركيز فكره في الحديث عن تفاصيل الأثر دفعه لحذف المبتدأ، فالمقام لديه لا يتسع إلا للحديث عن آثار المسلمين وبقاياهم المؤكدة لهروبهم ونجاتهم .

(١) نفسه، ص ٣٣٥ . (من المتقارب)

رابعاً: الخوف، أو الحذر من فوات الفرصة، وجاء في (ثلاثة) مواضع، هي:

• قوله في قصيدته (ذكريات في ليلة شتوية) ^(١):

أُحَدِّثُ بَاقَةَ وَرْدٍ قَرِيبَةٍ

أَقُولُ لَهَا: تُشَبِّهِينَ الْحَبِيبَةَ

تُشَبِّهِينَ الْحَبِيبَةَ: (الجملة الفعلية: تشبهين الحبيبة) خبر لمبتدأ محذوف تقديره: (أنت)، فالشاعر أعرض عن ذكر المبتدأ؛ لأنه لا يريد أن يفوت فرصة ذكر الحبيبة، ولشدة حبه لها شبهه بآقة الورد بالحبيبة.

• قوله في قصيدته (فلسطين موطن الأديان) ^(٢):

قَالُوا: السَّلَامُ، فَقُلْتُ: مَحْضُ خَدِيعَةٍ لَيْسَ السَّلَامُ وَإِنَّمَا اسْتِبْعَادِي

مَحْضُ: خبر لمبتدأ محذوف تقديره: (هو) يعود على السَّلَام، وبهذا يكون قد اجتمع في البيت غرضان دلاليان، هما:

- الاحتراز من العبث؛ لأنَّ المبتدأ مذكور في الشَّطر الأول؛ ولأنَّه واقع في جواب الاستفهام.

- التَّعَجُّلُ في ذكر ما يتصف به السلام من الخديعة خوفاً من فوات فرصة وصفه بهذه الصِّفة، ويمكن أن يكون الحذف لقريئة أخرى، وهي تقدّم ذكره. فالحذف قد يُعزى لغير غرض في موضع واحد، يقول الدكتور طاهر حمودة: «وأغراض الحذف متعددة متنوعة، وقد يُعزى الحذف في موضع واحد إلى أكثر من غرض» ^(٣).

• وقوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي) ^(٤):

كَأَلَا دَعُونَا لِحُظَّةٍ

جَمْرٌ وَجَمْرٌ بَلْ وَنَارٌ

أصواتها في دار

(١) الأعمال الشعرية، ص ٧٢. (المقارب)

(٢) السابق نفسه، ص ٨٥. (الكامل)

(٣) ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، ص ٨٨.

(٤) الأعمال الشعرية، ص ٣٦٥. (من الكامل)

جَمْرٌ؛ خبر لمبتدأ محذوف تقديره: (هو) يعود على دعوة الإسلام. هذا المقطع جاء على لسان أبي جهل الذي يمتلئ قلبه حقداً على الإسلام ودعوته؛ لهذا سارع بذكر الخبر الذي يصف الدعوة بأنها أصبحت كالجمر الذي يندثر بالخطر الداهم، فهو متعجل بذكر الخبر خوفاً من فوات فرصة الاستماع إليه؛ ذلك أنّ القوم مشغولون في تلك اللحظة بالاستفسار من أبي سفيان عن مصير القافلة.

خامساً؛ إنشاء المدح، أو الذم، أو الترحم. ولاحظ الباحث أنّ الحذف بقصد هذا الغرض هو الأكثر تكراراً في شعر مبارك بن سيف، إذ ورد في مواضع عدة، وتفصيل ذلك فيما يأتي:

١ - **حذف المبتدأ لغرض المدح، والفخر، أو صيانة له عن الذكر تشريفاً وتقديراً**، وورد الحذف لهذا الغرض في نحو (أربعة عشر) موضعاً، منها:

● قوله في قصيدته (أمجاد رمضان) ^(١):

شَهْرٌ طَهُورٌ قَدْ سَمَتْ بِكَ أُمَّةٌ وَعَلَتْ مَرَاتِبُهَا وَأَنْتَ الْمُطْلَبُ

شَهْرٌ؛ خبر لمبتدأ محذوف تقديره: (أنت) يعود على رمضان، وحذف الشاعر المبتدأ؛ تشريفاً وتعظيماً له، ولتقدم ذكره.

● وقوله في قصيدته (رسالة من شهيد) ^(٢):

نُجُومٌ ... نُجُومٌ ... نُجُومٌ

أَرَى خَلْفَهَا ضَحِكَاتِ الْقَدَرِ

نُجُومٌ؛ خبر لمبتدأ محذوف تقديره: (هم) يعود على الشهداء، وحذف الشاعر المبتدأ لغرض المدح والفخر بمكانة الشهيد العظيمة.

● وقوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي) ^(٣):

وَكُنْتُ إِذَا مَا سَمِعْتُ أَبِي

يُحَدِّثُنِي عَنْ ظُهُورِ نَبِيٍّ

يَقُولُونَ عَنْهُ صَدُوقٌ أَمِينٌ

(١) الأعمال الشعرية، ص ٧٣. (الكامل)

(٢) السابق نفسه، ص ١٩٧. (من المتقارب)

(٣) نفسه، ص ٢٥٠. (المتقارب)

صَدُوقٌ؛ خبر لمبتدأ محذوف تقديره: (هو) يعود على الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وحَذَفَ الشاعرُ المبتدأ لغرضين، هما:

- المدح والفخر والتعظيم والتشريف لسيد الخلق محمد - عليه الصَّلاة والسلام - .

- احترازاً من العبث؛ لوقوعه بعد فعل القول (يقولون)، ولدلالة الهاء عليه.

٢- **حذف المبتدأ للذم والتحقيق**، وحذف المبتدأ في شعر مبارك بن سيف لهذا الغرض في (أربعة عشر) موضعاً، منها:

• قوله في قصيدته (فلسطين موطن الأديان) ^(١):

شَعْبُ هَذِهِ اللَّهِ فَاعْتَالَ الْهُدَى وَرَمَاهُ بِالْإِنْكَارِ وَالْإِلْحَادِ

شَعْبٌ؛ خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هم) يعود على: (اليهود)، فحذف المبتدأ ذمّاً وتحقيراً لليهود الذين اغتصبوا أرض فلسطين وهجّروا أهلها منها.

• وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج) ^(٢):

قَالُوا: قَرَاصِنَةٌ وَقُلْنَا: فَتِيَّةٌ مُذْ مَوْلِدِ الدُّنْيَا هُمْ الطُّلَقَاءُ

قَرَاصِنَةٌ / فَتِيَّةٌ؛ خبر لمبتدأ محذوف جوازاً تقديره: هم. فعل القول: (قالوا، قلنا).

اجتمع في هذا البيت سببان للحذف، هما:

السبب الأول: المدح (الافتخار بأنهم فتية كناية عن الحيوية والنشاط)، والذم (وصفهم بأنهم قراصنة، أي لصوص) .

السبب الثاني: وقوع الخبر بعد فعل القول .

• وقوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي) ^(٣):

أَجِنُّ أَوْلَيْكَ؟

أَأَشْبَاحُ لَيْلٍ خَفِيَ الْبَصَرُ؟

أَشْبَاحٌ؛ خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هم) يعود على: (المسلمين)، وحذف المبتدأ للذم والتحقيق.

(١) الأعمال الشعرية، ص ٨٥ . (الكامل)

(٢) السابق نفسه، ص ١٥٤ . (الكامل)

(٣) نفسه، ص ٣٣٥ . (من المتقارب)

٣- حذف المبتدأ للترحم، وحُذِفَ المبتدأ في شعر مبارك بن سيف لهذا الغرض في (خمسة) مواضع، منها:

• قوله في قصيدته (عودة إبريل)^(١):

حَيْرَانُ الْقَلْبِ فَهَلْ نَظَرْتُ عَيْنَاكِ ضِيَاءَ كَالسَّحْرِ

حَيْرَانُ: خبر لمبتدأ محذوف جوازاً تقديره: أنا، يعود على (الشاعر) الذي أراد أن يثير العطف والشفقة على الحال التي أصبح عليها، وهي حيرة القلب .

• وقوله في قصيدته السابقة (أنشودة الخليج)^(٢):

تَعَبٌ رَأَى نَبْعَ الصَّفَاءِ هُنَيْهَةً وَإِذَا بِصَوْتِ مَا جِ فِيهِ رُغَاءٌ

تَعَبٌ: خبر لمبتدأ محذوف جوازاً تقديره: هو، يعود على (الغواص). وحُذِفَ المبتدأ هنا ترحمًا على حال الغواص التي تثير العطف والشفقة، فهو في تعب دائم .

وبعد النظر في المواضع التي حُذِفَ فيها المبتدأ، وجد الباحث أن الحذف توزع على الأغراض الآتية:

أولاً: الوصف، وتكرر حذف المبتدأ في معرض الوصف في (سبعة عشر) موضعاً .

ورد الوصف في مواطن عدة مرَّ بعضها أثناء عرضنا لقضايا الحذف، ونذكر أمثلة أخرى هنا:

• قوله في قصيدته (مذكرات شاعر من العالم الثالث - ٢ -)^(٣):

الْبَدَلَةُ مِنْ صُوفٍ دَاكِنٍ ؟

صُوفٌ دَاكِنٌ ؟

قَفَّازٌ مِنْ جِلْدِ النَّمْرِ ؟

فِي قَيْظِ الصَّيْفِ ؟

انشغال الشاعر بالوصف جعله يُؤَثِّرُ حَذْفَ المبتدأ، ويكتفي بذكر الخبر.

(١) الأعمال الشعرية، ص ٦٤ . (المتدارك)

(٢) السابق نفسه، ص ١٤٧ . (الكامل)

(٣) الأعمال الشعرية، ص ١٨٢ . (من المتدارك)

• وقوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي)^(١) :

وَمَا الْأُخْبَارُ فِي مَكَّةَ ؟

ظِلَامٌ قَاتِمٌ الْأَلْوَانِ

اهتمام الشاعر بالوصف (قاتم الألوان) جعله يكتفي به؛ فيحذف المبتدأ .

ثانياً : الغزل، وورد هذا في (سبعة) مواضع. منها:

• قوله في قصيدته (الزهر من رسائلي)^(٢) :

كَالرَّيْمِ فِي خُطَوَاتِهَا أَمَّا الْقَوَامُ فَغُضُنْ بَانَ

إعجاب الشاعر بمحبوته وتغزله فيها جعله يحذف المبتدأ، وتقديره: هي .

• قوله في قصيدته (حلم شرقي الألوان)^(٣) :

وَعَيْنِي لَوْ- تُدْرِكِينَ-!!

جَعَلْتُكَ أَنْتِ الْحَيَاةَ

إعجاب الشاعر بمحبوته وتغزله فيها جعله يحذف المبتدأ، وتقديره قَسَمِي، أو يميني .

ثالثاً: المدح والفخر. ← سبق الحديث عن هذين الغرضين

رابعاً: الذم والتحقير. →

(٤) حذف المسند (الخبر) .

يرى العلوي ت ٥٧٤٥ هـ . صاحب الطراز - أنَّ حذف: « الخبر أكثر من حذف المبتدأ، ووجه ذلك هو أنَّ المبتدأ طريق إلى معرفة الخبر، فإذا كان الخبرُ محذوفاً، ففي الكلام ما يدلُّ عليه، وهو المبتدأ، وإذا حُذِفَ المبتدأ لم يكن في الكلام ما يدلُّ عليه؛ لأنَّ الخبر لا يكون دليلاً على المبتدأ »^(٤) . وسيقف الباحث على الحالات التي حُذِفَ فيها الخبرُ في شعر مبارك بن سيف؛ لمقارنتها مع الحالات التي حُذِفَ فيها المبتدأ .

(١) السابق نفسه، ص ٣٠٧ . (الهج)

(٢) نفسه، ص ٤٣ . (البحر: مجزوء الكامل)

(٣) الأعمال الشعرية، ص ١٧٥ . (البحر: من المتقارب)

(٤) الطراز، للعلوي اليماني ت ٧٤٥ هـ، ص ٧٢ .

حُذِفَ الخبر، أو ما كان أصله خبرًا في شعر مبارك بن سيف (واحد وأربعين) موضعًا تقريبًا، وجاء الحَذَفُ وفق الأنماط الآتية:

النَّمط الأول: حُذِفَ الخبرُ بعد (لولا) في شعر مبارك بن سيف في: (ثلاثة) مواضع، هي:

• قوله في قصيدته (البين والأقدار)^(١) :

لَوْلَا عِيُونُ الْبَيْنِ وَالْأَقْدَارِ لَهَوَيْتُهَا بِالسَّرِّ وَالْإِجْهَارِ

عِيُونُ: مبتدأ لخبر محذوف تقديره: موجودة أو كائنة .

• وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٢) :

لَوْلَا شُطُوطُ الْقَوْلِ أَوْ أَفْعَالِهِ لَتَأَمَّرْتُ فِي عَهْدِهِ الْغَوْغَاءُ

شُطُوطُ: مبتدأ لخبر محذوف تقديره: موجود أو كائن .

• وقوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي)^(٣) :

وَمَنَاةَ إِنِّي قَاتِلٌ

ذَاكَ الْفَتَى لَوْلَا النَّسَبُ

النَّسَبُ: مبتدأ لخبر محذوف تقديره: موجود أو كائن .

وقد يتصل بـ (لولا) ضمير يدلّ على الاسم المضمّر، يقول سيبويه في: « هذا باب ما يكون مضمراً فيه الاسم متحوّلاً عن حاله إذا أظهر الاسم بعده... وذلك: لولاك، ولولاي، إذا أضمرت الاسم فيه جرّاً، وإذا أظهرت رفع. ولو جاءت علامة الإضمار على القياس لقلت: لولا أنت، كما قال سبحانه: ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾^(٤)، ولكنهم جعلوه مضمراً مجروراً. والدليل على ذلك أن الياء والكاف لا تكونان علامة مضمّر مرفوع، وهذا قول الخليل - رحمه الله - ويونس^(٥). وذكر ابن هشام^(٦) أن اتّصال الياء، والكاف، والهاء بـ (لولا) قليل .

(١) الأعمال الشعرية، ص ٤١ . (الكامل)

(٢) السابق نفسه، ص ١٣٤ . (الكامل)

(٣) نفسه، ص ٣٢٢ . (من الكامل)

(٤) سورة سبأ، آية ٣١ .

(٥) الكتاب، لسيبويه، ٣٧٣/٢، ٣٧٤ .

(٦) مغني اللبيب، ٢٧٤/١ .

وجاء مبارك بن سيف في شعره بـ (لولا) وقد وليها الضمير (الكاف) في قصيدته (أنشودة الخليج)^(١)، فقال:

لَوْلَاكَ - يَا بَحْرٌ - لَمَّا شَقِيَتْ بِهِ رُوحٌ وَلَا سُمِعَتْ لَهَا أَصْدَاءُ

لَوْلَاكَ: الكاف: ضمير متصل في محل جر بـ (لولا)، وموضع المجرور بها رفع بالابتداء، والخبر محذوف^(٢). لكن لم تذكر (لولا) ضمن حروف الجر. فعلاً جعل سببويه ما بعدها مجروراً؟!

النَّمط الثاني: حُذِفَ الخبر؛ لمجيء المبتدأ نصاً في القسم، نحو: لَعَمْرُكَ لأَفْعَلَنَّ، أي: لَعَمْرُكَ قَسَمِي. فَعَمْرُكَ: مبتدأ، وقَسَمِي: الخبر. وورد الخبر محذوفاً في شعر مبارك بن سيف؛ لأنَّ المبتدأ نصٌّ صريحٌ بالقسم في مسرحيته الشعريَّة (الفجر الآتي)^(٣) في قوله:

هَذَا لَعَمْرِي قَاتِلٌ

أَنَا لَا أَبَالِي بِأَعْبِيدٍ

لَعَمْرِي: مبتدأ لخبر محذوف وجوباً تقديره: قَسَمِي، أو يميني. وتركيب الجملة: لَعَمْرِي قَسَمِي هَذَا قَاتِلٌ. ولم يعثر الباحث على مثال آخر من شعر مبارك بن سيف على هذه الحالة.

النَّمط الثالث: حُذِفَ الخبر؛ لمجيئه بعد مبتدأ عطف عليه بالواو التي بمعنى (مع)، نحو: كُلُّ رَجُلٍ وَضِيعَتُهُ. فكلُّ: مبتدأ. وَضِيعَتُهُ: معطوف على كلِّ، والخبر محذوف، والتقدير: كُلُّ رَجُلٍ وَضِيعَتُهُ مقترنان. ويُقدَّرُ الخبر بعد (واو) المعية.

وجاء في شعر مبارك بن سيف شاهدٌ على حذف الخبر بعد المبتدأ المعطوف عليه بواو المعية، وهو قوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٤):

هَآ أَنْتَ بَاقٍ وَالزَّمَانُ وَعَهْدُهُ وَالدَّهْرُ يَجْرِي مَا لَهُ إِرْسَاءُ

وَالزَّمَانُ: الواو بمعنى (مع). الزَّمَانُ: مبتدأ لخبر محذوف تقديره: مقترنان. وكذا إعراب (وعهده).

النَّمط الرابع: حُذِفَ الخبر؛ لأنَّ المبتدأ مصدرٌ، وبعده حال سدَّت مسد الخبر، وهي لا تصلح أن تكون خبراً، فعندئذٍ يُحذف الخبر وجوباً لسدِّ الحال مسدّه، نحو: ضَرَبِي الْعَبْدَ مُسِيئاً، أو ضَرَبِي زَيْدًا

(١) الأعمال الشعريَّة، ص ١٥٠. (الكامل)

(٢) هذا التخرُّج ذكره ابن هشام في: مغني اللبيب، ١/ ٢٧٤.

(٣) الأعمال الشعريَّة، ص ٢٩٥. (مجزوء الكامل)

(٤) السَّابِق نفسه، ص ١٥٢. (الكامل)

قائماً. ف(ضَرْبِي): مبتدأ. العبد: مفعول. مُسِيئاً: حال سدّت مسدّ الخبر، والخبر محذوف وجوباً، والتقدير: ضَرْبِي الْعَبْدَ إِذَا كَانَ مُسِيئاً. ف(مُسِيئاً): حال من الضمير المُسْتَكِن في الخبر المحذوف، والضمير يعود على العبد .

ووردَ في شعر مبارك بن سيف (شاهدان) على حالة حذف الخبر كون المبتدأ مصدرًا، والخبر حالاً سدّت مسدّ الخبر، هما:

• قوله في قصيدته (سَحَرِ الْبِدَاوَةَ) ^(١) :

لَوُرْمُتُهُنَّ بِأَبْيَاتٍ مُصَوَّرَةٍ وَقُلْتُ شُعْرِي مَرُوءِيًا بِتَشْبِيبِ

شُعْرِي: مبتدأ. مَرُوءِيًا: حال سدّت مسدّ الخبر .

• وقوله في قصيدته (عندما يطول بنا الانتظار) ^(٢) :

وَرُؤَايَ مَا مَلَّتْ طَوِيلَ الْإِنْتَظَارِ

وَالْقَلْبُ أَحْلَامًا تُوشِحُهُ نُجُومُ الْإِحْتِضَارِ

الْقَلْبُ: مبتدأ. أَحْلَامًا: حال سدّت مسدّ الخبر .

النمط الخامس: وحذف الخبر في شعر مبارك بن سيف لدلالة السّياق عليه في: (أربعة)

مواضع، هي:

• قوله في قصيدته (ذكريات الطفولة) ^(٣) :

وَهَلْ تَذْكُرِينَ إِذَا مَا جَلَسْنَا

وَأَعْيُنُنَا نَحْوَ بَابِ الْفَنَاءِ ؟

وَأَعْيُنُنَا: خبر لمبتدأ محذوف جوازاً لدلالة السّياق عليه تقديره: مُتَّجِهَةً، أو تنظر .

• وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج) ^(٤) :

هَذِي فَاسْطِطِينَ الصَّحَابَةَ أَنَّةً بَعَثْتُ صَدَاهَا الشَّمَّ وَالْدهْنَاءُ

(١) الأعمال الشعرية، ص ٤٥ . (البيسيط)

(٢) السابق نفسه، ص ٢٠٥ . (من الكامل)

(٣) نفسه، ص ٧٨ . (من المتقارب)

(٤) الأعمال الشعرية، ص ١٦١ . (الكامل)

لها تخريجان:

أَنَّهُ: مبتدأ مؤخر خبره محذوف جوازاً؛ لدلالة السِّيَاق عليه تقديره: لها. والجملة خبر لـ (هذي).

أَنَّهُ: خبر لـ (هذي). فلسطين: بدل من (هذي).

• وقوله في مسرحيته الشعريّة (الفجر الآتي)^(١):

كُنُوزُ قُرَيْشٍ تُقَادُ إِلَيْهِ

نِسَاءُ قُرَيْشٍ تُزْفُ إِلَيْهِ

وَمُلْكُ عَضُودٍ

مُلْكُ: مبتدأ خبره محذوف جوازاً؛ لدلالة السِّيَاق عليه تقديره: ومُلْكُ يُهْدَى إِلَيْهِ، والجملة معطوفة

على الجملتين السابقتين: كنوز قريش..، و: نساء قريش..

النَّمط السَّادس: وحُذِفَ الخبر في شعر مبارك بن سيف؛ لتقدّم ذكره في: (ثمانية) مواضع،

منها:

• وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٢):

هَذِي (الرِّيَاضُ) مَعَ (الْكُوَيْتِ) وَفِيهِمَا شَيْمُ الصَّحَارَى مَعَشَرٌ بُلْغَاءُ

مَعَشَرٌ: مبتدأ خبره محذوف جوازاً؛ لتقدّم ذكره في الشّطر الأول، وهو الجار والمجرور: فيهما.

• وقوله في قصيدته السابقة نفسها^(٣):

وَلَنَا الْجِيَادُ الصَّافِنَاتُ عَزِيزُهَا وَلَنَا الْقَرِيضُ وَحَكْمَةُ غَرَاءُ

حَكْمَةُ: مبتدأ خبره محذوف جوازاً؛ لتقدّم ذكره في الشّطرين الأول، والثّاني وهو الجار والمجرور:

لنا. وجملة: (لنا حكمة) معطوفة على جملة: (لنا الجياد).

• وقوله في مسرحيته الشعريّة (الفجر الآتي)^(٤):

(١) الأعمال الشعريّة، ص ٣١٧، ٣١٨. (المتقارب)

(٢) السّابِق نفسه، ص ١٥٦. (الكامل)

(٣) نفسه، ص ١٦٥. (الكامل)

(٤) الأعمال الشعريّة، ص ٣٢١. (من المتقارب)

عَلَيْهِمْ وَقَارٌ

وَرُوحٌ مِنَ الصَّبْرِ فَوْقَ الْجَبِينِ

رُوحٌ: مبتدأ خبره محذوف جوازاً؛ لتقدم ذكره، وهو الجار والمجرور: عليهم .

ثانياً : حذف ما كان أصله خبراً (خبر الفعل النَّاسخ، خبر الحرف النَّاسخ) .

حُذِفَ ما كان أصله خبراً في شعر مبارك بن سيف في (سبعة) مواضع، نجملها في الآتي:

١ - حذف خبر الفعل النَّاسخ (كان) :

جاء الفعل النَّاسخ (كان) محذوف الخبر في شعر مبارك بن سيف في (موضعين)، هما:

• قوله في قصيدة (لقاء عابر مع حاتم الطائي)^(١) :

وَحَيْثُ تُقِيمُ يُشِيرُ الدَّلِيلُ

فَلَا يُخْطِئُ النُّجْمُ فِي الْأُمُسياتِ

وَحَيْثُ تَكُونُ .. تَكُونُ الْجَهَاتُ

الْجَهَاتُ: اسم تكون مرفوع. خبرها محذوف تقديره: موجودة .

• وقوله في قصيدة (قراءة في كتاب قديم)^(٢) :

لَقَدْ غَرَسُوا عَقْلَكُمْ فِي الرِّمَالِ

وَقَالُوا لَكُمْ

(أَنْ تَكُونُوا)

مُحَال .. مُحَال

اسم تكونوا: الضمير المتصل (الواو). خبره: محذوف (كالأنعام) التي تفرس رأسها في الرمال.

(١) الأعمال الشعرية، ص ٢٠٧ . (من المتقارب)

(٢) السابق نفسه، ص ٢١٣ . (من المتقارب)

٢- حذف خبر (لا) النافية للجنس - العاملة عمل إن - :

جاء خبر (لا) العاملة عمل (إن) محذوفاً في شعر مبارك بن سيف في (خمسة) مواضع، منها:

- قوله في قصيدة (ذكريات في ليلة شتوية) ^(١) :

فَلَا طَيْرٌ يَبْدُو أَحَدُهُ

وَلَا خُضْرَةٌ فَالْحَيَاةُ جُمُودٌ

خبر (لا) محذوف تقديره: موجودة، أو تبدو .

- وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج) ^(٢) :

وَالنَّفْطُ غَادٍ لَا مَحَالَةَ إِنَّهُ رِزْقٌ يَضُمُّهُ - لَوْ عَلِمَتْ - وَعَاءٌ

خبر (لا) محذوف لدلالة السياق عليه تقديره: فيه .

- وقوله في قصيدة (مذكرات شاعر من العالم الثالث) (٣) سلة المهملات) ^(٣) :

وَيُلَطِّخُ جُدْرَانَ السَّلَّةِ

مَاءً، دَمْعٌ، وَرَمَادٌ سَجَائِرُ .. لَا شَيْءَ

خبر (لا) محذوف تقديره: موجودة .

- وقوله في قصيدته السابقة نفسها ^(٤) :

يَمْرُجُهُ بِالْقَلْبِ الْمَطْحُونِ

الْحَقُّ .. الْبَاطِلُ لَا فَرْقَ

خبر (لا) محذوف لدلالة السياق عليه تقديره: موجود، أو بينهما .

(١) نفسه، ص ٧١ . (المتقارب)

(٢) الأعمال الشعرية، ص ١٦٠ . (الكامل)

(٣) الأعمال الشعرية، ص ١٨٥ . (من المتدارك)

(٤) السابق نفسه، ص ١٨٥ . (من المتدارك)

(٥) القيم الدلالية لحذف المسند (الخبر) .

حُذِفَ الخبر، أو ما كان أصله خبراً في شعر مبارك بن سيف في (واحد وأربعين) موضعاً تقريباً، ويأتي حَذْفُ الخبر لأغراض دلالية، فما هي الأغراض لحذف الخبر في شعر مبارك بن سيف؟ من الأغراض الدلالية لحذف الخبر^(١) في شعر مبارك بن سيف، ما يأتي:

أولاً: ضيق المقام بسبب التحسر والتوجع .

جاء الخبر محذوفاً في شعر مبارك بن سيف بسبب ضيق المقام عن ذكره تحسُّراً وتوجُّعاً في (تسعة) مواضع، منها:

• قوله في قصيدته (ذكريات في ليلة شتوية)^(٢) :

فَلَا طَيْرٌ يَبْدُو أَحَدُهُ

وَلَا خُضْرَةٌ فَالْحَيَاةُ جُمُودٌ

خُضْرَةٌ: اسم لا النافية للجنس خبرها محذوف تقديره (موجودة)، وحُذِفَ الخبر لضيق المقام عن إطالة الكلام بذكر المسند (الخبر)؛ لأنَّ الشاعر منشغل بما هو أهم من ذكر الخبر، وهو بيان الجو الموحش في هذا المكان، فبعد أن أكد انعدام وجود الخضرة التي قد ترمز للحياة، أراد الإفصاح أكثر، فقال: الحياة ساكنة لا حراك فيها .

• وقوله في قصيدته (ذكريات الطفولة)^(٣) :

وَهَلْ تَذْكُرِينَ إِذَا مَا جَلَسْنَا

وَأَعْيُنُنَا نَحُوبَ بَابِ الْفَنَاءِ؟

أَعْيُنُنَا: مبتدأ خبره محذوف تقديره (متجهة، يفسره ظرف المكان: نحو)، وحُذِفَ الخبر لضيق المقام عن ذكره؛ بسبب التحسر والتوجع مما هم فيه من ترقب، وحذرٍ.

(١) بتصرف: - علم المعاني، للدكتور عبد العزيز عتيق، ص ١٣٩ - ١٤١، وعلوم البلاغة، لأحمد مصطفى المراغي، ص ١٠٧، ١٠٨، وعلوم البلاغة، للدكتور محمد أحمد قاسم، والدكتور محيي الدين ديب، ص ٣٣٨.

(٢) الأعمال الشعرية، ص ٧١ . (المتقارب)

(٣) السابق نفسه، ص ٧٨ . (من المتقارب)

ثانيًا: الاحتراز من العبث بعدم ذكر ما لا ضرورة للذكر؛ لتقدّم ذكره، أو لوضوحه، نحو قوله تعالى: ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾^(١). أي: ورسوله بريء منهم أيضًا. «، فلو ذكر هذا المحذوف لكان ذكره عبثًا لعدم الحاجة إليه»^(٢). وجاء الخبر في شعر مبارك بن سيف محذوفًا احترازًا من العبث في قوله :

• في قصيدته (من ربوع النيل)^(٣) :

فَلَهُ مِنَ الْأَطْيَافِ سِحْرُ خَيَالِهَا وَمِنَ الزَّبَرَجَدِ وَاللَّائِي رَوْنُقُ

رَوْنُقُ: مبتدأ خبره محذوف تقديره (له)، وحُذف الخبر لتقدّم ذكره في بداية الشطر الأول، فذكره ثانية نوعٌ من العبث. كما أنّ حذف الخبر أفاد اختصاص الخليج العربي بالروّوق والجمال .

• وفي قصيدته (نوّارة يا عالمي الصغير)^(٤) :

أَنْتِ وَأَنْتِ كُلُّ مَا فِي الْكَوْنِ أَنْتِ

أَنْتِ الرَّبِيعُ وَيَسْمَةُ الْأَطْفَالِ أَنْتِ

أَنْتِ: مبتدأ خبره محذوف تقديره (كُلُّ مَا فِي الْكَوْنِ)، وحُذف الخبر لتقدّم ذكره، فذكره عبث، أو توكيد لفظي.

ثانيًا: الاختصاص، وحُذف الخبر في شعر مبارك بن سيف لدلالته على الاختصاص في (خمسة) مواضع، منها :

• قوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٥) :

وَلَهُمْ صِنَاعَاتٌ تَقَادِمُ عَهْدُهَا وَتَجَارَةٌ فِيهَا هُمُ النُّبْغَاءُ

تَجَارَةٌ: مبتدأ خبره محذوف تقديره (لهم)، وحُذف الخبر لتقدّم ذكره، وللدلالة على اختصاص الخليج بحرفة التجارة. وجملة (لهم تجارة): معطوفة على جملة: (لهم صناعات) .

(١) سورة التوبة، آية ٣.

(٢) علوم البلاغة، ص ٣٣٨.

(٣) الأعمال الشعرية، ص ٦٩. (الكامل)

(٤) السابق نفسه، ص ٢٢٥. (من الكامل)

(٥) نفسه، ص ١١٢. (الكامل)

• وقوله في مسرحيته الشعريّة (الفجر الآتي)^(١) :

أَتُونَا مِنَ الشُّعْبِ الْمُغْبِرَةِ

عَلَيْهِمْ وَقَارُ

وَرُوحٌ مِنَ الصَّبْرِ فَوْقَ الْجَبِينِ

رُوحٌ؛ مبتدأ خبره محذوف تقديره (عليهم)، وحُذِفَ الخبر لتقدّم ذكره، ولبیان اختصاص المسلمين بصفة الصبر. وجملة (عليهم روح): معطوفة على جملة: (عليهم وقار) .

ويرى الباحث أنّ حَذَفَ الخبر في شعر مبارك بن سيف جاء لأغراض دلالية أخرى، منها:

أولاً: التحقير والذم، والترفع عن ذكره لكراهيته، أو للخلل منه، وورد هذا في قوله في:

• قصيدة (أنشودة الخليج)^(٢) :

وَالنَّفْطُ غَادٍ لَا مَحَالَةَ إِنَّهُ رِزْقٌ يَضُمُّهُ - لَوْ عَلِمْتَ - وَعَاءُ

مَحَالَّةٌ: اسم لا النافية للجنس العاملة عمل إنّ، وخبره محذوف تقديره (غادٍ)، وحُذِفَ الخبر لتقدّم ذكره، ولكراهية ذكر هذه الصفة للنفط الذي أصبح وبالا على أهله بسبب أطماع الآخرين .

• وقصيدة (قراءة في كتاب قديم)^(٣) :

لَقَدْ غَرَسُوا عَقْلَكُمْ فِي الرَّمَالِ

وَقَالُوا لَكُمْ

(أَنْ تَكُونُوا)

تَكُونُوا؛ واو الجماعة: اسم (تكونوا) مرفوع، وخبره محذوف تقديره (كالنعام)، وحُذِفَ الخبر لتقدّم ذكره، ولتحقيره وذمّه وكراهيته .

• والمسرحية الشعريّة (الفجر الآتي)^(٤) :

(١) الأعمال الشعريّة، ص ٣٢١ . (من المتقارب)

(٢) السّابق نفسه، ص ١٦٠ . (الكامل)

(٣) الأعمال الشعريّة، ص ٢١٣ . (من المتقارب)

(٤) السّابق نفسه، ص ١٨٢ . (من المتدارك)

مُنْدَسٌ .. هَذَا مُنْدَسٌ

قِفْ عِنْدَكَ يَا بَنَ الد...

أَنْتَ

أَنْتَ: ضمير منفصل مبني على الفتح في محل رفع مبتدأ، وحُذِفَ الخبر لأنه معلوم من السياق، وآثر الشاعرُ عدم ذكره لما فيه من الشتم والسباب الذي قد يخدش الحياء .

ثانياً: لرفع شأن الخبر، ومدحه، والفخر به. ورد هذا في شعر مبارك بن سيف في قوله في قصيدته (لقاء عابر مع حاتم طيٍّ)^(١) :

فَلَا يُخْطِئُ النُّجْمُ فِي الْأُمْسِيَّاتِ

وَحَيْثُ تَكُونُ .. تَكُونُ الْجِهَاتُ

الْجِهَاتُ: اسم (تكون)، وخبره محذوف تقديره: موجودة، وحُذِفَ الخبر؛ لرفعة شأن الممدوح، وإعلاءٍ لقدره ومكانته، فالشاعر معجبٌ بحاتم وكرمه فيريد مدحه والفخر به .

وبعد، فهذه بعض القيم الدلالية التي استطاع الباحث التعرّض لها، وهي قيمٌ حاولَ من خلالها رَبِّطَ مسألة حذف المسند إليه (المبتدأ)، وحذف المسند (الخبر) بالدلالة؛ للوقوف على بعض الجوانب الإبداعية في الحذف، والتي تُوثِّقُ لبعض محاسن الحذف ولطائفه البلاغية، والتي قد نستنتج بوساطتها أنّ الشاعر مبارك بن سيف كان يكتب جملته الشعرية القائمة على تركيب نحويٍّ يخدم المعنى الدلالي الذي يريد إيصاله .

(١) نفسه، ، ص٢٠٧ . (من المتقارب)

(٦) حذف الجملة الاسمية .

وقد يُحذف كلٌّ من المبتدأ والخبر معاً، لا سيما بعد أحرف الجواب، يقول الإسترابادي: «اعلم أنّه قد يُحذف المبتدأ والخبر معاً جوازاً، كقولك: نَعَمْ في جواب مَنْ قال: أَزِيدُ قَائِمٌ؟»^(١). ويرد ابن عقيل على مَنْ يرى حذف المبتدأ والخبر لدلالة ما قبلهما عليهما، فيقول: «قيل وقد يُحذف الجزآن - أعني المبتدأ والخبر - للدلالة عليهما، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّائِي يَئْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحْضَنْ﴾^(٢)، أي: فَعِدَّتُهُنَّ ثلاثة أشهر. فَحُذِفَ المبتدأ والخبر، وهو: فَعِدَّتُهُنَّ ثلاثة أشهر؛ لدلالة ما قبله عليه، وإنّما حُذِفَا لوقوعهما موقع مفرد، والظاهر أنّ المحذوف مفرد، والتقدير: واللّائي لم يحضن كذلك. وقوله: واللّائي لم يحضن معطوف على واللّائي يئسن. والأوّلَى أَنْ يُمَثَّلَ بنحو قولك: نَعَمْ في جواب: أَزِيدُ قَائِمٌ؟ إذِ التقدير: نَعَمْ زِيدٌ قَائِمٌ»^(٣).

ويرى الباحث أنّ حذف المبتدأ والخبر في هذه الآية جاء لدلالة ما قبلهما عليهما، أو لتقدم ذكرهما. وأيضاً فإنّ التقدير الذي ذكره ابن عقيل ﴿وَاللَّائِي لَمْ يَحْضَنْ﴾ مناسبٌ تماماً لسياق الآية؛ لأنّ القرآن ينزع - غالباً - للاختصار، وعدم التكرار، كما أنّ الآية ساوَتْ بين صنفين من النّساء: اللّائي يئسن من المحيض، واللّائي لم يحضن، وما ذكره ابن عقيل يتعانق مع ما ذكره أبو البقاء عبد الله العُكْبَرِيّ ت٦١٦هـ في تبيانه^(٤)؛ لإخراج دلالة صحيحة للآية، وهي تساوي الصّنفين في الحكم الشرعي .

وحُذِفَ كلٌّ من المبتدأ والخبر في شعر مبارك بن سيف في قوله :

● في قصيدة (مناجاة الدهر)^(٥) :

سَأَلْتُ الثُّرَيَّا وَالسُّهَيْلَ وَلَمْ أَزَلْ وَيَأْتِي جَوَابٌ لَا يَرُدُّ سَوَالِيَا

حُذِفَ المبتدأ والخبر (اسم ما زال وخبره)؛ لدلالة السّياق عليهما، وتقديرهما: ولم أزل أسأل.

● وفي قصيدة (ذكريات الطفولة)^(٦) :

(١) الوافية في شرح الكافية، ص ٧٤ .

(٢) سورة الطلاق، آية ٤ .

(٣) شرح ابن عقيل، ٢٢٩/١ .

(٤) يُنظر: التبيان في إعراب القرآن، ١٢٢٧/٢ .

(٥) الأعمال الشعريّة، ص ٥٤ . (الطويل)

(٦) الأعمال الشعريّة، ص ٧٨ . (من المتقارب)

وَفِي رَمَضَانَ لَنَا ذِكْرِيَاتٌ

وَفِي كُلِّ رُكْنٍ وَكُلِّ الْجِهَاتِ

حُذِفَتْ مِنَ الْعِبَارَةِ الشَّعْرِيَّةِ جَمَلَتَانِ اسْمِيَتَانِ، هُمَا :

الأولى: تقديرها: وفي كل ركن لنا ذكريات . الثانية: وفي كل الجهات لنا ذكريات . وكان الحذف لتتقدم ذكر المبتدأ والخبر .

● وحُذِفَتِ الْجُمْلَةُ الْاسْمِيَّةُ بَعْدَ حَرْفِ الْجَوَابِ (نَعَمْ) فِي قَصِيدَتِهِ (قِرَاءَةُ فِي كِتَابٍ قَدِيمٍ)^(١):

أَتَسْأَلُ عَنَّا ؟

كَثِيرُونَ أَنْتُمْ ؟

نَعَمْ كَالْغُثَاءِ

حُذِفَتِ الْجُمْلَةُ الْاسْمِيَّةُ بَعْدَ حَرْفِ الْجَوَابِ نَعَمْ، وَتَقْدِيرُهَا: نَعَمْ نَحْنُ كَثِيرُونَ كَالْغُثَاءِ .

(١) السَّابِقُ نَفْسَهُ، ص ٢١١ . (من المتقارب)

(٧) استنتاجات حول قضايا الحذف في الجملة الاسمية في شعر مبارك بن سيف.

وبعد هذا العرض لحالات الحذف في الجملة الاسمية في شعر مبارك بن سيف آل ثاني، فإنه يمكن استنتاج ما يأتي:

الاستنتاج الأول: توافق مبارك بن سيف مع النحاة في حذف المبتدأ حسب الحالات التي نصت عليها كتب النحو أحياناً، وفي أحيانٍ يحذف المبتدأ لحالات أخرى، وفيما يأتي تفصيل ذلك:

١ - حالات حذف المبتدأ وجوباً .

يقول سيبويه في باب حذف المبتدأ «وذلك أنك رأيت صورة شخص فصار آية على معرفة الشخص، فقلت: عبدُ الله وربِّي، كأنك قلت: ذاك عبدُ الله، أو هذا عبدُ الله. أو سمعتَ صوتاً، فعرفتَ صاحبَ الصوت، فصارَ آية لك على معرفته، فقلت: زيدٌ وربِّي. أو مسستَ جسداً، أو شممتَ ريحاً، فقلت: زيدٌ، أو المسكُ، أو ذقتَ طعاماً، فقلت: العسلُ»^(١). فالمبتدأ في أمثلة سيبويه جاء محذوفاً للعلم به ومعرفته .

قسم النحاة حالات حذف المبتدأ، وحذف الخبر إلى حالتين: الجواز والوجوب. وأجمع النحاة على أن المبتدأ يُحذف وجوباً وجوازاً، أما الحالات التي يُحذف فيها المبتدأ وجوباً^(٢)، فهي:

أولاً: التبع المقطوع إلى الرفع في مدح، نحو: مَرَرْتُ بِزَيْدِ الْكَرِيمِ، أو ذم، نحو: مَرَرْتُ بِزَيْدِ الْخَيْثِ، أو: تَرَحُّم، نحو: مَرَرْتُ بِزَيْدِ الْمَسْكِينِ. فالمبتدأ في هذه الأمثلة محذوف، وتقديره: هو.

ومرر بنا أن هذه الحالة وردت في شعر مبارك بن سيف على صورة واحدة، وهي صورة المدح. أما الذم والترحم فلم يعثر الباحث على شاهد على أيٍّ منهما؛ مما يدل على أن الشاعر كان مهتماً بإظهار الجانب الإيجابي لممدوحه.

ثانياً: أن يكون الخبر مخصوص (نعم)، أو (بئس)^(٣)، نحو: نَعَمْ الرَّجُلُ زَيْدٌ، وبئسَ الرَّجُلُ عمرو. فزيدٌ، وعمرو: خبران لمبتدأ محذوف تقديره: هو. ويرى الشيخ الغلاييني^(٤) أن المخصوص بالمدح أو الذم بعد: نَعَمْ، وبئسَ ينبغي أن يكون مؤخرًا؛ ليعرب: خبراً لمبتدأ محذوف تقديره: هو. ويرى الباحث

(١) الكتاب، ١٣٠/٢.

(٢) منهم: سيبويه، الكتاب، ٢٨١/١، ٢٨٢، والجرجاني، دلائل الإعجاز، ١١٢ - ١١٦، وابن مالك، تسهيل الفوائد، وتكميل المقاصد، ص ٤٥، ٤٦. والإسترايادي، الوافية في شرح الكافية، ص ٧٢ - ٧٤، والمُرادي ت ٧١٥هـ، توضيح المقاصد، والمسالك، ٤٩٠/١، ٤٩١، وابن هشام، أوضح المسالك، ١٩٦/١، وابن عقيل، ٢٣٧/١، ٢٣٨.

(٣) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام، ١٩٨/١.

(٤) جامع الدروس العربية، ٢٦٢/٢.

أنَّ المخصوص بالمدح أو الذَّم قد يُعرب مبتدأ مؤخراً خبره جملة المدح أو الذَّم، ويكون التقدير: زيدٌ نِعَمَ الرجلُ؛ فالمخصوص (زيد) يصلح أن يكون مبتدأ؛ لأنَّه معرفة .

والأشعار التي جاء بها مبارك بن سيف والتي تحمل في مضامينها أسلوبية: المدح والذَّم، يمكن تأويل الحذف فيها وفق ما ذكرنا آنفاً، فقد جاء المخصوص محذوفاً في أسلوب المدح في موضع. ويُعرب: مبتدأ محذوفاً خبره جملة المدح. أمَّا في أسلوب الذَّم فقد جاء المخصوص على صورتين، هما:

• **الأولى:** كما الحالة الأولى (المدح)؛ ووردت في ثلاثة مواضع؛ إذ جاء المخصوص محذوفاً، فأعرب إعراب المخصوص بالمدح المذكور سابقاً .

• **الثانية:** ذُكِرَ المخصوص بالذَّم في حالة، وأُعرب فيها: خبراً لمبتدأ محذوف .

ثالثاً: ما أخبر عنه بصريح القسم^(١)، أي ما كان الخبر فيه صريحاً في القسم، كقولهم: في ذمَّتِي لأفعلن. في ذمَّتِي (الجار والمجرور): خبر لمبتدأ محذوف تقديره: يمينٌ .

ويُعلَّل الأستاذ عباس حسن حذف المبتدأ في مثل هذه الحالة فيقول: «وإنما كان حذف المبتدأ واجباً هنا؛ لأنَّه واجب التأخير بسبب تنكيره، وقد وُجِد ما يدلُّ عليه عند حذفه؛ وهو جواب القسم»^(٢). ويعترض محمد بكر على هذا الرأي، فيقول: « وإذا كان جواب القسم فيه الكفاية في إفادة هذا المعنى، فلم لا يكون هو المبتدأ؟ »^(٣)، فأستاذنا عباس حسن يتحدث عن قاعدة نحوية توجب تأخير المبتدأ في حال كونه نكرة. وهذه حقيقة يُعزِّزها مجيء الخبر جاراً ومجروراً (في ذمَّتِي). أمَّا الأستاذ بكر فقد تحدَّث عن المعنى الذي يفيد جواب القسم، وفي هذا شيء من الصواب؛ ذلك أنَّ العبارة (في ذمَّتِي) تُشعر بوجود القسم؛ بيِّد أنَّ الجملة لم تكتمل أركانها بعد، وإنَّ كانت واضحة في مضمونها؛ ولهذا وجب تقدير المبتدأ. ويرى الباحث ما يراه الأستاذ عباس حسن؛ لأنَّه انطلق من القاعدة النحوية، وهي: (وجوب تأخير المبتدأ كونه نكرة). فالقاعدة هي الأصل عند تفسير أي تركيب، ثم يأتي دور المعنى الذي يؤوِّل وفق القاعدة النحوية. أمَّا الأستاذ بكر فكان انطلاقه من المعنى، ومن ثمَّ حاول بناء القاعدة النحوية على ذلك .

(١) شرح ابن عقيل ١/٢٢٨ . وقد حكى هذه الحالة عن الفارسي .

(٢) النحو الوافي، ١/٥١٣، هامش رقم (٣) .

(٣) النحو الوصفي في القرآن الكريم، للدكتور محمد صلاح بكر، ١١٠/٢ .

ووقف الباحث على (سبعة عشر) موضعاً في شعر مبارك بن سيف حُذِفَ فيها المبتدأ؛ لأنَّ الخبر جاء قَسَمًا صريحًا. وجاءت حروف القَسَم على النحو الآتي:

حرف القَسَم	عدد مرّات تكراره
الواو	١٣
الباء	٤
التاء	٠
المجموع	١٧

• ويُلاحظ أنَّ واو القَسَم هي أكثر حروف القَسَم تكراراً في شعر مبارك بن سيف، وهو في هذا لم يخرج عن مألوف استعمال العرب لحرف القسم هذا؛ إذ أشار سيبويه في معرض حديثه عن أدوات القَسَم في باب: (حروف الإضافة إلى المحلوف به، وسقوطها) إلى أنَّ الواو هي الأكثر استعمالاً، فقال: «وللقَسَم والمقسَم به أدوات في حروف الجرِّ، وأكثرها الواو، ثم الباء، يدخلان على كلِّ محلوف به. ثمَّ التاء، ولا تدخل إلّا في واحد، وذلك قولك: واللّهِ لأفعلنَّ، و﴿وَتَاللّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾»^(١).

وعند النّظر في شعر مبارك بن سيف، وُجِدَ أنّه لم يرد في شعره سوى حرفين من حروف القَسَم، هما: الواو، والباء، ولم يأتِ على ذكر الحرف الثالث، وهو: تاء القسم. كما وجد الباحث أنَّ حرف القسم (الواو) قد تكرر بنسبة كبيرة جدّاً، مقارنة مع حرف الباء؛ إذ وردت الأولى في (ثلاثة عشر) موضعاً، في حين لم ترد الباء كحرف قسم إلّا في أربعة مواضع. علماً أنَّ من العلماء مَنْ ذَكَرَ أنَّ (الباء) هي الأصل في القَسَم، أمّا (الواو) فهي بدلٌ من الباء. يقول ابن قدامة المقدسي المتوفى ٦٢٠هـ: «وحروف القسم ثلاثة: الباء، وهي الأصل، وتدخل على المظهر والمضمر جميعاً. والواو، وهي بدل من الباء، وتدخل على المظهر دون المضمر؛ لذلك فهي أكثر استعمالاً، وبها جاءت أكثر الأقسام في الكتاب والسنة»^(٢). وأشار المقدسي أيضاً إلى أنّه وعلى الرّغم من أنَّ الباء هي الأصل لكنّ الواو هي الأكثر استعمالاً، ووجد الباحث أنَّ الواو بها جاءت أكثر الأقسام في شعر مبارك بن سيف.

ولم تدخل الباء كحرف قَسَم على المضمر في شعر مبارك بن سيف، إذ لم يجد الباحث مُقسَماً به دخلت عليه (باء القَسَم) سوى لفظ الجلالة: (اللّهُ: اسم ظاهر). أمّا واو القَسَم فاخْتَصَّ دخولها في شعر مبارك بن سيف على المظهر.

(١) الكتاب، ٤٩٦/٣. سورة الأنبياء، آية ٥٧.

(٢) المغني، ٩ / ٧٩٥٨.

رابعاً: أن يكون الخبر مصدرًا نائباً عن الفعل، نحو: صبرٌ جميل، التقدير: صبري صبرٌ جميل.
فصبرٌ: خبر لمبتدأ محذوف تقديره: صبري .

ولم يقف الباحث على شاهد من شعر مبارك بن سيف على هذه الحالة .

٢- حالات حذف المبتدأ جوازاً :

يكثر حذف المبتدأ جوازاً^(١) في الحالات الآتية :

أولاً: إذا كان المبتدأ جواباً لاستفهام، نحو قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمَوْقُودَةُ (٦)﴾^(٢)، أي: هي نار الله. يقول ابن جني: «فإذا قال لك القائل: مَنْ عِنْدَكَ؟ قلت: زَيْدٌ، أي: زَيْدٌ عِنْدِي، فحذفت (عندي)، وهو الخبر، وإذا قال لك: كَيْفَ أَنْتَ؟ قلتُ: صالحٌ، أي: أنا صالحٌ، فحذفت (أنا)، وهو المبتدأ. قال الله سبحانه: ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾»^(٣).

وبيّنا سابقاً أن المبتدأ قد حُذِفَ في شعر مبارك بن سيف؛ لأنّه جوابٌ لاستفهام في (تسعة) مواضع، والجدول الآتي يبيّن أدوات الاستفهام التي حُذِفَ المبتدأ في سياقها:

أداة الاستفهام	عدد مرّات تكراره
الهمزة	٤
ما	٢
كم	٢
هل	١

ويُلاحظ أنّ حروف الاستفهام التي حُذِفَ المبتدأ فيها؛ لأنّه جواب له بلغت أربعة حروف، وكانت الهمزة هي الأكثر تكراراً من بين أخواتها.

ثانياً: إذا جاء المبتدأ بعد فعل القول، وما اشتق منه، نحو قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾^(٤)، أي: أنا عجوز عقيم . وحُذِفَ المبتدأ في شعر مبارك بن سيف بعد فعل القول، وما اشتق منه في (اثنتين وعشرين) موضعاً. أمّا أفعال القول التي حُذِفَ المبتدأ بعدها، فهي :

(١) يُنظر: أوضح المسالك، لابن هشام ١٩٦/١، ومغني اللبيب، ٦٢٩/٢، ٦٣٠، وتوضيح المقاصد، للمرادي ٤٨٥/١، وجامع الدروس العربية، للغلابي، ٢٦١/٢، ٢٦٢.

(٢) سورة الهمزة، آية ٦.٤ .

(٣) اللّمع، ص ١٥. وقال بهذا أيضاً الجليس النحوي، ثمار الصناعة، ص ٨٣ . سورة محمد، آية ٢١ .

(٤) سورة الذّاريات، آية ٢٩ .

فعل القول	عدد مرّات تكراره
(قال) وما اشتق منه	١٨
زعموا	١
صارخاً (اسم فاعل)	١
يسأل	١
تُعَاتِبُنِي	١

ثالثاً: ذكر ابن عقيل^(١) والسيوطي^(٢) أنّ المبتدأ يُحذف جوازاً إذا وقع بعد الفاء المقترنة بجواب الشرط، نحو قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾^(٣). ولم يقف الباحث على شاهد من شعر مبارك بن سيف على هذه الحالة.

الاستنتاج الثاني:

وقد جاء المبتدأ محذوفاً لغير حالات الوجوب والجواز التي ذكرت، وإنّما كان الحذف لأسباب أخرى، منها:

أولاً: دلالة الحال، أو السياق على المحذوف. يقول ابن جني: «واعلم أنّ المبتدأ قد يُحذف تارة، ويُحذف الخبر لأسباب أخرى؛ وذلك إذا كان في الكلام دلالة على المحذوف»^(٤). وجاء المبتدأ محذوفاً في شعر مبارك بن سيف لدلالة السياق عليه في: (ثمانية وعشرين) موضعاً. وهذا العدد ليس باليسير، والعرب تكره ذكر ما كان مفهوماً، ومعلومًا من السياق، كما أنّ العرب قد تحذف اتساعاً واختصاراً، يقول الدكتور محمد حسنين أبو موسى: «... فالمهم عندهم (أي: البلاغيون) أنّ يشيروا إلى المحذوف، وإلى أنّ العرب تفعل هذا للاّتساع والاختصار»^(٥). ويقول الدكتور أبو موسى في موطن آخر نقلاً عن الآمدي: «والحذف لعمري كثيرٌ في كلام العرب إذا كان المحذوف ما تدلّ عليه جملة الكلام»^(٦). ومبارك بن سيف شاعرٌ عربيٌّ أحوج ما يكون للحذف اختصاراً؛ لوجود الدليل عليه.

(١) يُنظر: شرح ابن عقيل ٢١٣/١.

(٢) يُنظر: همع الهوامع ٢٨/٢.

(٣) سورة فصلت، آية ٤٦. وسورة الجاثية، آية ١٥.

(٤) اللّمع، ص ١٥. وذكر هذا أيضاً الجليس النحوي، ثمار الصّناعة، ص ٨٣.

(٥) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، للدكتور محمد حسنين أبو موسى، ص ١١٦.

(٦) السّابق نفسه، ص ١١٧.

ثانيًا: إذا سَبَقَ ذِكْرُهُ، يقول المبرِّد ت ٢٨٥هـ: «ولو قلت على كلام مقدّم عبد الله، أو منطلق، أو صاحبك، أو ما أشبه هذا لجاز أن تُضمّر الابتداء إذا تقدّم من ذكره ما يفهمه السّامع»^(١).

ووجد الباحث في شعر مبارك بن سيف (ثمانية وعشرين) شاهداً حُذِفَ فيه المبتدأ لتقدّم ذكره. ويُلاحظ أنّ الذّكر قد يكون في البيت نفسه (الشّطر الأوّل)، أو المقطع السّابق، أو قبله بأبيات قليلة.

الاستنتاج الثالث:

وحُذِفَ ما كان أصله مبتدأ، نحو: اسم كان؛ حيث حُذِفَ في (أربعين) موضعاً، كما حُذِفَ اسم إنّ في موضع.

الاستنتاج الرابع:

جاء في شعر مبارك بن سيف الخبر محذوفاً، ومتوافقاً مع الحالات التي ذكرها النُّحاة لحذف الخبر؛ إذ نصّوا على حذف الخبر في الحالات الآتية:

- حذف الخبر وجوباً؛ حصر النُّحاة^(٢) الحالات التي يُحذف فيها الخبر وجوباً في الآتي:

أولاً: بعد (لولا)، وذلك إذا كان كوناً مطلقاً، وهو الغالب، نحو: لولا زَيْدٌ لأكرمْتُكَ، أي: لولا زيدٌ كائنٌ، أو موجودٌ.

ثانيًا: إذا كان المبتدأ نصّاً في القسم، نحو: لَعَمْرُكَ لأفعلنَّ، أي: لَعَمْرُكَ قَسَمِي. فَعَمْرُكَ: مبتدأ، وقَسَمِي: الخبر.

ثالثاً: بعد كل مبتدأ عطف عليه بالواو التي بمعنى (مع)، نحو: كلُّ رَجُلٍ وَضِيعَتُهُ، وكلُّ عملٍ وَجَزَاؤُهُ، وكلُّ ثوبٍ وَقِيمَتُهُ.

رابعاً: أن يكون المبتدأ مصدرًا، وبعده حال سدّت مسد الخبر، وهي لا تصلح أن تكون خبراً، فعندئذٍ يُحذف الخبر وجوباً لسدّ الحال مسدّه، نحو: ضَرَبِي الْعَبْدَ مُسِيئًا، أو ضَرَبِي زَيْدًا قَاتِمًا. ف(ضَرَبِي): مبتدأ. العبد: مفعول. مُسِيئًا: حال سدّت مسدّ الخبر، وحُذِفَ الخبر وجوباً، والتقدير: ضَرَبِي الْعَبْدَ إذا كان مُسِيئًا. ف (مُسِيئًا): حال من الضمير المُسْتَكِن في الخبر المحذوف، والضمير يعود على العبد.

(١) المقتضب، ٤/ ١٢٩.

(٢) منهم: سيبويه، الكتاب، ٣/ ٤٩٩، وابن عصفور، المُقَرَّب، ٣/ ٩١، والإسترابادي، الوافية في شرح الكافية، ص ٧٢، والمرادي، توضيح المقاصد، ص ٤٨٦ - ٤٨٨، وابن هشام، شرح قطر الندى، ص ١٢٥، ١٢٦، ٢٠٥، وشرح ابن عقيل، ١/ ٢٢١ - ٢٢٣.

الاستنتاج الرابع :

- حذف الخبر جوازاً: ذكر النحاة^(١) الحالات التي يُحذف فيها الخبر جوازاً، وهي:

أولاً: إذا جاءت الجملة جواباً عن استفهام عُلِمَ منه الخبر، مثل: مَنْ شاعِرُ العربية؟ فتجيب: أبو الطيّب المتنبي، يريد: أبو الطيّب المتنبي شاعر العربية. أو مَنْ عِنْدَكُمْ؟ فتجيب: ضيفٌ، أي: عندنا ضيفٌ.

ثانياً: إذا جاء المبتدأ بعد إذا الفجائية، وكان الخبر المحذوف يدلّ على معنى عام يُفهم من سياق الكلام، نحو: خَرَجْتُ من البيتِ وإذا العَوَاصِفُ، أي: إذا العواصفُ شديدةً، ونحو: خَرَجْتُ وإذا الأسدُ، أي: حاضرٌ.

ثالثاً: إذا كانت الجملة المحذوفة الخبر معطوفة على جملة اسمية، أو معطوفاً عليها جملة اسمية، والمبتدآن مشتركان في الحكم، نحو قوله تعالى: ﴿أَكُلْهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾^(٢).

ولم نجد نماذج من حالات الوجوب والجواز لحذف الخبر في شعر مبارك بن سيف.

الاستنتاج الخامس: وقف الباحث على بعض الشواهد في شعر مبارك بن سيف وقد حُذِفَ فيها ما كان أصله خبراً، وصلت إلى (سبعة) شواهد، وتوزّعت على النحو الآتي:

- حذف خبر الفعل الناسخ، ولم يعثر الباحث على شواهد على هذه الحالة إلا في (ثلاثة مواطن)، وهذا العدد يسير إذا ما قورن بحالات الحذف الأخرى التي وردت في شعر مبارك بن سيف.

- حذف خبر لا النافية للجنس العاملة عمل إن.

ذكر النحاة^(٣) أنّ خبر لا النافية للجنس قد يُحذف. وعُلِّلَ المجاشعي ذلك بقوله: «إنّه حُذِفَ لدلالة الكلام عليه، والعرب تحذف إذا كان فيما أُبْقِيَ دليل على ما أُلْقِيَ، والتقدير: لا بأس عليك، أي: لا بأس موجود عليك، ف(على) متعلّق بـ (موجود) إلا أنّك حذفت لما أعلمتك»^(٤)

(١) منهم: الإسترابادي، الوافية في شرح الكافية، ص ٧٢، والمرادي، توضيح المقاصد والمسالك، ٤٨٥/١، وابن هشام، أوضح المسالك، ١٩٩/١.

(٢) سورة الرعد، آية ٣٥.

(٣) منهم: سيبويه في: الكتاب، ٢٧٥/٢، والمجاشعي، شرح عيون الإعراب، ص ١١٩، والزمخشري، المفصل، ص ٢٠، وابن يعيش، شرح المفصل ١٠٧/١، والإسفرآيني، لباب الإعراب، ٢٧٢، والإسترابادي، الوافية في شرح الكافية، ص ٧٦، وابن هشام، مغني اللبيب، ٢٣٩/١.

(٤) شرح عيون الإعراب، ص ١٢٢.

وجد الباحث خبر لا النافية للجنس محذوفاً في (خمس) مواضع، وجاء الحذف في هذه المواضع لدلالة النفي عليه.

الاستنتاج السادس: وبحصر عدد الحالات التي حُذف فيها المسند، والمسند إليه في شعر مبارك بن سيف يتبين لنا أنّ عدد الحالات التي حُذف فيها المبتدأ أكثر من حالات حذف الخبر، فقد حُذف المبتدأ، أو ما كان أصله مبتدأ في (سبعة وخمسين ومائة) موضع، في حين لم يُحذف الخبر، أو ما كان أصله خبراً إلا في (واحد وأربعين) موضعاً. والشاعر (مبارك بن سيف) شاعر عربيّ كغيره من الشعراء الذين حذفوا بعضاً من العناصر الإسنادية، وغير الإسنادية في شعره.

والجدول الآتي يلخص حالات حذف تلك العناصر في شعر مبارك بن سيف:

العدد	العنصر المحذوف
١٢٥	حذف المبتدأ .
٤٠	حذف ما كان أصله مبتدأ (اسم النواسخ) .
٢٦	حذف الخبر .
٧	حذف ما كان أصله خبراً (خبر النواسخ) .
١٩٨	المجموع ←

بعد النّظر في الجدول السابق نستنتج ما يأتي :

أولاً: مجموع المواضع التي حُذف فيها عنصرا الجملة الاسمية وصل إلى (ثمانية وتسعين ومائة) موضع، وهذا عدد مرتفع، ربما يشير إلى مدى قدرة الشاعر مبارك بن سيف على الإتيان بما يُغني، أو يدل على المبتدأ، أو الخبر؛ لذلك تكرر حذفهما في مواطن متعددة من شعره.

ثانياً: يُلاحظ تفوّق حذف المبتدأ عددياً على حذف الخبر في شعر مبارك بن سيف، فكما هو معلوم أنّ المسند إليه (المبتدأ) ركن مهم في الجملة؛ لذلك قد يقلّ حذفه في التركيب مقارنة مع حذف الخبر، وعلل العلوي ذلك بقوله إنّ حذف الخبر: « أكثر من حذف المبتدأ، ووجه ذلك هو أنّ المبتدأ طريق إلى معرفة الخبر، فإذا كان الخبر محذوفاً، ففي الكلام ما يدلّ عليه، وهو المبتدأ، وإذا حُذف المبتدأ لم يكن في الكلام ما يدلّ عليه؛ لأنّ الخبر لا يكون دليلاً على المبتدأ»^(١). ويحذف مبارك بن سيف المبتدأ؛ لأنه مهتمّ بالخبر، فالخبر طاغ على المبتدأ؛ لذلك أراد الشاعر إبرازه وإظهاره

(١) الطّراز، ٩٣/٢ .

ووضعه في الصدارة. وأجمع النّحاة على أنّ الحذف جائز في كل تركيب شريطة ألاّ يتأثر المعنى بذلك الحذف، واشتراطوا أيضاً وجود دليل لفظي، أو معنويّ على المحذوف، وقد سبق تفصيل الحديث في هذا.

ثالثاً: يُلاحظ أنّ هناك تفوّقاً عددياً لحذف ما كان أصله مبتدأ على ما كان أصله خبراً، وقد يقودنا هذا للقول إنّ الشاعر المبدع هو ذلك الذي يستفيد مما يتيح له النّظام اللغوي، فلا تطفئ على شعره حالة دون أخرى؛ لأنّ هدفه إيصال المعنى للقارئ.

الفصل الثاني

الحذف في الجملة الفعلية، ويشمل :

(١) حذف الفاعل .

(٢) حذف العامل في المصدر .

(٣) حذف الفعل وجوباً بعد إذا الشرطيّة .

(٤) حذف فعل القسم .

(١) حذف الفاعل .

يرى المبرد^(١) أنه لا يجوز حذف الفاعل بحجة أن الفعل لا يأتي بلا فاعل. والمبرد في هذا القول إنما يعتمد على ظهور المعنى في التركيب النحوي؛ فالجملة لا تستقيم إلا بذكر المسند والمسند إليه، وبذلك يفهم المعنى من خلال الجملة التامة، وهو صادق فيما يقول، فقد نصّ ابن مالك ت ٦٧٢هـ^(٢) على أن الكلام لفظ مفيد، وظهور الفاعل هنا معناه: الإفادة التامة؛ ولهذا كان المبرد صادقاً فيما ذهب إليه وأيده ابن الوراق ت ٣٨١هـ^(٣) أيضاً عندما ذكر أن الفعل لا يخلو من الفاعل؛ ولهذا وجب أن ينوب عنه اسم مرفوع. فالفعل لا يفتقر إلى المفعول كافتقاره إلى الفاعل. ولكن نلاحظ أن ابن الوراق يشير إلى إمكانية حذف الفاعل شريطة وجود ما ينوب عنه. كما ذهب ابن مالك ت ٦٧٢هـ إلى عدم جواز حذف الفاعل، فقال:

وَبَعْدَ فِعْلٍ فَاعِلٌ فَإِنْ ظَهَرَ فَهُوَ وَالْأَفْضَمُ اسْتَتَرَ

ويشرح محمد محيي الدين عبد الحميد هذا البيت، فيقول: «وهذا البيت يشير إلى حكمين من أحكام الفاعل، أولهما: أن الفاعل يجب أن يكون بعد الفعل، .. وثاني الحكمين: أنه لا يجوز حذف الفاعل، بل إما أن يكون ملفوظاً به، وإما أن يكون ضميراً مستتراً»^(٤).

متى يجوز حذف الفاعل ؟

وجد النحاة^(٥) وبعد استقراء عميق لمواضع الذكر والحذف أن الفاعل قد يُحذف لغرضين:

الأول: الأغراض اللفظية . يُحذف الفاعل في الحالات الآتية:

إذا دلّ عليه دليل، ويتمثل في: (المصدر العامل والمشتقات). وذهب لهذا كل من: ابن الوراق ت ٣٨١هـ^(٦)، وابن مضاء القرطبي ت ٥٩٢هـ^(٧).

(١) المقتضب، للمبرد، ١٩/١ .

(٢) ألفية ابن مالك، ص ٩.

(٣) علل النحو، لابن الوراق، ص ٣٠٩ .

(٤) شرح ابن عقيل، ٧٧/٢، ٧٨ هامش ١.

(٥) منهم: ابن مضاء القرطبي في: الرد على النحاة، ص ٨٦، ٨٧، والكسائي ت ١٨٩هـ، والسّهيلي ت ٥٨١هـ، وأبو البقاء العكبري في: اللباب في علل البناء والإعراب، ١٥٧/١، وابن هشام في: شرح شذور الذهب، ص ٢١٦،

(٦) علل النحو، لابن الوراق، ص ٣٠٩ .

(٧) الرد على النحاة، لابن مضاء القرطبي، ص ٨٦.

يشير ابن الورّاق ت٣٨١هـ إلى جواز حذف الفاعل إذا دلّ عليه دليل، فيقول: « فَإِنْ قِيلَ: فَهَلَا كَانَ الْفَاعِلُ مضمراً فِي (الْإِطْعَامِ) كَمَا يَضْمَرُ فِي اسْمِ الْفَاعِلِ، كَقَوْلِنَا: أَنْتَ مَطْعَمٌ، فَفِي (مَطْعَمٍ) ضَمِيرٌ مُسْتَتِرٌ، كَمَا اسْتَتَرَ فِي الْفِعْلِ، إِذَا قُلْتَ: تَطْعَمُ؟ فَالْجَوَابُ فِي ذَلِكَ: أَنَّ الْمَصَادِرَ لَا تَقْبَلُ الضَّمِيرَ، وَإِنْ عَمِلَتْ عَمَلُ الْفِعْلِ، وَإِنَّمَا لَمْ يَصَحَّ فِيهَا هَذَا؛ لِأَنَّهَا أَصْلُ الْأَفْعَالِ، فَجَرَتْ مَجْرَى أَسْمَاءِ الْأَجْنَاسِ، نَحْوُ: رَجُلٌ، وَفَرَسٌ، فَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ لَا تَقْبَلُ الضَّمِيرَ، وَجِبَ أَنْ يَكُونَ الْمَصْدَرُ كَذَلِكَ، فَإِذَا لَمْ يَظْهَرِ الْفَاعِلُ بَعْدَهَا، فَإِنَّمَا ذَلِكَ لِأَجْلِ حَذْفِهِ لِلدَّلَالَةِ عَلَيْهِ لَا لِاسْتِتَارِهِ»^(١).

وجاء الفاعل محذوفاً في شعر مبارك بن سيف لوجود دليل عليه في المصدر والمشتقات:

أولاً: المصدر. جاء فاعل المصدر محذوفاً في شعر مبارك بن سيف في (ثمانية وتسعين ومائة) موضع، وهذا كم هائل في المعجم اللغوي لدى الشاعر الذي يبدو أنه كان يركز في شعره على ذكر الحقائق المرتبطة بالحدث لا بالزمن، ومن هذه المصادر المحذوفة الفاعل في شعره:

• قوله في قصيدته (عودة إبريل)^(٢) :

عَجَبًا مِنْ نُورٍ قَدْ خُلِقَتْ عَيْنَاكَ ضِيَاءٌ كَالسَّحَرِ

• وقوله في قصيدته (فلسطين موطن الأديان)^(٣) :

عُدْرًا - فِلَسْطِينِ الْأَبَاةِ - فَإِنِّي ذَاكَ الْعَنِيدُ، فَإِنَّ يَوْمَ مَعَادِي؟

• وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٤) :

كَالطَّيْرِ إِنْ بَعُدَتْ تَعُودُ لَوْ كَرِهَهَا إِنَّ الْحَيَاةَ تَرْقُبُ وَرَجَاءُ

ثانياً: المشتقات. جاء فاعل المشتقات محذوفاً في شعر مبارك بن سيف في (سبعين) موضعاً، منها:

• قوله في قصيدته (بقايا سفينة غوص)^(٥):

(١) علل النحو، لابن الورّاق، ص ٢٧٧.

(٢) الأعمال الشعرية، ص ٦٤. (المتدارك)

(٣) السابق نفسه، ص ٨٣. (الكامل)

(٤) نفسه، ص ١٥٣. (الكامل)

(٥) الأعمال الشعرية، ص ٦. (الترمل)

وَأَذْكُرِي ذَاكَ الشَّرَاعَ

بِاسْطًا لِلرَّيْحِ مَمْدُودَ الذَّرَاعَ

باسطًا : اسم فاعل (فاعله محذوف) .

• وقوله في قصيدته (الليل والضفاف) ^(١) :

يَا ضَنِينَا قَدْ أَتَانِي الطَّيْفُ فِي اللَّيْلِ الْبَهِيمِ .

فَأَجِيبِي يَا نُحِيلَاتِ نَاتٌ

• وقوله في قصيدته (رفقة الصبا) ^(٢) :

يَا سَاكِنِي حِينَا قَدْ عَادَ ذِكْرَاهُ أَلَمْ يَزَلْ نُورُهُ يَكْسُو مُحْيَاهُ

٢- الاستثناء المفرغ، وهو ما كان مسبوqa بنفي، والمستثنى منه محذوفًا، نحو: ما قامَ إلاَّ هُند .

يقول ابن هشام ت ٥٧٦١: « وَالتَّقْدِيرُ: مَا قَامَ أَحَدٌ إِلَّا هِنْدُ. وَهَذَا أَحَدُ الْمَوَاطِنِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي

يَطْرُدُ فِيهَا حَذْفُ الْفَاعِلِ » ^(٣) .

ولم يرد شاهدٌ على الفاعل المحذوف في الاستثناء المفرغ في شعر مبارك بن سيف .

٣- ملاءمة السجعة، وملاءمة النظم.

يقول ابن هشام الأنصاري ت ٥٧٦١: « قَدْ يُحَذَفُ الْفَاعِلُ؛ لِلْجَهْلِ بِهِ ك: سُرِقَ الْمَتَاعُ، أَوْ لِفَرَضِ

لفظي: كتحصيح النظم في قول ^(٤) :

عُلِقَتْهَا عَرَضًا، وَعُلِقَتْ رَجُلًا غَيْرِي، وَعُلِقَ أُخْرَى ذَلِكَ الرَّجُلُ ^(٥) .

كما ذكر شارح كتاب فتح رب البرية في شرح نظم الأجرومية ^(٦) عن حذف الفاعل ملاءمة للسجع،

نحو: مَنْ طَابَتْ سِرِيرَتُهُ حُمِدَتْ سِيرَتُهُ، الْأَصْلُ حَمِدَ النَّاسُ سِيرَتَهُ .

(١) الأعمال الشعرية، ص ١٧ . (الرمل)

(٢) السابق نفسه، ص ٢٠ . (البسيط)

(٣) شرح قطر الندى، ص ١٨٢ .

(٤) الشاهد للأعشى، ميمون بن قيس، تُنظر مصادره في: معجم شواهد النحو الشعرية، للدكتور حنا حداد رقم الشاهد (١٩٢٩) ص

٥٢٤. ورواية الشاهد عند حداد:

عُلِقَتْهَا عَرَضًا، وَعُلِقَتْ رَجُلًا غَيْرِي، وَعُلِقَ أُخْرَى غَيْرِهَا الرَّجُلُ (البحر البسيط)

(٥) أوضح المسالك، ١٣٥/٢ - ١٣٧ .

(٦) فتح رب البرية في شرح نظم الأجرومية، لأحمد بن عمر بن مساعد الحازمي، ص ٢١٦ .

وجاء الفاعل محذوفاً ملائمة للنظم (القافية)، في شعر مبارك بن سيف في (عشرة) مواضع،

منها :

• قوله في قصيدته (أمجاد رمضان) ^(١) :

إِيهِ بَنِي ابْنِ الْوَلِيدِ تَمَهَّلُوا فَالْتَصِرْ لِلنَّفْسِ الْكَرِيمِ يُنْسَبُ

• وقوله في قصيدته (أمجاد رمضان) ^(٢) :

لِللَّهِ دَرْهُمْوْ أَعَادُوا لِلْوَعَى عَهْدًا لِّغَيْرِ جَدُّودِهِمْ لَا يُنْسَبُ

• وقوله في قصيدته (أمجاد رمضان) ^(٣) :

رَمَضَانُ فِيكَ الْمُعْجَزَاتُ كَرَامَةٌ لِلَّهِ شَهْرٌ وَالشُّهُورُ تُرْتَبُ

• وقوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي) ^(٤) :

مَا كُنْتُ لِتَجْرُؤُ فِي قَوْلِكَ

لَوْ أَنَّ حَلِيفِي لَمْ يُقْبَرْ

٤- أسلوب التعجب على وزن (أفعل) إذا دلّ عليه دليل .

يقول الشيخ خالد الأزهرى ت ٩٠٥هـ ملخصاً الحالات الأربع السابقة: «ويطرده حذف الفاعل في أربعة مواضع في باب النائب عن الفاعل، نحو: ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ ^(٥)، وفي الاستثناء المفرغ نحو: ما قام إلا هند، وفي (أفعل) بكسر العين في التعجب إذ دلّ عليه متقدم مثله، نحو: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصُرْ﴾ ^(٦)، وفي المصدر نحو: ﴿أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ (١٤) يَتِيمًا» ^(٧).

ولم يرد شاهدٌ على الفاعل المحذوف في أسلوب التعجب على وزن (أفعل)؛ لتقدم دليل عليه في

شعر مبارك بن سيف .

(١) الأعمال الشعرية، ص ٧٤. (الكامل)

(٢) الأعمال الشعرية، ص ٧٥. (الكامل)

(٣) السابق نفسه، ص ٧٦. (الكامل)

(٤) نفسه، ص ٢٨٠. (المتدارك)

(٥) سورة يوسف، ٤١ .

(٦) سورة مريم، ٣٨ .

(٧) شرح التصريح على التوضيح، لخالد الأزهرى، ص ١٣٩٩. سورة البلد، ١٤، ١٥ .

٥- النَّائِبُ عَنِ الْفَاعِلِ .

ويُعد حذف الفاعل في باب نائب الفاعل من الأغراض اللفظية، ويُحذف الفاعل في هذا الباب لأغراض معنوية منها:

• **أولاً: عِلْمُ الْمُخَاطَبِ بِالْفَاعِلِ** ^(١)، نحو: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ ^(٢)، فأصل التركيب - والله أعلم - خَلَقَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا، فَحُذِفَ الْفَاعِلُ، وهو: لفظ الجلالة للعلم به.

وجاء الفاعل محذوفاً للعلم به، وحلَّ محله نائبه في شعر مبارك بن سيف في (أربعة عشر) موضعاً، منها:

• قوله في قصيدته (بقايا سفينة غوص) ^(٣):

وَلَقَدْ دَارَتْ رَحَى الْأَيَّامِ دَوْرَةً

وَعَدَا الْغَوْصُ حِكَايَاتٍ تُغْنِي

• وقوله في قصيدته (بين هياكل عشتار - المشهد الثاني -) ^(٤):

أَتَرَى الْإِنْسَانَ يُخْلَقُ

فِي الْمَعَانِي السَّامِيَةِ

• وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج) ^(٥):

وَهُنَاكَ (شَوْعِي) وَ (بَانُوشْ) هُنَا وَشِبَاكُ صَيْدٍ قَدْ رُفِعْنَ خُوءَ

• **ثانياً: الاختصار** ^(٦)، كقولك: رُوي عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، اختصاراً لقولك: روى أبو

هريرة - رضي الله تعالى عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - .

جاء الفاعل محذوفاً اختصاراً، وحلَّ محله نائبه في شعر مبارك بن سيف في (سبعة) مواضع،

منها:

(١) يُنظر: فتح رب البرية في شرح نظم الآجرومية، ص ٣١٦ .

(٢) سورة النساء، ٢٨ .

(٣) الأعمال الشعرية، ص ٥ . (الرمّل)

(٤) السابق نفسه، ص ٢٧ . (الرمّل)

(٥) نفسه، ص ١٠١ . (الكامل)

(٦) فتح رب البرية في شرح نظم الآجرومية، ص ٣١٧ .

• قوله في قصيدته (أضغاث أحلام)^(١) :

وَيُقْفَلُ مُحَضَّرُهَا بَعْدَ حَيْنٍ لِيُفْتَحَ يَنْتَظِرُ الثَّانِيَةَ

• وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٢) :

أَيَرِيدُ نَبْعَ الشَّمْسِ؟ أَنْتَ صُخُورُهُ فَالشَّمْسُ تُوَلِّدُ هَهُنَا وَتُضَاءُ

• وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٣) :

كَالطَّيْرِ إِنْ بَعُدَتْ تَعُودُ لَوَكْرِهَا إِنَّ الْحَيَاةَ تَرْقُبُ وَرَجَاءُ

• ثالثاً : رغبة المتكلم في الإبهام على السامع^(٤) ؛ لأنه لم يُرد الإفصاح عن الفاعل، أو لأنه يجهله، فهو لا يستطيع تعيينه للمخاطب وليس في ذكره بوصف مفهوم من الفعل فائدة وذلك كما تقول: سُرِقَ متاعي، لأنك لا تعرف ذات السارق، وليس في قولك: سَرَقَ اللصُّ متاعي. فائدة زائدة في الإفهام على قولك: سُرِقَ متاعي. ونحو: سُرِقَ المتاعُ، وهو يعرف السَّارِقَ لكن قال: سُرِقَ المتاع قاصدا الإبهام على السامع .

وجاء الفاعل محذوفاً رغبة في الإبهام على السامع، في شعر مبارك بن سيف في (خمسة) مواضع، منها :

• قوله في قصيدته (الليل والضفاف)^(٥) :

هَلْ تُرَانِي فِي مَتَاهَاتِي ..

أَضَعْتُ الْيَوْمَ دَرْبِي ؟

• وقوله في قصيدته (مذكرات شاعر من العالم الثالث (٣) البعد الرابع -٢-) ^(٦) :

أَنْوَارُ تَوَارَتْ

أَتَرَاهَا ضَلَّتْ الدَّرْبَ وَتَاهَتْ ؟!

(١) الأعمال الشعرية، ص ٦٣. (المقارب)

(٢) السَّابِق نفسه، ص ١٢١. (الكامل)

(٣) نفسه، ص ١٥٣. (الكامل)

(٤) شرح ابن عقيل، ١١١/٢، ١٢١ هامش ٢ .

(٥) الأعمال الشعرية، ص ١٢. (الرَّمْل)

(٦) السَّابِق نفسه، ص ١٨٩. (الرَّمْل)

• رابعا : رغبة المتكلم في إظهار تعظيمه للفاعل: بصون اسمه عن أن يجري على لسانه، أو بصونه عن أن يقترب بالمفعول به في الذكر، كقولك: خلق الخنزير .

وجاء الفاعل محذوفاً تعظيماً له، في شعر مبارك بن سيف في (أحد عشر) موضعاً، منها :

• قوله في قصيدته (عُشَّاقُ الشَّمْسِ)^(١):

كَيْفَ لِلْفَجْرِ الَّذِي رَاحَ وَوَلَّى أَنْ يَعُودَ؟

كَيْفَ تُجْتَازُ الدِّيَاجِي الْعَاتِيَةَ؟

• وقوله في قصيدته (بحر الزُّمُرْد)^(٢):

الْمَاءُ فِيكَ كَعَسَجِدٍ يَتَفَجَّرُ وَالْغَانِيَاتُ بِعِشْقٍ دُرَّكَ تَسْحَرُ

• وقوله في قصيدته (عودة إبريل)^(٣):

عَجَبًا مِنْ نُورٍ قَدْ خُلِقَتْ عَيْنَاكَ ضِيَاءً كَالسَّحَرِ

• خامسا : رغبة المتكلم في إظهار تحقير الفاعل بصون لسانه عن أن يجري بذكره . وجاء الفاعل

محذوفاً تحقيراً له، في شعر مبارك بن سيف في (أحد عشر) موضعاً، منها:

- قوله في قصيدته (بحر الزُّمُرْد)^(٤):

هَآ أَنْتَ خَفَاقٌ وَوَمَوْجُكَ هَادِرٌ مِنْذُ الْخَلِيقَةِ صَابِرٌ وَمُسِيرٌ

- وقوله في قصيدته (فلسطين موطن الأمجاد)^(٥):

هَلْ يُطَلِّقُ الْمَسْجُونُ مِنْ أَصْفَادِهِ بِأَحَقِّ يُطَلِّقُ، أَمْ تُرَى بِزِنَادِ

• سادسا : خوف المتكلم من الفاعل، فيُعْرَضُ عن ذكره؛ لئلا يناله منه مكروه .

ولم يرد في شعر مبارك بن سيف شاهدا على هذا الغرض .

(١) نفسه، ص ١٨. (الرملة)

(٢) الأعمال الشعرية، ص ٤٧. (الكامل)

(٣) السابق نفسه، ص ٦٤. (المتدارك)

(٤) الأعمال الشعرية، ص ٤٨. (الكامل)

(٥) السابق نفسه، ص ٨٣. (الكامل)

• سابعاً : خوف المتكلم على الفاعل، فيُعْرَضُ عن اسمه؛ لئلا يمسّه أحد بمكروه .

وجاء الفاعل محذوفاً خوفاً عليه، في شعر مبارك بن سيف في قوله:

• في مسرحيته الشعريّة (الفجر الآتي)^(١) :

مَهْلًا فَمَا شُرِخَ الْعَلَمُ

• وفي مسرحيته الشعريّة السابقة نفسها^(٢) :

أَتَرَاهُ صَغَرَ شَأْنَهُمْ ؟

أَتَرَاهُ صَغَرَ شَأْنِ إِلَهَةِ لَهُمْ ؟

(١) نفسه ، ص ٢٥٥ .

(الكامل)

(٢) الأعمال الشعريّة، ص ٢٧١ ، ٢٧٢ .

(من الكامل)

(٢) حذف العامل في المصدر .

قسم النُّحاة^(١) المصادر المنصوبة إلى ثلاثة أقسام، هي:

الأول: مصادر حُذِفَ فعلها، مع جواز إظهاره، نحو قولنا للقادم من السفر: خَيْرَ مَقْدَمٍ. أي: قَدِمْتَ خَيْرَ مَقْدَمٍ. وَلِمَنْ يَعِدُ وَيُخْلِفُ: مواعيد عُرُقوب. أي: وعدتني مواعيد عُرُقوب .

وقد يأتي هذان المصدران مرفوعين على أنَّهما خبران لمبتدأ محذوف تقديره: قُدُومُك، وعدأتك.

ويرى ابن يعيش^(٢) أنه يجوز إظهار العامل (الفعل)، أو عدم إظهاره .

الثاني: مصادر يجوز إظهار فعلها غالباً؛ لكثرة الاستعمال، نحو:

- سَقِيَا، ورعِيَا. والتقدير: سقاك الله، ورعاك الله. فمثل هذه المصادر دعاء له، أو عليه. وهي منصوبة بفعل مضمر متروك إظهاره .

- حَمْدًا، وشُكْرًا، وهي مصادر للإخبار، وليست للدعاء، أَحَمَدُ اللهَ حَمْدًا .

ومثل هذه المصادر مما ذُكِرَتْ في كتب النحاة: خَيْبَةً، وَبُؤْسًا، وَبُعْدًا، سَحَقًا. وكل هذه المصادر منصوبة بفعل محذوف متروك إظهاره .

وجاء في شعر مبارك بن سيف المصذران (عَجَبًا، وَحَمْدًا). يرى سعيد الأفغاني ت١٤١٧هـ، أنَّ هذين المصدرين من المصادر المسموعة التي لا فعل لهما.

ويبدو أنَّ الأفغاني في هذا يعارض ما ذكره الزجاجي نقلاً عن سيبويه، في أنَّ هذين المصدرين (عَجَبًا، وَحَمْدًا) يُنْصَبَان بفعل مُضْمَر، فيقول:

«.. فَإِنَّمَا يَنْتَصِبُ هَذَا عَلَى إِضْمَارِ الْفِعْلِ، كَأَنَّكَ قُلْتَ: أَحَمَدُ اللهَ حَمْدًا وَأَشْكُرُ اللهَ شُكْرًا، وَكَأَنَّكَ قُلْتَ: أَعْجَبُ عَجَبًا...»^(٣) .

كما أكَّد الزجاجي^(٤) على هذا أيضاً في معرض بيانه علة اختزال - أي: إضمار - الفعل في مثل هذه المصادر .

(١) يُنظر: اللامات، للزجاجي، ١٢٢، ١٢٣، والإنصاف في مسائل الخلاف، لأبي البركات الأنباري، ٢٣٠/١، وشرح المفصل، لابن يعيش، ١١٢/١-١١٥، والملحة في شرح الملحة، لابن الصائغ، ٣٥٤ - ٣٥١/١.

(٢) شرح المفصل، لابن يعيش، ١١٢/١ -

(٣) اللامات، لأبي القاسم الزجاجي، ص ١٢٢.

(٤) السابق نفسه، ص ١٢٢.

ويعارض الأفغاني فيما ذهب إليه أيضًا ابن هشام الأنصاري ت ٧٦١هـ^(١) الذي عدَّ (عَجَبًا، وَحَمْدًا) من المصادر المسموعة التي كُثر استعمالُها، ودلَّت القرائنُّ عليها؛ ولذلك صَنَّفهما في قائمة المصادر التي لها فعل . كما يتعارض كلام الأفغاني مع ما ذكره السيوطي ت ٩١١هـ نقلًا عن أبي حيَّان: «قَالَ أَبُو حَيَّان: وَالَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ عُصْفُورٍ أَنَّ هَذِهِ الْأَلْفَاظَ خَيْرٌ، فَإِنَّهُ قَالَ: عَجَبًا، وَحَمْدًا، وَشُكْرًا ثَلَاثَتُهَا مَصَادِرُ قَائِمَةٌ مَقَامَ أَفْعَالِهَا النَّاصِبَةِ لَهَا، أَي: أَعْجَبَ عَجَبًا، وَأَحَمَدَ حَمْدًا، وَأَشْكُرُ شُكْرًا»^(٢) .

ويرى الباحث ما يراه النحويون أَنَّ المصدرَيْن: (عَجَبًا، وَحَمْدًا) لكلٍّ منهما فعلٌ مُقَدَّرٌ، هما: أَعْجَبُ، وَأَحْمَدُ .

وجاء المصدر (عَجَبًا) في شعر مبارك بن سيف في (أربعة) مواضع، هي:

• قوله في قصيدته (مسافر على أمواج الخليج)^(٣):

فَهَلْ عَجَبًا أَنْ طَوَانِي الْحَنِينِ وَقُلْتُ لِقَائِي بِأَرْضِي قَرِيبٌ

عَجَبًا: مصدر لفعل محذوف تقديره: أَعْجَبُ .

• وقوله في قصيدته (عودة إبريل)^(٤):

عَجَبًا مِنْ نُورٍ قَدْ خُلِقَتْ عَيْنَاكَ ضِيَاءَ كَالسَّحْرِ

عَجَبًا: مصدر لفعل محذوف تقديره: أَعْجَبُ .

• وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٥):

عَجَبًا أَيَاتِنَا الْغَرِيبُ مَسْمِيًّا يَاشَرْقُ كَمْ قَدْ كَذَبَ الْغُرَبَاءُ

عَجَبًا: مصدر لفعل محذوف تقديره: أَعْجَبُ .

• وقوله في قصيدته السابقة نفسها^(٦):

عُبِدَتْ مَعَادِنُكُمْ وَأَنْتُمْ دُونَهَا عَجَبًا لِمَنْ خُلِقَتْ لَهُ الْأَشْيَاءُ

(١) أوضح المسالك، ٢١٦/٢ - ٢٢٢ .

(٢) همع الهوامع ، لجلال الدين السيوطي، ١١٧/٢ .

(٣) الأعمال الشعرية، ص ١٥ . (المتقارب)

(٤) السابق نفسه، ص ٦٤ . (المتدارك)

(٥) نفسه، ص ١٢٢ . (الكامل)

(٦) الأعمال الشعرية، ص ١٤٦ . (الكامل)

عَجَبًا: مصدر لفعل محذوف تقديره: أعجب .

أما المصدر (حَمْدًا)، فلم يَرِدْ في شعر مبارك بن سيف إلا في قوله: في قصيدته (مذكرات شاعر من العالم الثالث - ٢ -) ^(١) :

حَمْدًا لِلَّهِ .. فَسَيِّدُنَا لَا يَقْرَأُ

حَمْدًا لِلَّهِ فَسَيِّدُنَا فِي رَحْلَةٍ صَيِّد

حَمْدًا: مصدر لفعل محذوف تقديره: أحمد .

الثالث: مصادر لا فعل لها، نحو: وَيَلَّ زَيْدٌ، وَيَحَهُ، وَزَيْدٌ سَيِّرًا سَيِّرًا . ويُقال هذا: لَمَنْ يَكْثُرُ فِي الْفِعْلِ؛ فَتُسْتَعْنَى بِدَلَالَةِ الْمَصْدَرِ عَنْ إِظْهَارِ الْفِعْلِ، وَهَذَا لَا يَخْصُ الْمَخَاطَبَ، بَلْ يُسْتَعْمَلُ فِي الْإِخْبَارِ عَنِ الْغَائِبِ. ولكن ألا تدل الجملة المذكورة على صيغة الخطاب؟ فكأنَّ القائل طلب من زيد أن يسير سيرا، فيرى الباحث أنَّ الفعل المقدَّر هو الفعل (سَارَ)، ويؤكد هذا ما ذكره ابن يعيش من إمكانية مجئ هذه المصادر للمخاطب، فيقول: « إِنَّمَا أَنْتَ سَيِّرًا سَيِّرًا .. بمعنى: تَسِيرُ سَيِّرًا سَيِّرًا .. وذلك على تقدير فعل مضمر لا يظهر؛ إذ قد صار المصدر بدلًا منه » ^(٢).

وجاء مثل هذا في شعر مبارك بن سيف، حيث قال في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي) ^(٣):

قَدْ سَأَلَتِ الْوُدَيَانِ خَيْرًا

هَيَّا فَتَقُومُوا، نَحْوَ ذَلِكَ سَيِّرًا

سَيِّرًا: مصدر منصوب .

علة إضمار الفعل في المصادر، وإلحاق لام التبيين بها :

تحدَّث سيبويه ^(٤) عن لام التبيين التي تلحق المصادر لتُبَيِّنَ المعنى، وقد يُستعاض عنها بإضافة المصدر للضمير.

وذكرَ صاحب كتاب (اللامات) أنَّ هذه المصادر تلحقها لام التبيين، فقال:

(١) السَّابِقُ نَفْسُهُ، ص ١٨٣ (٢) . (من المتدارك)

(٢) شرح المفصَّل، لابن يعيش، ١/ ١١٥ .

(٣) الأعمال الشعرية، ص ٢٦٥ . (من الكامل)

(٤) الكتاب، لسيبويه ١/ ٣١٨ .

«لام التبيين تلحق بعد المصادر المنصوبة بأفعال مخزولة مضمرة؛ لتُبين مَنْ المدعو له بها، وذلك قولك: سَقِيَا، وَرَعِيَا، وَرَحَبَا، وَنَعْمَةً .. ومن ذلك قول الله عز وجل: ﴿فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾»^(١).

كما بين الزجاجي ت٣٣٧هـ^(٢) نقلا عن سيبويه أن هذه المصادر تُتَّصَبُ على إضمار الفعل، كأنك قلت: أَحْمَدُ اللَّهُ حَمْدًا، وَأَشْكُرُ اللَّهَ شُكْرًا. كما بين الزجاجي سبب اختزال الفعل في تلك المصادر؛ لأنهم جعلوا هذا بدلاً من اللفظ بالفعل .

وألحق مبارك بن سيف في شعره لام التبيين بالمصادر في (تسعة) مواضع، منها :

● قوله في قصيدته (بين هياكل عشتار- المشهد الأول)^(٣) :

تَبَا لَكَ مِنْ آلِهَةٍ عَمِيَاءَ

عَمِيَاءَ ... يُسِيرُهَا الْعُمِيَانُ

تَبَا؛ مصدر حُذِفَ فعله. لَكَ؛ اللام للتبيين .

● وقوله في قصيدته (أضغات أحلام)^(٤) :

فَتَبَا لِسَاحِرَةٍ فِي الصُّدُورِ تَعِيَتْ وَإِنْ خِلَتْهَا غَافِيَةٌ

تَبَا؛ مصدر حُذِفَ فعله. لِسَاحِرَةٍ؛ اللام للتبيين .

● وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٥) :

عُبِدَتْ مَعَادِنُكُمْ وَأَنْتُمْ دُونَهَا عَجَبًا لِمَنْ خُلِقَتْ لَهُ الْأَشْيَاءُ

عَجَبًا؛ مصدر حُذِفَ فعله. لِمَنْ؛ اللام للتبيين .

ونجد مبارك بن سيف يوضح المدعو له، أو المدعو عليه، أو لِمَنْ يُوَجَّهُ إليه المصدر بأدوات عدا

(لام التبيين)، هي:

(١) اللامات، ص ١٢٣ . سورة الملوك، آية ١١ .

(٢) السابق نفسه، ص ١٢٢، ١٢٣ .

(٣) الأعمال الشعرية، ص ٣٦ . (المتدارك)

(٤) السابق نفسه، ص ٦٣ . (المتقارب)

(٥) نفسه، ص ١٤٦ . (الكامل)

أولاً: حرفا الجر: (مِنْ، والباء)، ومجرورهما، نحو:

● قوله في قصيدته (عودة إبريل)^(١) :

عَجَبًا مِنْ نُورٍ قَدْ خَلَقْتَ عَيْنَاكَ ضِيَاءَ كَالسَّحَرِ

● وقوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي)^(٢) :

عَمْتُ صَبَاحًا يَا أَخِي يَا ذَا الْحِكْمِ

أَهْلًا بِمَنْ قَدْ زَادَ غَمًّا وَنَدَمَ

ثانياً: المنادى، يقول في قصيدته (فلسطين موطن الأديان)^(٣) :

عُذْرًا - فِلَسْطِينَ الْأَبَاةِ - فَإِنِّي ذَاكَ الْعَنِيدُ، فَأَيْنَ يَوْمٌ مَعَادِي ؟

حرف النداء محذوف، والتقدير: يا فلسطين .

ثالثاً: الإضافة، يقول في قصيدته (سفن الغوص البائسة)^(٤) :

قُلْ لَهُمْ إِنِّي مَعَ الْأَمْوَاجِ آتٍ

وَيُحِ نَفْسِي بِنَسْ مُرَّ الْإِنْتِظَارِ

وَيُحِ نَفْسِي: أضاف المصدر المحذوف فعله لـ (نفس) .

ويرى سعيد الأفغاني أنّ هذه المصادر تستوجب النصب عند إضافتها، فيقول: «ومتى أضيفت

هذه المصادر وجب نصبها، فإذا لم تُضَفْ جازَ النَّصْبُ والابتداء بها تقول: «وَيْلٌ لِلظَّالِمِ، وويلاً

للظَّالِمِ»، أمّا مثل: «وَيْلَ الظَّالِمِ» إذا أضيفت فليس غير النصب»^(٥). وقال بهذا أيضاً الشيخ مصطفى

الغلاييني^(٦).

(١) الأعمال الشعرية، ص ٦٤ . (المتدارك)

(٢) السابق نفسه، ص ٢٦٥، ويُظنر أيضاً: ص ٢٧٧ . (من الكامل)

(٣) نفسه، ص ٨٣ . (الكامل).

(٤) الأعمال الشعرية ، ص ٢٧ . (الرمل)

(٥) الموجز في قواعد اللغة العربية، لسعيد الأفغاني، ص ٢٥٩ .

(٦) جامع الدروس العربية، للغلاييني، ٣/٣٩، ٤٠ .

المصادر محذوفة العامل المسبوقة باستفهام .

ذكر الغلاييني أنّ بعض المصادر المحذوفة العامل تُفيد التوبيخ، أو التعجب، أو التوجع إذا سُبِقَتْ باستفهام، فقال إنّ بعض هذه المصادر: «يَقَعُ بعد الاستفهام موقع التوبيخ، أو التعجب، أو التوجع»^(١) .

وجاءت المصادر في شعر مبارك بن سيف مسبوقة بالاستفهام في (عشرة) مواضع، منها:

● قوله في قصيدته (مسافر على أمواج الخليج)^(٢) :

فَهَلْ عَجَبًا أَنْ طَوَّانِي الْحَنِينُ وَقُلْتُ لِقَائِي بِأَرْضِي قَرِيبُ

فهل عجباً؛ سُبِقَ المصدر المحذوف فعله (عَجَبًا) بِأداة الاستفهام (هَلْ)، وقد أفاد ذلك معنى التوجع لما يعتصر قلب الشاعر من حنين لوطنه، كما أفاد معنى التعجب الذي يرى أنّ عاطفة الحنين للوطن عاطفة غير مستهجنة، وغير بعيدة لا سيما إذا كان صاحبها يكتوي بنار الغربة، فلا عجب في ذلك، وكأنّ الشاعر أراد أنّ يقول العجب ألاّ يكتوي المفاقر لوطنه بنار الشوق.

● وقوله في قصيدته (أمام نخلة)^(٣) :

وَكَأَنَّ هَمْسَ حَفِيفِهَا :

يَا وَيْحَ نَفْسِي ...

أَيْنَ بَانَتْ وَأَنْتَ هَتَ تَلَكَ الْعُهودُ ؟

يا ويح؛ يتحدّث الشاعر في المقطع عن الحال التي آلت إليه النخلة، إذ ابتعد عنها أهلها، فغدت وحيدة في الصحراء اللاهبة. ثمّ يدخلُ الشاعِرُ في أعماق النخلة؛ لينقل لنا ما تُعانيه من حسرة وألم وتوجع على حالها هذه، فهي تتحسّر على حالها الآن، وعلى تلك الأزمان التي خَلَتْ، وابتعدت . ويُلاحِظُ أنّ الشاعر قد حذف من هذا النصّ فعلين، هما:

- الفعل المضارع، وفاعله المستتر (يقول)، وهما في محل رفع خبر كأنّ .

- الفعل العامل في المصدر (وَيْحَ) . وكأنّ الشاعر أراد أنّ ينقل لنا الصورة الحقيقية لحالة الحزن والألم التي باتت تُعاني منهما النخلة. ثمّ أكّد الشاعر هذا بالجملة الشعرية التي أنهى بها المقطع، والقصيدة، وهو الاستفهام الذي يفيد التحسّر والتوجع: أين بانت .. ؟

(١) السّابق نفسه، ص ٤٠/٢ .

(٢) الأعمال الشعريّة، ص ١٥ . (المتقارب)

(٣) السّابق نفسه، ص ٦٨ . (من الكامل)

- المصادر الدالة بقراءتها على عاملها المحذوف:

هناك مصادر سماعية كثر استعمالها، وقد دلت القرائن على عاملها المحذوف، نحو: «سَمْعًا وِطَاعَةً، حَمْدًا لِلَّهِ وَشُكْرًا، عَجَبًا، عَجَبًا لَكَ، .. ومن هذه المصادر «سُبْحَانَ اللَّهِ، وَمَعَاذَ اللَّهِ». ومعنى (سُبْحَانَ اللَّهِ): تَنْزِيهَاً لِلَّهِ، وَبِرَاءَةً لَهُ مِمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ .. ومنها مصادرُ سَمِعَتْ مُثْنَةً، نحو: لَبَّيْكَ، وَسَعْدَيْكَ.. وهي مُثْنَةٌ تَنْثِيَةً يُرَادُ بِهَا التَّكثِيرُ، لَا حَقِيقَةَ التَّنْثِيَةِ، وَلَا يُسْتَعْمَلُ (سَعْدَيْكَ) إِلَّا تَابِعًا لِلْبَيْكِ، وَيَجُوزُ أَنْ يُسْتَعْمَلَ (لَبَّيْكَ) وَحْدَهُ»^(١).

وجاء في شعر مبارك بن سيف مصادِرُ سَمَاعِيَّةٌ، وقد ذكرنا بعضها آنفًا، كما ورد في شعره أيضًا المصدران: (سُبْحَانَ، وَلَبَّيْكَ) . يقول في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي)^(٢) :

سُبْحَانَ بَاعِثِ الْحَيَاةِ فِي الْوَهَادِ

وَالرُّوحِ فِي الرَّمَادِ

واستعمل الشاعر المصدر (لَبَّيْكَ) وَحْدَهُ، وَلَمْ يَتَّبِعْهُ بِ (سَعْدَيْكَ). حيث يقول في المسرحية ذاتها^(٣):

لَبَّيْكَ يَا رَحِيمَ

تُضِيءُ فِي الْقُلُوبِ

وَدَاعَةَ الرُّسُولِ

- المصادر المؤكدة لمضمون الجملة قبلها .

يرى المبرد ت٢٨٥هـ^(٤). أَنَّ (حَقًّا) تَأْتِي لِلتَّحْقِيقِ وَالتَّوَكِيدِ. وقال السيرافي ت ٣٨٥هـ في باب (نصب المصدر لتوكيد مضمون الجملة): «... زَيْدٌ أَخُوكَ حَقًّا؛ لِأَنَّ قَوْلَكَ (حَقًّا) هُوَ تَوَكِيدٌ لِمَا أَخْبَرْتَ بِهِ مِنْ إِخْوَةِ زَيْدٍ»^(٥).

وجاءت (حَقًّا) كمصدر حُذِفَ عامله في شعر مبارك بن سيف في موضعين، وكان مسبوقةً بالاستفهام المحذوفة أداته مرّةً، والمذكورة أخرى في كلا الموضعين، وهما :

(١) جامع الدروس العربية، للغلاييني، ٤١/٣ .

(٢) الأعمال الشعرية، ص٣٠٨ . (الرجز)

(٣) السَّابِقُ نَفْسُهُ، ص٣٠٨ . (الرجز)

(٤) المقتضب، للمبرد ٢/٣٥٨ .

(٥) شرح أبيات سيبويه، للسيرافي ١/١٨٤ .

• قوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي)^(١) :

دَعْنِي وَشَأْنِي مَا إِلَى اللَّهِ أَتَيْت

حَقًّا حَلِيفَ الْقَوْمِ عَمَّارِ صَبَا؟

حُذفت أداة الاستفهام (الهمزة)، وجئ بالمصدر للاستفهام عن حقيقة إسلام عمَّار بن ياسر.

• وقوله في المسرحية الشعرية نفسها^(٢) :

أَوْ تَجْهَلُ سَيِّدَنَا الْأَكْرَمَ؟

أَوْ تَجْهَلُ حَقًّا مَنْ أَسْلَمَ؟

أَوْ تَجْهَلُ دَارَ أَبِي الْأَرْقَمِ؟

سُبق المصدر (حقًّا) بهمزة الاستفهام، وجيء بالمصدر هنا للسخرية والاستهزاء. فياسر يستهزئ بأبي جهل، ويسأله هل أنت فعلاً لا تعرف مَنْ أسلم؟ وهل صحيح أنك لا تعرف دار الأرقم التي يلتقي فيها المسلمون برسول الله - صلى الله عليه وسلم -؟ والسؤال جاء ليؤكد على أنَّ المسؤول يعلم بإجابات الأسئلة، وإنما طُرحت سُخرية، واستهزاءً .

وفيما يأتي جدولٌ يبيِّن المصادر الواردة في شعر مبارك بن سيف:

التسلسل	المصدر	تكراره	التسلسل	المصدر	تكراره
١	مَهْلًا	١٢	١٤	سُبْحَانَ	١
٢	وَيَّحَ	٨	١٥	سُقْيَاكَ	١
٣	حَقًّا	٥	١٦	خَجَلًا	١
٤	عَجَبًا	٤	١٧	رَجَعُ	١
٥	أَهْلًا	٢	١٨	وَيْلُ	١
٦	تَبًّا	٢	١٩	عَشَقًا	١
٧	حَمْدًا	١	٢٠	رُعْبًا	١
٨	سَيِّرًا	١	٢١	لَبِيَّكَ	١
٩	دُعَاءً	١	٢٢	شَرُّ	١

(١) الأعمال الشعرية، ص ٢٨٠ . (من الكامل)

(٢) السَّابِق نفسه، ص ٢٨٠ . (من الكامل)

التسلسل	المصدر	تكراره	التسلسل	المصدر	تكراره
١٠	رَجَاءٌ	١	٢٣	حُبًّا	١
١١	وَدَاعًا	١	٢٤	فَتَحًا	١
١٢	صَبْرًا	١	٢٥	مَرَحَبًا	١
١٣	عُذْرًا	١			
المجموع			أربعة وخمسون مصدرًا		

(٣) حذف الفعل وجوباً بعد إذا الشرطية .

يلخص سيبويه^(١) أحكام (إذا) فيما يأتي:

أولاً: (إذا) بمنزلة (إذا)، فإذا تُستخدم لما يُستقبل من الزمان، وإذا تُستخدم لما مضى من الزمان.

ثانياً: تكون (إذا) للوقت المعلوم على عكس (إن) المبهمة .

ثالثاً: توصل إذا بالفعل، وهو في إذا بمنزلته في الحين، كأنك قلت: الحين الذي تأتيني فيه آتيك . ويعني هذا أن (إذا) تحمل معنى الظرفية الزمانية للمستقبل .

اختصاص (إذا) بالدخول على الفعل .

أكد النحاة^(٢) على اختصاص (إذا) بالدخول على الأفعال، ووجوب تقدير الفعل بعدها إذا وليها اسم، يقول خالد الأزهرى المعروف بالوقاد ٩٠٥هـ: «وتختص إذا الشرطية هذه بالدخول على الجمل الفعلية عكس الفجائية على الأصح فيهما، نحو: ﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾^(٣). وأما نحو: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾^(٤) مما دخلت فيه على الاسم، فمحمول عند جمهور البصريين على إضممار الفعل، ويكون الاسم الداخلة هي عليه فاعلاً بفعل محذوف يفسر الفعل المذكور. والتقدير: إذا انشقت السماء انشقت»^(٥).

(١) يُنظر: الكتاب، لسيبويه ٦٠/١ .

(٢) منهم: - سيبويه في: الكتاب ٦٠/١، ١٠٦، ١٠٧، والمرادي في: توضيح المقاصد والمسالك ٨١٠/٢، وخالد الأزهرى في: شرح التصريح على التوضيح، ٩٨/١، وأبو الطيب محمد صديق خان في: فتح البيان في مقاصد القرآن، ١١٥/١، وأحمد محمد عبد الله، في: ظاهرة التقارض في النحو العربي، ٤٤١/٤، ٤٤٢، ٤٤٧ .

(٣) الرحمن، آية ٢٧ .

(٤) الانشقاق، آية ١ .

(٥) موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب، لخالد الأزهرى، ص ١٥ .

وَوَلَّفَ مَبَارَكُ بْنُ سَيْفٍ (إِذَا) فِي شِعْرِهِ عَلَى وَجْهَيْنِ:

الأول: إِذَا الشَّرْطِيَّةُ الَّتِي حُذِفَ الْفِعْلُ بَعْدَهَا، وَوَلَّيْهَا الْاسْمَ، وَيُؤَوَّلُ عَلَى أَنَّهُ فَاعِلٌ لِفِعْلِ مَحذُوفٍ يُفَسِّرُهُ الْفِعْلُ الْمَذْكُورُ فِي الْجُمْلَةِ. وَوَصَلَ عِدَّةُ هَذِهِ الشُّوَاهِدِ إِلَى (ثَلَاثَةِ عَشَرَ) شَاهِدًا، مِنْهَا:

• قَوْلُهُ فِي قَصِيدَتِهِ (عُشَّاقُ الشَّمْسِ)^(١):

قَلْبُهُ السَّائِمُ مِنْ لَيْلٍ إِلَى لَيْلٍ تَحَوَّلُ

دَائِرًا فِي سَفْحِ أَمَالٍ إِذَا الْقَلْبُ تَهَلَّلُ

الْقَلْبُ: (الْقَلْبُ): فاعل مرفوع لفعل محذوف يُفَسِّرُهُ الْفِعْلُ (تَهَلَّلُ)، حَذَفَ الشَّاعِرُ الْمُسْنَدَ (الْفِعْلُ: تَهَلَّلُ)؛ لِضَيْقِ الْمَقَامِ عَنْ ذِكْرِهِ؛ ذَلِكَ أَنَّهُ مَشْغُولٌ بِالْحَدِيثِ عَنْ قَلْبِ الْغَوَاصِ الْمَمْتَلِئِ بِالْأَمَالِ الْعَرِيضَةِ؛ لِذَلِكَ تَرَاهُ فَرْحًا .

• وَقَوْلُهُ فِي قَصِيدَتِهِ (إِطْلَالَةُ الْفَجْرِ - إِلَى شَاعِرِ الْحَرِيَّةِ، وَعَاشِقِ الطَّبِيعَةِ: أَبِي الْقَاسِمِ الشَّابِّيِّ)^(٢):

إِذَا اللَّيْلُ طَالَ عَلَى أُمْتِي رَمَاهَا الزَّمَانُ بِفَيْضِ الْعِلَلِ

الْلَّيْلُ: فاعل مرفوع لفعل محذوف مُفَسَّرُ بِالْفِعْلِ (طَالَ)، حَذَفَ الشَّاعِرُ الْمُسْنَدَ (الْفِعْلُ: طَالَ) لِضَيْقِ الْمَقَامِ عَنْ إِطَالَةِ الْكَلَامِ، فَمَا يَهْمُ الشَّاعِرُ هُوَ بَيَانُ حَالِ الْأُمَةِ، كَمَا أَنَّ ذِكْرَ الْفِعْلِ غَيْرُ مُجْدٍ؛ فَهُوَ مَعْلُومٌ، وَمُفَسَّرُ بِالْفِعْلِ الْمَذْكُورِ وَبِالتَّالِي يَصْبِحُ ذِكْرُهُ نَوْعًا مِنَ الْعَبَثِ .

• وَقَوْلُهُ فِي قَصِيدَتِهِ (أَنْشُودَةُ الْخَلِيجِ)^(٣):

وَعَجَزْتُ عَنْ وَصْفِ الضُّفَافِ إِذَا الضُّحَى نَثَرَ الضِّيَاءَ عَلَيْكَ فَهُوَ دَاءٌ

الضُّحَى: فاعل مرفوع لفعل محذوف مُفَسَّرُ بِالْفِعْلِ (نَثَرَ)، حَذَفَ الشَّاعِرُ الْمُسْنَدَ (الْفِعْلُ: طَالَ) لِضَيْقِ الْمَقَامِ عَنْ إِطَالَةِ الْكَلَامِ، فَالشَّاعِرُ مَهْتَمٌ بِوَصْفِ ضَفَافِ الْخَلِيجِ وَقْتَ الضُّحَى، كَمَا أَنَّ الْفِعْلَ مَفْهُومٌ، لَا يَصْعَبُ عَلَى الْقَارِئِ تَقْدِيرُهُ .

الثاني: إِذَا الشَّرْطِيَّةُ الْمَذْكُورُ بَعْدَهَا الْفِعْلُ مَبَاشَرَةً، وَوَقَّفَ الْبَاحِثُ عَلَى (سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ)

مَوْضِعًا جَاءَتْ فِيهِ إِذَا الشَّرْطِيَّةُ مَتَبَوِّعَةً بِالْفِعْلِ مَبَاشَرَةً، مِنْهَا:

(١) الأعمال الشعرية، ص ١٤ . (الرملة)

(٢) السابق نفسه، ص ٥٨ . (المتقارب)

(٣) الأعمال الشعرية، ص ٩٨ . (الرملة)

• قوله في قصيدته (سفن الغوص البائسة)^(١):

وَتَرَى الْغَوَاصَ مِنْهُوَكَ الْقَوَى

يَقْتَضِي آثَارَ دُرَّةٍ

قَدْ يُلاقِيهَا إِذَا طَالَ عَنَاؤُهُ

طال: ذُكِرَ الفعل هو الأصل، فالشاعر لم يخرج على هذا الأصل النحوي، لكن لِمَ ذَكَرَ الشاعر المسند، ولم يحذفه؟ يعتقد الباحث أن في هذا السياق ذكر المسند (طال) أبلغ من حذفه؛ لأنَّ الشاعر مهتمُّ بنقل صورة معاناة الغوّاص، والفعل (طال) يساهم في توضيح تلك المعاناة، فبذكره يكفي القارئ مؤونة البحث عن الفعل وتقديره من ناحية، ومن الناحية الأخرى فإنَّ في ذكره زيادةً في إبانة مدى المعاناة التي يعايشها الغوّاص؛ ليحصل على اللؤلؤ.

• وقوله في قصيدته (أمجاد رمضان)^(٢):

حَتَّى إِذَا أَرَفَ الْجِهَادُ تَهَافَّتَتْ أَرْوَاحُهُمْ تَرْجُو الْمَمَاتَ وَتَطْلُبُ

أَرَفَ: لم يحذف الشاعر الفعل؛ لأنَّه مهتمُّ ببيان مجيء الجهاد الذي بمجيئه تتسابق أرواح المجاهدين طالبة الموت لنيل شرف الشهادة في سبيل الله .

• وقوله في مسرحيته الشعريّة (الفجر الآتي)^(٣):

إِذَا قَسَمَ الدَّمُ بَيْنَ سَيُوفِ الْقَبَائِلِ

سَتَقْطُرُ كُلُّ السَّيُوفِ دَمًا

قَسَمَ: لم يحذف الشاعر الفعل؛ لأنَّ الحديث مُنْصَبٌّ على فِعْلٍ تَوْزِيعٍ دَمَ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بين القبائل، وهذه الخُطَّةُ جاءت على لسان الشيطان في المسرحية، فَحَذَفُها قد لا يكون مقبولاً لا سيما وأنَّه الموضوع الأهم، ويُلاحَظُ مجيئُهُ بصيغة المبني للمجهول، لتأكيد ضياع دم محمد - عليه الصلاة والسلام - بين قبائل العرب؛ للجهل بالقاتل الحقيقي .

والسؤال الآن لماذا كُثِرَ ذِكرُ الفعل بعد إذا الشرطية مقارنة مع حذفه؟ حيث جاء الفعل محذوفاً بعد إذا الشرطية في (ثلاثة عشر) موضعاً، في حين جاء الفعل مذكوراً بعد إذا الشرطية في (سنة

(١) السَّابِقُ نَفْسَهُ، ص ٢٤ . (الكامل)

(٢) نَفْسَهُ، ص ٧٤ . (الكامل)

(٣) الأَعْمَالُ الشَّعْرِيَّة، ص ٣٢٤، ٣٢٥ . (المقارب)

وأربعين) موضعاً . إنّ نظرة لدلالة التركيب في كلّ حالة من حالتي ورود الفعل، أو حذفه بعد إذا الشرطية يجعلنا نتبيّن أنّ الحالات التي حُذف فيها الفعل كانت تستدعي ذلك الحذف؛ لأنّ الأهمية في التركيب تكون للفاعل وليس للفعل. وكذلك الأمر في حال ذُكر الفعل؛ لأنّ الاهتمام يكون لذكر الحدث، وليس للفاعل. وقد عرض البحث لبعض تلك الحالات، ولا بأس من عرض بعضها الآخر:

أولاً: الأهمية للفاعل؛ لذلك جيء به بعد إذا الشرطية من أمثلة ذلك:

• قوله في قصيدته (سفن الغوص البائسة)^(١):

إِنْ تَذَكَّرْتَ فَهَلْ تَنْسِينَ ...

أَيَّامَ الْقَضَائِ

بَعْدَ لَيْلٍ طَالَ فِي الْبَحْرِ وَطَالَ

وَأَتَى الْفَجْرُ وَلَيْدًا فِي ثَنَائِهِ الْوِصَالِ

وَأَذْكُرِي الشُّطَّ إِذَا مَا الشُّطُّ قَدْ مَدَّ ذِرَاعَهُ

وَهَذَا الرَّمْلُ إِلَيْكَ فِي حَنِينٍ وَوَدَاعَةٍ

يتحدّث المقطع عن لحظات انتظار عودة الغواصين الذين كانوا يغيبون في عرض البحر مدة زمنية طويلة أحياناً؛ لذلك كان أهل البلدة يخرجون إلى الشاطئ لاستقبال العائدين من رحلة المغامرة والمعاناة، فالنظرُ كلّهُ يتجه صوب الشاطئ؛ فهو المكان الذي سيشهد لحظات اللقاء الجميلة وقت الفجر؛ لذلك فلا غرابة أن يؤثّر الشاعرُ ذَكَرَ هذا المكان بعد إذا الشرطية، ويفضّل حذف العامل فيه (الفعل)؛ فعدم ذكر ذلك الفعل لا يؤثّر؛ لأنّ الفعل المذكور (مدّ) يفسّره ويدل عليه .

• وقوله في قصيدته (مذكرات شاعر من العالم الثالث - ٣ - البعد الرابع)^(٢):

يَصْرُخُ الْحُلُمُ الَّذِي أَدَمَاهُ يَأْسِي

لَا تَمَلْ الدَّرَبَ يَا ظَمَانُ أَنْتَ

ثم يقول: ..

(١) الأعمال الشعريّة، ص ٨، ٩ . (من الرمل)

(٢) السّابق نفسه، ص ١٩١ . (الرمل)

وَإِذَا الْحُلُمُ الَّذِي أَرْنُو إِلَيْهِ

قَدْ تَبَدَّدَ

سَبَقَتْني جَمَرَاتٌ مُحْرِقَاتٌ

سَكَنْتُ فِي مُقْلَتَيْهِ

فَرَأَيْتُ الْحُلُمَ قُرْبِي

فَلَعَنْتُ الْحُلُمَ مِنْ يَأْسِي وَمِنْ وَجْدِي عَلَيْهِ

يُلاحَظُ أَنَّ كلمةَ (الحُلُم) تكررت في هذا المقطع ثلاث مرّات، ولا غرابة في ذلك؛ فالحلم هو محور الحديث هنا، فالحُلُمُ هو مَنْ يَصْرُخُ بعد أن أصابه اليأسُ بِمَقْتَلٍ، وهو الذي كان هدفاً للشاعر يسعى لتحقيقه؛ لذلك كان يراه دائماً قريباً منه زيادة في الثقة بأنه سيحققه، ولكن ها هو حلم الشاعر يتبدد، وينتهي، فيصبحُ مَحَطَّ اللعن والسُّتَم. وبعد كل هذا يجب على الشاعر أن يذكر (الحلم) الكلمة حيثما سنحت له الفرصة؛ لذلك ذَكَرَهُ بَعْدَ (إذا الشَّرْطِيَّة) ولم يَذْكُرْ عامِلَهُ (الفاعل)، فتفسيره بفعل آخر، وهو (أرْنو) يُفني عن ذكره.

ثانياً: الأهمية للفعل؛ لذلك جيء به بعد إذا الشرطية مباشرة، يقول:

• في قصيدته (البَيِّنُ والأَقْدَارُ)^(١):

ضَوْءُ النَّهَارِ إِذَا بَعْدَتْ غَمَامَةٌ وَاللَّيْلُ قُرْبِكَ بَاهِرُ الْأَنْوَارِ

تتحدّث القصيدة عن البُعد والفراق؛ ولذلك جعل الفعل (بَعْدَتْ) الدّال على الفراق يتلو مباشرة إذا الشرطية، فلا مجال لحذف الفعل الذي تقوم القصيدة كلّها عليه. ويُلاحَظُ أَنَّ الشاعر بنى الفعل للمجهول، وكأنّه يشير إلى أَنَّ هذا البُعد لم يكُ بإرادة الحبيبة، لكنّه كان فراقاً قسرياً. ولعلّ ما يؤكّد هذا أَنَّ الشاعر كتب قصيدته في القاهرة سنة ١٩٧٥م أثناء عمله في السفارة القطرية في القاهرة، والرمز حاضرٌ في هذه القصيدة، إذ يرمز فيها لوطنه قطر الذي ابتعد عنها بُعداً قسرياً بحكم عمله.

• وقوله في قصيدته (الزَّهْرُ من رسائل)^(٢):

إِذَا تَبَدَّدَ ثَغْرُهَا بَانَ نَدْيُ الْأَقْحَوَانِ

(١) الأعمال الشعريّة، ص ٤١. (الكامل)

(٢) السّابق نفسه، ص ٤٢. (مجزوء الرجز)

تتألف القصيدة من (اثني عشر) بيتاً يصف الشاعر فيها محبوبته، والوصف الذي جاء به الشاعر قدّم فيه الاسم على الفعل، نحو: (البدرُ يخشى نورَهَا.. / العينُ تحميها الرموش.. / العينُ تفضحُ الهوى.. / وهذا طبيعيٌّ جداً فالشاعر يصف ما يراه أمامه من وجه يشبه البدر، وعين محروسة بالرموش، ولكن عندما جاء لوصف الثغر (الفم) ، قدّم الفعل وجاء به بعد إذا الشرطية. ويرى الباحث أنّ الشاعر يريد وصف ما يحتويه ثغر ممدوحته من أسنان لمّاعة تشبه الندى على زهر الأقحوان. وأمر آخر أنّ هذه الأسنان لا تظهر والفم مغلق؛ لهذا أراد الشاعر أن يصف شيئاً يشاهد أمامه؛ لذلك قال تبدّى الثغر، فالأهمية لفتح الفم؛ لذلك كانت الأهمية له بأنّ جعل بعد إذا الشرطية .

● وفي قصيدته (أنشودة الخليج)^(١):

وَإِذَا شَدَا (ابْنُ الْعَبْدِ) فِيهِ بِشْعَرِهِ تَشْدُو بَلَابِلُ خَلْفَهُ وَظَبَاءُ

يريد الشاعر أن يبين ما يشتهر به الخليج من وجود شعراء فحول فيه، ومن هؤلاء الشاعر الجاهلي المعروف (طرفة بن العبد) ، وهو من أصحاب المعلقة. فالشاعر يريد أن يؤكد على عراقية الخليج العربي بما يضمُّ من شعراء؛ ولذلك جاء بما اشتهر به ابن العبد وهو الشعر، فجاء بالفعل (يشدو) بعد إذا الشعرية؛ لأنّ قول الشعر: وشدوه هو الأهم في هذا المقام، فلا سبيل لحذفه.

ويرى الزجاج ت ٣١١هـ^(٢) أنّ (إذا) قد تنوب عن جواب الشرط .

وجاء ما يشبهه في شعر مبارك بن سيف، حيث يقول في قصيدته (مسافر على أمواج الخليج)^(٣):

وَنَجْمَ الصَّبَاحِ إِذَا مَا بَدَا وَفَجْرًا يُقْبِلُ تِلْكَ الدُّرُوبُ

يناجي الشاعر رياح الجنوب طالباً منها أن تأخذه لوطنه، ثم يذكر أسباب شوقه وحنينه الكبير للذهاب لوطنه؛ كي يشهد الفجر على شاطئ الخليج، ويلتقي بقومه كرام الصفات، حسان السجيا - وليشهد الربيع في بلده، ويتابع تعداد الأماكن التي يرغب في مشاهدتها في وطنه إلى أن يصل لهذا البيت الذي يعبر من خلاله عن رغبته الجامعة في مشاهدة نجم الصباح وقت ظهوره . فإذا هنا نابت عن جواب الشرط، والتقدير: إذا ما بدا نجم الصباح فإنه سيشهده.

(١) الأعمال الشعرية، ص ١٢٧ . (الكامل)

(٢) معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق الزجاج، ١٢/٣ .

(٣) الأعمال الشعرية، ص ١٦ . (المقارب)

هل يأتي ما بعد (إذا) مبتدأ ؟

لخص المُرادي ٧٤٩هـ آراء العلماء في مسألة مجيء ما بعد إذا الشرطية مبتدأ، فقال: «ومذهب سيبويه أن (إذا) لا يليها إلا فعل ظاهر، أو مقدّر. فالظاهر نحو: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾^(١). والمقدر نحو: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾^(٢). ولا يجوز غير ذلك. هذا هو المشهور، في النقل عن سيبويه. ونقل السُّهيلي أن سيبويه يُجيزُ الابتداء بعد إذا الشرطية، وأدوات الشرط، إذا كان الخبر فعلاً. وأجاز الأخفش وقوع المبتدأ بعد إذا. قال ابن مالك: وبقوله أقول؛ لأنّ طلب إذا للفعل ليس كطلب إن»^(٣).

وجاء مثل هذا في شعر مبارك بن سيف في قوله في قصيدته (أنشودة وادي النيل)^(٤):

وَإِذَا النُّجْمُ قَاهِرٌ قَدْ تَبَدَّى فَبَنُوا خَيْرَ حَاضِرَاتِ الزَّمَانِ

النُّجْمُ: مبتدأ. قَاهِرٌ: خبر.

والملاحظ أنّ الفعل لم يأت خبراً للمبتدأ. كشرط وضعه سيبويه - كما قال السُّهيلي - ولكنّ الباحث عثر على نصّ لسيبويه في كتابه، يقول فيه: «والرفع بعدهما جائز؛ لأنّك تبتدئ بعدهما، فتقول: اجْلِسْ حَيْثُ عَبْدُ اللَّهِ جَالِسٌ، واجْلِسْ إِذَا عَبْدُ اللَّهِ جَلَسَ»^(٥). فسيبويه لم يضع شرطاً هنا لوجوب مجيء الفعل خبراً للمبتدأ بعد إذا الشرطية، كما أنّ مثاله (عبدُ الله جالسٌ) يُمثّلُ دليلاً على مجيء خبر المبتدأ اسماً وليس فعلاً. وقد يكون السُّهيلي استنتج هذا من المثال الذي ذكره سيبويه؛ إذ كان خبر المبتدأ (عبدُ الله) الفعل: جَلَسَ.

- مجيء (ما زائدة) بعد إذا .

تقع (ما) بعد إذا أحيانا، فما حكمها ؟ يقول عباس حسن ت ١٣٩٨هـ في معرض حديثه عمّا تختصُّ به (ما)، ومبيناً مجيء (ما) زائدة بعد إذا الشرطية:

«أن تكون (أي: ما) زائدة أي: يمكن حذفها فلا يتأثر المعنى، وتقع كثيراً بعد: «إذا» الشرطية؛

(١) سورة النصر، آية ١ .

(٢) سورة الانشقاق، آية ١ .

(٣) الجنى الداني، للمرادي، ص ٣٦٨ .

(٤) الأعمال الشعرية، ص ٢١٨ . (الخفيف)

(٥) الكتاب، لسيبويه ١٠٧/١ .

مثل: إذا ما المَجْدُ نادانا أَجَبْنَا .. أو بعد غيرها، مثل: قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾^(١)، وقوله: ﴿مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا﴾^(٢).

وجيء (بِمَا) زائدة بعد إذا الشرطية في شعر مبارك بن سيف في (أربعة عشر) موضعاً، منها:

• قوله في قصيدته (بقايا سفينة غوص)^(٣):

وَأَذْكُرِي النُّورَ إِذَا مَا الْفَجْرُ لَاحَ

وَصَفَا الْبَحْرُ مَعَ الْجَذَلَى الْعَذَابَ

إِذَا مَا: إذا أداة شرط . ما: زائدة. والتقدير: إذا لَاحَ الفجرُ لَاح. الفجرُ: فاعل لفعل محذوف تقديره (لَاحَ). فَ (مَا) زائدة جيء بها لتأكيد المعنى .

• وقوله في قصيدته (رفقة الصِّبا)^(٤):

هَلْ تَذْكُرِينَ إِذَا مَا الْبَدْرُ مُكْتَمِلٌ وَأُمْسِيَّاتٍ قَضَيْنَاهَا بِمَرَاهُ

إِذَا مَا: (ما) زائدة. العامل المحذوف اسم الفاعل (مُكْتَمِلٌ)، والتقدير: إذا اكتمل البدر (مُكْتَمِلٌ).

• وقوله في قصيدته (ذكريات الطفولة)^(٥):

وَمَا زِلْتُ أَذْكُرُ أَفْرَاحَنَا

إِذَا مَا أَتَانَا الْبَشِيرُ

إِذَا مَا: ولي الفعل (أَتَى) أداة الشرط، ولكنْ فَصَلَتْ بينهما (ما) الزائدة للتأكيد .

هل الفعل المحذوف، أو المذكور بعد إذا الشرطية ماضٍ، أم مضارع؟

يقول أحمد محمد عبد الله: «.. ويكون الفعل بعد إذا الظرفية ماضياً كثيراً ومضارعاً دون ذلك،

وقد اجتمعا في قول أبي ذؤيب^(٦):

(١) سورة آل عمران، آية ١٥٩ .

(٢) النحو الوافي، لعباس حسن، ٣٥٣/١ . سورة نوح، آية ٢٥.

(٣) الأعمال الشعرية ، ص ٨ . (الرمل)

(٤) السابق نفسه، ص ٢١ . (البسيط)

(٥) نفسه، ص ٨٠ . (من المتقارب)

(٦) الشاهد لأبي ذؤيب الهذلي، تُنظر مصادره في: معجم شواهد النحو الشعرية، للأستاذ الدكتور حنا حداد. رقم الشاهد (١٥٢٧)،

ص ٤٦٢ . (الكامل)

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغِبَتْهَا وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ^(١)

نظر الباحث في الأفعال المذكورة، والمحذوفة (المقدّرة) بعد إذا الشرطية في شعر مبارك بن سيف؛ فوجدها (أفعالاً ماضية) في الأعم الأغلب؛ إذ لم يرد بعدها (الفعل المضارع) إلا في ثلاثة مواضع .

والجدول الآتي يوضح نوع الفعل الوارد وتوثيقه :

أولاً: الفعل الماضي

الرقم	الفعل الماضي	الصفحة ورقم البيت	الرقم	الفعل الماضي	الصفحة
١	عَمَّ	٧ (ب: ٣٤)	١٤	القلبُ أضحى	٦٢ (ب: ٣)
٢	ما الفجرُ لَاحَ	٨ (ب: ٤٧)	١٥	أزِفَ	٧٤ (ب: ١٤)
٣	ما الشَّطُّ قد مَدَّ	٩ (ب: ٥٧)	١٦	ما أطلَّ	٧٧ (ب: ٨)
٤	القلبُ تهلَّلَ	١٤ (ب: ٧٤)	١٧	اغستَلَتْ	٧٧ (ب: ٩)
٥	ما بدأ	١٦ (ب: ١٤)	١٨	ما جَسَّنَا	٧٨ (ب: ٢١)
٦	لاحتْ	١٨ (ب: ٢٦)	١٩	حَانَ	٧٩ (ب: ٣٥)
٧	طالَ	٢٤ (ب: ٣٥)	٢٠	ما أتانا	٨٠ (ب: ٥٣)
٨	بُعِدَتْ	٤١ (ب: ٦)	٢١	ما نما	٨١ (ب: ٧٠)
٩	ما جاءَ	٤٢ (ب: ٩)	٢٢	الضُّحَى نثَرَ	٩٨ (ب: ١٧)
١٠	تبَدَّى	٤٣ (ب: ٥)	٢٣	مَشَيْنَ	٩٩ (ب: ٢٥)
١١	الليل طالَ	٥٨ (ب: ١)	٢٤	لاَحَ	١٠٦ (ب: ٥٦)
١٢	ما الربيعُ أهْلَ	٥٨ (ب: ٦)	٢٥	نَأَيْتُ	١٠٦ (ب: ٥٩)
١٣	ذُكِرُوا	١٣٠ (ب: ١٧٦)	٢٦	شَدَا	١٢٧ (ب: ١٦٠)
٢٧	حُمَّ	١٣٠ (ب: ١٧٩)	٤٣	ما قَبِلَتْ	٢٢١ (ب: ٤)
٢٨	أَتَاكَ	١٣٤ (ب: ٢٠٠)	٤٤	نَأَيْتُ	٢٢٣ (ب: ١٢)
٢٩	ابْتَلِي	١٣٧ (ب: ٢١٦)	٤٥	تعانقَ/تعانقَ	٢٢٨ (ب: ١٤)
٣٠	بصوتِ ما جَ	١٤٧ (ب: ٢٦٩)	٤٦	طالَ	٢٣٥ (ب: ١٢)

(١) ظاهرة التقارض في النحو العربي، لأحمد محمد عبد الله، ٤/٤٤١ .

الرقم	الفعل الماضي	الصفحة ورقم البيت	الرقم	الفعل الماضي	الصفحة
٣١	أَمَرَ	١٤٩ (ب:٢٧٩)	٤٧	مَا عَصَا	٢٤٨ (ب:١٤)
٣٢	مَنْنَ	١٥٨ (ب:٢٣٥)	٤٨	مَا دَنَا/ مَا أَتَيْتُ	٢٤٩ (ب:٨)
٣٣	هَمَّتْ	١٩٠ (ب:٥٦)	٥١	مَا سَمِعْتُ	٢٥٠ (ب:١٥)
٣٤	لَمَلَمْتُ	١٩١ (ب:٦٢)	٥٢	ذَكَرَ	٢٦٠ (ب:٦)
٣٥	الشَّطُّ أَطْلُ	١٩١ (ب:٦٣)	٥٣	مَا سَبَقْنَا	٢٦٧ (ب:٩)
٣٦	مَا أَهْلٌ	١٩٧ (ب:١١)	٥٤	جَاءَ	٢٨٠ (ب:٤)
٣٧	مَا أَرَدْتُ	٢٠٨ (ب:١٤، ٢٠)	٥٦	مَا أَضَاءَ	٣٠٥ (ب:٥)
٣٨	مَا قَدْ رَأَتْ	٢١٤ (ب:٤٨)	٥٧	حَوَاكُمُ	٣١٦ (ب:٨)
٣٩	بُيْذِرْتُ	٢١٤ (ب:٥٤)	٥٨	مَا أَرَدْتُمْ	٣٢٤ (ب:١)
٤٠	تَبَدَّى	٢١٦ (ب:٦)	٥٩	قُسِّمَ	٣٢٤ (ب:١٣)
٤١	قد تَبَدَّى	٢١٨ (ب:٢٢)			
	الشَّطُّ أَطْلُ	١٩١ (ب:٦٣)			
ثانيًا : الفعل المضارع					
الرقم	الفعل المضارع	توثيقه	الرقم	الفعل المضارع	توثيقه
١	الظل الذي أرنو إليه	١٩١ (ب: ٦٨)	٣	لم أجده	٣٢٩ (ب: ٧)
٢	الحلم الذي أرنو إليه	١٩١ (ب: ٦٩)			

(٤) حذف فعل القسم .

ذكر الخليل بن أحمد الفراهيدي^(١) الواو والتاء كحرفي جر يفيدان القسم، ذكر سيبويه في كتابه أدوات القسم تلك، فقال: «وللقسم والمقسم به أدوات في حروف الجر، وأكثرها الواو، ثم الباء، يدخلان على محلوْف به، ثم التاء»^(٢). فسيبويه هنا يُرتّب أدوات القسم حسب كثرة استعمالها، فيجعل الواو الأكثر استعمالاً، تليها الباء، ثم التاء. والسؤال الآن كيف رُتّبت أدوات القسم في شعر مبارك بن سيف ؟

ورد في شعر مبارك بن سيف أداتان من أدوات القسم، هما: الواو، والباء؛ فوردت (الواو) في (خمسَة عشر) موضعاً، في حين لم ترد الباء كحرف قسم إلا في (أربعة) مواضع، وهذا يتفق تماماً مع ما ذكره سيبويه من كثرة استعمال الواو في القسم، ثم الباء، ولم يأت مبارك بن سيف على ذكر أدوات القسم الأخرى في شعره .

أشار ابن هشام^(٣) إلى إمكانية جواز ذكر الفعل مع حرف القسم (الباء)؛ لأنه أصل حروف القسم. وذكر الأستاذ الدكتور علي أبو المكارم^(٤) أطّراد حذف جملة القسم مع ثلاث أدوات، هي: التاء، واللام، والواو، وقد يرجع الحذف إلى الرغبة في التخفيف الذي يُوجب كثرة الاستعمال، كما يقول ابن يعيش ت٦٤٣هـ^(٥). وذكر الدكتور أبو موسى فوائد أخرى للحذف، نحو:

«وَجَاذَةُ الْعِبَارَةِ، وَامْتَلَاؤُهَا، ثُمَّ تَرْوِيقُهَا وَتَصْفِيئُهَا وَصَيَانَتُهَا، ثُمَّ بِنَاؤُهَا عَلَى إِثَارَةِ الْحَسِّ وَالْفَكْرِ»^(٦).

يتضح مما سبق أنّ حرف القسم - في الأعم الأغلب - يكون محذوفاً، وقد يُذكر أحياناً، وقد جاء فعل القسم في شعر مبارك بن سيف محذوفاً .

وكنا قد ذكرنا سابقاً أنّ شواهد القسم الواردة في شعر مبارك بن سيف اقتُصرت على أداتين من أدوات القسم، هما: الواو، والباء، وقد جاء فعل القسم، بل جملة القسم محذوفة مع تلك الأداتين. وذلك على النحو الآتي:

(١) الجمل في النحو، للخليل بن أحمد الفراهيدي، ٣٠٤.

(٢) الكتاب، لسيبويه، ٤٩٦/٣ .

(٣) مغني اللبيب، لابن هشام، ١٤٣/١.

(٤) الظواهر اللغوية في التراث النحوي، للدكتور علي أبو المكارم، ص ١٧٢..

(٥) شرح المفصل، لابن يعيش، ٩٤/٩.

(٦) خصائص التراكيب، للدكتور محمد أبو موسى، ص ٢٧٢ .

أولاً : استخدام حرف القسم (الواو) :

وردَ حرف القسم الواو في شعر مبارك بن سيف - كما ذكرنا سابقاً - في (خمسة عشر) موضعاً، حُذفت جملة القسم معه، من ذلك:

• قوله في قصيدته (مناجاة الدهر)^(١) :

فَوَاللَّهِ مَا أَنْتَ الْمُجِيبُ وَلَا الَّذِي يَرُدُّ قَضَاءَ إِنَّهُ الْعُمَرُ جَارِيَا

الواو: للقسم وجملة القسم محذوفة، والتقدير: أقسم بالله . وجاء الحذف للتخفيف .

• وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٢) :

أَمِنْ لَكَ أَرْضِ الْخَلِيجِ دِمَاؤُنَا وَ الْحَقُّ إِنَّا فِي الْفِدَا أَمْنَاءُ

الواو: للقسم، وجملة القسم محذوفة، والتقدير: أقسم بالحق. أي: بالله. والحذف هنا للتخفيف .

ثانياً : استخدام حرف القسم (الباء) :

ذكرنا سابقاً أنَّ حرف القسم (الباء) ورد في شعر مبارك بن سيف في (أربعة) مواضع، وجاء فعل القسم فيها محذوفاً، من ذلك:

• قوله في قصيدته (بحر الزمرد)^(٣) :

يَا نَجْمُ إِنَّكَ قَدْ شَهِدْتَ عَنَاءَهُمْ بِاللَّهِ يَا نَجْمُ الثُّرَيَّا تُخْبِرُ

بالله: الباء حرف القسم، لفظ الجلالة المُقسم به. جملة القسم محذوفة، والتقدير: أقسم .

• وقوله في قصيدته (مناجاة الدهر)^(٤) :

وَبِاللَّهِ إِنِّي مَا بُهِرْتُ لِزِينَةٍ وَلَا غَرْنِي رَغْدٌ مِنَ الْعَيْشِ صَافِيَا

بالله: الباء حرف القسم، لفظ الجلالة المُقسم به. جملة القسم محذوفة، والتقدير: أقسم .

• وقوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي)^(٥) :

(١) الأعمال الشعرية، ص ٥٣ . (الطويل)

(٢) السابق نفسه، ص ٦٨ . (الكامل)

(٣) نفسه، ص ٥٠ . (الكامل)

(٤) الأعمال الشعرية، ص ٥٣ . (الطويل)

(٥) السابق نفسه، ص ٢٩٣ . (مجزوء الرجز)

بِاللّٰهِ أَنْتَ صَادِقٌ مَّا بِلَا أَدْنَى سَوْأَلٍ

يُلاحظ في أمثلة القسم الواردة في شعر مبارك بن سيف أنَّ حذف جملة القسم الفعل والفاعل كان لغايات التخفيف، ولا يخفى ما لذلك أيضًا من إثارة للحسّ والفكر، وما فيها من وجازة العبارة، وترويقها وتصفيتها - على رأي الدكتور محمد أبو موسى - .

الفصل الثالث

الحذف في العناصر غير الإسنادية :

- (١) حذف المفعول به .
- (٢) حذف الموصوف .
- (٣) حذف الفاء الواقعة في جواب الشرط .
- (٤) حذف حرف النداء .

(١) حذف المفعول به .

يُعرّف الزمخشري ت٥٣٨هـ المفعول به بأنه: «الذي يقع عليه فعل الفاعل في مثل قولك: ضَرَبَ زيدٌ عمراً، وبلغتُ البلدَ. وهو الفارق بين المتعدي من الأفعال وغير المتعدي»^(١). وعرّفه ابن هشام ت٧٦١هـ، بقوله: «الْمَنْصُوبَاتُ خَمْسَةٌ عَشْرٌ: أَحَدُهَا: الْمَفْعُولُ بِهِ، وَهُوَ مَا وَقَعَ عَلَيْهِ فِعْلُ الْفَاعِلِ كَضَرَبْتُ زَيْدًا»^(٢). ف (زيداً): مفعول به؛ لأنه يدلّ على مَنْ وقع عليه فعل الفاعل.

يأتي المفعول به منصوباً، يقول المبرد ت٢٨٥هـ: «وَالْمَفْعُولُ بِهِ نَصْبٌ إِذَا ذَكَرْتَ مَنْ فَعَلَ بِهِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ تَعَدَّى إِلَيْهِ فِعْلُ الْفَاعِلِ، وَإِنَّمَا كَانَ الْفَاعِلُ رَفْعاً وَالْمَفْعُولُ بِهِ نَصْباً لِيُعْرَفَ الْفَاعِلُ مِنَ الْمَفْعُولِ بِهِ»^(٣). ويفصّل ابن الورّاق ت٣٨١هـ^(٤) في علة نصب المفعول به، ورفع الفاعل .

وأجاز النحاة^(٥) حذف المفعول به؛ لأنه فضلة^(٦)، وحدّد ابن جني ت٣٩٢هـ الفضلات، فقال: «ألا ترى أنّ الفضلات كثيرة كالمفعول به، والظرف، والمفعول له، والمفعول معه، والمصدر، والحال، والتمييز، والاستثناء»^(٧). ويرى عباس حسن ت١٣٩٨هـ أنّ علة حذف المفعول كونه لا يؤدي معنىً أساسياً؛ ولذلك يسمونه فضلة، وهي: «اسم يطلقه النحاة على كل لفظ معناه غير أساسي في جملة»^(٨). فالفضلة عند عباس حسن هي كلُّ ما لا يؤدي معنىً أساسياً. بخلاف المبتدأ، أو الخبر، أو الفاعل، أو نائبه، أو غير هذا من كل جزء أصيل في الجملة لا يمكن أن تتكون ولا أن يتم معناها الأساسي إلا به، مما يسميه النحاة «عمدة». ولكن هل هناك كلمة في أية جملة لا تؤدي معنىً أساسياً؟

بالرغم من أن المفعول به فضلة، فقد تشتد الحاجة إليه أحياناً؛ فلا يمكن الاستغناء عنه في بعض المواضع، ولا يصح حذفه بها، فالجملة تتكوّن من الفعل والفاعل، وما عداهما يُعدُّ فضلة. وبيّن

(١) المفصل في صناعة الإعراب، للزمخشري، ص٥٨.

(٢) متن شذور الذهب، لابن هشام الأنصاري، ص ١٤.

(٣) المقتضب، للمبرد، ٨/١.

(٤) بتصرّف: علل النحو، لابن الورّاق، ص٢٦٩.

(٥) منهم: ابن السراج، في: الأصول في النحو، ٣/٢١٧. والمرادي، الجنى الداني، ص٥٢. وشرح ابن عقيل، ٥٧/٢، وخالد الأزهرى، شرح التصريح على التوضيح، ٤٧٢/١.

(٦) وممن قال بأنّ المفعول به فضلة: ابن الورّاق في: علل النحو، ص٢٦٩، وابن يعيش: شرح المفصّل ٣٩/٢، وجلال الدين السيوطي في: همع الهوامع، ٥/٢.

(٧) الخصائص، لابن جني، ١/١٩٨.

(٨) النحو الوافي، لعباس حسن، ١٧٩/٢.

الزمخشري ت ٥٣٨هـ^(١) أن حذف المفعول به كثير، ولخص ابن هشام ت ٧٦١هـ الحالات التي يُحذف فيها المفعول به فيما يأتي:

أولاً: بعد (لَوْ شِئْتَ)، نَحْوُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ﴾^(٢). أَي: فَلَوْ شَاءَ هَدَايَكُمْ. فجواب الشرط (هداكم) دلّ على المفعول به المحذوف، وأشار ابن هشام^(٣) والسيوطي^(٤) إلى أنه يكثر حذف المفعول بعد (لَوْ شِئْتَ). وذكر سعيد الأفغاني ت ١٤١٧هـ أنه: « إِذَا حُذِفَ الْمَفْعُولُ بَعْدَ (لَوْ) فَهُوَ الْمَذْكُورُ فِي جَوَابِهَا غَالِبًا نَحْوُ: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ﴾^(٥). أَي: وَلَوْ شَاءَ إِيْمَانُ مَنْ فِي الْأَرْضِ »^(٦).

وجاء المفعول به محذوفاً في شعر مبارك بن سيف بعد فعل المشيئة المسبوق بأداة الشرط (إِنْ) في موضع، وهو قوله في قصيدته (لحظات غروب سعيدة)^(٧) :

قَد رَأَتْ عَيْنَايَ عُرْسًا هَامِسًا وَأَنَا الْعَيْنُ فَإِنْ شِئْتَ فَسَلْ

شِئْتَ: المفعول به محذوف تقديره (سؤالي)، أو ما في معناه. وحُذف المفعول لدلالة جواب الشرط عليه (فَسَلْ). وجاء حذف المفعول به هنا اختصاراً؛ لغايات التخفيف .

ثانياً: بعد نفي العلم ونحوه، كقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٨). أَي: إِنَّهُمْ سُفَهَاءُ. ويجب اعتماد الحذف على: « ذَكَرَ الدَّلِيلُ عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ فِي لَفْظٍ سَابِقٍ »^(٩).

جاء المفعول به محذوفاً بعد الفعل المنفي في شعر مبارك بن سيف في (خمسة) مواضع، هي:

● قوله في قصيدته (نَوَّارَة)^(١٠) :

يَا حُبِّي يَا أَحْلَى الْأَسْمَاءِ

(١) يُنظر: المفصل في صناعة الإعراب، ص ٧٩ .

(٢) سورة الأنعام، آية ١٤٩ .

(٣) يُنظر: مغني اللبيب، لابن هشام، ص ٨٢٨ .

(٤) يُنظر: الإتيان في علوم القرآن، ٣/ ١٩٢، ١٩٣ .

(٥) سورة يونس، آية ٣٣ .

(٦) الموجز في قواعد اللغة العربية، ص ١٨، ١٩ .

(٧) الأعمال الشعرية، ص ٢٢١ . (الرمّل)

(٨) سورة البقرة، آية ١٣ .

(٩) ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، لطاهر سليمان حمودة، ص ٢٠٥ .

(١٠) الأعمال الشعرية، ص ٥٦ . (المتدارك)

لَمْ أَعْلَمْ أَنِّي فِيكَ عَشَقْتُ الشَّمْسُ

لَمْ أَعْلَمْ: سُبِقَ الفعل بالنفي؛ لدلالة السياق عليه، وتقديره: حُبِّي، أو عشقي... .

• وقوله في قصيدته (مذكرات شاعر من العالم الثالث البعد الرابع - ٢ -) ^(١):

كَسَبَ الْاِثْنَيْنِ شَيْطَانٌ مُقَاوِلٌ

لَا أُجَادِلُ ..

لَا أُسَائِلُ

لَا أُجَادِلُ، لَا أُسَائِلُ، لَا أُسَائِلُ: الأفعال الثلاثة سُبِقَتْ بالنفي؛ لذلك حُذِفَ مفعول كل منها.

• وقوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي) ^(٢) :

وَاللَّاتِ مَا كُنْتُ يَوْمًا - أَذْرِي لَذَلِكَ وَزَنَا

وَمَا عَلِمْتُ بِأَنِّي - يَوْمًا سَاوَهُنْ حُزْنًا

وَمَا عَلِمْتُ: سُبِقَ الفعل بالنفي؛ لذلك حُذِفَ مفعولا علم، وسدّ مسدهما (إِنَّ وما بعدها) .

ثالثاً: إذا كان ضميراً عائداً على الموصول، نحو قوله تعالى: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ ^(٣).

والتقدير: بعثه الله. وبين أبو علي الفارسي ت ٣٧٧هـ ^(٤) أن القراء اختلفوا في إثبات (الهاء) وإسقاطها من

قوله عز وجل: ﴿وَمَا عَلِمْتُهُ أُيْدِيهِمْ﴾ ^(٥). وقال بهذا كلُّ من ابن يعيش ت ٦٤٣هـ ^(٦)، وابن هشام ٧١١هـ ^(٧)،

وأضافا: أن الأصل هو الإثبات، وأما الحذف فلطول الأمر بالصلة؛ لذلك حُذِفَت الهاء تخفيفاً. ونجد

الزجاج ت ٣١١هـ ^(٨) يرى أنه « لا يمكن حصر ما حُذِفَ منه في القرآن لكثرتة». ويرى الباحث اعتماداً

على ما ذكره الزجاج - أن كثرة حذف الهاء في آي القرآن الكريم يُعَدُّ دليلاً على أن الحذف هو الأصل،

وليس الإثبات - كما ذكر ابن يعيش وابن هشام .

(١) الأعمال الشعرية، ص ١٩٥. (الرملي)

(٢) السابق نفسه، ص ٢٥٥. (الخفيف)

(٣) سورة الفرقان، آية ٤١ .

(٤) الحجة للقراء السبعة، لأبي علي الفارسي، ٤٠/٦ .

(٥) سورة يس، آية ٣٥ .

(٦) شرح المفصل، ٣٩/٢ .

(٧) شرح قطر الندى، ص ١٥٠ .

(٨) إعراب القرآن، ٤٧٩/٢. لأبي إسحاق الزجاج .

وجاء المفعول به محذوفًا في شعر مبارك بن سيف؛ لأنه ضمير عائذ على الموصول في (سنة) مواضع، منها:

• قوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(١):

وَبَعَثْتُ مَنْ يَهْدِي الْقُلُوبَ لِحَيْرِ مَا تَرْجُو النَّفُوسُ فَمَاتَ فِيهَا الدَّاءُ

تَرْجُو: حُذِفَ المفعول به؛ لأنه ضمير يعود على (ما) الاسم الموصول، والتقدير: ترجوه النفوس.

• وقوله في قصيدته السابقة نفسها^(٢):

أُسِّسَ الْحَضَارَةُ فِي الْعُقُولِ، وَمَا حَوَتْ لَيْسَ الْحَضَارَةُ مَا بَنَى الْبِنَاءُ

حَوَتْ: حُذِفَ المفعول به؛ لأنه ضمير يعود على (ما) الاسم الموصول، والتقدير: حوته الحضارة.

• وقوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي)^(٣):

اللَّهُ أَغْنَى مَنْ وَهَبَ

اللَّهُ أَغْنَى لَيْسَ يَأْخُذُ بِالْيَسَارِ إِذَا وَهَبَ

وَهَبَ: حُذِفَ المفعولان. المفعول الأول: ضمير يعود على (مَنْ) الاسم الموصول، والتقدير: وهبه. والمفعول الثاني: تقديره المال، أو المكانة العالية ..

• وقوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي)^(٤):

دَعَاؤُهُ فَإِنِّي أَرَى مَا يَرَى

يَرَى: حُذِفَ المفعول به؛ لأنه ضمير يعود على (مَا) الاسم الموصول، والتقدير: يراه .

رابعاً: إذا كان المفعول به ضميراً عائداً على الموصوف؛ إذ لا بدّ للجملة الواقعة صفة من ضمير يعود على الموصوف، ويفصل الزجاج ت ٣١١ هـ القول في هذا حين يُفسّر قوله تعالى، فيقول: «ومعنى:

(١) الأعمال الشعرية، ص ١٢٩ . (الكامل)

(٢) الأعمال الشعرية، ص ١٥٥ . (الكامل)

(٣) السابق نفسه، ص ٢٦١ . (الكامل)

(٤) نفسه، ص ٢٢٢ . (من المتقارب)

﴿لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾^(١). أي: لا تجزي فيه، وقيل: لا تجزيه، وحذف (فيه) ههنا سائغ؛ لأن (في) مع الظرف محذوفة: تقول أتيك اليوم، وأتيك في اليوم، فإذا أضمرت قلت أتيك فيه، ويجوز أن تقول أتيك^(٢).

وجعل ابن هشام^(٣) حالة الحذف هذه أقل وروداً من الحذف العائد على الموصول.

وجاء في شعر مبارك بن سيف المفعول به ضميراً متصلاً عائداً على موصوف في (ثلاثة وثلاثين) موضعاً، منها:

• قوله في قصيدته (بقايا سفينة غوص)^(٤):

كَمْ حَيَاةٍ عَاشَهَا الدَّهْرُ ...

وَضَاعَتْ فِي ثَرَاهُ

عَاشَهَا: الهاء ضمير متصل يعود على الموصوف (حياة)، وهو المفعول به أصلاً.

• وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٥):

وَالنَّفْطُ غَادٍ لَا مَحَالَةَ إِنَّهُ رِزْقٌ يَضُمُّهُ - لَوْ عَلِمْتَ - وَعَاءٌ

يَضُمُّهُ: الهاء ضمير متصل يعود على الموصوف (رزق)، وهو المفعول به أصلاً.

• وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٦):

بِسِمَاكِ الْإِسْلَامِ قَوْمٌ خَصَّهُمْ بِأَمَانَةٍ، فَهُمُ وَلَهَا أَمْنَاءُ

خَصَّهُمْ: الهاء ضمير متصل يعود على الموصوف (قوم)، وهو المفعول به أصلاً.

يلاحظ أن حذف المفعول العائد على موصوف كانت أكثر وروداً في شعر مبارك بن سيف من حذف المفعول العائد على الاسم الموصول. وهذا عكس ما ذهب إليه ابن هشام.

(١) سورة البقرة، آية ٤٨، ١٢٣.

(٢) معاني القرآن وإعرابه، ١/١٢٨.

(٣) مغني اللبيب، ٢/٨٢٩.

(٤) الأعمال الشعرية، ص ٩. (الرملي)

(٥) الأعمال الشعرية، ص ١٦٠. (الكامل)

(٦) السابق نفسه، ص ١٦٧. (الكامل)

خامساً: حذف المفعول به إذا كان ضميراً عائداً على المبتدأ. يقول ابن شقير ت٣١٧هـ: «وقد يُضمرون في الفعل الهاء فيرفعون المفعول به، كقولك: زيدٌ ضَرَبْتُ، وعمرُو شَتْمْتُ، على معنى: ضَرَبْتُهُ، وشَتَّمْتُهُ، فيرفع زيدٌ بالابتداء، ويوقع الفعل على المضمَر»^(١).

وجيء بالمفعول به محذوفاً في شعر مبارك بن سيف؛ لأنه ضمير عائِد على المبتدأ في (أربعة) مواضع، هي:

• قوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٢) :

وَلَهُمْ عَقَائِدٌ لَوْ عَلِمْتَ كَثِيرَةٌ هَامُوا بِظُلْمَتِهَا، فَهُمْ جُهَلَاءُ

عَلِمْتَ: فعل وفاعل، والمفعول به ضمير يعود على المبتدأ المؤخر (عقائد)، والتقدير لو علمتها.

• وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٣) :

كُلُّ يُسَبِّحُ - لَوْ عَلِمْتَ - بِحَمْدِهِ دَقَاتُ قَلْبِكَ يَا جُهُولُ. دُعَاءُ

عَلِمْتَ: فعل وفاعل، والمفعول به ضمير مستتر يعود على المبتدأ (كل) والتقدير: لو علمت المسبحين. والمسبحون هم: النخل، والأطيار، والأنجم، وكل ذي كبدٍ، ذُكرت في البيت السابق.

• وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٤) :

هَٰذَا الْمَسَاجِدُ وَالْأَذَانُ مُوَحَّدٌ كُلُّ الْمَسَاجِدِ لَوْ عَلِمْتَ قُبَاءُ

عَلِمْتَ: فعل وفاعل، والمفعول به ضمير مستتر يعود على المبتدأ (كل)، والتقدير: لو علمت أنَّ كلَّ هذه المساجد هي كمسجد قُبَاء.

نعلم أنَّ المفعول به قد ينوب عن الفاعل؛ فيصبح عمدة في الجملة وبالتالي لا يصح حذفه، وقد جاء في شعر مبارك بن سيف نائب الفاعل - وهو في الأصل مفعول به - ضميراً مستتراً يعود على المبتدأ في قوله في قصيدته السابقة نفسها^(٥) :

مَا صُورَةُ الْإِنْسَانِ تُرْفَعُ عِنْدَهُ بَلْ تُرْفَعُ الْأَعْمَالُ وَالْأَسْمَاءُ

(١) المجلد في وجوه النصب، ص ٥.

(٢) الأعمال الشعرية، ص ١١٠. (الكامل)

(٣) السابق نفسه، ص ١٣٢. (الكامل)

(٤) نفسه، ص ١٣٢. (الكامل)

(٥) الأعمال الشعرية، ص ١٤٦. (الكامل)

تُرْفَعُ: فعل مبني للمجهول، نائب الفاعل: ضمير مستتر تقديره هي يعود على (صورة الإنسان).

سادساً: يُحذف المفعول به في الفواصل، والفواصل هي الكلمات التي تكون في نهاية الجمل المتصل بعضها ببعض اتصالاً معنوياً.

تحدث ابن هشام ت ٧٦١هـ^(١) أيضاً عن الحالات التي يجوز فيها حذف المفعول، فبيّن أنّ المفعول يُحذف لغرضين، هما:

- غرض لفظي^(٢)، كتناسب الفواصل نحو: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾^(٣). وكالإيجاز في نحو: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾^(٤).

- غرض معنوي كاحتقاره في نحو: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ﴾^(٥). أي: الكافرين، أو لاستهجانهم كقول عائشة - رضي الله عنها -: «مَا رَأَى مِنِّي وَلَا رَأَيْتُ مِنْهُ». أي: العورة.

بيّن عباس حسن^(٦) أنّ المفعول به قد يُحذف لغرض لفظي؛ للمحافظة على الوزن الشعري. وجاء في شعر مبارك بن سيف المفعول به محذوفاً؛ للمحافظة على تناسب الفواصل، في (سته وثلاثين) موضعاً، منها:

• قوله في قصيدته السابقة (أنشودة الخليج)^(٧):

حَقْدٌ مَجُوسِيٌّ يَعِثُ، وَهَمُّهُ مَوْتُ مُهِينٌ، صَيْدُهُ الضُّعَفَاءُ

يَعِثُ: فعل مضارع، والفاعل ضمير يعود على (حقْد). والمفعول به محذوف تقديره: (فساداً)، وحذف للمحافظة على تناسب الفواصل والمقاطع في البيت الشعري، وهي:

- حَقْدٌ مَجُوسِيٌّ يَعِثُ / - وَهَمُّهُ مَوْتُ مُهِينٌ / - صَيْدُهُ الضُّعَفَاءُ

فلو ذكر الشاعر المفعول به لاختلت هذه الفواصل .

(١) بتصرف: أوضح المسالك، لابن هشام، ١٦٤/٢، ١٦٥.

(٢) ينظر: النحو الوافي، لعباس حسن، ١٧٩/٢.

(٣) سورة الضحى، آية ٣. وجه الاستشهاد: حذف مفعول (قلبي): ليناسب «سجى، والأولى .

(٤) سورة البقرة، آية ٢٤. وجه الاستشهاد: حذف المفعول للإيجاز؛ لأن الأصل: فإن لم تفعلوه ولن تفعلوه .

(٥) سورة المجادلة، آية ٢١.

(٦) النحو الوافي، لعباس حسن، ١٧٩/٢.

(٧) الأعمال الشعرية، ص ١٢٤. (الكامل)

• وقوله في قصيدته (عُشَّاقُ الشَّمْسِ) ^(١):

قَلْبُهُ السَّائِمُ مِنْ لَيْلٍ إِلَى لَيْلٍ تَحَوَّلَ
دَائِرًا فِي سَفْحِ آمَالٍ إِذَا الْقَلْبُ تَهَلَّلَ
انْظُرِ الْيَوْمَ إِلَيْهِ وَتَأَمَّلْ
إِنَّمَا الْأَسْمَاءُ لَا شَيْءَ سِوَاهَا قَدْ تَبَدَّلْ

تَأَمَّلْ: حذف الشاعر مفعول (تأمل)، ولم يقل: تأمل الغواص، أو تأمل قلبه، أو تأمله؛ لكي تنتهي الجملة بكلمة مناسبة في وزنها وقافيتها الكلمة التي انتهت بها المقاطع الشعرية السابقة واللاحقة، وهي: (تحول، وتهلل، وتأمل، وتبدل) .

• وقوله في قصيدته (سفن الغوص البائسة) ^(٢):

قُلْ لَهُمْ: إِنِّي مَعَ الْأَمْوَاجِ أَتٌ
وَيَحْ نَفْسِي بِنَسْ مُرُّ الْإِنْتِظَارِ

آتٌ: اسم فاعل يعمل عمل فعله، وهو يتعدى بحرف الجر، وقد حذف الشاعر المفعول به (الجار والمجرور (إليه) محافظة على الفواصل، وهي القافية المقيدة: (آتٌ، الانتظار، النهار) .

• وقوله في قصيدته (أغنية الربيع) ^(٣):

إِنْ يَكُنْ عِنْدَكَ الْغَرَامُ رَبِيعًا أَنْشِدِيهِ وَهَاتِي شَدُوكِ هَاتِي
سادسًا: حذف المفعول به للعلم به .

حُذِفَ المفعول به في شعر مبارك بن سيف للعلم به في (ثلاثة وثلاثين) موضعًا، منها:

• قوله في قصيدته (أغنية الربيع) ^(٤) :

حَتَّى إِذَا أَرْفَ الْجِهَادُ تَهَافَّتَتْ أَرْوَاحُهُمْ تَرْجُو الْمَمَاتَ وَتَطْلُبُ

تَطْلُبُ: حُذِفَ المفعول به للعلم به، فقد ذكر في الشطر الثاني، وهو: (الممات)، وتقديره: تطلبه.

(١) الأعمال الشعرية، ص ١٤ . (الرمل)

(٢) السابق نفسه، ص ٢٧ . (الرمل)

(٣) نفسه، ص ٢٨ . (الخفيف)

(٤) الأعمال الشعرية، ص ٧٤ . (الكامل)

• وقوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي)^(١) :

وَمَاذَا جَنَيْتُمْ بِالْأَمِّ عَمَارُ؟

فَمَاذَا جَنَيْتُمْ؟

جَنَيْتُمْ: حُذِفَ المفعول للعلم به، هذا إذا أخذنا بالرأي القائل^(٢) إنّ: ما: مبتدأ . ذا: اسم موصول بمعنى الذي في محل رفع خبر لـ (مَا) .

سابعاً: الاختصار، ويحذف المفعول به اختصاراً، يقول عباس حسن: «ومنها، - أي: من الأغراض اللفظية لحذف المفعول به - الرغبة في الإيجاز، نحو: دَعَوْتُ الْبَخِيلَ لِلْبَذْلِ، فلم يقبل، ولكن يقبل - أي: لم يقبل الدعوة، أو البذل، ولن يقبل الدعوة أو البذل»^(٣) .

وحُذِفَ المفعول به اختصاراً في شعر مبارك بن سيف في (ثلاثة وعشرين) موضعاً، منها:

• قوله في قصيدته (سحر البداوة)^(٤) :

لَوْ قُلْتُهِنَّ بِوَصْفٍ مَا بَلَغْتُ بِهِ وَرُبَّ وَصْفٍ لِسَمْعٍ غَيْرِ مَجْلُوبٍ

بَلَغْتُ: حُذِفَ المفعول به اختصاراً. وتقديره: (منالاً، أو مطلوبي)، والدليل على ذلك قوله^(٥) :

لَمَّا بَلَغْتُ مَنْالاً كُنْتُ أَطْلُبُهُ وَمَا بَلَغْتُ بِهَا يَا صَاحِ مَطْلُوبٍ

• وقوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي)^(٦) :

وَإِذَا خَسِرْنَا هَهُنَا

يَوْمًا أَتُونَا بِالذَّهَبِ

خَسِرْنَا: المفعول به محذوف اختصاراً؛ لأنّ القائل يريد الإيجاز في هذا المقام .

(١) السابق نفسه، ص ٣٢٢ . (المقارب)

(٢) ذكره السيرافي في تعليقه على شاهد للبيد بن ربيعة ينظر: شرح أبيات سيبويه، للسيرافي، ٥٣/٢، ٥٤.

(٣) النحو الوافي، ١٨٠/٢ .

(٤) الأعمال الشعرية، ص ٤٥ . (البسيط)

(٥) السابق نفسه، ص ٤٦ . (البسيط)

(٦) نفسه، ص ٣٢٢ . (من الكامل)

ثامناً: عدم تعلّق الغرض بالمفعول به، يقول عباس حسن: « كقول البخيل لمن يعيبه بالبخل: طالما أنفقت، وساعدت، وعاونت؛ أي: طالما أنفقت المال، وساعدت فلاناً. وعاونت فلاناً»^(١).

ولم يجد الباحث في شعر مبارك بن سيف شاهداً حُذف فيه المفعول به لعدم تعلّق الغرض به.

تاسعاً: الترفع عن النطق بالمفعول به؛ لاستهجانته، أو: لاحتقار صاحبه، أو نحوهذا من الدواعي البلاغية وغير البلاغية^(٢).

وجاء في شعر مبارك بن سيف المفعول به محذوفاً ترفعا عن النطق به؛ لاحتقار صاحبه في (سبعة عشر) موضعاً، منها:

• قوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي)^(٣) :

أَصَمْتُ .. فَلَا حَمَلَتْ

عَيْنَايَ مِنْ ضَعْفِي .. فَلَا تُسْهَبِ

فَلَا تُسْهَبِ: حُذِفَ المفعول ترفعا. جاء هذا الكلام - في المسرحية - على لسان أبي طالب، وقد وجهه لزيد الذي أخذ ينقل أخبار أذى قريش لابن أخيه الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - فلا يريد أبو طالب أن يسمع من هذا الرجل المزيد من الأخبار؛ ترفعا عن النطق بها .

وقوله في مسرحيته الشعرية السابقة نفسها^(٤) :

نُقَاسِمُهُ مَا لَنَا إِنْ أَرَادَ

وَيُضْبِحُ سَيِّدَنَا فِي الْوَرَى

أَرَادَ: المفعول به محذوف وتقديره: (مقاسمة المال)؛ لَأَنَّ عُتْبَةَ يكره ذكره، ويحتقر صاحبه .

• وقوله في مسرحيته الشعرية ذاتها^(٥) :

وَكُلُّ عَذَارَى الْعَرَبِ تَسَاقُ إِلَيْهِ

نُزَوِّجُهُ أَيَّمَا قَدْ طَلَبَ

(١) النحو الوافي، ٢/ ١٨٠ .

(٢) يُنْظَرُ: السَّابِق نفسه، ٢/ ١٨٠ .

(٣) الأعمال الشعريّة، ص ٢٧٢ . (من الكامل)

(٤) السَّابِق نفسه، ص ٢٩٤ . (المتقارب)

(٥) نفسه، ص ٢٩٤ . (المتقارب)

طَلَبَ: المفعول به محذوف وتقديره: (ذلك، وهو الزَّوْج من أية فتاة)؛ لَأَنَّ أُمِّيَّةً يكره ذكره، ويحتقر صاحبه .

وبعد حصر حالات حذف المفعول به، وبيان أغراضه، وعرض ما شاكلها في شعر مبارك بن سيف آل ثاني نختم بما قاله عبد القاهر الجرجاني: «وليس لنتائج هذا الحذف، أعني: حذف المفعول نهاية، فَإِنَّهُ طَرِيقٌ إِلَى ضَرْوبٍ مِنَ الصَّنْعَةِ وَإِلَى لَطَائِفَ لَا تُحْصَى»^(١) .

ويرى الباحث أَنَّ علة الاختصار والإيجاز هي العلة المتحققة في كل مواضع حذف المفعول، لكنَّها عِلَّةٌ لَا يُعَوَّلُ عَلَيْهَا وَحدها، وإنَّما قد تتضمَّنُ إليها أغراضٌ، أخرى للحذف، وعثر الباحث على شواهد من شعر مبارك بن سيف تتفق مع حالات حذف المفعول به جميعها التي ذكرت في كتب النحاة، ولكنَّ بنسبٍ متفاوتة كان أَقلُّها حذف المفعول به مع فعل المشيئة المسبوق بأداة الشرط، أما أكثر حالات حذف المفعول به وروداً في شعره، فكانت الحذف لملاءمة الفواصل الشعرية، وهذا وضع طبيعي؛ لَأَنَّ الشاعر محكوم بأوزان شعرية دقيقة تفرض عليه حذف المفعول عندما يصطدم مع وزن موسيقي .

متى يمتنع حذف المفعول به ؟

ذكر ابن هشام^(٢) الحالات التي يمتنع فيها حذف المفعول به، نوجزها في الآتي:

أولاً: أَنْ يَكُونَ محصوراً، نحو: إِنَّمَا ضَرَبْتُ زَيْدًا، أَوْ جَوَابًا ك: ضَرَبْتُ زَيْدًا. جواباً لَمَنْ قَالَ: مَنْ ضَرَبْتُ؟ إِذْ لَوْ حُذِفَ لَأُفْهِمَ نَفِي الضَّرْبِ مُطْلَقًا وَالْمَقْصُودُ نَفْيُهُ مُقَيَّدًا.

وجاء مثل هذا في شعر مبارك بن سيف، في :

● قوله في قصيدته (مذكرات شاعر من العالم الثالث - ٢) -^(٣):

إِنِّي لَا أَمْلِكُ فِي الدُّنْيَا

إِلَّا الْإِخْلَاصَ لِسَيِّدِنَا

الْإِخْلَاصُ: مفعول به للفعل (أملك) .

(١) دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني، ص ١٦٣ .

(٢) يُنْظَرُ: - مغني اللبيب، ص ٨٢٨ - ٨٣٠، وأوضح المسالك، ١٦٤/٢، ١٦٥ .

(٣) الأعمال الشعرية، ص ١٨٣ . (من المتدارك)

• وقوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي)^(١):

فَمَا عَرَفْتُكَ إِلَّا لَصًّا وَفَجًّا وَغَادِرُ

لَصًّا: مفعول به ثانٍ للفعل (عرف).

ثانيًا: أَنْ يَكُونَ نَائِبًا عَنِ الْفَاعِلِ؛ لِأَنَّهُ صَارَ عُمْدَةً كَالْفَاعِلِ .

وجاء مثل هذا في شعر مبارك بن سيف في (واحد وخمسين) موضعًا، منها:

• وقوله في قصيدته (أمجاد رمضان)^(٢) :

ظَنُّوا بِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ قَلَائِلُ كَذَبُوا فَجَيْشُ اللَّهِ نُورٌ يُرْهَبُ

يُرْهَبُ: نائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو، يعود على (جيش). وهو في الأصل مفعول به، والتقدير: يرهّب العدو جيش المسلمين .

• وقوله في قصيدته (فلسطين موطن الأديان)^(٣) :

وَالنَّصْرُ لَا يَأْتِي رَخِيصًا، إِنَّمَا بِدَمٍ سَتُكْتُبُ قِصَّةَ الْأَمْجَادِ

قِصَّةُ: نائب الفاعل، وهو في الأصل مفعول به، والتقدير: بالدم سنكتب قصة الأمجاد .

ثالثًا: أَنْ يَكُونَ مُتَعَجِّبًا مِنْهُ، نَحْوُ: مَا أَحْسَنَ زَيْدًا! .

وجاء مثل هذا في شعر مبارك بن سيف، حيث يقول في قصيدته (بقايا سفينة غوص)^(٤):

قَدْ أَتَى اللَّيْلُ فَمَا أَحْلَى الْغِنَاءِ

وَأَتَى الصَّوْتُ الشَّجِيَّ

الْغِنَاءُ: مفعول به منصوب .

ويقول في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٥):

(١) السابق نفسه، ص ٣١٥ . (المجتث)

(٢) نفسه ، ص ٧٣ . (الكامل) . وذكر مثل هذا في مواضع متعددة من القصيدة نفسها .

(٣) الأعمال الشعرية، ص ٨٦ . (الكامل)

(٤) الأعمال الشعرية، ص ٧ . (الرملة)

٥ () السابق نفسه، ص ١٦١ . (الكامل)

لَا تَبْكُ قُدْسًا - يَا صَدِيقُ - فَإِنَّهُ - مَا أَرْجَعُ الْمَفْقُودَ قَطُّ بُكَاءً

الْمَفْقُودُ: مفعول به منصوب.

رابعاً: أَنْ يَكُونَ عَامِلُهُ مَحذُوفًا، نَحْوُ: خَيْرًا لَنَا وَشَرًّا لِعَدُونِنَا؛ لِئَلَّا يَلْزَمَ الْإِجْحَافُ .

وجاء مثل هذا في شعر مبارك بن سيف، في قصيدته (مناجاة الدهر)^(١):

يَقُولُونَ صَبْرًا إِنَّمَا الدَّهْرُ مُنْصَفٌ صَبَرْتُ وَمَا أَدْرِي أَحَزَّتْ الْمَرَامِيَا

صَبْرًا: مفعول مطلق والعامل فيه فعله المحذوف، وتقديره: اصبر .

وفي قصيدته (نؤارة يا عالمي الصغير)^(٢):

يَا زَهْرَهَا : مَهْلًا تَرْفُقُ فِي هَوَاكَ

مَهْلًا: مفعول مطلق، والعامل فيه فعله المحذوف، وتقديره: تمهل مهلاً

(٢) حذف الفاء الواقعة في جواب الشرط .

ذكر الخليل بن أحمد الفراهيدي ت ١٧٠هـ^(٣) أَنَّ الشرط يحتاج لجواب، ولا يأتي الجواب إلاّ فعلاً، أو

الفاء، نحو قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾^(٤).

كما بيّن سيبويه ت ١٨٠هـ « أَنَّ حُرُوفَ الْجَزَاءِ (الشرط) تجزم الأفعال، وينجزم الجواب بما قبله»^(٥).

ونَسَبَ للخليل بن أحمد قوله بأنَّ «إِنْ هِيَ أُمُّ حُرُوفِ الْجَزَاءِ»^(٦). وقال بهذا أيضاً المبرد^(٧)، واشترط

مجيء فعل الشرط وجوابه فعلاً مضارعاً؛ لأنَّ الجزاء لا يقع إلاّ على فعل لم يقع؛ لذلك يجب تأويل ما

يأتي فعلاً منهما^(٨). كما بين ابن جني^(٩) أَنَّ جواب الشرط يأتي على نوعين: الْفِعْلُ، وَالْفَاءُ، فَإِذَا

(١) نفسه، ص ٥٣. (الطويل)

(٢) الأعمال الشعرية، ص ٢٢٥. (من الكامل)

(٣) الجمل في النحو، للخليل بن أحمد، ص ٣٢٩. وقال بهذا سيبويه. ينظر: الكتاب، ٣ / ٦٣ .

(٤) سورة المائدة، آية ٩٥ .

(٥) الكتاب، لسيبويه ٣ / ٦٢ .

(٦) السابق نفسه، ٣ / ٦٣ .

(٧) المقتضب، للمبرد، ٢ / ٥٠ .

(٨) المقتضب، للمبرد، ٢ / ٥٠ .

(٩) ينظر: اللمع في العربية، ص ١٣٤ .

كَانَ الْجَوَابُ فَعْلًا كَانَ مَجْزُومًا، نَحَو: إِنَّ تَذَهَبَ أَذْهَبَ مَعَكَ. وَأَمَّا الْفَاءُ فِيرْتَفَعُ الْفِعْلُ بَعْدَهَا، نَحَوَقَوْلُ
اللَّهِ تَعَالَى^(١): ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾.

يتضح مما سبق أَنَّ الفاء تقع في جواب الشرط، وقد ذكر النحاة أَنَّ هناك مواضع تلزم وقوع الفاء
وجوبا في جواب الجزاء .

لَمْ تَدْخُلِ الْفَاءُ فِي جَوَابِ الشَّرْطِ ؟

ذكر ابن الوراق ت ٣٨١هـ سبب اختصاص الفاء دون حروف العطف بالوقوع في جواب الشرط،
فقال: « فأدخلوا الفاء؛ ليتصل ما بعدها بما قبلها، وَإِنَّمَا كَانَتْ أُولَى مِنْ سَائِرِ حُرُوفِ الْعَطْفِ؛ لِأَنَّهَا
تُوجِبُ أَنْ يَكُونَ مَا بَعْدَهَا عَقِيبَ مَا قَبْلَهَا»^(٢).

ذكر النحاة^(٣) في مصنفاتهم أَنَّ الفاء تقع في جواب الشرط؛ وَذَلِكَ حَيْثُ لَا يَصْلَحُ لِأَنْ يَكُونَ
شرطا وَهُوَ مَنْحَصَرٌ فِي سِتِّ مَسَائِلَ^(٤)، هي:

أَوَّلًا: جُمْلَةٌ اسْمِيَّةٌ، نَحَو: إِنَّ تَأْتِي فَأَنَا صَاحِبُكَ، وَإِنْ تَأْتِي فَأَنْتَ مُحَسَّنٌ.

ثَانِيًا: إِذَا كَانَتْ جُمْلَةٌ جَوَابَ الشَّرْطِ طَلِبِيَّةٍ^(*)، نَحَو: إِنَّ تُخَاصِمَ فَاتَّبِعِ الْحَقَّ .

الثَّالِثَةُ أَنْ يَكُونَ فَعْلُهَا إِنْشَائِيًا، نَحَو: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾^(٥).

الرَّابِعَةُ: أَنْ يَكُونَ فَعْلُهَا مَاضِيًا لَفْظًا وَمَعْنَى إِمَّا حَقِيقَةً، نَحَو: ﴿إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ
قَبْلُ﴾^(٦)، وَإِمَّا مَجَازًا، نَحَو: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾^(٧).

الخَامِسَةُ: أَنْ تَقْتَرْنَ بِحَرْفِ اسْتِقْبَالٍ، نَحَو: ﴿مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ
وَيُحِبُّونَهُ﴾^(٨).

(١) سورة المائدة، آية ٩٥ .

(٢) علل النحو، لابن الوراق، ص ٤٤٠ .

(٣) منهم: سيبويه، الكتاب ٣/٦٣، والسيرافي، شرح أبيات سيبويه ١٢٢/٢، وابن الوراق، علل النحو، ص ٣٥٤،

(٤) يُنْظَرُ: مغني اللبيب، لابن هشام الأنصاري، ١/٣١٧-٣١٩ .

(*) تشمل الجملة الطلبية ما يأتي: الأمر، والنهي، والاستفهام، والتَّمني، والنداء .

(٥) سورة آل عمران، آية ٣١ .

(٦) سورة يوسف، آية ٧٧ .

(٧) سورة النمل، آية ٩٠ .

(٨) سورة المائدة، آية ٥٤ .

السَّادِسَةُ : أَنْ تَقْتَرْنَ بِحَرْفِ لَهُ الصَّدْر، كَقَوْلِهِ ^(١) :

فَإِنْ أَهْلَكَ فِدَيَ لَهَبٍ لَظَاهُ عَلَيَّ تَكَادُ تَلْتَهَبُ اتِّهَابَا

فما الذي جاء من تلك الحالات في شعر مبارك بن سيف ؟ وَقَفَ الباحث على (عشرين) موضعاً جاء فيها جواب الجزاء مقترناً بالفاء، منها:

• قوله في قصيدته (من ربوع النيل إلى شواطئ اللؤلؤ) ^(٢) :

يَا نَيْلُ إِنْ بَعْدَ الْخَلِيجِ مَنَازِلَا فَالْرُوحُ تَهْفُو لِلْقَصِي وَتَعْشَقُ

فَالرُّوحُ تَهْفُو: جواب الشرط، وقد اقترن فيه الفاء؛ لأنَّه جملة اسمية .

• وقوله في قصيدته (فلسطين موطن الأديان) ^(٣) :

إِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ تَجَاوَزَ فِي الْمَدَى فَبَغَا وَمُوسَى بَيْنَهُمْ فِي الْوَادِي

فَبَغَا: جواب الشرط، مقترن بالفاء؛ لأنَّه مبدوء بفعل ماضٍ .

• وقوله في قصيدته السابقة نفسها ^(٤) :

أُمَاهُ، إِنْ قَالُوا قُتِلْتُ، فَهَلِّي وَتَوَشَّحِي بِالزَّهْرِ لَا بِسَوَادٍ

فَهَلِّي: اقترن جواب الشرط بالفاء؛ لأنَّه مبدوء بفعل أمر (جملة طلبية) .

(١) الشاهد لربيعه بن مقروم الضبي، تُنَظَرُ مصادره في: معجم شواهد النحو الشعرية، للدكتور حنا جميل حداد. رقم الشاهد

(٢٠٥)، ص ٢٨٦ . (الوافر)

(٢) الأعمال الشعرية، ص ٦٩ . (الكامل)

(٣) السابق نفسه، ص ٨٥ . (الكامل)

(٤) نفسه، ص ٨٦ . (الكامل)

مواضع حذف الفاء الواقعة في جواب الشرط .

واختُلِفَ في المواضع التي تُحذفُ فيها الفاء الواقعة في جواب الشرط (للضرورة، أو للندور)^(١)، وآخر يرى أنها قد تُحذفُ في الشعر والنثر، وثالث يمنع حذفها البتة، ولخص ابن هشام هذه الآراء فقال: «وَأَنَّ الْفَاءَ قَدْ تُحذفُ لِلزُّرُورَةِ .. وَعَنِ الْمَبْرَدِ أَنَّهُ مَنَعَ ذَلِكَ حَتَّى فِي الشَّعْرِ .. وَعَنِ الْأَخْفَشِ أَنَّ ذَلِكَ وَقَعَ فِي النَّثْرِ الصَّحِيحِ، وَأَنَّ مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ﴾»^(٢) .. وَقَالَ ابْنُ مَالِكٍ يَجُوزُ فِي النَّثْرِ نَادِرًا»^(٣).

وما يراه الباحث أَنَّ المبرد لم يمنع حذف الفاء حتى في الشعر - كما قال ابن هشام - بدليل ما يقوله المبرد نفسه: « وَلَوْ اضْطُرَّ شَاعِرٌ فَحَذَفَ الْفَاءَ وَهُوَ يريدها لَجَازَ كَمَا قَالَ^(٤) :

وَأَمَّا الْقِتَالُ لَا قِتَالَ لَدَيْكُمْو وَلَكِنْ سَيْرًا فِي عِرَاضِ الْمَوَاكِبِ

وَأَمَّا مَا لَا يَجُوزُ إِلَّا فِي الشَّعْرِ فَهُوَ: إِنْ تَأْتِي آتِكَ وَأَنْتَ ظَالِمٌ إِنْ تَأْتِي؛ لِأَنَّهَا قَدْ جُزِمَتْ»^(٥). فالفاء مُجْمَعٌ على حذفها جوازًا سواء أكانت للضرورة، أم غيرها، وسواء أكانت في الشعر، أم في النثر.

وحُذِفَتِ الفاء في شعر مبارك بن سيف في (ثمانية وثلاثين) موضعًا، منها:

• قوله في قصيدته (أغنية الربيع)^(٦):

إِنْ يَكُنْ عِنْدَكَ الْغَرَامُ رَبِيعًا أَنْشِدِيهِ وَهَاتِي شَدُوكِ هَاتِي

أَنْشِدِيهِ: جواب الشرط (أنشديه): فعل أمر، وجاءت الفاء محذوفة .

• وقوله في قصيدته (إطالة الفجر)^(٧):

وَمَنْ يَغْرِسِ الْبَذْرَ فِي الْعَاصِفَاتِ سَيَجْنِي إِذَا مَا الرَّبِيعُ أَهْلٌ

سَيَجْنِي: جواب الشرط ابتداء بحرف الاستقبال؛ مما يوجب وقوع الفاء، لكن الشاعر آثر حذفها.

(١) يُنظر: للمحة في شرح الملحّة، لابن الصائغ ٢/٢٨٤، ٢٨٥ .

(٢) سورة البقرة، آية ١٨٠ .

(٣) مُعْنِي اللَّيْبِ، لابن هشام الأنصاري، ص ٣١٨، ٣١٩ .

(٤) الشاهد للحارث بن خالد المخزومي، أو الوليد بن نهيك، أو الكميّ بن زيد. تُنظر مصادره في معجم شواهد النحو الشعريّة، للدكتور حنا حداد. رقم الشاهد (٢٧٢)، ص ٣٠٥ . (الطويل)

(٥) المقتضب، للمبرد ٢/٧١، ٧٢ .

(٦) الأعمال الشعريّة، ص ٢٨ . (الخفيف)

(٧) السّابِق نفسه، ص ٥٨ . (المقارب)

- وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(١):

إِنْ جَاءَ ذِكْرُ صِنَاعَةٍ وَتِجَارَةٍ (قَطَرٌ) يُؤَرِّخُ أَمْسَهَا الشُّعْرَاءُ

قَطَرٌ: جواب الشرط جملة اسمية واجب الاقتران بالفاء، لكنَّ الشاعر حذفها .

(٣) حذف الموصوف .

تتبع الصفة الموصوف في كل شيء في التعريف، والتنكير، وفي التذكير والتأنيث، وفي الإفراد والتثنية والجمع، وبالتالي فهي إيضاح له وتتمة في بيانه، ولكن قد يُحذف الموصوف وتقوم الصفة مقامه، ولا غرابة في ذلك، فالصفة والموصوف كالشيء الواحد من حيث البيان والإيضاح؛ ولذلك جاز حذف الموصوف وإحلال الصفة مكانه، نحو: المسلمون متوكلون على العلي القدير . فالصفة (العلي القدير) تغنيان عن ظهور الموصوف . لفظ الجلالة (الله)^(٢)

وَمَنَعَ ابْنَ جَنِيٍّ^(٣) حذف الموصوف إذا كان الوصف جملة، أو جاراً، و مجروراً، أو ظرفاً .

وبالنظر في شعر مبارك بن سيف لم يعثر الباحث على شاهد حُذف الموصوف فيه، وكان الوصف جملة، أو جاراً ومجروراً، أو ظرفاً، بل جاءت الصفات التي حُذِفَ موصوفُها أسماء مفردة وليست جملة، ولا شبه جملة .

ووقف الباحث على (خمس) مواضع حُذف فيها الموصوف، في شعر مبارك بن سيف، منها:

- وقوله في قصيدة (ذكريات الطفولة)^(٤) :

تُعِيدُ لَنَا فِي كُلِّ لَيْلَةٍ ؛

رَمَيْتُ بِضُرْسِيكُمْ فِي السَّمَاءِ

لِتُهْدِيَ ذَاتَ صَبَاحٍ

مَعَ الْفَجْرِ أُخْرَى جَمِيلَةً ؟

الشاهد حذف الموصوف (أضراساً)، وأقام الصفة (أُخْرَى) مقامه . والمعنى: لِتُهْدِيَ أَضْرَاسًا

جميلة.

(١) نفسه، ص ١١٣ . (الكامل)

(٢) يُنْظَرُ: الكتاب، لسبويه، ٣/٣٤٥، والمفصل، للزمخشري، ص ١٥٢. وشرح المفصل، لابن يعيش، ٣/٥٨، الأشباه والنظائر، للسيوطي، ٤/١٥٦ .

(٣) الخصائص، لابن جني، ٢/٣٦٨ - ٣٧٢ .

(٤) الأعمال الشعرية، ص ٧٨ . (من المتقارب)

- وقوله في قصيدته (الغرب المهذب)^(١) :

إِنَّهُ الْغَرْبِيُّ فِي رَفْلٍ يَعِيشُ

كَأَبْدِيهِاتٍ .. لَا تَسْأَلُ !!

الْغَرْبِيُّ: صفة، والموصوف محذوف، تقديره: الإنسان، وحُذِفَ الموصوف لحث القارئ على تتبع سير الأحداث في المقطع، وزيادة في التشويق . فالشاعر حذف الموصوف في بداية المقطع وذكره في نهايته .

- وقوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي)^(٢) :

هَذِي الدَّرَاهِمَ يَا غَلِيظَ الْقَلْبِ ..

وَأَتْرُكُ لِي بِلَالاً

هَبْ لِي الضَّعَافَ ..

وَحُذِنُ بِكَفَيْكَ الصُّرَرَ

الضَّعَافُ: حذف الموصوف، وتقديره (الرجال، أو المسلمين)، وأقام الصِّفة (الضَّعَاف مقامها) .

- وقوله في المسرحية السابقة نفسها (الفجر الآتي)^(٣) :

أَبْقَى بِرِفْقَةٍ هَذِي الْقِيُودَ ؟

قِيُودِ الْقَبِيلَةِ ..

تِلْكَ الثُّقَالُ

الثُّقَالُ: صفة قامت مقام الموصوف، وهي (القيود) التي يدل السياق عليها .

(٤) حذف حرف النداء .

ما هي حروف النداء ؟ وما هي استخداماتها ؟

يُجمع النُّحَاة على أنَّ حروف النداء خمسة، هي: يَا، وَأَيَّا، وَهَيَّا، وَأَيَّ، والألف (الهمزة المفتوحة) .

(١) السَّابِق نفسه، ص ٥٢ . (الرَّمْل)

(٢) الأعمال الشعرية، ص ٢٨٩ . (من الكامل)

(٣) السَّابِق نفسه، ص ٣٢٣ . (من المتقارب)

وتحدّث سيبويه ت ٥١٨٠ عن استعمالات حروف النداء، فقال: «... إلّا أنّ الأربعة غير الألف يُشير إلى حروف النداء (يا، أيّا، هيّا، أي) قد يستعملونها إذا أرادوا أن يمدّوا أصواتهم للشيء المتراخي عنهم، والإنسان المُعرض عنهم الذي يروّن أنّه لا يُقبل عليهم إلّا بالاجتهاد، أو النَّائم المُستقل»^(١).

متى يُحذف حرف النداء ؟

أشار سيبويه إلى أنّ حروف النداء قد تُحذف، فقال: «وإن شئتَ حذفتهنَّ كلّهنَّ، كقولك: حار ابن كعب؛ وذلك أنّه جعلهم بمنزلة مَنْ هو مُقبلٌ عليه بحضرته يُخاطبه»^(٢). وأكّد ابن جني^(٣) أيضًا على جواز حذف حرف النداء. ويخالف ابن يعيش سيبويه، وابن جني في جواز حذف حرف النداء؛ «لأنّ الحروف إنّما جيء بها اختصاراً، ونائبة عن الأفعال .. وحروف النداء نائبة عن الفعل (أنادي)، فإذا حُذفت كان اختصاراً للمختصر، وهو إجحاف، إلّا أنّه قد ورد حذف حرف النداء؛ لقوة الدلالة عليه، فصارت القرائن الدّالة عليه كالتلفظ به»^(٤). ولكنّا نجد ابن يعيش^(٥) في موضع آخر يعدّ حذف حرف النداء من المنادى المرخّم ضرورة. ولكنّه لم يعدّها اختصاراً، ولا إجحافاً.

ولخصّ ابن هشام ت ٧٦١ هـ الحالات التي يتمتع فيها حذف حرف النداء، هي: «المندوب نحو: يا عمرا، والمستغاث، نحو: يا لله، والمنادى البعيد؛ لأنّ المراد فيهن إطالة الصّوت، والحذف يُنافيه، واسم الجنس غير المعين، كقول الأعمى: يَا رَجُلًا خَذْ بِيَدِي، والمُضمر ونداؤه شاذ، ويأتي على صيغتي المنصوب والمرفوع؛ كقول بعضهم: يَا إِيَّاكَ قَدْ كَفَيْتَكَ .. واسم الله تعالى إذا لم يُعوّض في آخره الميم المشددة.. واسم الإشارة، واسم الجنس لمعين خلافاً للكوفيين فيهما»^(٦).

وقد تحدّث غير واحدٍ من النّحاة أيضًا^(٧) عن الحالات التي يُحذف فيه حرف النداء، وتلك التي يتمتع فيها الحذف.

المعاني الدلالية لحذف حرف النداء .

بيّن ابن جني ت ٣٩٢ هـ^(٨) الأغراض الدلالية التي يفيدها حذف حرف النداء، وحصرها فيما يأتي:

(١) الكتاب، ١٢٩/٢، ١٣٠.

(٢) الكتاب، ١٣٠/٢.

(٣) اللّمع في العربية، لابن جني، ص ١٠٨، ١٠٩.

(٤) شرح المفصل، لابن يعيش ١٥/ ٢.

(٥) السّابق نفسه، ١٦/٢.

(٦) أوضح المسالك، لابن هشام ٤ / ٧ - ١٠.

(٧) منهم: ابن الوراق ت ٣٨١، علل النّحو ص ٣٤٧، ٣٤٨، وشرح ابن عقيل، ٣ / ٢٥٥.. وغيرهم.

(٨) يُنظر: الخصائص، لابن جني ٢/ ٢٧٢، وما بعدها.

• الرغبة في العجلة، والإسراع، والفراغ من الكلام بسرعة .

• الإيجاز وذلك إذا تطلب المقام الاختصار .

• الدلالة على أنَّ المنادى قريب سواء أكان القُربُ حقيقياً، أم معنوياً .

ويرى محمد أبو موسى أنَّ حذف حرف النداء يكون في الأغلب عند مناداة صاحبة، أو الحبيبة، فيقول حول دلالة مثل هذا الحرف المحذوف: « تُشير إلى قربها من النفس، ومثلها في القلب، فتُخاطَب خطاب الأنيس المُخاطَب من غير حاجة إلى تنبيه ونداء»^(١) .

وجاء حرف النداء (يا) محذوفاً في شعر مبارك بن سيف في مواضع كثيرة، وصلت إلى (ثمانية وثمانين) موضعاً. وبالنظر لهذا الكم الهائل من المواضع التي حذف فيها الشاعر حرف النداء، نجد أنَّها توزَّعت حسب الأغراض الآتية:

• أولاً: الرغبة في العجلة، والإسراع، والفراغ من الكلام بسرعة .

وجد الباحث في شعر مبارك بن سيف (تسعة وعشرين) موضعاً، حذف فيها حرف النداء رغبة منه في العجلة والسُّرعة في الفراغ من الكلام، منها:

• قوله في قصيدته (أجراس القدس)^(٢) :

أَنَا يَا زَايَعَ الصُّلْبَانِ فِي أَرْضِي

وَسَارِقُ قُوتِ أَوْلَادِي

وَنَابِشُ قَبْرِ أَجْدَادِي لِتُفْنِينِي

أَنَا بَاقٍ بَقَاءَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى عَلَى أَرْضِي

يتحدَّث الشاعر في هذا المقطع عن جرائم الاحتلال الصهيوني في فلسطين، فهو على عجلة من أمره، فلا يريد الانشغال بذكر حرف النداء، بل يريد السُّرعة في ذِكر تلك الجرائم (سرقة القوت، ونبش القبور) .

• وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٣) :

(١) خصائص التراكيب، الدكتور محمد أبو موسى، ص ١٥٩ .

(٢) الأعمال الشعرية، ص ٣١ . (الهج) .

(٣) السَّابِق نفسه، ص ١٢٥ . (الكامل)

(سَابُورُ) لَا سَلِمَتْ يَدَاكَ فَإِنَّهَا غَدُرٌ وَمَوْتُ مَا بِهِ إِطْرَاءُ

يدعو الشاعر في هذا البيت على (سابور)، - وهو أحد أكاسرة دولة الفرس - بسبب أعماله الإجرامية من قتل وغدر، فالشاعر حذف حرف النداء بهدف الاستعجال في ذكر جرائم سابور تلك.

• وقوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي)^(١) :

مَهْلًا قُدِيتَ أَبَا الْحَكَمِ

مَا ذَاكَ مِنْ شَيْمِ الْقِمَمِ

ويقول:

كَلَّا أُمِيَّةٌ إِنَّهُ بَيْتٌ تَمَزَّقَ وَانْقَسَمَ

ويقول:

حَقًّا أَبَا لَهَبٍ لَنَا بُبُّ أَصَمِّ

حديث الشاعر في هذا المقطع عن صناديد قريش الذين هم ألدُّ النَّاسِ عَدَاءً للإسلام والمسلمين يجعله يسرع في اختصار الكلام ما وسعه الأمر حتى في حذف حرف النداء؛ لأنَّه يريد سرعة الانتهاء من الكلام عن هذه الفئة التي لا تروقُ له .

• ثانيًا؛ الإيجاز وذلك إذا تطلَّبَ المقام الاختصار .

وجد الباحث في شعر مبارك بن سيف (اثنين وعشرين) موضعًا، حُذِفَ فيها حرف النداء رغبة منه في الإيجاز؛ لأنَّ المُقَامَ يتطلَّبُ ذلك، منها:

• قوله في قصيدته (بين هياكل عشتار - المشهد الأول) -^(٢) :

أَرْضِي عَطَشِي لَا تَعْرِفُ سِرَّ الْأَمْطَارِ

فَأَجِيبِي سَاكِنَةَ الشَّمْسِ

يَارَبَّةَ مَمْلَكَةِ الْأَقْمَارِ

(١) نفسه، ص ٢٥٥ . (الكامل)

(٢) الأعمال الشعرية، ص ٣٥ . (المتدراك)

الحديث مع ذوي المقامات الرفيعة يتطلب الإيجاز القائم على الاختصار؛ ولذلك حذف الشاعر حرف النداء من ناحية، ومن الناحية الأخرى أراد الشاعر أن يُشعر القارئ بالقرب المعنوي لـ (ساكنة الشمس) (*) منه، على الرغم من المسافة البعيدة للشمس ولمن يسكنها .

• وقوله في قصيدته (مذكرات شاعر من العالم الثالث - ١) -^(١) :

اجْمَعُهُمْ فِي عَجَلٍ

كَلَّا سَيِّدَنَا ؟

لَا يُمَكِّن ..

دَع شَيْئًا مِنْهُمْ يَا أَحْمَقْ

كَمْ سَيِّدَنَا ؟

وَاحِد ..

فِي الْمِيَةِ سَيِّدَنَا ؟

الحديث مع ذوي المقامات العالية يتطلب الإيجاز القائم على الاختصار؛ ولذلك حذف الشاعر حرف النداء مع المنادى (سيدنا)، وجاء الحذف أيضاً للدلالة على العلاقة الحميمية القائمة بينهما، وإسناد الاسم (سيد) لضمير المتكلم (نحن). ومما يدل على ما ذهبنا إليه أن مبارك بن سيف يحذف حرف النداء (يا) مع ذوي المقامات العليا، وهذا الحذف ينسحب على كلمة (سيد، أو سادة، أو مولانا) حيثما وقعت منادى في شعره، وقد وردت هذه الألفاظ في (خمسة عشر) موضعاً .

• وقوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي)^(٢) :

زَيْدُ تَمَهَّلْ فَإِنِّي عَلَى الْأَمِينِ لَخَائِفُ

يتطلب المقام الذي يتحدث عنه المقطع الاختصار والإيجاز؛ ذلك أن عم النبي -صلى الله عليه وسلم- أبا طالب خائف على ابن أخيه من أذى قريش؛ ولذلك اختصر الشاعر بحذف حرف النداء بهدف الوصول وبسرعة لبيان أسباب خوفه على المصطفى - صلى الله عليه وسلم - .

(*) يقصد الشاعر بـ (ساكنة الشمس) :عشتار، وهي في الأساطير: آلهة الحرب والحُب لدى سكان ما بين النهرين.

(١) السابق نفسه، ص ٧٦ . (المتدارك)

(٢) الأعمال الشعرية، ص ٢٧٢ . (المجتث)

• ثالثاً: الدلالة على أَنَّ المَنادى قريب سواء أكان القُربُ حقيقياً، أم معنوياً^(١). وتظهر هذه الدلالة في شعر مبارك بن سيف في قوله:

• في قصيدته (مسافر على أمواج الخليج)^(٢):

تَعَالَى إِلَيَّ - مِيَاهُ الْخَلِيجِ - تَعَالَى إِلَيَّ كَلَحْنِ حَبِيبٍ حَبِيبٍ

قال الشاعر هذه القصيدة في نيويورك سنة ١٩٧٤م، ولا شكَّ أنَّه كان شديد الارتباط بوطنه؛ لذلك وعلى الرِّغم من البُعد المكاني (الحقيقي) عن بلده إلاَّ أنَّه يشعر بقرب وطنه معنوياً، فالوطن في قلبه ووجدانه، فَحَذَفُ الشاعر لحرف النداء (يا) يدلُّ على قُرب وطنه المعنويِّ منه. وتكرر هذا أيضاً في البيت الأخير من القصيدة ذاتها .

• وقوله في قصيدته (مناجاة الدَّهر)^(٣):

رَفِيقِي مَنَا بِالْجَوَابِ فَإِنْ نَأَى عَلَيَّكُمْ جَوَابٌ فَابْعَثَا عَلَّانِيَا

حَذَفَ الشاعر حرف النداء (يا)؛ للدلالة على قرب رفيقيه منه، وهو بهذا يُعبِّر عن عمق العلاقة القوية التي تربطه بهما .

• وقوله في قصيدته (فلسطين موطن الأديان)^(٤):

وَطَنِي فِدَاكَ مِنَ الرِّجَالِ أَشَاوَسَ كَابِنِ الْوَلِيدِ وَطَارِقِ بْنِ زِيَادٍ

الوطن في عقل كل شخص، وفي قلبه يعشقه، وينتمي له انتماءً حقيقياً، ويبقى متعلقاً به مهما بُعدت الشُّقة. والشاعر قد عبَّر عن كل هذه القيم بحذفه لحرف النداء (يا) .

• رابعاً: قُرب الحبيبة، أو الصاحبة من النَّفس . وجاء هذا في شعر مبارك بن سيف في قوله:

• في قصيدته (نَوَّارة)^(٥):

قَوْلِي وَأَجِيبِي نَوَّارَةَ

يَا حُبِّي يَا أَحْلَى الْأَسْمَاءِ

(١) يُنظر: معاني النحو، للدكتور فاضل صالح السَّامرائي ٢٧٦/٤ .

(٢) الأعمال الشعرية، ص ١٥ . (المتقارب)

(٣) السَّابِق نفسه، ص ٥٤ . (الطويل)

(٤) نفسه، ص ٨٦ . (الكامل)

(٥) الأعمال الشعرية، ص ٥٦ . (المتدارك)

يُعبر الشاعر عن قُرب محبوبته من نفسه بحذف حرف النداء حينما ذكرها بنفسه؛ ليؤكد على أنها تسكن في قلبه، وبالتالي فهي لا تحتاج لأن يُناديها بوساطة حرف النداء. ويُلاحظ أن الشاعر ذكر حرف النداء حينما ذكرها بوصفها، ولم يحذف حرف النداء رُبما للتأكيد على أنه لا يتحرّج من المجاهرة بحبها عن طريق المناداة بوصفها لا باسمها .

● وقوله في قصيدته (عودة إبريل)^(١) :

أَضْنَانِي بَيْنُكَ سَاحِرَتِي كَالنَّارِ لَطَاءُ وَكَالْجَمْرِ

يقصد الشاعر بالساحرة: الحبيبة والصّاحبة؛ لذلك حذَف حرف النداء (يا)؛ ليُعبر عن قُربها من قلبه ونفسه. ونعت محبوبته أيضًا في البيت قبل الأخير في القصيدة نفسها بـ (مُعَذِّبَتِي*)، وجعله منادى محذوف حرف النداء من أوله .

● وقوله في قصيدته (نّوّارة يا عالمي الصغير)^(٢) :

أَوْ تَعْلَمِينَ حَبِيبَتِي

ذَاتِ الْبَنْفَسَجِ وَالْوُرُودِ ؟

حذَف الشاعر حرف النداء؛ ليدل على قُرب حبيبته من نفسه؛ ولذلك يناديها مباشرة وبلا حرف نداء. وكرر هذا في المقطع الثاني من قصيدته (نّوّارة يا عالمي الصغير)^(٣)، فقال:

أَوْ تَعْلَمِينَ حَبِيبَتِي

أَنِّي عَشَقْتُ الزُّهْرَ ..

وبعد هذا العرض لحالات حذف حرف النداء في شعر مبارك بن سيف نستنتج أن الشاعر قد حذف حرف النداء بكثرة، كما أن حذفه كان لغايات بلاغية تتمثل في التعبير عن مدى قرب المنادى من قلبه، أو التعبير عن رغبته في الاختصار لغائتين: الأولى: الرّغبة في انتهاء الكلام والفراغ منه؛ لأنه لا يحتمل الإطالة فيه، والأخرى: الرّغبة في العجلة؛ للوصول لكلام أهم من حرف النداء، فالمقام يتطلب حذف حرف النداء .

(١) السّابق نفسه، ص ٦٤ . (المتدارك)

(*) وكررها في قصيدته (عالم الكلمات): تَكْفِيْنِي أَنْتِ - مُعَذِّبَتِي - ص ٢٠٤ . (من المتدارك)

(٢) نفسه ، ص ٢٢٣ . (من الكامل)

(٣) الأعمال الشعريّة، ص ٢٢٤ . (من الكامل)

الباب الثالث

الاستفهام في شعر مبارك بن سيف آل ثاني، ويشمل :

- الفصل الأول : الاستفهام في شعر مبارك بن سيف آل ثاني، ويشمل :

(أ) توطئة، مفهوم الاستفهام لغة واصطلاحاً .

(ب) اجتماع أداتي الاستفهام .

(ج) دخول أداة الاستفهام على حرف العطف .

(د) حذف أداة الاستفهام .

- الفصل الثاني : أدوات الاستفهام في شعر مبارك بن سيف، ويشمل :

(أ) حرفي الاستفهام، وهما :

- الهمزة . - هَلْ .

(ب) أسماء الاستفهام :

١- ما . ٢- ماذا . ٣- مَنْ . ٤- كَمْ .

(ج) أسماء الاستفهام المتضمنة معنى الظرفية، وهي :

١- كيف . ٢- أَيْنَ . ٣- أي . ٤- متى . ٥- أنَّى .

- الفصل الثالث : الأغراض البلاغية للاستفهام في شعر مبارك بن سيف .

- الفصل الرابع : النفي وأدواته في شعر مبارك بن سيف آل ثاني، ويشمل :

(أ) توطئة، النفي لغة واصطلاحاً .

(ب) دور النفي في بناء الجملة .

(ج) أدوات النفي في شعر مبارك بن سيف، هي:

أولاً: لا . ثانياً: ما . ثالثاً: لَمْ .

رابعاً: لَيْسَ . خامساً: لَنْ .

الفصل الأول

الاستفهام في شعر مبارك بن سيف آل ثاني، ويشمل :

(أ) توطئة، مفهوم الاستفهام لغة واصطلاحاً .

(ب) اجتماع أداتي الاستفهام .

(ج) دخول أداة الاستفهام على حرف العطف .

(د) حذف أداة الاستفهام .

الاستفهام في شعر مبارك بن سيف آل ثاني

أولاً : التوطئة، وتشمل:

(١) الاستفهام لغة واصطلاحاً .

- الاستفهام لغة :

الجذر اللغوي لكلمة (فَهَمَ) يدلّ على معرفة الشّيء، كما أنّ تصارييف الكلمة الثلاثية تُعطي المعاني الدلالية ذاتها، ولكن ماذا تعني كلمة (استفهام) التي هي مصدر الفعل الماضي (اسْتَفْهَمَ) لا سيما إذا علمنا أنّ كلّ زيادة في المبنى يتبعها زيادة في المعنى ؟ .

الاستفهام في اللغة^(١) مصدر للفعل الثلاثي المزيد بثلاثة أحرف (اسْتَفْهَمَ - يَسْتَفْهِمُ - اسْتَفْهَمًا)، وهو على وزن: (اسْتَفْعَلَ - يَسْتَفْعِلُ - اسْتَفْعَلًا). ولصيغة (اسْتَفْعَلَ) معانٍ كثيرة، منها: الطلب حقيقة، كاستغفرتُ الله، أي: طلبتُ مغفرته، والاستفهام: طلب الفهم. وعلى هذا تكون (استفهم): طلب الفهم والمعرفة. وهو من الثلاثي (فَهَمَ). وتفاهم (القوم): أفهم بعضهم بعضاً. وانفهم. ينفهم: يمكن فهمه، قابل للفهم. والفهم: الفطن، اللبيب، الخبير، الماهر.

- الاستفهام اصطلاحاً :

ذكر ابن جني ت٣٩٢هـ^(٢) أنّ الاستفهام من الجمل الإنشائية؛ لأنه لا يدخله الصدق ولا الكذب . ويُفصّل التهانوي توفي بعد ١١٥٨هـ الحديث حول تعريف الاستفهام اصطلاحاً، ويبحث في فلسفة مفهوم الاستفهام ودلالته، فيقول:

«هو عند أهل العربية من أنواع الطلب الذي هو من أقسام الإنشاء، وهو كلام يدلّ على طلب فهم ما اتصل به أداة الطلب»^(٣).

وبعد عرض أقوال العلماء يمكن إجمال أهم الخصائص التي يتسم بها هذا الأسلوب:

(١) يُنظر: لسان العرب، لابن منظور، ٣٤٣/١٠ (فَهَمَ). وتاج العروس للزبيدي، (فَهَمَ) ١٦/٩ .

(٢) اللع في العربية، لابن جني، ص ١٩١ .

(٣) موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للتهانوي، ١٧١/١ .

أولاً: الاستفهام هو طلب فهم ما لم يكن معلوماً، وهذا يتضح من صيغة (استفعل)، وحدد النحاة لهذه الصيغة معاني، لكن معناه الرئيس (الطلب)، ونص سيبويه على هذا، فقال: «... ومثل ذلك استفهمْتُ واستخبرْتُ، أي: طلبتُ إليه أنْ يُخبرني»^(١)، كما نصَّ على ذلك الصرفيون .

ثانياً: من القواعد المقررة نحوياً عدم جواز وقوع الاستفهام صلة للموصول؛ لأنَّ الاستفهام طلب فهم فلا ينطبق عليه صدق، أو كذب، والمعروف أنَّ صلة الموصول لا تكون إلا خبرية حتى يُحكم عليها بصدق، أو كذب، وعليه فلا يجوز وقوع الجملة الطلبية صلة، كما يفهم من قول ابن جني.

ثالثاً: يتضح مما سبق أنَّ الاستفهام هو نوعٌ من الإنشاء الطلبي؛ إذ يكون الاستفهام عن شيءٍ لا يُعلم. كما أنَّ الاستفهام هو: طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل بوساطة أداة خاصة .

(٢) اجتماع أداتي الاستفهام :

يرى الخليل بن أحمد الفراهيدي ت١٧٠هـ أنَّ أُمَّ جُعِلَتْ دليلاً على ألف الاستفهام، فيقول: «... ثمَّ اعْلَمْ أنَّ أَلْفَ الاسْتِفْهَامِ أَمَارَتُهَا يَعْنِي: علامتها، (أَمْ) نَحْوُ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾»^(٢)، وَرَبَّمَا أَضْمَرُوا أَلْفَ الاسْتِفْهَامِ، وَاسْتَغْنَوْا عَنْهُ بِأَمَارَتِهِ فَيَقُولُونَ: زَيْدٌ أَتَاكَ أَمْ عَمْرٌو. وَمُحَمَّدٌ عِنْدَكَ أَمْ زَيْدٌ»^(٣). ولكن قد تأتي ألف الاستفهام غير مصاحبة لِـ (أَمْ)، نحو قوله تعالى: ﴿أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتَانِ يَا إِبْرَاهِيمُ﴾^(٤). ويرى الباحث أنَّ مجيء (أَمْ) مع الهمزة عائدٌ لحاجة الجملة إليه من حيث الدلالة على النسق المقترن بالاستفهام، ولعل ما سنذكره يمثل دليلاً على زعمنا هذا.

ذكر التبريزي ت٥٠٢هـ. في شرحه لمطلع معلقة عنتره . اجتماع أداتي الاستفهام، فقال^(٥):

هَلْ غَادَرَ الشُّعْرَاءُ مِنْ مُتَرَدِّمٍ أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُمٍ ؟

(١) الكتاب، لسيبويه، ٧٠/٣.

(٢) سورة الواقعة، آية ٦٩ .

(٣) الجمل في النحو، للخليل بن أحمد، ص٢٥٢ .

(٤) سورة الأنبياء، آية ٦٢ .

(٥) الشاهد لعنتره بن شداد، مطلع معلقته، يُنظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٥٩/١١، ولسان العرب لابن منظور، (رَدَمَ)

. البحر (الكامل) . ٢٣٦/١٢ .

«.. (أَمْ هَلْ) إِنَّمَا دَخَلَتْ (أَمْ) عَلَى (هَلْ)، وهما حرفا استفهام؛ لِأَنَّ هَلْ ضَعُفَتْ فِي حُرُوفِ الاسْتِفْهَامِ؛ فَأَدْخِلَتْ عَلَيْهَا (أَمْ)، كَمَا أَنَّ (لَكِنْ) ضَعُفَتْ فِي حُرُوفِ الْعَطْفِ؛ لِأَنَّهَا تَكُونُ مُثْقَلَةً، وَمُخَفَّفَةً مِنَ الثَّقِيلَةِ وَعَاطِفَةً»^(١).

وينقل ابن منظور ت ٧١١هـ في اللسان رأي ابن بري في دخول (أَمْ) عَلَى (هَلْ)، فيقول:

«قَالَ (أَي: ابن بري): ..إِلَّا أَنَّهُ مَتَى دَخَلَتْ (أَمْ) عَلَى (هَلْ) بَطَلَ مِنْهَا مَعْنَى الاسْتِفْهَامِ، وَإِنَّمَا دَخَلَتْ أَمْ عَلَى هَلْ؛ لِأَنَّهَا خُرُوجٌ مِنْ كَلَامٍ إِلَى كَلَامٍ؛ فَلِهَذَا السَّبَبُ دَخَلَتْ عَلَى هَلْ فَقُلْتُ: أَمْ هَلْ. وَلَمْ تَقُلْ: أَهَلْ، قَالَ: وَلَا تَدْخُلْ أَمْ عَلَى الْأَلْفِ، لَا تَقُولُ: أَعِنْدَكَ زَيْدٌ أَمْ أَعِنْدَكَ عَمْرُو؟ لِأَنَّ أَصْلَ مَا وَضِعَ لِلِاسْتِفْهَامِ حَرَفَانِ: أَحَدُهُمَا الْأَلْفُ وَلَا تَقَعُ إِلَّا فِي أَوَّلِ الْكَلَامِ، وَالثَّانِي أَمْ، وَلَا تَقَعُ إِلَّا فِي وَسْطِ الْكَلَامِ، وَهَلْ إِنَّمَا أَقِيمَ مُقَامَ الْأَلْفِ فِي الاسْتِفْهَامِ فَقَطْ؛ وَلِذَلِكَ لَمْ يَقَعْ فِي كُلِّ مَوَاقِعِ الْأَصْلِ»^(٢).

ويلاحظ أن ابن بري جعل سبب دخول أَمْ عَلَى هَلْ «لِأَنَّهَا خُرُوجٌ مِنْ كَلَامٍ إِلَى كَلَامٍ» أمّا التبريزي فجعل سبب دخول أَمْ عَلَى هَلْ لضعف هَلْ من حروف الاستفهام، ولا يخفى على أحد الفرق بين الرأيين، ويرى الباحث أن ما ذهب إليه ابن بري أكثر دقة؛ ذلك أن معنى أَمْ في مثل الأمثلة المذكورة الإضراب. أي الخروج من كلام سابق إلى كلام لاحق .

ووجد الباحث في شعر مبارك بن سيف شاهدين اجتمعت فيهما أداتا استفهام، هما :

● قوله في مسرحيته الشعرية (الليل والضفاف)^(٣) :

يَا ضِفَافَ الشُّطِّ ...

هَلْ أَشْكُو لِمَا بِي مِنْ حَنِينٍ ؟

أَمْ أُدَارِي مَا بِقَلْبِي مِنْ جَوَى ؟

وظّف الشاعر في هذا المقطع الأداتين (هَلْ، وَأَمْ)، ودلالة (هَلْ) هنا على الاستفهام واضحة لا شك فيها، غير أنه أضاف بعداً آخر لهذا التركيب باستخدامه (أَمْ) التي تأتي في الأصل عاطفة، وقد تأتي دالة على الاستفهام. والسيّاق - هنا - يحتمل استخدام (أَمْ) على الأمرين العطف والاستفهام، فقد تكون عاطفة لجملة: (أُدَارِي مَا بِقَلْبِي..) على جملة: (أَشْكُو لِمَا بِي..)، فالعطف واضح وهو

(١) شرح القصائد العشر، لأبي زكريا التبريزي، ص ١٧٧ .

(٢) لسان العرب، لابن منظور، ١٢/٣٧ .

(٣) الأعمال الشعرية، ص ١٧. (الرملة)

عطف جملة على جملة. ولسنا بدعاً في هذا الأمر فقد ذكر النحاة أن أم تقيد العطف والاستفهام، فقد ذكر ابن منظور أن « أم حرف عطف، معناه الاستفهام، ويكون بمعنى بل»^(١). كما نَسَبَ رأياً للفراء بين فيه أن (أم) قد تكون ردّاً على الاستفهام. واستشهد ابن منظور بأي القرآن الكريم على مجيء (أم) للاستفهام والنسق معا .

• وقوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي)^(٢) :

أَبِي يَا أَبِي

تَمَهَّلْ

لِمَاذَا لِمَاذَا أَلَسْتَ تَعِبَ؟

فالشاعر في الشاهد كرر اسم الاستفهام (لماذا) لغرض التوكيد .

• وقوله في مسرحيته الشعرية السابقة نفسها^(٣) :

وَكَيْفَ؟ أَيْ تَنْسَى صُرَاخَ الضُّعَافِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ؟

وَيَصْرُخُ فِي وَجْهِ ضَوْءِ النَّهَارِ

جمع الشاعر في هذا الشاهد أداتي للاستفهام، هما: كيف، والهمزة. ولكن جمعهما لم يأتٍ لضعف أحدهما - كما ذكر التبريزي - إنما جاء لمناسبة الوزن، ولغرض بلاغي، وهو التعجب والاندعاش من كيفية نسيان صُراخ المؤمنين الضعفاء. وما يدعم ذلك ما نقله ابن منظور عن الزجاج حول مجيء (كيف) للتعجب، يقول: « وَقَالَ الزَّجَّاجُ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا﴾^(٤). تأويل كَيْفَ اسْتِفْهَامٌ فِي مَعْنَى التَّعَجُّبِ، وَهَذَا التَّعَجُّبُ إِنَّمَا هُوَ لِلْخَلْقِ وَالْمُؤْمِنِينَ أَيْ أَعْجَبُوا مِنْ هَؤُلَاءِ كَيْفَ يَكْفُرُونَ وَقَدْ ثَبَتَتْ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ»^(٥).

وعلى الرغم من تعانق أداتي الاستفهام إلا أن الباحث يرى همس التركيب موحيا بحذف، فالشاعر عندما يستخدم (كيف) الدالة على الحالية، فكأنما حذف الخبر، ويكون تقدير الكلام: فكيف الحال،

(١) لسان العرب، لابن منظور، ٣٥/١٢ .

(٢) الأعمال الشعرية، ٢٤٦ . (من المتقارب)

(٣) الأعمال الشعرية، ٣٢٤ . (من المتقارب)

(٤) سورة البقرة، آية ٢٨ .

(٥) لسان العرب، لابن منظور، ٣١٢/٩ .

أو الأمر؟ والمحذوف هنا مفهوم من سياق الكلام، ومعنى هذا - فيما أرى - أنَّ الحرفين لم يتراكبا، وإنما فصل بينهما بفصل، وهو الخبر المحذوف .

(٣) دخول أداة الاستفهام على حرف العطف :

تحدّث سيبويه^(١) عن دخول أداة الاستفهام على حرف العطف (الواو)، وبين ورود ذلك بكثرة في أي القرآن الكريم. يقول أحمد بن فارس ت٣٩٥ هـ :

« .. وفي القرآن: ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى﴾^(٢)، وكذلك قوله - جلّ ثناؤه -: ﴿أَيْنَا لَمَبْعُوثُونَ، أَوَأَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾^(٣)، فليس بأو، وإنما هي (واو) عطف دخل عليها ألف الاستفهام، كأنه لما قيل لهم: أنكم مبعوثون وأباؤكم، استفهموا عنهم»^(٤) .

وورد في شعر مبارك بن سيف شواهد كثيرة على دخول حرف الاستفهام (الهمزة) على حرف العطف (الواو) بلغت (سبعة وعشرين) شاهداً، منها:

• قوله في قصيدته (بين هياكل عشتار - المشهد الأول -) ^(٥) :

أَوْكَيْفَ لَهَا فَتَسَامِرُكَ ؟

أَوْكَيْفَ لَهَا فَتَطَاوُلُكَ ؟

أَوْتَشْرَبُ كُلَّ حَلِيبِ الْأَرْضِ ؟

أَوْتَسْتَسْقِي مِنْ مَاءِ النَّارِ ؟

ويلاحظ تكرار حرف الاستفهام (الهمزة) يليه حرف العطف (الواو) في بداية كل سطر شعري.

• وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج) ^(٦) :

وَسَأَلْتُهُ عَنْ قَوْمِهِ ، عَنْ أَرْضِهِ أَوْفِي الْخَلِيجِ تَبَدَّلَتْ أَشْيَاءُ ؟

همزة الاستفهام، وقد دخلت على حرف العطف (الواو) .

(١) الكتاب، لسيبويه، ١٨٧/٣ - ١٨٩ .

(٢) سورة الأعراف، آية ٩٨ .

(٣) سورة الصافات، آية ١٦، ١٧ .

(٤) الصاحبى في فقه اللغة العربية، لأحمد بن فارس، ص ٤٤ .

(٥) الأعمال الشعرية، ص ٣٦ . (المتدارك)

(٦) السّابق نفسه، ص ١٠٧ . (الكامل)

• وقوله في مسرحيته الشعريّة (الفجر الآتي)^(١) :

أَوْتَجْهَلُ سَيِّدَنَا الْأَكْرَمُ ؟

أَوْتَجْهَلُ حَقًّا مَنْ أَسْلَمَ ؟

أَوْتَجْهَلُ دَارَ أَبِي الْأَرْقَمِ

جاءت الهمزة في الأمثلة المتقدمة للإنكار، فهو ينكر على نجمة الصباح في الشاهد الأول أن يستطيع أحد مطاوتها، أي الوصول لمنزلتها الرفيعة أو مساورتها، كما ينكر في الشاهد الثاني أن يكون أهل الخليج قد تغيروا في حبهم وولائهم لخليجهم. وفي الشاهد الأخير يسأل ياسر سيده أبا جهل بأسلوب يغلب عليه الإنكار الممتزج بالسخرية والاستهزاء بعدم معرفة أبي جهل بما يجري في الواقع من إسلام نضر ليس بالقليل، والتقاءهم بدار الأرقم بن أبي الأرقم. والحق أن اختيار معجم الألفاظ من الشاعر يعوّل عليه الفهم الدقيق للأحداث، فنحن نرى الشاعر يستخدم مادة (تجهل) مرّات عدة في مخاطبته لـ (أبي جهل)، وكأنّه يشي مباشرة بأنّ الجهل من صفات هذا الرجل الملازمة له، فلا يُنادى إلا بالجهل، ولا يُعرَف إلا بالجهل، ليس هذا فحسب، بل نراه يسمه على لسان أبي لهب بأنّه أب للجهل، فيقول في مسرحيته الشعرية^(٢):

أُضْمْتُ أَبَا الْجَهْلِ إِنْ يَ سَأَقْضُمُ الْأَنْفَ حَاذِرُ

ثمّ يدلّل أبو لهب على صدق وسمه لـ (أبي جهل) بهذه السّمة فيقول^(٣):

فَكُلُّنَا لَوْ عَدَدْنَا أَفْعَالَنَا صَرْتُ صَاغِرُ

(١) نفسه، ص ٢٨٠ . (المتدارك)

(٢) الأعمال الشعريّة، ص ٣١٥ . (المجتث)

(٣) السّابق نفسه، ص ٣١٦ . (المجتث)

(٤) حذف أداة الاستفهام :

يرى الخليل بن أحمد الفراهيدي^(١) أنَّ ألف الاستفهام قد تُضمَر. كما أشار سيبويه^(٢) أيضًا إلى حذف ألف الاستفهام، ولكن لم يذكر متى تُحذف إنَّما قدرها محذوفة في بعض الشواهد .

ويمكن تلخيص الحالات التي تُحذف فيها أداة الاستفهام فيما يأتي:

أولاً: العلم بها، أو ظهور معناها . بيّن أبو البقاء العُكْبَرِيّ ت٦١٦هـ^(٣) أنَّ همزة الاستفهام تُحذف للعلم بها؛ لأنَّ معناها ظاهرٌ، كما ذكر أيضًا^(٤) أنَّ الهمزة قد تُحذف لظهور معناها.

ثانيًا: تُحذف الأداة للضرورة . يقول الزوزني ت٤٤٥هـ في تعقيبه على بيت الشعر^(٥):

شَدِيدُ الْخُنْزَوَانَةِ لَا يُبَالِي أَصَابَ إِذَا تَنَمَّرَ أَمْ أُصِيبَ

«قال أبو الفتح: الخنزوانة: الكبر، وتَنَمَّرَ: أَوعد وتهدد، وأَرَادَ: أَصَابَ، فَحَذَفَ هَمْزَةَ الاسْتِفْهَامِ ضَرُورَةً أَيْ: إِذَا أَوْعَدَ عَدُوهُ لَمْ يَرْجِعْ عَلَى مَا خِيلَتْ»^(٦).

ثالثًا: تُحذف إذا أمن اللبس . وقال بهذا ابن عصفور ت٦٦٩هـ^(٧)، نحو قوله^(٨):

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي، وَإِنْ كُنْتُ دَارِيًا بِسَبْعِ رَمِيْنِ الْجَمْرِ أَمْ بِثَمَانِ

يريد: أَسْبِعُ^(٩).

وجاءت أداة الاستفهام محذوفة في شعر مبارك بن سيف؛ للعلم بها، ولوجود ما يدل عليها في

(خمسـة وثلاثين) موضعًا، منها:

(١) الجمل في النحو، للخليل بن أحمد، ص ٢٥٣.

(٢) يُنظر: الكتاب، لسيبويه ١٧٤/٣، ١٧٥.

(٣) إعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث النبوي، للعكبري، ص ٢٠.

(٤) يُنظر: السَّابِق نفسه، ص ٢٥.

(٥) الشاهد لأبي الطيب المعتبي، يُنظر: المآخذ على شُراح ديوان أبي الطَّيِّب المُتَنَبِّي، لأبي العباس عز الدين الأزدي المُهَلَّبِي ٣٣/١، (البحر: الوافر) .

(٦) قَشْرُ الْفَسْرِ، للعميد أبو سهل محمد بن الحسن العارض الزَّوْزَنِي، ٥٩/١ .

(٧) الشاهد لعمر بن أبي ربيعة، تُنظر مصادره في: معجم شواهد النحو الشعريّة، للدكتور حنا حدّاد. رقم الشاهد (٣٠٠٥)، ص ٦٧١. (الطويل)

(٨) الشاهد لعمر بن أبي ربيعة، تُنظر مصادره في: معجم شواهد النحو الشعريّة، للدكتور حنا حدّاد. رقم الشاهد (٣٠٠٥)، ص ٦٧١. (الطويل)

(٩) ضرائر الشَّعْرِ، لابن عصفور، ص ١٥٨ .

- وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(١) :

قَابِيلُ أَمْ هَابِيلُ أَمْ مَاذَا أَرَى ؟ فَيَضَانُ دَمٌ زَفَهُ الْأَعْدَاءُ

حَذَفَ الشَّاعِرُ (همزة الاستفهام) ، والتقدير: أقابيل؛ لدلالة أَمْ عليها .

- وقوله في قصيدته (مذكرات شاعر من العالم الثالث - ٢ -)^(٢) :

مَاذَا ؟ مَا هَذَا ؟

الْبَدَلَةُ مِنْ صُوفٍ دَاكِنٍ ؟

صُوفٍ دَاكِنٍ ؟

قُفَازٌ مِنْ جِلْدِ النَّمْرِ (*) ؟

فِي قَيْظِ الصَّيْفِ ؟

أبدع الشاعر في هذا المقطع في التعامل مع حذف أداتي الاستفهام (ماذا، ما) المذكورتين في أول المقطع؛ ففي السطر الشعري (البدلة.. أداة الاستفهام (ماذا)؛ وقد حذفه للعلم به من ناحية وللتعبير عن شدة الاندهاش والتعجب. وهكذا فعل في الجملة الشعرية الثانية (صوف داكِن؟)، لكنّه هنا حذف (ما هذا؟)؛ ليؤكد على عظم اندهاشه الذي عبّر عنه في السطر الشعري الأول. وفي السطر الشعري الثالث عاد ليحذف (ماذا). وفي الجملة الشعرية الأخيرة عاد ليحذف (ما هذا) كل ذلك زيادة في التأكيد على الاندهاش الذي كانت تعلو وتيرته شيئاً فشيئاً .

- وقوله في قصيدته (قراءة في كتاب قديم)^(٣) :

أَتَسْأَلُ عَنَّا ؟

كَثِيرُونَ أَنْتُمْ ؟

نَعَمْ كَأَنْفَاء

(١) الأعمال الشعرية، ص ١٦٣ . (الكامل)

(٢) الأعمال الشعرية، ص ١٨٢ . (من المتدارك)

(*) ضُبِطَت كَلِمَةُ (النَّمْر) فِي الدِّيَوَانِ بِكَسْرِ التَّضْعِيفِ، وَكَانَ ابْنُ مَنْظُورٍ قَدْ أَجَازَ كَسْرَ النُّونِ، أَوْ فَتَحَهَا... وَالنَّمْرُ: ضَرْبٌ مِنَ السَّبَاعِ، وَالْأُنْثَى: نَمْرَةٌ . يُنْظَرُ: لِسَانِ الْعَرَبِ، لَا بِنَ مَنْظُورٍ، ٥/ ٢٣٤ (نمر).

(٣) الأعمال الشعرية، ص ٢١١، ٢١٢ . (من المتقارب)

وقوله:

وَلَكِنْ تَمَهَّلْ .. تُرِيدُ الْحَقِيقَةَ ؟

حُذِفَتْ همزة الاستفهام لظهور معناها ولدلالة الهمزة المذكورة عليها، والتقدير: أأنتم كثيرون ؟

أتريد الحقيقة ؟

● وقوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي)^(١) :

يَا زَيْدُ حَقٌّ مَا يُقَالُ ؟

لَقَدْ عَرَفْتُ أَحْمَدًا يَهْدِي إِلَى خَيْرِ الْخَصَالِ

حُذِفَتْ همزة الاستفهام والتقدير: أحقُّ ما يُقال ؟

ثانياً : أدوات الاستفهام، ودلالاتها في شعر مبارك بن سيف :

ذكر ابن جني ت٣٩٢هـ^(٢) أَنَّ أدواتِ الاستفهام ثلاثة أصنافٍ هي:

أولاً: أسماء غير ظروف، وهي: مَنْ، وَمَا، وَأَيُّ، وَكَمْ .

ثانياً: الظروف، وهي: مَتَى وَأَيْنَ، وَكَيْفَ، وَأَيُّ، وَحِينَ، وَأَيَّانَ، وَأَنْتَى .

ثالثاً: الحروف، وهي: الهمزة، وَأَمْ، وَهَلْ .

كما بيّن ابن جني استخدامات أسماء الاستفهام، فقال: « مَنْ: سُؤَالٌ عَمَّنْ يعقل. وَمَا: سُؤَالٌ عَمَّا لَا يعقل. وَأَيُّ: سُؤَالٌ عَنَ بعضٍ من كل، وَتَكُونُ لِمَنْ يعقل، ولَمَّا لَا يعقل. وَكَمْ: سُؤَالٌ عَنِ الْعَدَدِ. وَمَتَى: سُؤَالٌ عَنِ الزَّمَانِ. وَأَيْنَ: سُؤَالٌ عَنِ الْمَكَانِ. وَكَيْفَ: سُؤَالٌ عَنِ الْحَالِ »^(٣).

وفيما يأتي بيان وتفصيل لأدوات الاستفهام الواردة في شعر مبارك بن سيف .

- الهمزة .

يرى المرادي ت٧٤٩هـ أَنَّ لهمزة الاستفهام خصوصيةً تميّزها عن غيرها، فيقول: « فالهمزة أعم، وهي أصل أدوات الاستفهام. ولأصالتها استأثرت بأمور، منها تمام التصدير بتقديمها على الفاء،

(١) السّابق نفسه، ص ٢٧١ . (من الرّجز)

(٢) يُنظر: اللمع في العربية، لابن جني، ص ٢٢٧، ٢٢٨ .

(٣) السّابق نفسه، ص ٢٢٧، ٢٢٨ .

والواو، وثم، في نحو: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(١)، ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا﴾^(٢)، ﴿أَتَمَّ إِذَا مَا وَقَعَ﴾^(٣). وكان الأصل في ذلك تقديم حرف العطف على الهمزة، لأنها من الجملة المعطوفة. لكن راعوا أصالة الهمزة، في استحقاق التصدير، فقدّموها بخلاف (هل) وسائر أدوات الاستفهام. هذا مذهب الجمهور^(٤).

يرى الدكتور محمد محمد أبو موسى^(٥) أنّ هناك اعتبارات تكثّر في صياغة الجملة التي تدخل عليها همزة الاستفهام، معللاً ذلك بأنّ الهمزة يُسألُ بها عن كلّ شيءٍ في الجملة؛ ولذلك فإنّه يُطلب بالهمزة تصوّر كل ما في الجملة، كما يُطلب بها حصول النسبة، أي: التصديق.

جاءت الهمزة في شعر مبارك بن سيف في (أربعة عشر ومائة) موضع، وتتوّع دخولها على الجمل المنفية والأخرى المثبتة. وفيما يأتي عرض للأنماط التي جاءت عليها همزة الاستفهام في شعر مبارك بن سيف :

النمط الأول: همزة الاستفهام، وقد وليتها الجملة المثبتة .

جاءت الهمزة الداخلة على الجملة المثبتة في شعر مبارك بن سيف في (ثمانية وتسعين) موضعاً، منها:

- قوله في قصيدته (مناجاة الدهر)^(٦) :

أَشْكُوكَ دَهْرًا يَارَفِيقَ مَسِيرَتِي وَكَيْفَ يَكُونُ الدَّهْرُ خَصْمًا وَقَاضِيًا ؟

أداة الاستفهام: الهمزة . (أشكوك): الجملة الفعلية مُثبتة، لم تُسبق بنفي .

- وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٧) :

يَا بَحْرُ، هَلْ ضَمَّ الصَّبَاحُ لِقَاءَهُمْ ؟ أَتَرَاهُ هَلْ ضَمَّ اللَّقَاءَ مَسَاءً ؟

أداة الاستفهام: الهمزة . (تُراه): الجملة الفعلية مُثبتة، لم تُسبق بنفي .

(١) سورة البقرة، آية ٤٤، آل عمران، آية ٦٤، الأنعام، آية ٢٢، الأعراف، آية ١٦٩، هود، آية ٥١، يوسف، ١٠٩، الأنبياء، آية ١٠، وآية ٨٠، المؤمنون، آية ٨٠، القصص، آية ٦٠، الصافات، ١٣٨ .

(٢) سورة الروم، آية ٩، سورة فاطر، آية ٤٤، غافر، آية ٢١ .

(٣) سورة يونس، آية ٥١ .

(٤) الجنى الدّاني، للمرادي، ص ٣١ .

(٥) يُنظر: دلالة التراكيب، دراسة بلاغية، للدكتور محمد محمد أبو موسى، ص ٢٠٥-٢٠٧ .

(٦) الأعمال الشعرية، ص ٥٣ . (الطويل)

(٧) السّابق نفسه، ص ١٠٠ . (الكامل)

• وقوله في قصيدته السابقة نفسها^(١) :

أَوْصُولُنَا أَرْضَ الْفَرَنْجَةِ جَائِزٌ وَوُصُولُنَا شَرْقَ الْخَلِيجِ هَرَاءٌ ؟

أداة الاستفهام: الهمزة . (أوصولنا .. جائزٌ) : الجملة الاسمية مثبتة، لم تُسبق بنفي.

النمط الثاني: همزة الاستفهام، وقد وليتها الجملة المنفية .

دخلت الهمزة على الجملة المنفية في شعر مبارك بن سيف في (ستة عشر) موضعاً، منها:

• قوله في قصيدته (رفقة الصبا)^(٢) :

طُوسُونُ وَالْبَاشَا (*) الرَّهِيْنَةُ هَهْنَا أَوْ مَا شَفَاكَ مِنَ الْكِنَانَةِ دَاءٌ

أداة الاستفهام: الهمزة . (ما شَفَاكَ) : الجملة الفعلية منفية بـ (ما) .

• قوله في قصيدته (مذكرات شاعر من العالم الثالث - ٢ -)^(٣) :

مَاذَا مَوْلَانَا ؟ ...

أَوَلَمْ أُوصِكَ ؟

أداة الاستفهام: الهمزة . (لم) : الجملة الفعلية منفية بـ (لَمْ) .

• وقوله في قصيدته (لقاء عابر مع حاتم طيئ)^(٤) :

فَقَالَ: سَأَلْتُكَ هَلْ مِنْ مُجِيبٍ ؟

أَمَّا عِنْدَكُمْ مَا يَرُدُّ الضُّوْى ؟

وقوله:

أَمَّا مَنْ خَلَفَ ؟ !

أَمَّا مَنْ كَرِيمٍ يَرُدُّ السَّلَفَ ؟ !

(١) نفسه، ص ١٢٦ . (الكامل)

(٢) الأعمال الشعرية، ص ١٤١ . (الكامل)

(*) في البيت إشارة إلى غزو محمد علي باشا، وابنيه: إبراهيم وطوسون للجزيرة العربية للقضاء على الدعوة السلفية. يُنظر:

السابق نفسه، ص ١٤١، هامش ٢ .

(٣) الأعمال الشعرية، ص ١٨٢، ١٨٣ . (من المتدارك)

(٤) الأعمال الشعرية، ص ٢٠٩، ٢١٠ . (المقارب)

أداة الاستفهام: الهمزة . (مَا): الجمل في المقطع مسبوق بحرف النفي (ما) .

• وقوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي)^(١) :

أَلَيْسَ بِجَارِكْ؟

وَبُنْسَ الْجَوَارِ

ويقول^(٢) :

فَلَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ السُّنَنِ ثِقَالَهَا أَوْ مَا يَسْتُ؟

- المعاني الدلالية للهمزة في شعر مبارك بن سيف .

قبل البدء بعرض المعاني الدلالية للهمزة في شعر مبارك بن سيف نشير إلى أنَّ الملحوظة المستنتجة من إحصاء الهمزة الواردة في شعره عامة، وما ورد منها متبوعاً بالجملة المثبتة، أو الجملة المنفية خاصة. وجدنا أنَّ مبارك بن سيف قد أتبع الهمزة بالجملة المثبتة في (ثمانية وتسعين) شاهداً، في حين لم ترد الهمزة متبوعة بالجملة المنفية إلا في (ستة عشر) شاهداً، ولم يلجأ الشاعر لاستخدام الجملة المنفية بعد الهمزة إلا حين أراد العتاب، أو السخرية من المخاطب، أو التعجب والاندعاش من ذلك:

• **السخرية والاستهزاء**، نحو استهزائه من حكم محمد علي باشا لمصر، والضعف الذي أصاب مصر في عهده .

وقد مرَّ بنا البيت (طوسون..)* . وقوله^(٣) : (أليس بجارك؟) .

• **التأنيب والعتاب**، نحو قوله^(٤) : (أولم أوصك؟) . وقوله^(٥) : (أما عندكم ما يردُّ الضُّوى؟) .

وقوله^(٦) : (أما من كريم يردُّ السَّلف؟) . وقوله^(٧) : (أما علمتَ أحمد؟) .

(١) السَّابِق نفسه، ص ٢٧٨، ٢٧٩ . (من المتقارب)

(٢) نفسه، ص ٢٧٩ . (الكامل)

(*) يرى الباحث أنَّ استهزاء الشاعر وسخريته من الضعف الذي أصاب مصر في عهد حكم محمد علي باشا لمصر سخرية مخالفة للحقيقة؛ ذلك أنَّ مصر في عهد محمد علي كانت في أوج عظمتها وازدهارها .

(٣) الأعمال الشعرية ، ص ٢٧٨ . (من المتقارب)

(٤) الأعمال الشعرية، ص ١٨٣ . (من المتدارك)

(٥) السَّابِق نفسه، ص ٢٠٩ . (من المتقارب)

(٦) نفسه، ص ٢١٠، وكذلك ٢١٣ . (من المتقارب)

(٧) الأعمال الشعرية، ص ٢٧٣ . (الرجز)

• الاستغراب والاندھاش، نحو قوله^(١): (أَفَلَا تَمَلُّ الْاِنْتِظَارَ؟). وقوله^(٢): (فَلَقَدْ بَلَغْتَ مِنَ السَّنَنِ ثِقَالَهَا أَوْ مَا يَسْتُ؟).

• الاستفهام لغرض التقرير، نحو قوله^(٣): (لِمَاذَا لِمَاذَا أُلْسَتْ تَعْبُ؟). وقوله^(٤): (نَوَاحِي الْيَمَنِ أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟). وقوله^(٥): (أَمَّا هُوَ الْحَقُّ أَبَا طَالِبٍ؟).
وتؤدِّي الهمزة معنيين، هما^(٦):

الأول: التَّصَوُّر، ويُقصد به إدراك المفرد، أي تعيينه، وفي هذه الحال تأتي الهمزة متبوعة بالمسؤول عنه إذا كان:

١- مسنداً، نحو: أَرَاغِبُ أَنْتَ عَنِ الْأَمْرِ أَمْ رَاغِبٌ فِيهِ؟

ووردت الهمزة في شعر مبارك بن سيف متبوعة بالمسؤول، وهو (مسند) في (ثلاثة وستين) موضعاً، منها:

• قوله في قصيدته (بين هياكل عشتار - المشهد الأول -)^(٧):

أَتَغُوصُ الشَّمْسُ بِقَاعِ النَّفْطِ ..

لَتَبْحَثَ عَنْ شَجَرِ الْمَحَانِ؟

فَأَجِيبِي سَاكِنَةَ الشَّمْسِ

تفيد همزة الاستفهام هنا التصوُّر؛ ذلك أنَّ الشاعر أتبع الهمزة بالمسؤول عنه (تغوص): وهو فعل مضارع (مسند)، لكنَّهُ لم يأت بالمعادل (أَمْ)؛ ولا ضير في ذلك فالمعادل قد يُحذف.

• وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٨):

سَفَكُوا دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ مُهَانَةً أَوِ لِلْغَرِيبِ الذِّمَّةُ الْقَعَسَاءُ

(١) السَّابِق نفسه، ص ٢٠٦. (من الكامل)

(٢) نفسه، ص ٢٧٩. (من الكامل)

(٣) الأعمال الشعرية، ص ٢٤٦. (من المتقارب)

(٤) السَّابِق نفسه، ص ٢٤٧. (من المتقارب)

(٥) نفسه، ص ٢٧٢. (الرجز)

(٦) يُنظر: علوم البلاغة، للمراغي، ص ٧٦، وعلم المعاني، للدكتور عبد العزيز عتيق، ص ٩٩ - ١٠٤. وغيرها

(٧) الأعمال الشعرية، ص ٣٤. (المتدارك)

(٨) الأعمال الشعرية، ص ١٤١. (الكامل)

تنفيد همزة الاستفهام هنا التصوّر؛ ذلك أنّ الشاعر أتبع الهمزة بالمسؤول عنه (للغريب)؛ وهو شبه جملة جار ومجرور في محل رفع خبر مقدّم (مسند)، لكنّه لم يأتِ بالمعادل (أمّ)، فالمعادل قد يُحذف .

● وقوله في قصيدته (مذكرات شاعر من العالم الثالث . ٢) (١) :

أَغْرِيْبٌ عَنْ سَيِّدِنَا وَعَدُّ الْأَمْجَادِ ؟

أَقْصِدُ سَيِّدَنَا فِي الصُّورَةِ

مَزْهُوًّا .. يَبْدُو كَالْعَادَةِ

تنفيد همزة الاستفهام هنا التصوّر؛ ذلك أنّ الشاعر أتبع الهمزة بالمسؤول عنه (غريبٌ)؛ وهو خبر مقدّم (مسند)، لكنّه لم يأتِ بالمعادل (أمّ) .

ويُذكر المسؤول عنه بعد الهمزة، ويكون له مُعادل يُذكر بعد أمّ غالباً. وقد يُستغنى عن ذكر المعادل، نحو قول الله تعالى: ﴿أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتَانِ يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ (٢) .

وجاء مبارك بن سيف بالمعادل (أمّ) بعد همزة الاستفهام المتبوعة بالمسند في قوله في قصيدته (لحظات غروب سعيدة) (٣) :

نَضَحْتُ فِي وَجْنَتَيْهَا حُمْرَةً أَحْيَاءُ ذَاكَ .. أَمْ ذَاكَ وَجَلْ ؟

تنفيد همزة الاستفهام هنا التصوّر؛ ذلك أنّ الشاعر أتبع الهمزة بالمسؤول عنه (حياءٌ)؛ وهو خبر مقدّم (مسند)، وذكر المعادل (أمّ ذاك وجلّ) .

٢- مسنداً إليه، نحو: أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا أَمْ يَوْسُف ؟

يقول الدكتور محمد أبو موسى موضعاً المقصود بالتصوّر، وبالشك فيما يلي همزة الاستفهام: «وقد لاحظوا أولاً أنّ يكون المسؤول عنه بها (أي: بالهمزة) ما يليها، هذه ملاحظة ضرورية؛ لأنها كما قلنا صالحة لأنّ يُسأل بها عن كلّ شيء في الجملة .. وهذا الأصل اقتضى مزيداً من الاعتبارات، وذلك أنّه ما دام موضع الشك والمطلوب بالهمزة هو ما يليها فإنّ ذلك يعني من وجه

(١) السّابق نفسه، ص ١٨١، ١٨٢ . (من المتدارك)

(٢) سورة الأنبياء، آية ٦٢ .

(٣) الأعمال الشعريّة، ص ٢٢١ . (الرمّل)

آخر أنّ بقية أجزاء الجملة لا شكّ فيها، فلا ينبغي أنّ يكون في العبارة ما يوحي أنّ هناك شكّاً في غير ما يلي الهمزة»^(١).

ووردت الهمزة في شعر مبارك بن سيف متبوعة بالمسؤول، وهو (مُسند) في (أربعة وعشرين) موضعاً، منها:

• قوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٢):

أَوْصُولُنَا أَرْضَ الْفِرْنَجَةِ جَائِزٌ وَوُصُولُنَا شَرْقَ الْخَلِيجِ هُرَاءٌ؟

تفيد همزة الاستفهام هنا التّصوّر؛ ذلك أنّ الشاعر أتبع الهمزة بالمسؤول عنه (وصول): وهو مبتدأ (مسند إليه)، لكنّه لم يأتِ بالمعادل (أمّ). ذكر الشاعر الوصول (وهو تحقيق النصر) بعد الهمزة لأنّه شاكٌّ في ذلك، بل لأنّه أراد أنّ يعرض فكرة العدو الذي يشكّ في هذا على سبيل السخرية والاستهزاء من شكّه؛ لذلك جاء بما يناقض شكّهم في الشطر الثاني.

• وقوله في قصيدته (لقاء عابر مع حاتم طيّ)^(٣):

نُسَائِلُهُمْ كَيْ يَضِيعَ النَّهَارُ

أَأَكُلُ لَحُومَ الْخِرَافِ حَلَالٌ؟

تفيد همزة الاستفهام هنا التّصوّر؛ ذلك أنّ الشاعر أتبع الهمزة بالمسؤول عنه (أكل لحوم الخراف): وهو مبتدأ (مسند إليه)، لكنّه لم يأتِ بالمعادل (أمّ).

• قوله في مسرحيته الشّعريّة (الفجر الآتي)^(٤):

أَأَنْتَ مُسَافِرٌ؟

مُسَافِرٌ!

قَصَدْتُ بِقَوْلِي أَرَاكَ غَرِيبًا .. أَأَنْتَ مُهَاجِرٌ؟

وَمَنْ لَمْ يُهَاجِرْ؟

(١) دلالة التراكيب، دراسة بلاغية، للدكتور محمد أبو موسى، ص ٢٠٦.

(٢) الأعمال الشّعريّة، ص ١٢٦. (الكامل)

(٣) السّابق نفسه، ص ٢٠٨. (من المتقارب)

(٤) نفسه، ص ٢٤٥. (من المتقارب)

تفيد همزة الاستفهام هنا التّصوّر؛ ذلك أنّ الشاعر أتبع الهمزة بالمسؤول عنه (أَنْتَ)؛ وهو ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ (مسند إليه)، لكنّه لم يأتِ بالمعادل (أَمْ) . والشاعر هنا يشكّ في الشخص المسافر، وليس في السّفر ذاته .

وجاء مبارك بن سيف بالمعادل (أَوْ) بعد همزة الاستفهام المتبوعة بالمسند إليه في قوله في مسرحيته الشّعريّة (الفجر الآتي) ^(١) :

أَهْنَاكَ يَوْمٌ لِلْحَسَابِ ؟

أَهْنَاكَ يَوْمُ الْبُعْثِ أَوْ يَوْمُ الْإِيَابِ ؟

تفيد همزة الاستفهام هنا التّصوّر؛ ذلك أنّ الشاعر أتبع الهمزة بالمسؤول عنه (هناك)؛ وهو اسم إشارة مبني في محل رفع خبر مقدّم (مسند)، وذكر المعادل (أَوْ يَوْمُ الْإِيَابِ) .

٣- مفعولاً، نحو: إِيَايَ تَقْصِدُ أَمْ سَعِيدًا ؟

ووجد الباحث في شعر مبارك بن سيف شاهداً على مجيء المفعول به بعد همزة الاستفهام، هو قوله في مسرحيته الشّعريّة (الفجر الآتي) ^(٢) :

نَسِيرُ إِلَيْهِ وَنُخْبِرُهُ مَا جَرَى

تَرَى مَا يُرِيدُ أَجَاهَا وَمُلْكَا ؟

تفيد همزة الاستفهام هنا التّصوّر؛ ذلك أنّ الشاعر أتبع الهمزة بالمسؤول عنه (جأها)؛ وهو مفعول به للفعل المقدّر بعد همزة الاستفهام (يريد) . ولم يذكر المعادل .

٤- حالاً، نحو: أَرَاكِبًا حَضَرْتَ أَمْ رَاجِلاً ؟

ووجد الباحث في شعر مبارك بن سيف مثالين على مجيء الحال بعد همزة الاستفهام، هما قوله في قصيدته (بين هياكل عشتار - المشهد الثاني) ^(٣) :

أَوْكَيْفَ لَهَا فَتْسَامَرُكَ (*) ؟

أَوْكَيْفَ لَهَا فَتَطَاوُلُكَ (*) ؟

(١) الأعمال الشّعريّة، ص ٢٦٦ . (من الكامل)

(٢) السّابق نفسه، ص ٢٩٤ . (المتقارب)

(٣) نفسه، ص ٣٦ . (مجزوء الكامل)

(*) الفاء في كلمتي: (تسامرك، وتطاولك) استثنائية، وليست عاطفة؛ لأنّه لا يجوز عطف الجملة الخبرية (تسامرك، تطاولك) على الجملة الإنشائية (الاستفهام: كيف) .

تفيد همزة الاستفهام هنا التصوّر؛ ذلك أنّ الشاعر أتبع الهمزة بالمسؤول عنه (كيف)؛ وهو اسم استفهام مبني في محل نصب حال. ولم يذكر المعادل .

٥- ظرفاً، نحو: أيومَ الخميس قَدِمْتَ أمَّ يوم الجمعة ؟

ووجد الباحث في شعر مبارك بن سيف (ثلاثة) شواهد على مجيء الظرف بعد همزة الاستفهام، هي:

• قوله في قصيدته (لقاء عابر مع حاتم طيّئ) ^(١) :

فَقَالَ : سَأَلْتُكَ هَلْ مِنْ مُجِيب ؟

أَمَّا عِنْدَكُمْ مَا يَرُدُّ الضُّوْى ؟

أَشِيرُ إِلَى مَطْعَمٍ كَانَ قَرِيبِي ..

تفيد همزة الاستفهام هنا التصوّر؛ ذلك أنّ الشاعر أتبع الهمزة بالمسؤول عنه (عند)؛ وهو ظرف مكان. ولم يذكر المعادل .

• وقوله في مسرحيته الشعريّة (الفجر الآتي) ^(٢) :

أَهْنَاكَ يَوْمٌ لِلْحِسَابِ ؟

أَهْنَاكَ يَوْمٌ أَلْبَعَثَ أَوْ يَوْمُ الْإِيَابِ ؟

تفيد همزة الاستفهام هنا التصوّر؛ ذلك أنّ الشاعر أتبع الهمزة بالمسؤول عنه (هناك)؛ اسم إشارة يدلُّ على زمان، ولم يذكر الشاعر المعادل .

الثاني: التصديق .

ويُفسّر الدكتور محمد أحمد قاسم، والدكتور محيي الدين الديب التصديق فيقولان: «وهو إدراك النسبة، بحيث يكون المتكلّم خالي الذهن ممّا استَفْهَمَ عنه في جملته مُصدّقاً لجواب إثباتاً بـ (نَعَمْ)، أو نفياً بـ (لا)، نحو:

أَيَصْدَأُ الذَّهَبُ ؟ وَأَتَتَحَرَّكُ الْأَرْضُ ؟ فَيُجَابُ بِنَعَمْ إِنْ أُرِيدَ الْإِثْبَاتُ، وَبِلَا إِنْ أُرِيدَ النِّفْيُ» ^(٣).

(١) الأعمال الشعريّة، ص ٢٠٩ . (من المتقارب)

(٢) السّابق نفسه، ص ٢٦٦ . (من الكامل)

(٣) علوم البلاغة، للدكتور محمد أحمد قاسم، والدكتور محيي الدين ديب، ٢٩٤ .

وبلغت الشواهد المشتبهة على همزة الاستفهام التي يُقصد منها الإجابة على السؤال إيجاباً أو نفياً في شعر مبارك بن سيف (اثنتين وستين) شاهداً، منها:

• قوله في قصيدته (الليل والضفاف) ^(١) :

أَتَرَاهُ الْحُبَّ يَا سَاحِرَتِي

يَصْنَعُ الْأَحْلَامَ مِنْ تِلْكَ الْخِصَالِ

فالشاعر حين طرح هذا السؤال كان خالي الذهن؛ إذ لا يعرف إجابة لسؤاله لما هو فيه من حيرة وتردد قد وصل إلى حد أنه أصبح تائهاً. كما صرح بهذا في المقطع السابق (هل تُراني في متاهاتي...)، فهو يريد سماع الإجابة من ساحرته، أو فانتته.

• وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج) ^(٢) :

جَاؤُوا وَأَحْلَامُ الصَّغَارِ هَدِيَّةٌ أَبَانُجْمٍ وَقَوَاقِعٍ لَهُ جَاؤُوا ؟

كان الشاعر حين طرح هذا السؤال خالي الذهن؛ إذ لا يعرف أبعاد الغواص بأنجم البحر وبالقواقع، فهو يريد سماعها من المسؤول. الذي وجّه له السؤال. إثباتاً، أو نفياً.

• وقوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي) ^(٣) :

نَسَاءُ قُرَيْشٍ تُزْفُ إِلَيْهِ

وَمَلِكٌ عَضُودٌ

فَمَاذَا يُرِيدُ

أَيَبْلُغُ حُلْمُهُ ذَاكَ الْمَدَى ؟

جاء هذا المقطع على لسان أبي لهب الخالي الذهن من العلم والمعرفة بأن رسالة الإسلام ستبلغ المدى ؟ لذلك طرح هذا السؤال على أمل أن يجد مَنْ يُزيل عنه هذه الحيرة، وذاك التخوّف من انتصار وانتشار الدعوة المحمدية.

(١) الأعمال الشعرية، ص ١٩. (الرملي)

(٢) الأعمال الشعرية، ص ١٠٦. (الكامل)

(٣) السابق نفسه، ص ٣١٧، ٣١٨. (المقارب)

ذهب ابن هشام إلى أنّ «همزة الاستفهام بالجرم الفعلية أولى مِنْهَا بالاسمية»^(١). فهل سار مبارك بن سيف وفق هذا المنهج أم خالفه ؟

ما ولي همزة الاستفهام	عدد مرّات تكراره
الجملة الفعلية .	٥٨
الجملة الاسمية .	٣٤
شبه جملة الجار والمجرور، والظرف .	١٢
المجموع	١٠٤

استنتاجات:

وبعد عرضنا لهمزة الاستفهام كما وردت في شعر مبارك بن سيف نستنتج ما يأتي :

أولاً: وظّف الشاعر همزة الاستفهام في شعره بشكل كبير جداً؛ مما يوحي بأنّ الشاعر كان يعيش وسط بيئة تختلط فيها الأمور؛ فكان لا بدّ من الاستفهام الذي قد تتضح فيه تلك الأمور .

ثانياً: تفوّق مجيء الجمل الفعلية بعد (همزة الاستفهام) على الجمل الاسمية، وشبه الجملة الجار والمجرور والظرف. حيث وجد الباحث أنّ الشاعراً مبارك بن سيف جاء بالفعل بعد همزة الاستفهام في (ثمانية وخمسين) موضعاً، وهذا الكم الكبير يجعلنا نؤكد أنّ مبارك بن سيف لم يخالف النّسق العربي في أولوية مجيء الفعل بعد حرف الاستفهام (أ). لا سيما إذا علمنا أنّ الجملة الاسمية لم تأت بعد همزة الاستفهام إلا في (أربعة وثلاثين) موضعاً. أما شبه الجملة الظرفية والجار والمجرور فلم تأت بعد همزة الاستفهام إلا في (اثني عشر) موضعاً .

ثالثاً: بيّنا سابقاً أنّ البلاغيين ذكروا معاني للهمزة تفيدها في حالات معينة، ولاحظنا أنّ كل تلك الحالات مُثلت بشواهد من شعر مبارك بن سيف، وينسب متفاوتة تؤكد التزامه بالنسق العربي.

رابعاً: التزم الشاعر مبارك بن سيف بالنسق العربي الذي تأتي فيه همزة الاستفهام متبوعة بالجرم الفعلية بنسبة أكبر مما تأتي فيه الجملة الاسمية .

خامساً: لم يخرج الشاعر مبارك بن سيف على الاستعمال العربي الذي يُكثر من دخول همزة الاستفهام على الجمل المثبتة، مقارنة بدخولها على الجمل المنفية .

(١) مغني اللبيب، لابن هشام الأنصاري، ص ٧٦٨.

- هَلْ .

يذكر الدكتور أحمد مختار عمر الفرق بين أداتي الاستفهام: (الهمزة، وهل)، فيقول: «لا تدخل أداة الاستفهام «هل» على الجمل المنفية، وإنما تختصُّ بالجمل المثبتة. وهذا أحد وجوه افتراقها عن الهمزة التي تدخل على الجمل المثبتة والمنفية. قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾^(١).

ونظر الباحث في مواضع حرفي الاستفهام في شعر مبارك بن سيف، فوجد أنَّ الشاعر لم يدخل (هل) كحرف استفهام على جملة منفية، بل كانت (هل) في كل المواضع تدخل على جمل مثبتة. أمَّا (الهمزة)، فوجد الباحث أنَّ الشاعر مبارك بن سيف قد أدخل الهمزة على الجمل المثبتة والجمل المنفية. وهو في ذلك لا يخرج على النَّسق العربي في استعمال أداتي الاستفهام: (هل، والهمزة)، وفيما يأتي توضيح لما زعمنا .

بحث العلماء مسألة ما يجيء بعد أداة الاستفهام، أفعل أم اسم، فبيّن ابن الأثير ت٦٣٧هـ^(٢) أنَّ مجيء الفعل بعد الاستفهام يجعل الشكَّ في الفعل، فيمسي غرضك من الاستفهام معرفة وجوده، وإذا كان الابتداء بالاسم كان الشكُّ بالفاعل، فبات الغرضُ من الاستفهام معرفة الفاعل، فالاستفهام هنا يفيد غرضًا بلاغيًّا - على رأي ابن الأثير -، وهو التقرير. كما بيّن اختلاف غرض الاستفهام حسب ما يأتي بعد أداة الاستفهام (الفعل، أم الاسم) .

وردت (هَلْ) في شعر مبارك بن سيف آل ثاني في نحو: (ستة وخمسين) موضعًا، وسيأتي تفصيل ذلك وبيانها. وقد تفاوت نوع الكلمة الواردة بعدها بين الفعل والاسم؛ إذ جاءت متبوعة بالفعل أحيانًا، وأحيانًا كانت متبوعة بالاسم. والشاعر في هذا لم يخرج على النَّسق العربي، يقول ابن عصفور الإشبيلي ت٦٩٦هـ: «يقع بعد أدوات الاستفهام - ما عدا الهمزة - اسمٌ وفعلٌ»^(٣).

وبالنظر فيما تبع (هل) الاستفهامية في شعر مبارك بن سيف نجد الأنماط الآتية:

النمط الأول: حرف الاستفهام (هل)، وقد وليه فعل .

ورد هذا النمط في شعر مبارك بن سيف في (خمسة وثلاثين) موضعًا، وهذا كمٌّ كبير يُمثل حوالي ٨٢٪ من إجمالي ما ورد في شعر مبارك بن سيف من حرف الاستفهام (هَلْ). وكان ابن الأثير قد بين الغاية الدلالية من مجيء الفعل بعد أداة الاستفهام، حيث قال: «اعلم أنَّك إذا بدأت في الاستفهام

(١) معجم الصواب اللغوي، د. أحمد مختار، ١/ ٧٨٠. سورة الشرح، آية ١.

(٢) الجامع الكبير، لابن الأثير، ص ١١٧، ١١٨.

(٣) ضرائر الشعْر، لابن عصفور ص ٢٠٨.

بالفعل فَقُلْتُ: (أَفَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا) كان الشُّكُّ في الفعل، وكان غرضُك من استفهامك أَنْ تَعْلَمَ وجودَه لا غير...»^(١).

فهل كان مبارك بن سيف شاكاً في الأفعال التي جاءت في شعره بعد أداة الاستفهام؟! سيحاول البحث الإجابة على هذا التساؤل بعد مناقشة أمثلة اشتملت على هذا النمط .

• يقول مبارك بن سيف في قصيدته (الليل والضفاف)^(٢) :

هَلْ تُرَانِي فِي مَتَاهَاتِي ..

أَضَعْتُ الْيَوْمَ دَرْبِي ؟

يَسْحَقُ اللَّيْلُ أَمَانِي وَقَلْبِي

وَإِذَا لَاحَتْ تَبَاشِيرُ اللَّقَاءِ

دَارَتِ الدُّنْيَا بِأَحْلَامِي وَحُبِّي

هذا المقطع من قصيدة تتميز بميزتين، هما:

الأولى: عنوان القصيدة، هو عنوان لديوان للشاعر الذي يضم قصائد أخرى .

الثانية: تشتمل القصيدة على مقطع حظي باهتمام الشاعر؛ لذلك اجتزأه، ووضعه على الغلاف الأخير لكتابه الأعمال الشعرية، والمقطع هو هذا الذي بين أيدينا .

هاتان الميزتان تجعلان الباحث يتوقف قليلاً عند هذه القصيدة؛ علّه يصل لتفسير صحيح، أو يقترب منه لسبب مجيء الشاعر بالفعل بعد أداة الاستفهام مباشرة .

تشتمل القصيدة على أربعة مقاطع. وقد جعل الشاعر مُبْتَدَأَ كُلِّ مَقْطَعٍ بِالنِّدَاءِ (يا ضِفَافَ الشَّطِّ، يا ضَنِينَا، يا لَعْمَرٍ)، ما عدا مقطعاً جعل مُبْتَدَأَهُ بالاستفهام، وهو هذا المقطع. فالشاعر إذن يعيش في صراع داخلي فرض عليه جو الحزن المسيطر على القصيدة، ليس الحزن حَسَبُ، بل والوَحْدَة، فهاهو ينادي ضفاف الشَّطِّ يبثها شكواه من لوعة الحنين للوطن، والدموع المحبسة خلف الجفون. ثم ينادي الضَّنين، وقد يكون الزمن الذي ضنَّ عليه بالوِصال بوطنه؛ ليسأله أما سمعتَ آهات الكليم؟! ويختتم القصيدة بالتَحَسُّر على هذا العمر الذي مضى وانقضى، وهو يلهث

(١) الجامع الكبير، لابن الأثير، ص ١١٧.

(٢) الأعمال الشعرية، ص ١٨ . (الرملة)

خلف سراب الخيال. وبعد هذه اللوحة الحزينة يأتي المقطع الذي نحن بصدد تحليله؛ لنجد الشاعر تذهب الحسرة والشكوك به كل مذهب، فها هو يتساءل: هل أضاع دربه فغدا تائها لا يعرف أين يتجه؟^(١) علّه يلتمس العذر لنفسه في سبب هذا التيه؛ ذلك أن الليالي قد أضاعت أحلامه. حتى حين تقترب لحظة تحقيق الآمال نجد الدنيا تدور بصروفها لتشتت أحلامه؛ فيبدأ معاناة البحث ثانية. وكأني بالشاعر قد بلغ الحزن به كل مبلغ، فأصبحت الظنون تحول دون رؤيته لحقيقة ذاته. فالشاعر لم يخرج على قول النحاة من مجيء الفعل بعد أداة الاستفهام في هذا الموضع للشك، ولكن يُضاف إليه الغرض الدلالي من هذا الشك، وهو تقريب صورة الحزن - التي تسيطر على الشاعر - للمتلقى.

• يقول في قصيدته (رفقة الصبا)^(١) :

هَلْ تَذْكُرِينَ بِسَاحِ الْحَيِّ مَلْعَبَنَا نَلْهُو وَنَمْضِي عَلَى وَعْدِ بُلُقْيَاهُ

لوما يشك الشاعر بتذكر رفيقته لأيام الطفولة والصبا حيث كانوا يلتقون بساحة الحي حيث الملعب؛ ليمارسوا اللعب لما جاء بالفعل (تذكرين) بعد حرف الاستفهام. وهذا الاستفهام يأتي في سياق الشك في تذكر رفيقة الصبا لتلك الأيام بدليل أن الشاعر وصف لها الألعاب التي كانا يمارسانها في الأبيات اللاحقة، نحو بناء أشكال محببة من الرمل، بعثرة الرمل على الشواطئ، جمع الأصداف الملونة من الرمل.. فلو لم يكن الشاعر شاكاً في تذكرها لتلك الأيام، وتلك الألعاب لما فصل الحديث فيما كانا يمارسانه، ولاكتفى بتذكيرها بتلك الأيام فحسب.

• ويقول في قصيدته (أجراس القدس)^(٢) :

فَهَلْ خُبِرَتْ - جَلَادِي -

بِأَنَّ الْأَرْضَ تَعْرِفُنِي؟

غُصُونُ التِّينِ وَالزَّيْتُونِ تَعْرِفُنِي

ثم يقول:

فَهَلْ خُبِرَتْ - جَلَادِي -

بِأَنِّي مِثْلُ هَذِي الْأَرْضِ؟

وَأَنَّ الْأَرْضَ لَا تَفْنَى

(١) الأعمال الشعرية، ص ٢٠. (البسيط)

(٢) الأعمال الشعرية، ص ٢٢. (الوافر)

يتهكَّم الشاعر على العدو (الجلاد) الذي اغتصب الأرض عن طريق مقارنته بما لا يعقل؛ لإثبات أمرين:

الأول: شك الشاعر بأنَّ الجلاد يُدرك حقيقة الفلسطينيين المقاوم للاحتلال المرتبط بأرضه .

الثاني: إثبات أنَّ الأرض - وما عليها من أشجار التين والزيتون، وحتى الشوك - كل هذه الجمادات باتت تدرك الحقيقة السابقة التي ذُكرت في (أولاً) . في الوقت الذي ما زال العدو مكابراً في إدراكها .

النمط الثاني: حرف الاستفهام (هل)، وقد وليه اسم .

ورد هذا النمط في شعر مبارك بن سيف في (ثلاثة عشر) موضعاً، منها:

• قوله في قصيدته (مسافر على أمواج الخليج)^(١) :

فَهَلْ عَجَبًا أَنْ طَوَّانِي الْحَنِينُ وَقُلْتُ لِقَائِي بِأَرْضِي قَرِيبٌ

أداة الاستفهام: هل . الاسم: عَجَبًا

• وقوله في قصيدته (أمام نخلة)^(٢) :

هَلْ هَذِهِ الْأُطْلَالُ ...

حَوْلَكَ ... يَا تُرَى أَطْلَالُ قَوْمِكَ ؟

أداة الاستفهام: هل . الجملة الاسمية، هذه: مبتدأ . أطلال: خبر

استنتاجات:

أولاً: يذكر الدكتور أحمد مختار عمر الفرق بين أداتي الاستفهام الهمزة وهل، فيقول:

« لا تدخل أداة الاستفهام «هل» على الجمل المنفية، وإنما تختص بالجمل المثبتة. وهذا أحد وجوه

افتراقها عن الهمزة التي تدخل على الجمل المثبتة والمنفية. قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾^(٣).

وذهب إلى هذا الدكتور عبده الراجحي^(٤) في معرض حديثه عن الفرق بين هل وأَمْ .

(١) السابق نفسه، ص ١٥ . (المتقارب)

(٢) نفسه، ص ٦٨ . (من الكامل)

(٣) معجم الصواب اللغوي، للدكتور أحمد مختار عمر، ١/ ٧٨٠ . سورة الشرح، آية ١ .

(٤) التطبيق النحوي، للدكتور عبده الراجحي، ص ٣٠١، ٣٠٢ .

ونظر الباحث في مواضع حرفي الاستفهام في شعر مبارك بن سيف، فوجد أنَّ الشاعر لم يُدخل (هل) كحرف استفهام على جملة منفية، بل كانت (هل) في كل المواضع تدخل على جمل مثبتة. أمَّا (الهمزة)، فوجد الباحث أنَّ الشاعر مبارك بن سيف قد أدخل الهمزة على الجمل المثبتة والجمل المنفية. وهو في ذلك لا يخرج على النَّسق العربي في استعمال أدواتي الاستفهام: (هل، والهمزة) .

ثانيًا: ذَكَرَ المبرِّد ت ٢٨٥هـ أنَّ (هل) تأتي حرف استفهام وتأتي بمعنى: قَدْ، يقول: «هَلْ وَهِيَ لِلْاِسْتِفْهَامِ نَحْوُ قَوْلِكَ: هَلْ جَاءَ زَيْدٌ؟ وَتَكُونُ بِمَنْزِلَةِ قَدْ فِي قَوْلِهِ - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾»^(١).

ولم يجد الباحث في شعر مبارك بن سيف شاهداً على مجيء (هل) بمعنى: قَدْ .

(١) المقتضب، للمبرِّد ت ٢٨٥هـ، ٤٤/١ . سورة الإنسان، آية ١ .

(ب) أسماء الاستفهام :

الأسماء غير الظروف . كما ذكرها ابن جني ت ٣٩٢هـ . وهي: مَنْ، وَمَا، وَأَيُّ، وَكَمْ . فما الذي ورد منها في شعر مبارك بن سيف ؟

وردت هذه الأسماء جميعها في شعر مبارك بن سيف ولكن بنسب متفاوتة، فكان أكثرها تكراراً في شعره (ما، وماذا) ، تليها مَنْ، وما، وكَمْ، وأقلُّها وروداً (أي) . وسيتناول البحث تلك الأسماء بالدراسة الموجزة .

(١) ماذا .

بيّن الخليل بن أحمد الفراهيدي ت ١٧٠هـ^(١) أنَّ في (ماذا) رأيين: الأول يرى أنها وحدة واحدة . أما الثاني فيرى: أنها تتكوّن من: ما الاستفهامية، وذا اسم موصول بمعنى الذي . ويرى سيبويه ت ١٨٠هـ^(٢) أنَّ (ماذا) تتكوّن من: ما الاستفهامية، والاسم الموصول (ذا) ، مستشهداً على ذلك بأمثلة متعددة .

يؤكد السيرافي ت ٢٨٥هـ ما ذكره سيبويه مؤكداً مجيء (ذا) بمعنى (الذي) .

ولم يأت ابن جني ت ٣٩٢هـ على ذكر (ماذا) ضمن أسماء الاستفهام، وقد يرجع ذلك إلى أنه استغنى بذكر (ما) عن ذكر (ماذا)؛ لأنَّ الأصل واحد . ويؤكد هذا ابن هشام ت ٧٦١هـ في قوله: «وَإِذَا رُكِبَتْ مَاِ الاسْتِفْهَامِيَّةُ مَعَ ذَا لَمْ تُحْدَفْ أَلْفُهَا، نَحْوُ: لِمَاذَا جِئْتُ؟ لِأَنَّ أَلْفَهَا قَدْ صَارَتْ حَشْوًا»^(٣) . وذكر المُرادي ت ٧٤٩هـ أربعة أوجه لـ (ماذا)^(٤) . أما ابن هشام الأنصاري ت ٧٦١هـ فذكر لـ (ماذا) ستة أوجه، هي^(٥):

الأول: أنَّ تكون ما استفهامية وذا إشارة، نَحْو: مَاذَا التواني؟

الثاني: أنَّ تكون ما استفهامية، وذا مَوْصُولَةٌ .

(١) الجمل في النحو، للخليل بن أحمد، ص ١٨١ . سورة البقرة، آية ٢١٩ .

(٢) الكتاب، لسيبويه، ٤١٧، ٤١٦/٢ .

(٣) مغني اللبيب، لابن هشام، ص ٣٩٥ .

(٤) الأوجه هي: الأول: أنَّ تكون ما استفهامية وذا إشارة، نَحْو: مَاذَا التواني؟. الثاني: أنَّ تكون ما استفهامية، وذا مَوْصُولَةٌ. الثالث: أنَّ يكون المجموع اسماً واحداً للاستفهام. الرابع: أنَّ يكون المجموع اسماً واحداً خبرياً. ويُعَرَّبُ في كل موضع على ما يليق به . يُنظر: الجنى الداني، للمرادي، ص ١٤١، ١٤٢ .

(٥) بتصرف، مغني اللبيب، لابن هشام، ص ٣٩٥-٣٩٧ .

الثالث: أَنْ تكون كُلُّها استفهما على التَّركيب، كَقَوْلِكَ: لماذا جِئْتَ؟

الرابع: أَنْ تكون كُلُّها اسْمٌ جنسٍ بِمعْنَى شَيْءٍ، أو مَوْصُولًا بِمعْنَى الَّذِي على خلاف .

الخامس: أَنْ تكون ما زائدةً وَذاً للإشارة .

السادس: أَنْ تكون ما استفهما وَذاً زائدةً أَجازه جماعاً مِنْهُمْ ابْنُ مَالِكٍ فِي نَحْوِ: مَاذَا صَنَعْتَ؟

وعلى هَذَا التَّقْدِيرِ، فَيُنْبَغِي وجوب حذف الألف فِي نَحْوِ: لِمَ ذَا جِئْتَ؟

ويرى الباحث أَنَّ الرأي ما يراه الخليل بن أحمد وسيبويه من مجيء (ماذا) وحدة كاسم استفهام، أو تفصيلها على أَنَّ (ما) استفهامية. و(ذا): اسم موصول بمعنى الذي؛ أما التأويلات التي جاء بها ابن هشام فهي زيادة في النظرة لبيت الشعر، أو الجملة المصنوعة موطن الشاهد؛ لذلك تعددت تلك التأويلات، كما أَنَّ تلك التأويلات قد نصّت على مجيء (ما) للاستفهام في أربعة منها. في حين ذُكر التأويل الخامس على مجيء (ما) زائدة، و(ذا) للإشارة. وهذا تأويل قد يُسقط معنى الاستفهام من (ما)، وهذا ما لم يرد، فهي متضمنة معنى الاستفهام في كلِّ مقال.

ويؤيِّد زعمنا ذاك تعقيب الدكتور عبده الراجحي على الحالات الإعرابية التي ذكرها النحاة لـ (ماذا): «هذا ما يقوله بعض النحاة والمعرّبين، ونرى ترك الوجه الثاني؛ إذ لا معنى للقول بزيادة «ذا». والأقرب إلى الدقة اللغوية الوجه الثالث - يقصد: أن تجعل «ذا» اسم موصول خبراً عن «ما»، فتقول: ماذا في يدك؟ لأنَّ (ماذا) تختلف عن (مَا)؛ إذ لا يتساوى: (ماذا قرأت؟)، و(مَا قرأت؟)، وأرى السَّوَالين لا يطلبان إجابة واحدة»^(١).

وردت (ماذا) في شعر مبارك بن سيف في (اثنتين وثلاثين) موضعاً، منها:

● قوله في قصيدته (سفن الغوص البائسة)^(٢):

يَا تُرَى مَاذَا عَسَاهُمْ يَبْتَغُونَ؟

يَا تُرَى مَاذَا عَسَاهُمْ يَنْظُرُونَ؟

يتحدّث الشاعر هنا عن الغوّاصين، وهم عقلاء، وقد ذكر عباس حسن ت ١٣٩٨هـ^(٣) أَنَّ (ماذا)

تكون للعاقل ولغيره، وللمفرد ولغيره .

(١) التطبيق النحوي، للدكتور عبده الراجحي، ص ٦٧ .

(٢) الأعمال الشعريّة، ص ٢٦ . (الرمّل)

(٣) النحو الوافي، لعباس حسن، ١/ ٢٥٨ .

• وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(١) :

قَابِلُ أَمْ هَابِلُ أَمْ مَاذَا أَرَى ؟
فَيَضَانُ دَمَ زَقْفِهِ الْأَعْدَاءُ

• وقوله في قصيدته (حلم شرقي الألوان)^(٢) :

أَبِي تَهَزَّيْنِ ؟

فَمَاذَا تُرِيدُ النَّسَاءُ ؟

فُوَادَ مُحِبِّ صَبُورِ أَمِينِ

• وقوله في قصيدته (عندما يطول بنا الانتظار)^(٣) :

مَاذَا أَقُولُ ؟

مَاذَا أَقُولُ ؟ ..

وَقَدْ نَسِيتُ حُرُوفَ مَعْنَى الْاِعْتِذَارِ ؟

• وقوله في مسرحيته الشعريّة (الفجر الآتي)^(٤) :

مَاذَا بِصَدْرِكَ يَا هِشَامُ بْنُ الْحَكَمِ ؟

مَاذَا تَظُنُّ بِمَنْ أَصَابَهُمُ الْغُرْمُ ؟

• وقوله في مسرحيته الشعريّة السابقة نفسها^(٥) :

وَمَاذَا جَنَيْتُمْ بِالْأَمِّ عَمَّارِ ؟

فَمَاذَا جَنَيْتُمْ ؟

وَمَاذَا جَنَيْتُمْ بِسَحْلِ بِلَالِ ؟

(١) الأعمال الشعريّة، ص ١٦٣ . (الكامل)

(٢) السابق نفسه، ص ١٧٤ . (من المتقارب)

(٣) الأعمال الشعريّة، ص ٢٠٦ . (من الكامل)

(٤) السابق نفسه، ص ٣٠٠ . (الكامل)

(٥) نفسه، ص ٣٢٢ . (المتقارب)

(٢) مَا .

يُسمى سيبويه^(١) أدوات الاستفهام حروفاً دون تفریق بين الاسم والفعل. كما ذكر سيبويه^(٢) أنَّ الأوَّلَى أنَّ يَلِيَّ أدواتِ الاستفهامِ الفعلُ .

وللباحث تعقيب على ما قاله سيبويه، يتلخص فيما يأتي :

أولاً: لسيبويه مصطلحاته الخاصّة؛ إذ يُطلق على (متى)، وعلى (ما) حروف استفهامٍ علماً أنَّ النحاة جعلوهما ضمن أسماء الاستفهام، وقد يرجع ذلك إلى أنَّ سيبويه قد وضع كتابه ولمّا يستقرّ علم النُّحو ومصطلحاته بعدُ، لكنَّ تقسيمَ الكلمة في النُّحو العربي قامت في الأصل على التقسيم الثلاثي المعروف: (اسم، وفعل، وحرف). وعدَّ الخليل بن أحمد الفراهيدي ت ١٧٠هـ^(٣) (ما الاستفهامية) اسماً .

ثانياً: يقول سيبويه: « وأما قولهم: علامه، وفيمه، ولمه، وبمه، وحتّامه ؟ فإلهاه في هذه الحروف أجود إذا وقفت؛ لأنّك حذفْتَ الألف من (مَا) ، فصار آخره كآخر أرمه، وأغزّه »^(٤) .

فسيبويه في هذا المقال يرى أنّه من الأفضل إلحاق (هاء السّكت) في آخر حرف الاستفهام (ما) عند الوقف في حال دخول حرف الجر عليها. والسؤال: كيف يدخل الحرف على الحرف ؟!

ثالثاً: أما فيما يتعلّق بأولوية مجيء الفعل بعد متى، وبعد ما الاستفهاميتين. فقد نظر الباحث في أي القرآن الكريم، فوجد الآتي:

(أ) جاءت (متى) كأداة استفهام في القرآن الكريم في (تسعة) مواضع، على النحو الآتي:

- جاء بعدها اسم الإشارة (هذا) في سبعة مواضع^(٥) .

- وفي الآية الثامنة جاء بعدها المصدر ﴿مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾^(٦) .

- وفي الآية التاسعة جاء ضمير الغائب ﴿مَتَى هُوَ﴾^(٧) .

(١) الأعمال الشعريّة ، ١٠١/١ .

(٢) الكتاب، لسيبويه، ١٢٦/١ .

(٣) الجمل في النحو، للخليل بن أحمد، ص ٣٢٦ .

(٤) الكتاب، سيبويه، ١٢٦/١ .

(٥) يُنظر: سورة يونس، آية ٤٨، وسورة الأنبياء، آية ٥١، وسورة النمل، آية ٧١، وسورة السّجدة، آية ٢٨، وسورة سبأ، آية ٢٩، وسورة يس، آية ٤٨، وسورة الملّك، آية ٢٥ .

(٦) سورة البقرة، آية ٢١٤ .

(٧) سورة الإسراء، آية ٥١ .

يُلاحظ أنَّ الفعل لم يأت بعد (متى) في آي القرآن الكريم، فمن أين جاءت أولوية مجيء الفعل بعد متى - كما ذكر - سيبويه ١٩

(ب) كان مبارك بن سيف مُقلِّداً في استخدامه لـ (متى) كأداة استفهام فلم ترد إلا في موضعين^(١) حيث جاءت في الموضع الأول متبوعة بالفعل الظاهر، وفي الموضع الثاني كانت متبوعة بالفعل المُقدَّر. وقد يُعدّ هذا مثالاً للاستعمال العربي لمتى، وقد يُستأنس به كدليل على قلة مجيء الفعل بعد (متى) .

(ج) ذُكرت (ما) الاستفهامية في شعر مبارك بن سيف في (خمسة وعشرين) موضعاً، حيث جاءت متبوعة بالفعل في (ستة) مواضع، منها:

• قوله في مسرحيته الشعريّة (الفجر الآتي)^(٢) :

وَمِمَّ تَخَافُ؟

وَمِمَّ أَخَافُ؟!

وَمِمَّ تَخَافُ: (مِمَّ) تتكون من: حرف الجر (مِنْ)، و (مَا) الاستفهامية، وقد حُذفت ألها؛ لدخول حرف الجر عليها. (تَخَافُ): فعل مضارع . ومثلها: (وَمِمَّ أَخَافُ) .

• وقوله في مسرحيته الشعريّة (الفجر الآتي)^(٣) :

وَلَكِنْ بِمَاذَا يَدِينُ تَرَاهُ بِرَبِّ؟

وَمَا ضَرَرْنَا أَنْ نَزِيدَ إِلَهُ؟

وَمَا ضَرَرْنَا: (مَا) اسم الاستفهامية، (ضَرَرٌ): فعل ماضٍ .

• وقوله في مسرحيته الشعريّة (الفجر الآتي)^(٤) :

نَسِيرُ إِلَيْهِ وَنُخْبِرُهُ مَا جَرَى

تَرَى مَا يُرِيدُ أَجَاهَا وَمُلْكَا؟

(١) الموضعان هما: الأول: قوله: (يا ربيّ متى رحلت...)، يُنظر: الأعمال الشعريّة، ص ٢٠. الثاني: قوله: (كيس هنا وجدته - كيف وأين ومتى؟) . يُنظر السابق نفسه، ص ٢٦١.

(٢) الأعمال الشعريّة، ص ٢٤٩ . (من المتقارب)

(٣) السابق نفسه، ص ٢٦٦ . (المتقارب)

(٤) نفسه، ص ٢٩٤ . (المتقارب)

مَا يُرِيدُ: (مَا) اسم الاستفهامية، (يريدُ): فعل مضارع .

مجيء ما الاستفهامية للتعظيم .

بين أبو البقاء العكبري ت٦١٦هـ أنَّ ما الاستفهامية قد تأتي للتعظيم، فقال: « وَفِي حَدِيثِهِ: فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا لَقِيتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغْتَنِي الْبَارِحَةَ! » الْحَدِيثُ. (مَا) هُنَا اسْتِفْهَامٌ بِمَعْنَى التَّعْظِيمِ، وَهِيَ فِي مَوْضِعٍ نَصَبٍ (بَلَقِيتُ). أَي: أَي شَيْءٍ لَقِيتُ مِنْ عَقْرَبٍ، (فَمَا) هَهُنَا، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾^(١) و﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾^(٢).

وقد وردت ما الاستفهامية في شعر مبارك بن سيف مفيدة لمعنى التعظيم في (سبعة) مواضع، منها:

• قوله في قصيدته (عُشَّاقُ الشَّمْسِ)^(٣) :

إِنَّهُمْ عُشَّاقُ تِلْكَ الشَّمْسِ فِي صَيْفِ الْخَلِيجِ

آه مَا أَدْرَاكَ مَا صَيْفُ الْخَلِيجِ ؟

جاء التعظيم لصيف الخليج على لسان الشاعر من خلال الاستفهام؛ لِيُقَرَّبَ للقارئ مدى المعاناة التي كان يعانيها الغواصون في صيف حرارته مرتفعة جداً، وعلى الرغم من كل ذلك كانوا يتحملون ويصبرون في سبيل تحصيل الرزق .

• وقوله في قصيدته (أغنية الربيع)^(٤) :

يَا رَبِيعَا لِمَ الرَّحِيلُ شُهُورًا وَهُبُوبُ النَّسِيمِ نَجْمِي وَفَجْرِي

يُعلي الشاعرُ من شأن الربيع، والدليل على ذلك ما يأتي:

- نادى الربيع بحرف النداء مُشْخَصًا إياه؛ ليدل على قرب الربيع من نفسه .

- قُدِّمَ المنادى على جملة الاستفهام، فترتيب الجملة بينيتها الأصلية: لِمَ الرحيل أيها الربيع..

- جاء بالاستفهام الذي يؤكد الفكرة التي أراد الشاعر إيصالها، وهي شوقه وحنينه للربيع الذي يتمنى ألا يرحل أبداً .

(١) سورة الواقعة، آية ٢٧ .

(٢) إعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث النبوي، لأبي البقاء العكبري، ص١٤١، ١٤٢ . سورة القارعة، آية ٢ .

(٣) الأعمال الشعرية، ص١٠ . (الرمل)

(٤) السابق نفسه، ص٢٩ . (الخفيف)

وللباحث على هذا البيت ملحوظات، هي:

الأولى: يرى الباحث أنَّ الشاعر لو استخدم حرف النداء الهمزة بدلاً من الياء لكانت أكثر دلالة على قرب الربيع من نفسه، ولوحذفها لكانت أكثر دلالة في التعبير عن ذلك القرب؛ ذلك أنَّ (الهمزة) تُستخدم لنداء القريب، كما أنَّ حذفها يعبر عن شدة قرب المنادي من المنادي. بينما تُستخدم الياء لنداء البعيد والقريب .

الثانية: استخدام الهمزة بدلاً من الياء ستجعل صفة القرب هي الطاغية على النداء في البيت، وكأنَّ الشاعر يهمس همساً للربيع، فالهمس فيه من القرب ما فيه بين الشاعر وجليسه (الربيع).

الثالثة: إنَّ استخدام الشاعر للهمزة بدلاً من الياء لن يكسر الوزن الشعري للبيت .

• وقوله في قصيدته (بين هياكل عشتار - المشهد الأول -) ^(١) :

مَا هَذَا الْخَلْقُ ؟

أَقْرَامٌ .. أَصْنَامٌ مِنْ أَحْجَارٍ ؟

يُعلي الشاعر من شأن هذه المخلوقات التي لم يعد قادراً على تمييزها. أهي من الأحياء أم من الجماد (أصنام)؟ وما يدل على هذا ما قاله الشاعر في الأسطر الشعرية التالية لهذا المقطع، فاستفهم بأسلوب الاستنكار أنَّ لا أحد يستطيع مسايرته، أو مطاولتها .

يتحدَّث ابن هشام ت ٧٦١هـ عن مجيء ما الاستفهامية لما لا يعقل، فيقول: «وما: لما لا يعقل نَحْو: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾» ^(٢) .

دخول حرف الجر، وهاء السكت على أدوات الاستفهام .

ذكر سيبويه ^(٣) أن حروف الجر قد تدخل على (ما الاستفهامية)، فتحذف ألفها، كما ذكر أن الهاء قد تلحق بهما عند الوقف. وبيّن الزمخشري ت ٥٣٨هـ أنَّ (لِمَا) تتكون من ما الاستفهامية التي حُذفت ألفها لدخول حرف الجر عليها، ثم لحقت بها هاء السكت. كما ذكر أنَّه: «اخْتَلَفَ فِي إِعْرَابِهَا، فَهِيَ عِنْدَ الْبَصْرِيِّينَ مَجْرُورَةٌ، وَعِنْدَ الْكُوفِيِّينَ مَنْصُوبَةٌ بِفَعْلٍ مُضْمَرٍ، كَأَنَّكَ قُلْتَ: كَيْ تَفْعَلُ مَاذَا. وَمَا أَرَى هَذَا الْقَوْلَ بَعِيداً مِنَ الصَّوَابِ» ^(٤) .

(١) نفسه، ص ٣٥. (المتدارك)

(٢) شرح شذور الذهب، لابن هشام، ص ١٩٠. سورة النحل، آية ٩٦.

(٣) الكتاب، ١/ ١٢٦.

(٤) المفصل في صناعة الإعراب، للزمخشري، ص ٤٤٥.

وحذف الألف من ما الاستفهامية الذي أشار إليه النحاة دليل على أن القواعد الكتابية مؤثرة في التوجيه النحوي، والوظائف النحوية، فحيثما حُذفت الألف دل ذلك على أن الكلمة يراد بها استفهام، والاستفهام جزء من الطلب. وحيثما أثبتت الألف دل ذلك على موصولية الاسم، وأن الجملة تنتمي إلى الخبرية لا الاستفهامية .

وجاءت (لِمَه) في شعر مبارك بن سيف في قوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي)^(١) :

وَأَنْتَ يَا رَجَسَ الْأَمَةِ

تَرَكْتَ أَرْبَابِي لِمَه ؟

لِمَه : اللام: حرف جر. مَا: اسم استفهام حُذِفَتْ أَلْفُهُ؛ لدخول حرف الجر عليه. الهاء: للسكوت.

ويتحدث ابن هشام ت ٧٦١هـ عن علة حذف ألف ما الاستفهامية عند دخول حرف الجر عليها، فيقول: «يوجب حذف ألف ما الاستفهامية إذا جرت وإبقاء الفتحة دليلاً عَلَيْهَا، نَحْو: فِيمَ، وَعِلَامَ، وَبِمَ.. وعلة حذف الألف الفرق بين الاسْتِفْهَامِ وَالْخَبَرِ فَلِهَذَا حُذِفَتْ فِي نَحْو: ﴿فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾^(٢) ﴿فَنَظَرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾^(٣) .. وَتُبِتَتْ فِي ﴿لَمَسَكُمْ فِي مَا أَفْضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٤) ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا﴾^(٥) ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدِي﴾^(٦).

أما السيوطي ت ٩١١هـ^(٧) فقد حذف ألف ما الاستفهامية حال دخول حرف الجر عليها من الحذف المقيس، وعدم الحذف شاذاً .

وجاءت ما الاستفهامية متصلة بحروف الجر في شعر مبارك بن سيف، وفق الأنماط الآتية:

النمط الأول: (علام) . حرف الجر (على) + ما الاستفهامية .

وجاء هذا النمط في شعر مبارك بن سيف في قصيدته (أغنية الربيع)^(٨) :

(١) الأعمال الشعرية، ص ٢٨٥ . (الرجز)

(٢) سورة النازعات، آية، ٤٣ .

(٣) سورة النمل، آية، ٣٥ .

(٤) سورة البقرة، آية، ٤ .

(٥) سورة النور، آية، ١٤ .

(٦) مغني اللبيب، لابن هشام، ص ٣٩٤ . سورة ص، آية، ٧٥ .

(٧) همع الهوامع، للسيوطي، ٤٦١/٣، ٤٦٢ . سورة يس، آية، ٢٦، ٢٧ .

(٨) يُنظر: الأعمال الشعرية، ص ٢٩ . (الخفيف)

قَدْ أَلْفَتِ الرَّبِيعَ طَيُورًا وَرَوْضًا فَعَلَامَ الرَّحِيلُ هَذَا عَلَامًا؟

وفي مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي)^(١) :

أَلَا يَا رَاحِلُونَ بِخَيْرِ جِيلٍ عَلَامَ الصَّدُّ عَنْ رَبِّ عَلَامًا؟

النمط الثاني: (مَم). حرف الجر مِّن + ما الاستفهامية .

وجاء هذا النمط في شعر مبارك بن سيف في مسرحيته الشعرية السابقة^(٢) :

وَمِمَّ تَخَافُ؟

وَمِمَّ أَخَافُ؟

مِمَّ: تتكوّن من حرف الجر (مِّن) الذي ينتهي بنون ساكنة. و(ما) الاستفهامية المبدوءة بميم مفتوحة، وحصل حذف للنون .

(٣) مَن .

تأتي (مَن) متبوعة بالاسم الموصول (ذا) وعندئذ تُعرب - على رأي سيبويه^(٣) - مبتدأ. وذكر ابن هشام الأنصاري ت ٧٦١هـ^(٤) أنّ ما الاستفهامية قد تدخل على الاسم الموصول (ذا) .

وجاءت (مَن) كحرف استفهام متبوعة بالاسم الموصول (ذا) أحياناً، وأخرى متبوعة بالاسم الموصول (الذي) في شعر مبارك بن سيف في المواضع الآتية :

• قوله في قصيدته (فلسطين .. موطنُ الأديان)^(٥) :

زَعَمُوا: مَلَكْنَاهَا، وَتِلْكَ خُرَافَةٌ مَن ذَا سِوَاهُمْ قَالَ بِالْمِيعَادِ؟

يسخر الشاعر من العدو الصهيوني الذي يدّعي بأنّ فلسطين أرض الميعاد التي وَعَدَ اللَّهُ شعبَهُ المختارَ (اليهود) بها، وهذا من خرافات بني صهيون؛ فيستفهم مستكراً ومتعجباً من ادّعائهم.

(١) السّابق نفسه، ص ٣٣٢ . (من الوافر)

(٢) نفسه، ص ٢٤٩ . (من المتقارب)

(٣) الكتاب، لسبويه، ٦١/٢ .

(٤) شرح شذور الذهب، لابن هشام، ص ٤١٢ .

(٥) الأعمال الشعرية، ص ٨٣ . (البحر: الكامل)

ويتضمّن الاستفهام في هذا البيت معنى النفي، أي: نفي ادّعاء اليهود بأنّ فلسطين قد وعدّهم الربُّ بها؛ لأنّهم الشعب المختار، وكأنّ الشاعر يقول: لا أحد غير اليهود يقول بالميعاد، فتضمّنت (مَنْ) معنى النفي، ويؤكد هذا ما ذكره ابن هشام الأنصاري ت ٧٦١هـ من أنّ (مَنْ) قد تُشرب معنى النفي، كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾^(١).

وجاء الشاعر مبارك بن سيف بـ (مَنْ) متبوعة بالاسم الموصول (الذي)، فقال في مسرحيته الشعريّة (الفجر الآتي)^(٢):

إِنَّا لِأَسْيَادِ الْعُلَا وَمَحَجَّةٍ لِدَوِي الْعُلُومِ

الآنَ إِنَّا لُعَبَةٌ أَبَدًا لِأَصْحَابِ السُّمُومِ

وَمَنْ الَّذِي أَعْطَاهُ هَذَا الشَّأْنَ بَلْ وَمَنْ الْمَلُومُ ؟

جاء الشاعر بـ (مَنْ)، وقد أتبعها بالاسم الموصول الذي، ولم يأت بـ (ذا) التي بمعنى الذي. ولعله أراد أنّ يستفهم على لسان أبي سفيان - قبل إسلامه - بأسلوب الإنكار عن الذي أعطى تلك المكانة لمحمد - صلى الله عليه وسلم - ؟

ويأتي مبارك بن سيف بـ (مَنْ) متبوعة باسم الإشارة (ذا)، وقد حذف منها (هاء) التثنية، ثم يأتي بعد ذلك بالاسم الموصول (الذي). يقول في مسرحيته (الفجر الآتي)^(٣):

وَمَنْ ذَا الَّذِي لَا يُرِيدُ الثَّرَاءَ ؟

وَتَاجِ الْمُلُوكِ بِأَمِّ الْقُرَى

وبيّن سيبويه أنّه إذا اجتمع بعد أداة الاستفهام اسم وفعل فالأولى أنّ يليها الفعل، يقول: «واعلم أنّه إذا اجتمع بعد حروف الاستفهام نحو: هَلْ، وَكَيْفَ، وَمَنْ اسمٌ وفعلٌ، كان الفعل بأنّ يلي حرف الاستفهام أولى؛ لأنّها عندهم في الصلّة من الحروف التي يُذكر بعدها الفعل»^(٤).

وبالنظر فيما ولي (مَنْ) الاستفهامية في شعر مبارك بن سيف أَفْعَلُ، أم اسمٌ؟ وجدنا الأنماط الآتية:

(١) مغني اللبيب، لابن هشام، ص ٤٣١. سورة آل عمران، آية ١٣٥.

(٢) الأعمال الشعريّة، ص ٢٦٨. (من الكامل)

(٣) السابق نفسه، ص ٢٩٤. (المتقارب)

(٤) الكتاب، ١١٥/٤.

النَّمط الأول: (مَنْ الاستفهامية + فعل).

تكرر هذا النمط في شعر مبارك بن سيف في (اثني عشر) موضعاً، منها:

• قوله في قصيدته (عودة إبريل)^(١) :

مَنْ يَنْسَى عَيْدًا قَدْ ضَمَّتْ أَرْكَانُهُ بَاقَاتِ الزَّهْرِ؟

• وقوله في قصيدته (مذكرات شاعر من العالم الثالث - ١ -)^(٢) :

مَنْ قَالَ : الْحَاكِمُ فِي سَعَةٍ؟

فَالْحَاكِمُ فِي نَظَرِي مَسْكِين

• وقوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي)^(٣) :

مَنْ يَشْتَرِي هَذَا الرِّقِيقَ فَلَيْسَ يَعْرِفُهُ الْوَهْنُ؟

• وقوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي)^(٤) :

مَهْلًا عَتَلْتُ قُرَيْشَ فَمَنْ دَعَاكَ تُحَاضِرُ؟

النَّمط الثاني: (مَنْ الاستفهامية + اسم).

جاء هذا النمط في شعر مبارك بن سيف في (أحد عشر) موضعاً، منها:

• قوله في قصيدته (أمام نخلة)^(٥) :

الْيَوْمَ قَدْ هَلَ الرَّبِيعُ

بِالزَّهْرِ وَالْأَطْيَارِ يَهْضُو وَالْوُرُودُ

كَالْعَاشِقِ الْوَلْهَانِ أَوْفَى بِالْوَعُودِ

مَنْ كَانَ يَرْوِيكَ بِأَمْسِكَ؟

(١) الأعمال الشعرية، ص ٦٥ . (المتدارك)

(٢) السابق نفسه، ص ١٧٩ . (المتدارك)

(٣) نفسه، ص ٢٦٠ . (من الكامل)

(٤) الأعمال الشعرية، ص ٣١٦ . (المجتث)

(٥) الأعمال الشعرية، ص ٦٧ . (من الكامل)

دخلت (مَنْ الاستفهامية) - هنا - على الجملة الاسمية المنسوخة .

• وقوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي)^(١) :

وَمَنْ ذَا الَّذِي لَا يُرِيدُ الثَّرَاءَ ؟

وَتَأَجُّمُ الْمُلُوكَ بِأَمِّ الْقُرَى

دخلت (مَنْ الاستفهامية) على الجملة الاسمية مبتدؤها اسم الإشارة (ذا) حُذِفَتْ منه هاء التنبيه .

• وقوله في مسرحيته الشعرية السابقة^(٢) :

فَمَنْ لَهُ رِضَاكَ

وَمَنْ لَهُ حِمَاكَ ؟

وَمَنْ لَنَا سِوَاكَ ؟

دخلت (مَنْ الاستفهامية) على الجملة الاسمية التي قُدِّمَ فيها الخبر على المبتدأ .

ويلاحظ أنَّ الشواهد المشتبهة على (مَنْ الاستفهامية) على (الفاعل) تفوّقت بشاهدٍ على تلك التي تُلَيِّتُ بِـ (الاسم) ، وهذا الأمر قد يدفعنا للقول إنَّ الشاعر لم يخرج على النّسق العربي في هذا ، ولكن يبدو أنَّ المفارقة ليست كبيرة في الاستخدام ؛ ذلك أنَّ الموقف هو الفيصل الذي يتطلّب مجيء الفعل ، أو الاسم بعد اسم الاستفهام (مَنْ) . ذكر ابن هشام ت ٧٦١هـ^(٣) أنَّ (مَنْ) في أصل وضعها تُستخدم للعاقل ، وكان سيبويه قد ذكر أنَّها تستخدم للأُناسي . والسؤال :

هل تختصُّ (مَنْ الاستفهامية) بالدخول على العاقل ، ولا تدخل على غير العاقل ؟

يرى عباس حسن ت ١٣٩٨هـ أنَّ (مَنْ الاستفهامية) تُستعمل للعاقل غالباً ، أو لغير العاقل ، يقول : «فكلمة: (مَنْ الاستفهامية) ، اسم ؛ فهي تدل بمجردها وذاتها على مسمّى خاص بها ، إنساناً غالباً ، أو غير إنسان»^(٤) .

ولم يخرج مبارك بن سيف على النّسق العربي في استخدام (مَنْ الاستفهامية) للعاقل ؛ ولم يستخدمها لغير العاقل البتة .

(١) السّابق نفسه ، ص ٢٩٤ . (المقارب)

(٢) نفسه ، ص ٣١٠ . (الرّجَز)

(٣) يُنظر: شرح شذور الذهب ، لابن هشام ، ص ١٨٩ .

(٤) النحو الوافي ، لعباس حسن ، ٩٠/١ .

(٤) كَمْ .

ذكر سيبويه أَنَّ « لِكَمْ موضعين: فأحدهما الاستفهام، وهو الحرف المستفهم به، بمنزلة كيف وأين. والموضع الآخر: الخبر، ومعناها معنى رُبُّ »^(١). ويشرح السيرافي ت٢٨٥هـ كلام سيبويه، فيقول: «(وَكأين) في المعنى بمنزلة (كم) وقد جعلها سيبويه بمنزلة (رب) كما جعل (كم) في الخبر بمنزلة (رُب) في أنها تدخل على نكرة، وهي نقيضتها: (كَمْ) للتكثير، و (رُب) للتقليل. ثم قال: إلاَّ أَنَّ أكثر العرب يتكلمون بها مع (مِنْ) قال الله تعالى: ﴿وَكأَيْنَ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ »^(٢).

يقول ابن السراج ت٢١٦هـ نقلا عن أبي حيَّان - صاحب البحر المحيط -: « (مِنْ آية) (*) تمييز لكم، ويجوز دخول (مِنْ) على تمييز كم الاستفهامية والخبرية سواء وليها، أم فصل عنها، والفصل بينهما بجملة وبظرف وبمجرور جائز على ما قرَّر في النحو »^(٣).

ويقول الغلاييني ت١٣٦٤هـ: «(كَمْ): يُستفهم بها عن عَدَدٍ يُراد تعيينه، نحو: كَمْ مشروعاَ خيراَ أَعْنَتْ؟ « أي كَمْ عَدَدُ المشروعاتِ الخيرية التي أَعْنَتْها؟ »^(٤).

وجاءت (كم) الاستفهامية في شعر مبارك بن سيف في موضعين، هما:

الأول: جاء تمييزها منصوبًا في قوله في قصيدته (مذكرات شاعر من العالم الثالث - ١ -) ^(٥):

كَمْ صَوْتًا ؟ .. أَقْصَرِيَا أَحْمَق

صوتًا: تمييز كم الاستفهامية منصوب .

الثاني: وجاء تمييزها مجرورًا بمن في قوله في مسرحيته الشعريّة (الفجر الآتي) ^(٦):

يَا سَيِّدِي هَذَا الذَّهَبُ وَدَعِ الْإِلَهَ لَنَا يَهَبُ

كَمْ مِنْ غُلَامٍ لَا مَثِيلَ لَهُ إِذَا ذُكِرَ الْعَرَبُ

مِنْ غُلَامٍ: تمييز (كم) الاستفهامية مجرور بمن .

(١) الكتاب، لسيبويه، ١٥٦/٢.

(٢) شرح أبيات سيبويه، للسيرافي، ٣٤١/١، ٣٤٢. سورة الحج، آية ٤٨.

(*) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَكأَيْنَ مِنْ قَرْيَةٍ﴾. سورة الحج، آية ٤٨.

(٣) الأصول في النحو، ٢٢٣/١.

(٤) جامع الدروس العربية، للغلاييني، ١٤١/١.

(٥) الأعمال الشعريّة، ص ١٧٨. (المتدارك)

(٦) الأعمال الشعريّة، ص ٢٦٠. (مجزوء الكامل)

(٥) أي .

«يُطَلَّبُ بِ (أي) تعيينُ الشيءِ، نحو: أيُّ رجلٍ جاء؟ وأيَّةُ امرأةٍ جاءت؟ ومنه قوله تعالى: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾»^(١) .

جاءت أي استفهامية في شعر مبارك بن سيف في موضعين، هما:

• **الأول:** قوله في قصيدته (حلم شرقي الألوان)^(٢) :

وَأَيُّ الْأَحِبَّةِ ذَاكَ الْحَنُونُ ؟

أُضيفت (أي) إلى معرفة (الأحبة)؛ لأنَّه أراد «تعميم أوصاف بعض ما هو مشخص بأحد طرق التعريف، .. وكانت معه (أي: كانت أي مع المضاف إليه المعرفة) بمنزلة (بعض)؛ لعدم صحة دلالة المعرف على العموم»^(٣) . فالشاعر يسأل عن بعض الأحبة المتصفين بالحنان، وليس عن الأحبة كلَّهم؛ لأنَّ (الأحبة) معرفة ولا تدلُّ على العموم كالنكرة، فأَي هنا بمنزلة (بعض) .

• **الثاني:** قوله في قصيدته (أنشودة وادي النيل)^(٤) :

أَيُّ عَطْرِ يَهْبُ إِنَّ هَمَسَ اللَّيْلِ — لَزَهَرَ الْفَجْرُ وَالْأَقْحَوَانِ

أضاف الشاعر (أي) للنكرة (عطر)؛ لأنَّه أراد تعميم «أوصاف بعض الأجناس .. وكانت معه (أي: كانت «أي» مع المضاف إليه النكرة) بمنزلة (كل)؛ لصحة دلالة المنكر على العموم»^(٥) . فالشاعر يفتخر بكل عطر يهبُّ في الليل لا سيما عطر الأقحوان الذي يهبُّ في ساعات الفجر؛ لأنَّ (أي) أُضيفت إلى النكرة التي تفيد العموم، وعندئذٍ تكون (أي) بمعنى كل.

(١) جامع الدروس العربية، للغلاييني، ١٤١/١ . سورة التوبة ، آية ١٢٤ .

(٢) الأعمال الشعرية، ص ١٧٣ . (من المتقارب)

(٣) شرح التصريح على التوضيح، للشيخ خالد الأزهرى، ٧١١/١ .

(٤) الأعمال الشعرية، ص ٢١٦ . (البحر: الخفيف)

(٥) شرح التصريح على التوضيح، للشيخ خالد الأزهرى، ٧١١/١ .

(ج) أسماء الاستفهام المتضمنة معنى الظرف :

سبق أن بينا أن ابن جني ذكر أن أسماء الاستفهام المتضمنة معنى الظرف، هي: متى وأين، وكيف، وأي، وحين، وأيان، وأنى. فما الذي ورد منها في شعر مبارك بن سيف ؟

(١) كَيْفَ .

يبين المبرد ت ٢٨٥هـ^(١) أن (كيف) تقع اسماً؛ لأنها تقع في مواضع الأسماء، كما أنها تؤدي ما يؤديه سائر الأسماء. كما بين مجيء (كَيْفَ) للظرفية. وذكر الزمخشري ت ٥٣٨هـ^(٢) أيضاً أن (كيف) تقيده الظرفية. وينقل السيوطي ت ٩١١هـ رأي ابن مالك الذي شرح معنى الظرفية الذي تقيده (كيف)، فيقول: « وَقَالَ ابْنُ مَالِكٍ: لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ إِنْ (كَيْفَ) ظَرْفٌ؛ إِذْ لَيْسَتْ زَمَانًا وَلَا مَكَانًا، وَلَكِنَّهَا لَمَّا كَانَتْ تُفَسِّرُ بِقَوْلِكَ: عَلَى أَيِّ حَالٍ لَكُونَهَا سَوْالًا عَنِ الْأَحْوَالِ الْعَامَّةِ سُمِّيَتْ ظَرْفًا؛ لِأَنَّهَا فِي تَأْوِيلِ الْجَارِ وَالْمَجْرُورِ، وَاسْمُ الظَّرْفِ يُطْلَقُ عَلَيْهِمَا مَجَازًا قَالَ ابْنُ هِشَامٍ وَهَذَا حَسَنٌ »^(٣).

ومن النحاة^(٤) مَنْ ذَكَرَ أَنَّ كَيْفَ يُطْلَبُ بِهَا تَعْيِينَ الْحَالِ. وذكر الغلاييني أن (كيف) تؤدي معاني عدة، فقال: « كَيْفَ اسْمٌ يُسْتَفْهَمُ بِهِ عَنْ حَالَةِ الشَّيْءِ، نَحْوُ كَيْفَ أَنْتَ؟ أَيِ: عَلَى أَيَّةِ حَالَةٍ أَنْتَ؟ وَقَدْ تُشْرَبُ مَعْنَى التَّعَجُّبِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾^(٥)، أَوْ مَعْنَى النِّفْيِ وَالْإِنْكَارِ، نَحْوُ: كَيْفَ أَفْعَلُ هَذَا! أَوْ مَعْنَى التَّوْبِيخِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾^(٦).

ونظر الباحث في ورود (كيف) في شعر مبارك بن سيف، فوجدها وردت على وجهين، هما:

الوجه الأول: الحالية. تكررت في (سبعة وعشرين) موضعاً، منها:

• قوله في قصيدته (رفقة الصبا)^(٧) :

رَبَاهُ كَيْفَ لَنَا لُقْيَا عَلَى صَغَرٍ ؟ وَكَيْفَ تَعْقِبُهَا بِالْبَيْنِ رَبَاهُ ؟

(١) يُنْظَرُ: المقتضب، للمبرد، ١٧٢/٣، ١٧٨ .

(٢) المفصل في صناعة الإعراب، للزمخشري، ص ٢١٧ .

(٣) همع الهوامع ، للسيوطي، ٢١٩/٢ .

(٤) منهم: أبو بكر بن السراج، الأصول في النحو، ١٣٦/٢، وأبو القاسم الزجاجي، حروف المعاني والصفات، ص ٣٥، ٧٩، وابن الوراق، علل النحو، ص ٢٢٤، ٢٢٥، والزمخشري، المفصل في صناعة الإعراب، ص ٢١٧ .

(٥) سورة البقرة، آية ٢٨ .

(٦) جامع الدروس العربية، للغلاييني، ١٤٣/١، ١٤٤ . سورة آل عمران، آية ١٠١ .

(٧) الأعمال الشعرية، ص ٢١ . (الرملة)

● وقوله في قصيدته (قراءة في كتاب قديم)^(١) :

أَتَسْأَلُ عَنَّا؟

فَكَيْفَ تَرَانَا؟

وَتَسْأَلُ كَيْفَ الْمَسِيرَةِ؟

● وقوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي)^(٢) :

وَكَيْفَ نُوقِفُ الرَّدَى؟

إِنَّ الرَّدَى مُجَاوِرٌ

وَكَيْفَ نَبْقَى سَادَةً

وَالْعِزُّ عَنَّا مُدْبِرٌ

الوجه الثاني: أشربت (كيف) معاني أخرى في شعر مبارك بن سيف، هي:

أولاً: التعجب .

يقول أبو القاسم الزجاجي ت ٣٢٧هـ: «وَنَقَعَ كَيْفَ بِمَعْنَى التَّعَجُّبِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾»^(٣). وذهب ابن هشام ت ٧٦١هـ^(٤) إلى هذا أيضاً، فذكر أن (كيف) تفيد معنى التعجب. كما ذكر الدكتور محمد عيد أن: «(كيف) أصلاً بلفظها ومعناها للاستفهام، ولكنها دلّت على التعجب دلالة عارضة على سبيل المجاز، ومثل ذلك كل استفهام دلّ على التعجب»^(٥). يتضح أن (كيف) تفيد أصلاً معنى الحالية، أمّا التعجب فطارئ عليها .

وردت (كيف) في شعر مبارك بن سيف مفيدة معنى التعجب في (سبعة عشر) موضعاً، منها:

● قوله في قصيدته (عشاق الشمس)^(٦) :

(١) الأعمال الشعرية، ص ٢١١ . (من المتقارب)

(٢) السابق نفسه، ص ٢٩٣ . (الرجز)

(٣) حروف المعاني والصفات، للزجاجي، ص ٣٥. سورة البقرة، آية ٢٨ .

(٤) شرح قطر الندى، لابن هشام، ص ٣٢٠.

(٥) النحو المصنف، لمحمد عيد، ص ٥٦٤ .

(٦) الأعمال الشعرية، ص ١٢ . (الرمز)

كَيْفَ لِفَجْرِ الَّذِي رَاحَ وَوَلَّى أَنْ يَعُودَ ؟

كَيْفَ تُجْتَازُ الدِّيَاجِي الْعَاتِيَةَ ؟

ويقول:

كَيْفَ عَادَتْ لِذَرَى هَذَا الْخَلِيجِ الْعَافِيَةَ ؟

يتساءل الشاعر متعجباً كيف يمكن اجتياز الفيافي العاتية؟! وقد يرمز الشاعر بالفيافي للصعوبات والمشاق التي قد تعترض طريق عُشَّاقِ الشمس، وهم أهل الخليج الكادحون. وينتهي المقطع بالتعجب من كيفية عودة السكينة والطمأنينة للخليج العربي الذي بات يُصارَعُ الأطماع الخارجية، فتعكّر عليه صفوه وطمأنينته ؟!

• وقوله في قصيدته (رفقة الصِّبا) ^(١) :

رَبَّاهُ كَيْفَ لَنَا لُقْيَا عَلَى صَغَرٍ ؟ وَكَيْفَ تُعْقِبُهَا بِالْبَيْنِ رَبَّاهُ ؟

يتعجب الشاعر من كيفية اللقاء على طريقة الصِّغار، وقد قضى الله بينهما بالفراق. وهذا التعجب يمتزج بالأمني أن تعود أيام الصِّبا؛ كي يسعد باللقاء .

• وقوله في قصيدته (الغرب المَهْدَّب) ^(٢) :

أَيُّهَا الْإِنْسَانُ فِي الْأَرْضِ تَعَجَّبْ

كَيْفَ لَا تَعَجَّبُ وَبِرُودَوَيْ (*) .. قَدْ قَلَّ ضِيَاؤُهُ

يتعجب الشاعر كيف خفت الأضواء في مدينة (نيويورك)، إشارة إلى قلة الحركة والنشاط في ذلك الشارع الذي كان رمزاً للحركة والحيوية والنشاط .

ثانياً: النفي، والإنكار .

وردت (كيف) في شعر مبارك بن سيف مفيدة معنى النفي والإنكار في (تسعة) مواضع، منها:

• قوله في قصيدته (رفقة الصِّبا) ^(٣) .

(١) الأعمال الشعرية، ص ٢١ . (البسيط)

(٢) السابق نفسه، ص ٥٢ . (الرمل)

(*) بَرُودَوَيْ: «شارع اللّهُو في مدينة نيويورك». يُنْتَظَر: نفسه، ص ٥٢، هامش ١ .

(٣) الأعمال الشعري، ص ٢١ . (البسيط)

أَهْضُوا إِلَى طَيْفِهَا صُبْحًا وَأُمْسِيَّةً آهٍ لَهُ قَدْ تَوَارَى كَيْفَ أَسْلَاهُ؟

يعبر الشاعر في هذا البيت عن شوقه الكبير لرفيقة الصبا، فهو يتذكرها في كل وقت؛ لذلك استفهم بكيف؛ ليبين أنه لا يمكن أن ينساها أبدًا، إذ كيف ينساها وطيفها شاغله في كل حين؟ وهامو يتحسر على طيفها كيف توارى. فالاستفهام هنا كان بغرض النفي، أي نفي إمكانية نسيان رفيقة الصبا.

• وقوله في قصيدته (مذكرات شاعر من العالم الثالث - البعد الثالث).^(١) .

لَا تَخَافُوا يَا صِغَارَ الْحَيِّ (دُمَّ .. دُمَّ) (***)

آيَةُ كَيْفَ تَمُوتُ؟

يَضْرُخُونَ

يَطْرُقُونَ الطَّبْلَ أَوْ بَعْضَ صَفِيحٍ

كان الأطفال في الخليج يفزعون عند خسوف القمر؛ لاعتقادهم أن هناك حوتًا، أو وحشًا يبتلع القمر، فيهرعون إلى الطبول أو الصفائح يضربونها؛ ليهرب مفترس قمرهم. فالشاعر أراد عن طريق الاستفهام بـ (كيف) أن:

- يُطمئن الأطفال بأن القمر لن يموت في بطن الحوت، أو الوحش؛ لأنه آية من آيات الله .

- يتعجب من براءة الأطفال في هذا الاعتقاد الخطأ فأيات الله لا يقدر عليها مخلوق .

• وقوله في قصيدته (مذكرات شاعر من العالم الثالث - البعد الثالث -):^(٢) .

يَا صِغَارَ يَا صِغَارَ

لَا تَكُونُوا أَغْبِيَاءَ

كَيْفَ تَدْمِي ذَلِكَ الْمَجْهُولَ جَمْرَةَ؟

(١) الأعمال الشعرية، ص ١٨٩ . (الرمل)

(**) (دُمَّ .. دُمَّ): «مَزَجَ بين المعنى والإيقاع، فمن حيث المعنى فإنَّ (دُمَّ) فعل أمر يطلب أن يدوم الصَّيَاء، ومن حيث الإيقاع فهي صوت ضربات الطبل». يُنظر: السَّابِق نفسه، هامش ص ١٨٩ .

(٢) نفسه، ص ١٩٣ . (الرمل)

يستفهم الشاعر بـ (كيف) قاصداً النّفي، أي لنْ تُدمي الجمرة ذلك المجهول (البحر). فيخاطب الشاعر الأطفال الذين وصفهم بغباء تصرفهم بأنّ المشاعل التي يحملونها لنْ تقضي على البحر الذي خطفت أمواجه آباءهم .

● وقوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي) ^(١) :

سَيَرَفُ ذِكْرًا لِأَبْنَاءِ هَاشِمٍ

وَكُنَّا وَأَيَّاهُمْ فِي سَبَاقٍ

إِذَا مَا سُبِقْنَا سَبَقْنَا وَزِدْنَا

وَجَاءَ بِمَا لَا تَرُدُّ بِمِثْلِهِ

فَكَيْفَ لَنَا أَنْ نَكُونَ سَوَاءً ؟

قيل هذا المقطع على لسان أبي جهل - عدو الإسلام - الذي ينفي أن يتساوى مع بني هاشم في الفضل؛ لأنه اعتاد هو وقبيلته أن يزيد على بني هاشم فلنْ تتحقق المساواة والمعادلة بين الطرفين .

ثالثاً: التوبيخ .

وردت (كيف) في شعر مبارك بن سيف مفيدة معنى التوبيخ في (ثمانية) مواضع، منها:

● قوله في قصيدته (الغرب المَهْدَّب) ^(٢) :

كَيْفَ أَرْضَاهَا حَيَاةً ؟

وَأَخٌ فِي الْأَرْضِ مَنَسِيٌّ مُعَذَّبٌ ؟

ينفي الشاعر عن نفسه أن يحيا حياة سعيدة ما دام له إخوة في شتى بقاع الأرض معذبون، وفي هذا توبيخ إنْ هي قبلت ذلك. فيبدو الشاعر في هذا المقطع إنساني المشاعر عالمي المشاركة الوجدانية لأخيه الإنسان المعذب حيثما كان. فالاستفهام يتضمن معنى النفي والتوبيخ.

● وقوله في قصيدته (قراءة في كتاب قديم) ^(٣) :

(١) الأعمال الشعرية، ص ٢٦٧ . (من المتقارب)

(٢) الأعمال الشعرية، ص ٥١ . (الرملة)

(٣) السابق نفسه، ص ٢١١ . (من المتقارب)

أَتَسْأَلُ عَنَّا

فَكَيْفَ تَرَانَا ؟

وَتَسْأَلُ كَيْفَ الْمَسِيرَةِ ؟

وَأَيْنَ الْأَمَانَةِ ؟

يُجْرِي الشاعر في هذه القصيدة حواراً مع كتاب قديم، وهذا هو المقطع الأول من القصيدة يبدأ الشاعر فيه قصيدته بوصف حال الأمة في هذا الزمان، ويتضمن هذا الوصف توبيخاً للأمة لما آلت إليه من تردّد في مستواها الثقافي، والقيمي، والاجتماعي، والأخلاقي، وحتى السياسي.

• وقوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي)^(١) :

إِنَّمَا أَنْتَ كَرِيمٌ

أَتَعِيبُ الْإِلَهَةَ

كَيْفَ يَابْنَ الْكَرِيمِ ؟

يخاطب الشاعر على لسان أبي سفيان طفيلاً الدوسي الذي انحاز إلى نور الحقيقة - رسالة الإسلام - فيتعجب بـ (الاستفهام بالهمزة) من شتمه للآلهة، ثم يوبّخه بـ (الاستفهام بكيف) على انحيازه للإسلام، وعيبه للآلهة .

• وقوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي)^(٢) :

وَكَيْفَ كَيْفَ تَبْتَغِي

أَنْ نَفْتَدِي بِمَالِنَا ؟

أَوْ يَرْتَقِي هَذَا الْيَتِيمَ

لِكَيْ يَسُودَ بَيْنَنَا ؟

قال الشاعر هذا المقطع على لسان أبي جهل الذي يرد فيه على أمية بن خلف الذي يرى إعطاء المال لمحمد - صلى الله عليه وسلم - علّه يتراجع عن دعوته الجديدة، فيوبّخ أبو جهل أمية على اقتراحه هذا متعجباً كيف سنعطي مالنا لليتيم - محمد - كي نمنحه الفرصة ليرتقي ويسود علينا. ويلاحظ أنّ أبا الجهل كرر الاستفهام بأداته: (كيف)؛ ليؤكد على شدة توبيخه لهذا الرأي من ناحية، ومن الناحية الأخرى قد يعكس هذا التكرار الحدة والعنف في ردة فعل أبي جهل.

(١) نفسه، ص ٢٦٩ . (من الرمل)

(٢) الأعمال الشعرية، ص ٢٩٣ . (من الرجز)

وبعد استعراض بعض المعاني الدلالية التي أفادها الاستفهام بِـ (كيف) في شعر مبارك بن سيف، نستنتج ما يأتي:

أولاً: لُوحظ أنَّ المعنى الرئيس الذي يفيد الاستفهام بِـ (كيف) هو التعجب، ولكن قد يصحب هذا المعنى معانٍ أخرى سنعرضها لاحقاً .

ثانياً: تفوّق إفادة التعجب للاستفهام بِـ (كيف) في شعر مبارك بن سيف على غيره من المعاني، بل مرافقته لبعض تلك المعاني، والجدول الآتي يوضّح ذلك :

العدد	المعنى	التسلسل
٨	التعجب	١
٥	النفي والإنكار	٢
٦	التوبيخ	٣
٥	التعجب والنفي	٤
١	اللهفة والشوق	٥
١	التعجب، والنفي، والتوبيخ	٦
١	التعجب والتحسّر	٧
١	النصح والإرشاد	٨
١	الفخر، والإعجاب	٩
٢٩		

ثالثاً: يلاحظ أنَّ مبارك بن سيف قد أضاف لِـ (كيف) الاستفهامية معاني أخرى غير المعاني التي ذكرها الغلاييني. واستوحى هذه المعاني من الأغراض البلاغية التي يؤدّيها الاستفهام والتي سنعرض لها بعد الانتهاء من أدوات الاستفهام .

رابعاً: فيما يأتي أمثلة من شعر مبارك بن سيف تدلُّ على المعاني التي أضافها لِـ (كيف الاستفهامية) :

١ - **النصح والإرشاد.** يقول في قصيدته (الليل والضفاف) ^(١) :

(١) الأعمال الشعرية، ص ١٩ . (الرمل)

فَتَعَلَّمْ كَيْفَ يَا قَلْبَاهُ نَسْلُو

كُلَّ أَمَالِ الْوَصَالِ ؟

وَأَنْطَلِقَ فِي الْأَرْضِ جَوَّالاً ..

الشاعر في هذا المقطع يخاطب ساحرته موضحاً لها ما يعاني من آلام الفراق، ثم نراه يتحوّل إلى ناصح لقلبه يُبين له كيفية التخلص من معاناة الحب والهجران .

٢ - الشوق واللهفة .

• يقول في مسرحيته الشعريّة (الفجر الآتي) ^(١) :

وَكَيْفَ تَبَادَرُ صَوْتُ النَّبِيِّ

إِلَيْكَ أَبِي

لَقَدْ ، كُنْتُ طِفْلاً

وَضَاءَ بِقَلْبِي حَدِيثُ النَّبِيِّ

يوجّه طفلٌ لأبيه المسلم هذا السؤال في رغبة ولهفة منه ليسمع كيفية وصول صوت النبي - عليه الصلاة والسلام - (أي: دعوة الإسلام) لوالده .

• وقوله في المسرحية ذاتها ^(٢) :

وَكَيْفَ الْقَوْمُ فِي مَكَّةَ ؟

لهفة المسلم وشوقه لمعرفة ما يدور في مكة من أحداث يشغل باله؛ لذلك بادر بتوجيه السؤال لهذا المسلم القادم للتو من مكة .

٣ - التحسّر. قوله في المسرحية ذاتها ^(٣) :

يُمَزَّقُ عَيْنِي بَلْ بَلْ وَقَلْبِي

وَكَيْفَ ؟ أَتَنْسَى صِرَاحَ الضَّعَافِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ؟

(١) السابق نفسه، ص ٢٥١ . (المتقارب)

(٢) نفسه، ص ٣٠٦ . (الهجّج)

(٣) الأعمال الشعريّة، ص ٣٣٤ . (من المتقارب)

الشاعر هنا يبيّن على لسان المسلم شدة حزنه وتحسره على صراخ المؤمنين الضعفاء الذين بقوا في مكة يعانون، ولم يتمكنوا من الهجرة إلى المدينة المنورة .

(٢) أَيْنَ .

ذكر سيبويه أنّ (أَيْنَ) تُستخدم للأماكن، فقال: «ونظيرُ (مَتَى) من الأماكن: (أَيْنَ) . ولا يكون (أَيْنَ) إلاّ للأماكن»^(١). وذكر الزّجّاجي أنّ مجيء (أَيْنَ) للمكان لمشابتها (حَيْثُ)، فقال: «أَيْنَ تكون استفهاماً كَقَوْلِكَ: أَيْنَ أَخُوكَ. وَأَيْنَ زَيْدٌ جَالِسٌ وَجَالِسًا، وَتَكُونُ بِمَنْزِلَةِ حَيْثُ كَقَوْلِكَ: أَيْنَ أَنْزَلَ أَيْنَ أَبِيتَ، وَقِيلَ: يُسألُ بِهَا عَنِ الْمَكَانِ»^(٢). كما نصّ المبرد على اسميّة (أَيْنَ)، فقال: «فَمِنْ تِلْكَ الْأَسْمَاءِ: (كَمْ)، و(أَيْنَ)، و(كَيْفَ) .. وَاعْلَمْ أَنَّ الدَّلِيلَ عَلَى أَنَّ مَا ذَكَرْنَا أَسْمَاءَ وَقُوعَهَا فِي مَوَاضِعِ الْأَسْمَاءِ، وَتَأْدِيتِهَا مَا يُؤَدِّيهِ سَائِرُ الْأَسْمَاءِ»^(٣).

وجاءت (أَيْنَ) كاسم استفهام في شعر مبارك بن سيف في (ثمانية وثلاثين) موضعاً، منها:

• قوله في قصيدته (مناجاة الدهر)^(٤) :

وَلَكَمْ سَأَلْتُ خَيَالَهَا مُتَرَدِّدًا أَيْنَ الْفِرَارَ وَأَيْنَ أَيْنَ قَرَارِي؟

يلاحظ تكرار الشاعر لاسم الاستفهام (أَيْنَ)؛ وذلك للتأكيد على رغبته الجامعة والكبيرة بمعرفة إلى أين يفرّ من حبه الذي يطارده خياله في كل مكان .

• وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٥) :

يَا جَانِئًا فِي الشَّرْقِ غَيْرَ مُمَيَّنٍ أَيْنَ الذِّكَاءِ وَقَدْ رَمَاكَ غِبَاءُ؟

يخاطب الشاعر هِرْدُوتَسَ - المؤرّخ المزور - سائلاً إياه: أين أضاع ذكاءه؛ فبات غيباً لا يُحسن التمييز بين الأشياء؟

• وقوله في مسرحيته الشعريّة (الفجر الآتي)^(٦) :

(١) الكتاب، ٢١٩/١.

(٢) حروف المعاني والصفات، للزّجّاجي، ص ٣٤.

(٣) المقتضب، للمبرد، ١٧٢/٣ .

(٤) الأعمال الشعريّة، ص ٤٢ . (الكامل)

(٥) السابق نفسه، ص ١٢٢ . (الكامل)

(٦) الأعمال الشعريّة، ص ٢٩٣ . (الرجز)

وَأَيْنَ أَينَ يَا تُرَى

بِنَا الزَّمَانُ سَائِرُ؟

يلاحظ تكرار الشاعر لاسم الاستفهام (أَيْنَ)؛ ليؤكد رغبته في معرفة مصيره، فهو يجهل الوجهة التي يسير إليها الزمان .

وبعد استعراض المواضع التي وردت فيها (أَيْنَ) كاسم استفهام، يمكن استنتاج ما يأتي:

أولاً: مرّ بنا إجماع النحاة على أنّ (أَيْنَ) يُستفهم بها عن المكان. ويؤكد هذا المبرد ت ٢٨٥ هـ في قوله: « ألا ترى أنّ (أَيْنَ) إِنَّمَا هِيَ سُؤَالٌ عَنِ الْمَكَانِ لَا يَقَعُ إِلَّا عَلَيْهِ^(١). ولكنّا واجدون الشاعر مبارك بن سيف قد أوقع (أَيْنَ) على الزمان، فلم تأتِ (أَيْنَ) مفيدة للمكان حسب، بل جاءت مفيدة للزمان أيضاً، وذلك في قوله:

• في قصيدته (مناجاة الدهر)^(٢) :

فَأَيْنَ لِيَايِ الْأَمْسِ يَا جَالِبَ الْأَسَى وَيَا جَالِبًا مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَوَادِيَا

جاء الشاعر بـ (أَيْنَ) للاستفهام بها عن زمان ليالي الأمس التي باتت ذكريات لا تُنسى .

• وفي قصيدته (أمام نخلة)^(٣) :

وَعَدَوْتُ طُعْمًا لِلْهَيْبِ

وَكُنَّ هَمْسَ حَفِيفَهَا :

يَا وَيْحَ نَفْسِي ...

أَيْنَ بَانَتْ وَأَنْتَ تَلِكَ الْعُهُودُ؟

يستفسر الشاعر عن الأزمان الخوالي (العهود) أين ابتعدت، حتى انتهت، ولم يعد لها ذكر.

• وفي قصيدته (فلسطين موطن الأديان)^(٤) :

عُذْرًا - فِلَسْطِينِ الْأَبَاةِ - فَإِنِّي ذَاكَ الْعَنِيدُ فَإَيْنَ يَوْمَ مَعَادِي

(١) المقتضب، للمبرد، ٢٨٩/٣.

(٢) الأعمال الشعرية، ص ٥٣ . (الطويل)

(٣) السابق نفسه، ص ٦٨ . (من الكامل)

(٤) نفسه، ص ٨٣ . (الكامل)

تدل (أَيَّنَ) في البيت على الزمان، فالشاعر متهلف للعودة لفلسطين؛ لذلك يسأل عن زمن العودة.
ثانياً: من المعلوم أنّ لأدوات الاستفهام صدارة الكلام، لكنّ الشاعر خالف هذا العُرف اللغوي
فقدّم جملة الاستفهام على أداته (أَيَّنَ)، فقال في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي)^(١) :

كَيْسُ هُنَا وَجَدْتُهُ

كَيْفَ وَأَيَّنَ وَمَتَى ؟

الفعل (وجدَ) من الأفعال التي تنصب مفعولين، وعلى هذا فمفعوله الأول (الضمير المتصل بالفعل ذاته)، والمفعول الثاني - على الأصل - (كيس)، ويلاحظ أنّ الشاعر قدّم المفعول لغرض بلاغي استوجبه السياق، فهذا المقطع قاله غلام يوجّه حديثه لرجل، فيقول: وجدتُ كَيْسًا هنا. ويُلاحظ أنّ الغلام قدّم المفعول (كيس) على الفعل (وَجَدَ)؛ ليعطي أهمية لذلك الكيس، ولعلّه يحتوي على أشياء ثمينة؛ لذلك سارع الرجل بحذف اسم الاستفهام، وركّز على محور الحديث ومركزه، وهو الكيس، فراح يسأل عن الكيفية التي وجد الغلام بها الكيس بِ (كَيْفَ)، وعن المكان الذي وجده فيه بِ (أَيَّنَ)، وأخيراً عن الزمان الذي وجده فيه بِ (متى). وهذا الحذف والترتيب لأدوات الاستفهام لم يكن اعتباطاً، بل جاء لدلالة بلاغية. فكما أشرنا جاء الابتداء بالكيس؛ لأهميته. والابتداء بِ (كيف) دون أداتي الاستفهام؛ للدلالة على اهتمام الرجل بكيفية عثور الغلام على الكيس. فالعربي بخصاله النبيلة يهتم السرقة، وتعافها نفسه. ثمّ يسأله عن المكان الذي وجده فيه الكيس؛ ليؤكد على المبدأ السابق: هل أخذه الغلام من بيت، أم من دكان. وأخيراً جاء الاستفهام عن الزمن بِ (متى)، ولعله غير مهم للشاعر كأهمية الحال والمكان.

ويرى المبرد أنّ هذا التقديم يكون ضرورة في الشعر، يقول: « وَلَوْ قُلْتُ: هَلْ زَيْدٌ قَامَ؟ لَا يَصْلَحُ إِلَّا فِي الشَّعْرِ؛ لِأَنَّ السُّؤَالَ إِنَّمَا هُوَ عَنِ الْفِعْلِ. وَكَذَلِكَ: مَتَى زَيْدٌ خَرَجَ؟ وَأَيَّنَ زَيْدٌ قَامَ؟ وَجَمِيعُ حُرُوفِ الْإِسْتِفْهَامِ غَيْرُ أَلْفِ الْإِسْتِفْهَامِ لَا يَصْلَحُ فِيهِنَّ إِذَا اجْتَمَعَ اسْمٌ وَفَعْلٌ إِلَّا تَقْدِيمُ الْفِعْلِ إِلَّا أَنْ يُضْطَرَّ الشَّاعِرُ، وَالْفِعْلُ فِي الْجَزَاءِ أَوْجَبُ؛ لِأَنَّ الْجَزَاءَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْفِعْلِ، وَالِاسْتِفْهَامُ قَدْ يَكُونُ عَنِ الْأَسْمَاءِ بِلاَ فِعْلٍ تَقُولُ: أَزِيدُ أَخُوكَ؟ أَزِيدُ فِي الدَّارَةِ؟ »^(٢).

(١) الأعمال الشعرية، ص ٢٦١ . (الرجز)

(٢) المقتضب، للمبرد، ٧٥/٢.

ثالثاً: يلاحظ أنّ الشاعر كرر اسم الاستفهام (أَيَّنَ) في الشاهد الواحد؛ لغرض التأكيد - كما مرّ معنا في الأمثلة المذكورة - حيث جاءت (أَيَّنَ) مفيدة للتوكيد بسبب التكرار. وجاء تكرار الجملة الشعرية المتضمنة لـ (أَيَّنَ) الاستفهامية في مواضع أخرى، هي:

• قوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي) ^(١) :

فَمَنْ أَيْنَ أَنْتَ؟ وَمَنْ أَيْنَ جِئْتُ؟

نَوَاحِي الْيَمَنِ؟ أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟

• وقوله في مسرحيته الشعرية السابقة نفسها ^(٢) :

أَيْنَ يُرْجَى نَجْلُ عَبْدِ الْمُطَلَبِ؟

أَيْنَ يُرْجَى نَجْلُ عَبْدِ الْمُطَلَبِ؟

• وقوله في مسرحيته الشعرية ذاتها ^(٣) :

تَعَالَ يَا سِرُّ

تَعَالَ أَيْنَ أَنْتَ؟

بَحِثْتُ عَنْكَ أَيْنَ أَنْتَ؟

• وقوله في المسرحيته الشعرية السابقة ^(٤) :

أَيْنَ الرِّمَاحُ لِتَشْرَبَ الدَّمَ الْقَبِيحَ؟

أَيْنَ الرِّمَاحُ لِتَشْرَبَ الدَّمَ الْقَبِيحَ؟

فتكرار الجملة الشعرية المتضمنة لاسم الاستفهام (أَيَّنَ) يعكس مدى رغبة الشاعر في معرفة المكان المستفهم عنه، ويؤكد تلك الرغبة بتكرار الجملة الشعرية ذاتها .

(١) الأعمال الشعرية، ص ٢٤٧ . (المتقارب)

(٢) السابق نفسه، ص ٢٧١ . (من الرمل)

(٣) نفسه، ص ٢٧٨ . (الرجز)

(٤) الأعمال الشعرية، ص ٢٨٧ . (من الكامل)

(٣) متى .

بين سيويه^(١) أنَّ (متى) يُستفهم بها عن الزمان، وتكون ظرف زمان، كما ذكر المبرد أنَّ (متى) اسم يُستفهم بها عن الوقت (الزمن)، فقال: «(متى) تُمال؛ لأنها اسم، وإنما هي من أسماء الزمان، ولا يُستفهم بها إلا عن وقت»^(٢). كما ذكر المبرد في موضع آخر أنَّ (متى) يُستفهم بها عن ظرف الزمان، فقال: «وإذا قلت: متى تخرج؟ فإنما معناه: أوقت كذا أم وقت كذا؟»^(٣). وبين ابن الوراق علة بناء (متى) الاستفهامية، فيقول: «فأما (متى) : فالذي أوجب لها البناء أنها نائبة عن حرف الاستفهام في الاستفهام، وعن حرف الجزاء في الجزاء، وذلك قول القائل: متى تخرج؟ هو نائب عن قولك: أخرج يوم الخميس أو يوم السبت؟ ونحو ذلك، فلما تضمنت (معنى) حرف الاستفهام والجزاء، والحروف مبنيّة، وجب أن يُبنى»^(٤). فجاءت علة البناء من مشابهة (متى) لهزمة الاستفهام.

ولم يذكر مبارك بن سيف في شعره (متى) كاسم استفهام إلا في موضعين، هما:

قوله في قصيدته الشعرية (أغنية الربيع)^(٥) :

يَا رُبِيعَا - مَتَى رَحَلْتَ - وَطَيْفَا عِشْتُهُ فِي الْبَعَادِ لَوْ كُنْتُ تَدْرِي

يتحسر الشاعر على رحيل الربيع، فيبين أن الربيع حين يرحل فإن طيفه يبقى حاضراً لا يغيب، والشاعر في هذا يعبر عن مدى عشقه وتعلقه بالربيع وتمنياته ألا يرحل .

● وقوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي)^(٦) :

كَيْسٌ هُنَا وَجَدْتُهُ

كَيْفَ وَأَيْنَ وَمَتَى ؟

تقدير الاستفهام هنا: متى وجدت الكيس؟ فالسؤال عن الزمن الذي وجد فيه الغلام الكيس.

(١) الكتاب، لسيويه، ٢١٦/١ .

(٢) المقتضب، للمبرد، ٥٣/٣ .

(٣) السابق نفسه، ٥٥/٣ .

(٤) علل النحو، لابن الوراق، ص ٢٢١ .

(٥) الأعمال الشعرية، ص ٣٠ . (الخفيف)

(٦) السابق نفسه، ص ٢٦١ . (الرجز)

(٤) أَنَّى .

يقول القرطبي ت٦٧١هـ مُفسِّراً معنى (أَنَّى) في قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾^(١): «و(أَنَّى): تجيء سؤالاً وإخباراً عن أمر له جهات، فهو أعمُّ في اللغة من (كيف) ومن (أين) ومن (متى)، هذا هو الاستعمال العربي في (أَنَّى).. وفسرها سيبويه بـ «كيف» ومن «أين» باجتماعهما»^(٢).

ونقل الإستراباذي ت٦٨٦هـ عن ابن يعيش، والزجاج معنى (أَنَّى)، قولهما: «.. كقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾»^(٣). قال ابن يعيش: «الشاهد فيه (أَنَّى) بمعنى كيف، ألا ترى أنه لا يحسن أن تكون بمعنى من أين؟ لأنَّ بعدها من أين، فيكون تكريراً، ويجوز أن تكون بمعنى من أين، وكُرت على سبيل التوكيد، وحسُنَ التكرار لاختلاف اللفظين.. وأورده الزجاج في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾»^(٤) على أن (أَنَّى) فيهما بمعنى كيف»^(٥).

وذكر الدكتور محمد أبو موسى أن (أَنَّى) يُستفهم بها عن المكان وعن الزمان، فقال: «و(أَنَّى) يُسأل بها عن الحال، مثل (كَيْفَ)، وقوله: ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾»^(٦). ويُسأل بها عن المكان، مثل (أَيْنَ)، ومنه^(٧): ﴿أَنَّى لَكَ هَذَا﴾، أي: من أين لك هذا»^(٨). ويضيف الدكتور عتيق^(٩)، والمراغي^(١٠) معنى ثالثاً لـ (أَنَّى)، وهو أنها تكون بمعنى (متى)، نحو: أَنَّى يفيض نهر النيل؟ ولم ترد (أَنَّى) الاستفهامية في شعر مبارك بن سيف إلا في موضعين، هما:

● قوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(١١):

(هَرْدُوتْس) إِنَّكَ تَأْتُهُ وَمُتَوَّهْ أَنَّى لِمِثْلِكَ تَهْتَدِي الْأَسْمَاءُ

جاءت (أَنَّى) بمعنى كيف ؟

(١) سورة البقرة، آية ٢٢٣ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٩٣ / ٣ .

(٣) سورة البقرة، آية ٢٢٣ .

(٤) سورة مريم، آية ٢٠ .

(٥) شرح شافية ابن الحاجب، للإستراباذي، ٣١١/٤ .

(٦) سورة البقرة، آية ٢٢٣ .

(٧) سورة آل عمران، آية ٣٧ .

(٨) دلالة التراكيب، للدكتور محمد أبو موسى، ص ٢٠٥ .

(٩) علم المعاني، للدكتور عبد العزيز عتيق، ص ١٠٤ .

(١٠) علوم البلاغة، لأحمد مصطفى المراغي، ص ٨١ .

(١١) الأعمال الشعرية، ص ١٢٢ . (البحر: الكامل)

• وقوله في قصيدته (نَوَّارَةٌ يَا عَالَمِي الصَّغِيرِ)^(١) :

وَأَفِيقُ وَالِدُنْيَا تُعَاتِبُنِي .. مُحَال

وَتَقُولُ: أَنِّي لِلْحَقِيقَةِ أَنْ تَجِيءَ مِنْ الْخَيَالِ؟

جاءت (أنى) بمعنى كيف. أي: كيف يمكن أن تأتي الحقيقة من الخيال. وكأنَّ الشاعر يسأل بقصد النفي والإنكار، كأنه يريد أن يقول: لا تأتي الحقيقة من الخيال .

ثالثاً: الأغراض البلاغية للاستفهام في شعر مبارك بن سيف :

قد يخرج الاستفهام عن المعنى الأصيل الذي وضع له، وهو طلب معرفة شيء لم يكن معروفاً من قَبْلُ بأداة خاصة إلى معانٍ أخرى يدلُّ عليها السياق، وقد ذَكَرْتُ بعضَ كُتُبِ البلاغة العربية^(٢) تلك المعاني .

وتتبع الباحث أغراض الاستفهام في شعر مبارك بن سيف، فوجد الأغراض الآتية:

(١) النّفي: ويعني أن يُقصد بالاستفهام النفي، وليس العلم بشيء كان مجهولاً، نحو: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾^(٣). ومعنى الآية: لا هادي لمن أضلَّ الله .

وقد خرج الاستفهام لمعنى النفي في شعر مبارك بن سيف، وقد عرضنا لأمثلة على ذلك عند حديثنا عن (كَيْفَ). ومن الأمثلة الأخرى قوله:

• في قصيدته (الليل والضفاف)^(٤) :

يَا ضِفَافَ الشُّطِّ ...

هَلْ أَشْكُو لِمَا بِي مِنْ حَنِينٍ؟

وقوله:

فَأَجِيبِي يَا نُخَيْلَاتِ نَاتٍ

هَلْ سَمِعْتِ رَجَعَ أَهَاتِ الْكَلِيمِ؟

(١) السَّابِقُ نَفْسَهُ، ص ٢٢٤ . (من الكامل)

(٢) منها: علم المعاني، د. عبد العزيز عتيق، ص ١٠٤ - ١٢٠. وعلوم البلاغة، لأحمد مصطفى المراغي، ٨١. وعلوم البلاغة، للدكتور محمد أحمد قاسم، والدكتور محيي الدين ديب، ٢٩٥. ٣٠٠.

(٣) سورة الروم، آية ٢٩ .

(٤) الأعمال الشعرية، ص ١٧ . (الرمل)

● وفي قصيدته (رفقة الصُّبا) ^(١) :

هَلْ يُطْلَقُ الْمَسْجُونُ مِنْ أَصْفَادِهِ ؟ بِالْحَقِّ يُطْلَقُ ، أَمْ تُرَى بَزْنَادٍ ؟

فغرض الاستفهام النفي، أي: لا يُطلق المسجون من سجنه إلا بالحق، أو بالقتال.

ولعلنا نلاحظ هنا أنَّ الشاعر عندما أراد إخراج الاستفهام من معناه الأصيل، وهو طلب الفهم إلى معنى مجازي، وهو النفي لجأ إلى الإفادة من كلِّ الوظائف النحوية، والصرفية المتاحة أمامه، فاستخدام الفعل المبني للمجهول (يُطْلَقُ)، واستخدامه هنا له مغزى ودلالة، فهو لا يعرف كنه الفاعل وحقيقته؛ لذا لم يُشر إليه في البيت، ثمَّ لجأ إلى صيغة اسم المفعول (المسجون)؛ ليدلَّ دلالة أكيدة على وقوع ظلم بين عليه حيثُ سُجن من دون جريرة افتَرعها، وهكذا اسم المفعول فهو دالٌّ على حدث ومُحدث، ثم نأتي إلى متعلقات الفعل (يُطْلَقُ) فترى الشاعر يستخدم الجمع (أصفاده)، فليس صفاً واحداً، وإنَّما هو صنف تلو صنف، وكأنَّ كثرة الأصفاد توحي بأنَّ الخروج من السَّجن من المستحيلات، واستخدم الشاعر هنا جمع القلة (أصفاد) بوزن (أفعال)؛ لأنَّ جمع القلة قد يدلُّ على الكثرة حسب الاستخدام والسياق، ثم ذيل بتقديم الجار والمجرور مع الفعل (بالحق) إحياءً إلى اهتمام بالغ إلى ضرورة توخي الحق في كلِّ شؤون الحياة، ثم جاء الشاعر بالفعل (تُرى) المبني للمجهول متبوعاً بالجار والمجرور (بزناد)، وكأنَّه وإن نفي الخروج من السجن باستخدام (هَلْ) فإنَّ فيه روح التحدي، وعدم الاستسلام، فسيكون الخروج بالقوة.

● وفي قصيدته (بين هياكل عشتار - المشهد الأول-) ^(٢) :

أَتَغُوصُ الشَّمْسُ بِقَاعِ النَّفْطِ ..

لَتَبْحَثَ عَنْ شَجَرِ الْمَحَارِ ؟

والجواب على سؤال الشاعر: أنَّ الشمس لن تغوصَ بقاع النفط، فأفاد الاستفهام النفي .

● وفي قصيدته (مناجاة الدهر) ^(٣) :

وَهَلْ يَا تُرَى تِلْكَ الْعُهُودُ تَزُورُنَا أَمْ الْعُمْرُ يَمْضِي وَانْتَهَيْنَ أَمَانِيَا ؟

(١) السَّابِق نفسه، ص ٢٠ . (الرمل)

(٢) الأعمال الشعرية، ص ٣٤ . (المتدارك)

(٣) السَّابِق نفسه، ص ٥٢ . (الطويل)

تلك العهود لن تزورنا، فالزمن لا يرجع للوراء ، ففرض الاستفهام النفي .

• وفي قصيدته (عودة إبريل)^(١) :

مَنْ يَنْسَى عَيْدًا قَدْ ضَمَّتْ أَرْكَائُهُ بَاقَاتِ الزَّهْرِ؟

لن ينسى أحدٌ ذلك العيد، فالاستفهام للنفي .

• وفي قصيدته (أنشودة الخليج)^(٢) :

خَجَلًا وَلَمَّا يَنْطِقُوا بِشَهَادَةٍ وَتَسَاءَلُوا هَلْ تُعْبَدُ الصَّمَاءُ؟

أي لا يمكن لعاقل أن يعبد حجرا أصم لا يسمع .

(٢) التعجب :

• يقول في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٣) :

وَسَأَلْتُهُ عَنْ قَوْمِهِ ، عَنْ أَرْضِهِ أَوْ فِي الْخَلِيجِ تَبَدَّلَتْ أَشْيَاءُ؟

يتساءل الشاعر متعجباً: هل تغيّرت أشياء في الخليج لا نعلمها ؟

• ويقول في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي)^(٤) :

وَمِمَّ تَخَافُ؟

وَمِمَّ أَخَافُ؟

أَخَافُ الْحَيَاةَ وَبُؤْسَ الْحَيَاةِ وَلَوْنُ الْغَدِ

يسأل طفل العجوز من أي شيء يخاف، فيعجب العجوز من سؤال الطفل، ثم يبدأ يذكر له مصادر

ذلك الخوف .

(٣) التمني مع الاستبطاء :

يقول في قصيدته (فلسطين .. موطن الأديان)^(٥) :

(١) نفسه، ص ٦٥ . (المتدارك)

(٢) الأعمال الشعرية، ص ١١٠ . (الكامل)

(٣) الأعمال الشعرية، ص ١٠٧ . (الكامل)

(٤) السابق نفسه، ص ٢٤٩ . (المتقارب)

(٥) نفسه، ص ٨٣ . (الكامل)

عُدْرًا - فَلَسْطِينَ الْأَبَاةِ - فَإِنِّي ذَاكَ الْعَنِيدُ، فَأَيْنَ يَوْمَ مَعَادِي؟

(٤) التقرير:

• يقول الشاعر مبارك بن سيف في قصيدته (رفقة الصِّبا) ^(١):

يَا سَاكِنِي حَيْنًا قَدْ عَادَ ذِكْرَاهُ أَلَمْ يَزَلْ نُورُهُ يَكْسُو مُحْيَاهُ؟

• ويقول في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي) ^(٢):

أَبِي يَا أَبِي

تَمَهَّلْ

لِمَاذَا لِمَاذَا أَلَسْتَ تَعَبُ؟

يَحِلُّ بِدَارِ أَبِي كُلُّ ضَيْفٍ

(٥) التعظيم :

• يقول في قصيدته (عُشَّاقُ الشَّمْسِ) ^(٣):

إِنَّهُمْ عُشَّاقُ تِلْكَ الشَّمْسِ فِي صَيْفِ الْخَلِيجِ

أَهْ مَا أَذْرَاكَ مَا صَيْفُ الْخَلِيجِ؟

• ويقول في قصيدته (أجراس القدس) ^(٤):

وَهَلْ خُبِّرْتَ - جَلَادِي -

بَأَنِّي مِثْلُ هَذِي الْأَرْضِ؟

وَأَنَّ الْأَرْضَ لَا تَفْنَى

• ويقول في قصيدته (أنشودة وادي النيل) ^(٥):

أَيُّ عَطْرِ يَهْبُ إِنْ هَمَسَ الْليِّ لِّلْزَهْرِ الْفَجْرِ وَالْأَقْحَوَانِ

(١) الأعمال الشعرية، ص ٢٠ . (البيسيط)

(٢) السابق نفسه، ص ٢٤٦ . (من المتقارب)

(٣) الأعمال الشعرية، ص ١٠ . (الرمل)

(٤) السابق نفسه، ص ٣٢ . (الهج)

(٥) نفسه، ص ٢١٦ . (الخفيف)

(٦) التحقير:

• ويقول في قصيدته (لقاء عابر مع حاتم الطائي)^(١) :

تَقُولُ : اَنْشَغَلْنَا

بِمَاذَا اَنْشَغَلْنَا ؟

بِجَمْعِ الْإِتَاوَةِ وَالْإِرْتِشَاءِ ؟

• ويقول في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٢) :

يَا جَانِلًا فِي الشَّرْقِ غَيْرَ مُمَيِّزٍ أَيْنَ الذِّكَاءِ وَقَدْ رَمَاكَ غِبَاءُ ؟

• ويقول في قصيدته السابقة نفسها^(٣) :

(هُرْدَوْتُسُ) إِنَّكَ تَائِهٌ وَمَتَوِّهٌ أَنْتَى لِمَثْلِكَ تَهْتَدِي الْأَسْمَاءُ ؟

(٥) الأمر:

يقول في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٤) :

هَذَا خَلِيْجُكُمْ يَقُولُ مُنَادِيًا يَرْجُو الْوِفَاقَ ، فَهَلْ لَهُ أَصْدَاءُ ؟

(٦) الإنكار: ويُشترط فيه أن يلي المنكر الاستفهام، ويأتي :

أولاً: للتوبيخ على الفعل، نحو قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾^(٥) . وورد في

شعر مبارك بن سيف شاهد على ذلك، وهو قوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي)^(٦) :

مَاذَا جَنَيْتُمْ يَا تَرَى بِدِمَاءِ يَاسِرِ الزُّكْيَةِ ؟

مَاذَا فَعَلْتُمْ سَادَتِي بِدَمِ تَدْفُقِ مِنْ سُمِيَّةِ ؟

(١) الأعمال الشعرية، ص ٢٠٨، ٢٠٩ . (من المتقارب)

(٢) السابق نفسه، ص ١٢٢ . (الكامل)

(٣) نفسه، ص ١٢٢ . (الكامل)

(٤) الأعمال الشعرية، ص ١٦٠ . (الكامل)

(٥) سورة البقرة، آية ٤٣ .

(٦) الأعمال الشعرية، ص ٣٢٢ . (من الكامل)

الثاني: للتكذيب في الماضي بمعنى لم يكن، نحو قوله تعالى: ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا﴾^(١)، أو في المستقبل بمعنى لا يكون، نحو قوله تعالى: ﴿أَنزِلْكُمْ مَوْهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾^(٢). ولم يعثر الباحث على شاهد في شعر مبارك بن سيف يفيد الاستفهام فيه التكذيب .

(٥) التشويق :

• يقول في قصيدته (الليل والصفاف)^(٣) :

أَيْنَ مِنِّي حُلُوْ ذِيَاكَ النَّسِيمَ ؟

يَا نُجَيْمَاتِ الدُّجَى رُدِّي الْجَوَابَا

لِي فَوَادٍ كُلَّمَا طَافَتْ بِهِ الذِّكْرَى أَثَابَا

• ويقول في قصيدته (سفن الغوص البائسة)^(٤) :

يَا تُرَى مَاذَا عَسَاهُمْ يَبْتَغُونَ ؟

يَا تُرَى مَاذَا عَسَاهُمْ يَنْظُرُونَ ؟

• ويقول في قصيدته (ذكريات الطفولة)^(٥) :

وَهَلْ تَذْكُرِينَ نَجُومَ السَّمَرِ ؟

وَالْعَابَتَا فِي لِيَالِي الْقَمَرِ ؟

(٦) التهويل :

• يقول في قصيدته (عُشَّاقُ الشَّمْسِ)^(٦) :

أَتُرَى جَالُوتَ قَدْ أَرَدَتْهُ - أَمْوَاجُ الْخَلِيْجِ - ؟

(١) سورة الإسراء آية ٤٠ .

(٢) سورة هود، آية ٢٨ .

(٣) الأعمال الشعرية، ص ١٨ . (الرملي)

(٤) السابق نفسه، ص ٢٦ . (الرملي)

(٥) الأعمال الشعرية، ص ٧٨ . (من المتقارب)

(٦) السابق نفسه، ص ١٢، ١٣ . (الرملي)

كَيْفَ يَنْقُضُ عَلَى الْمَارِدِ صَخْرُ؟

ثُمَّ يُرْدِيهِ قَتِيلًا؟

• ويقول في قصيدته (الزهر من رسائله)^(١) :

إِنِّي رُمِيتُ فِي الْهَوَى فَهَلْ رُمِيتُ إِذْ رَمَانِي؟

(١) نفسه، ص ٤٣ . (مجزوء الرجز)

الفصل الثاني :

النّفي وأدواته في شعر مبارك بن سيف آل ثاني، ويشمل :

(أ) توطئة، النّفي لغة واصطلاحاً .

(ب) دور النفي في بناء الجملة .

(ج) أدوات النفي في شعر مبارك بن سيف، هي:

أولاً : لا .

ثانياً: ما .

ثالثاً : لم .

رابعاً : ليس .

خامساً : لن .

الفصل الثاني : النّفي وأدواته في شعر مبارك بن سيف آل ثاني، ويشمل :

أولاً : التوطئة، وتشمل :

(١) النّفي لغة واصطلاحاً .

النّفي لغة :

تداولت المعاجم وكتب اللغة^(١) المعنى اللغوي لكلمة (نَفَى)، فذكرت لها معاني متعددة، منها:

- التحية، فنَفَى الشَّيْءَ نَفْياً، نَحَاه .
- التَّساقُط، ومنه نَفَى شَعْرُ الرجل إذا ثَارَ وأشَعَانُ .
- الذَّهاب، يُقال: انتفى الشَّجر من الوادي، وهذه نفاية المتاع ونفيته .
- السَّيْلُ يَنْفِي الغُثَاءَ: يَحْمِلُهُ وَيُدْفَعُهُ .
- سَقَطُ الكلام وفضيحه .
- كل ما رددته، فقد نفيتها .
- نَفَيْتَهُ أَنْفِيهِ نَفْياً إذا أَخْرَجْتَهُ مِنَ الْبَلَدِ وَطَرَدْتَهُ . وهذا هو معنى (يُنْفَوُا) في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾^(٢) .

النّفي اصطلاحاً :

ويرى علي بن محمد الجرجاني ت٨١٦هـ^(٣) أنّ كلمة النفي تُستعمل بمعنى كلمة الجحد التي تعني: ما انجزم بلم لنفي الماضي، وهو الإخبار عن ترك الفعل في الماضي، وهذه صورة من صور الجحد، أو النفي، وهي الدّالة على الزّمن الماضي.

ويعرّف الدكتور مهدي المخزومي النفي على أنّه « أسلوب لغوي تحدده مناسبات القول، وهو أسلوب نقض وإنكار يُستخدم لدفع ما يتردد في ذهن المخاطب»^(٤).

(١) يُنظر: - أساس البلاغة، للزمخشري، (نَفَى) ٩٨٢، ولسان العرب، لابن منظور، (نفي) ٣٣٦/١٥، ٣٣٧، والتعريفات، للجرجاني، ص ٥١، والقاموس المحيط، للفيروزآبادي ت٨١٧هـ، (نَفَى) ٣٩٦/٤ .

(٢) سورة المائدة، آية ٢٣ .

(٣) التعريفات، للجرجاني، ص ٥١ .

(٤) في النحو العربي نقد وتوجيه، لمهدي المخزومي، ص ٢٤٦ .

ويعرّف الدكتور خليل عمارة النفي على أنه «بأبّ من أبواب المعنى يهدف به المتكلم إخراج الحكم في تركيب لغوي مثبت إلى ضده، وتحويل معنى ذهني فيه الإيجاب والقبول إلى حكم يخالفه إلى نقيضه، وذلك بصيغة تحتوي على عنصر يفيد ذلك، أو بصرف ذهن السامع إلى ذلك الحكم عن طريق غير مباشر من المقابلة، أو ذكر الضدّ، أو بتعبير يسود في مجتمع ما فيقترن بصد الإيجاب والإثبات»^(١).

(٢) دور النفي في بناء الجملة .

لا شك أنّ « النّفي من العوارض المهمة التي تعرض لبناء الجملة، فتفيد عدم ثبوت نسبة المسند للمسند إليه في الجملة الفعلية والاسمية على السواء»^(٢). ويتابع الدكتور حماسة حديثه مبيناً علة ذلك؛ لأنّ النفي « يتجه في حقيقته إلى المسند، وأما المسند إليه فلا يُنفى »^(٣).

ويذكر الأستاذ الدكتور حماسة صوراً لدخول النفي على الجملة الاسمية، والجملة الفعلية على النحو الآتي:

أولاً: الجملة الاسمية .

- ١- قد يتصدّر النفي الجملة الاسمية، فيدخل على المبتدأ والخبر معاً.
- ٢- قد يتصدّر الخبر بوصفه المسند؛ وذلك حين يكون الخبر جملة، وتكون الجملة المنفية خبراً عن المبتدأ المثبت، نحو قوله تعالى: «وَاللّٰهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ»^(٤).
- ولم يكن مبارك بن سيف بعيداً عن هذا الاستخدام، فقد وجد الباحث شواهد من شعره على ما تقدّم، وسنعرضها ضمن الأنماط الآتية :

النمط الأول: تصدر النفي للجملة الاسمية. جاء هذا النمط في (اثنتين وثمانين) موضعاً، منها:

- قوله في قصيدته (أغنية الربيع)^(٥) :

لَنْ يَكُونَ الْفِرَاقُ يَا فَجْرُ لَيْلِي لَنْ يَكُونَ الْبَعَادُ سَجْنِي وَأُسْرِي

(١) في التحليل اللغوي، للدكتور خليل عمارة، ص ١٥٤.

(٢) بناء الجملة العربية، للدكتور محمد حماسة، ص ٢٨٠.

(٣) السابق نفسه، ص ٢٨٠.

(٤) سورة البقرة، ٢٥٨، وآل عمران، ٨٦، والتوبة، ١٩، ١٠٩.

(٥) الأعمال الشعرية، ص ٣٠. (الخفيف)

• وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج) ^(١) :

صَاءَتْ - رَسُولَ اللَّهِ - فِيكَ بَيَارِقُ وَالنُّورُ فَجَّرَ لَيْسَ فِيهِ رِيَاءُ

• وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج) ^(٢) :

مَا الدُّرُّ إِلَّا مِنْ خِيَالٍ مُنْعَمٍ صَرَعْتُكُمْ الْأَوْهَامُ وَالْخِيَلَاءُ

• وقوله في قصيدته (أنشودة وادي النيل) ^(٣) :

وَحَدَّ اللَّهُ بَيْنَنَا لَسْتُ أَنَايَ عَنْ ثَرَاهَا وَإِنْ نَأَى الْمَشْرِقَانِ

النمط الثاني: تصدر النفي للخبر الجملة دون المبتدأ.

جاء النفي متصداً جملة الخبر في شعر مبارك بن سيف في (ثمانية عشر) موضعاً، منها:

• قوله في قصيدته (أمجاد رمضان) ^(٤) :

لَا تَأْمَلُوا نَصْرًا بِغَيْرِ هِدَايَةٍ فَالْنَّصْرُ لَا يَهْدِي وَلَا يُسْتَجَلَبُ

• وقوله في قصيدته (فلسطين موطن الأديان) ^(٥) :

بِجَهَادِنَا سَنَعُودُ نَحْمِلُ رَايَةَ فَالْنَّصْرُ لَا يَأْتِي بِغَيْرِ جِهَادٍ

• وقوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي) ^(٦) :

نَحْنُ الْأَمَاجِدُ لَوْ نَادَيْتُ مُنْتَجِعًا لَجَاءَ وَالْمَوْتُ لَا يَدْرِي عَنِ الْخَبَرِ

ثانياً: الجملة الفعلية.

ويتصدر النفي فيها الفعل؛ لأنه هو المسند، وهو مُقَدَّم على الفاعل، نحو قوله تعالى: ﴿لَا

يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ ^(٧).

(١) السابق نفسه، ص ١٢٩ . (الكامل)

(٢) نفسه، ص ١٤٥ . (الكامل)

(٣) الأعمال الشعرية، ص ٢٢٠ . (الخفيف)

(٤) السابق نفسه، ص ٧٤ . (الكامل)

(٥) نفسه، ص ٨٣ . (الكامل)

(٦) الأعمال الشعرية، ص ٢٨٢ . (البسيط)

(٧) سورة النساء، آية ١٤٨ .

وجاء النفي متصدرًا الجملة الفعلية في شعر مبارك بن سيف، وموزعًا على الأنماط الآتية:

النمط الأول: حرف النفي (لَمْ) + الفعل.

جاء هذا النمط في شعر مبارك بن سيف في (أربعة وعشرين) موضعًا، منها:

• قوله في قصيدته (الزهر من رسائله)^(١) :

إِنَّا حَفِظْنَا لِلْهَوَى مَا لَمْ يَصْنَهُ عَاشِقَانِ

• وقوله في قصيدته (عودة إبريل)^(٢) :

يَا لَيْلِي طَالَ الْبُعْدُ وَلَمْ يُشْرِقْ فِي أَرْكَانِكَ فَجَرِي

• وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٣) :

يَا بَحْرُ دَعْ عَنْكَ الْعِتَابَ وَلَوْ مَهْ لَمْ يَنْسَكِ الْأَبَاءُ وَالْأَبْنَاءُ

النمط الثاني: حرف النفي (مَا) + الفعل.

جاء هذا النمط في شعر مبارك بن سيف في (اثنتين وثلاثين) موضعًا، منها:

• قوله في قصيدته (سحر البداوة)^(٤) :

وَمَا شَفَعَنَ وَشَغَرِي طَائِرُ غَرْدٍ يَطْلُبُنْ مِنْ شَاعِرٍ حُرٍّ أَلْمَسَاكِبِ

• وقوله في قصيدته (مناجاة الدهر)^(٥) :

وَبِاللَّهِ إِنِّي مَا بُهَرْتُ لَزِينَةٍ وَلَا غَرْنِي رَغْدٌ مِنَ الْعَيْشِ صَافِيَا

• وقوله في قصيدته (ترنيمة الشواطئ الغافية)^(٦) :

أَمْ عَطِرَ صَحْرَاءَ الرَّبِيعِ وَزَهَرَهَا عَذْرَاءٌ قَدْ وُصِفَتْ فَمَا أَوْفَتْ صَفَاتِ

(١) الأعمال الشعرية، ص ٤٤ . (مجزوء الكامل المرفل)

(٢) السابق نفسه، ص ٦٤ . (المتدارك)

(٣) نفسه، ص ١٤٥ . (الكامل)

(٤) الأعمال الشعرية، ص ٤٥ . (البسيط)

(٥) السابق نفسه، ص ٥٣ . (الطويل)

(٦) نفسه، ص ٢٢٨ . (الكامل)

النمط الثالث: حرف النفي (مَا) + الجملة الاسمية.

جاءت (ما) النافية داخلة على الجملة الاسمية في شعر مبارك بن سيف في (ثلاثين) موضعاً، منها:

• قوله في قصيدته (مناجاة الدهر)^(١):

فَوَاللَّهِ مَا أَنْتَ الْمُجِيبُ وَلَا الَّذِي يَرُدُّ قَضَاءَ إِنَّهُ الْعُمَرُ جَارِيَا

• وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٢):

كَمْ - يَا خَلِيجُ - سَمِعْتَ مِنْ قِصَصِ الْهُوَى هَمْسُ الْأَحَبَّةِ مَا لَهُ إِخْفَاءُ

• وقوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي)^(٣):

أَعْوَانُهُ زَادُوهُ تَعْدَادًا وَعَدَّةً

مَا تِلْكَ إِلَّا الْهَالِكَةُ

النمط الرابع: حرف النفي (لَنْ)^(*) + الفعل.

النمط الخامس: حرف النفي (لَا) + الفعل.

جاء هذا النمط في شعر مبارك بن سيف في (ستة وستين) موضعاً، منها:

• قوله في قصيدته (بحر الزمرد)^(٤):

لَا تَعْرِفُ الْغَدْرَ الدِّفِينَ وَأَنْمَا هِيَ صَفْحَةٌ مَنْظُورَةٌ لَا تُنْكَرُ

• وقوله في قصيدته (مناجاة الدهر)^(٥):

سَأَلْتُ الثَّرِيَّا وَالسُّهَيْلَ وَلَمْ أَزَلْ وَيَأْتِي جَوَابُ لَا يَرُدُّ سُؤَالِيَا

(١) الأعمال الشعرية، ص ٥٣ . (الطويل)

(٢) السابق نفسه، ص ١٠٠ . (الكامل)

(٣) نفسه، ص ٢٦٦ . (من الكامل)

(*) سيأتي الحديث مفصلاً حول (لَنْ) في هذا البحث .

(٤) الأعمال الشعرية، ص ٤٧ . (الكامل)

(٥) السابق نفسه، ص ٥٤ . (الطويل)

• وقوله في قصيدته (أمجاد رمضان)^(١):

فِيهِ السَّمَاحَةُ وَالنَّجَاةُ هَدِيَّةٌ لِلْمُسْلِمِينَ مَعِينَهَا لَا يَنْضَبُ

• وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٢):

وَلَنَا قُلُوبٌ لَا تُرَاعُ لِعَاصِبٍ وَلَنَا دَمٌ قَدْ أَرْخَصَتْهُ دِمَاءُ

ثانيًا: أدوات النفي في شعر مبارك بن سيف .

جاء توظيف مبارك بن سيف آل ثاني لأدوات النفي في شعره بنسب متفاوتة. وفيما يأتي عرض لتلك الأدوات:

(١) لا .

أشار سيبويه^(٣)، وغيره من النحاة إلى أنّ (لا) النافية تنفي الجملة الاسمية نفيًا عامًا، وأمّا نفيها للجملة الفعلية فيكون لنفي الفعل المستقبل، وذكر أحمد بن فارس^(٤) أنّ (لا) لنفي المستقبل، ولنفي الحال.

وتحدّث الزمخشري ت٥٣٨هـ عن النفي بـ (لا) ، فذكر أنّها لنفي المستقبل، نحو: لا يفعل، ولنفي الأمر، كما بيّن أنّ (لا) تقيد الدُّعاء إذا وليها فعل ماضٍ^(٥) .

وكرّر القرطبي ت٦٧١هـ^(٦) ما ذكره الزمخشري سابقاً من أنّ (لا) النافية الداخلة على الفعل الماضي إذا لم تتكرر فإنّها تقيد الدُّعاء .

فكيف جاء الفعل الماضي بعد (لا) النافية في شعر مبارك بن سيف ؟

أولاً: بلغ مجموع الشواهد التي جاءت فيها (لا) النافية متلوة بالفعل الماضي (ستة) شواهد .

ثانيًا: لم تتكرر (لا) النافية المتلوة بفعل ماضٍ .

ثالثًا: جاء الفعل الماضي مفيدًا لمعنى الدُّعاء في المواضع الآتية:

(١) نفسه، ص٧٣ . (الكامل)

(٢) الأعمال الشعريّة، ص١٦٦ . (الكامل)

(٣) الكتاب، لسيبويه، ١١٧/٣، ويُنظر: شرح المفصل، لابن يعيش، ١٠٨/٨ .

(٤) يُنظر: الصّاحبي في فقه اللغة، ص٣٠٩ .

(٥) يُنظر: المفصل في صناعة الإعراب، للزمخشري، ص٤٠٦ .

(٦) يُنظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٦٦/٢٠ .

• قوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(١) :

(سَابُورُ) لَا سَلَمْتَ يَدَاكَ فَإِنَّهَا غَدْرٌ وَمَوْتُ مَا بِهِ إِطْرَاءُ

• وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٢) :

مَا كُنْتُ يَوْمًا لِلْغَرِيبِ مَنَازِلًا أَبَدًا (*) وَلَا حَطَّتْ بِكَ النُّزُلَاءُ

• وقوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي)^(٣) :

أُصِمْتُ .. فَلَا حَمَلَتْ

عَيْنَايَ مِنْ ضَعْفِي .. فَلَا تُسَهِّبْ

• وقوله في مسرحيته الشعرية السابقة^(٤) :

لَا ضَاقَ بِالْصَدْرِ رَجَاءُ

يَا بَاعِثًا فِي الْقَلْبِ أَلْوَانَ الضِّيَاءِ

رابعاً: جاء الفعل الماضي غير مكرر بعد (لا) النافية، وغير مفيد للدعاء في المواضع الآتية:

• قوله في قصيدته (مناجاة الدهر)^(٥) :

وَبِاللَّهِ إِنِّي مَا بُهَرْتُ لَزِينَةٍ وَلَا غَرْنِي رَغْدٌ مِنَ الْعَيْشِ صَافِيَا

• وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٦) :

لَوْلَاكَ يَا بَحْرُ- لَمَا شَقِيتَ بِهِ رُوحٌ وَلَا سَمِعَتْ لَهَا أَصْدَاءُ

وذكر النحاة أنَّ (لا) تأتي على أوجه متعددة (*) (*): منها:

(١) الأعمال الشعرية، ص ١٢٥ . (الكامل)

(٢) السابق نفسه، ص ١٥٤ . (الكامل)

(*) تُستخدم (أبداً) مع الفعل المضارع، لكن الشاعر استخدمها هنا مع الفعل الماضي؛ وذلك لتأكيد النفي .

(٣) الأعمال الشعرية، ص ٢٧٢ . (من الكامل)

(٤) السابق نفسه، ص ٣٠٥ . (الرجز)

(٥) نفسه، ص ٥٣ . (الطويل)

(٦) الأعمال الشعرية، ص ١٥٠ . (الكامل)

(*) (*) سنكتفي بذكر أحوال (لا) التي وردت في شعر مبارك بن سيف .

أولاً: تأتي (لا) مُلحقة بأن وعاملة عملها، وهي (لا) النافية للجنس. نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾^(١). وعلل المرادي ت ٧٤٩هـ سبب عمل لا النافية للجنس عمل إن؛ «لمشابهتها لها، في التوكيد. فإن (لا) لتوكيد النفي، وإن لتوكيد الإثبات»^(٢).

وفصّلنا الحديث عنها في موضع سابق من هذا البحث، من حيث شروط عملها، وذكرنا شواهد عليها من شعر مبارك بن سيف.

ثانياً: قد تأتي حرف عطف، نحو: اقرأ الكتاب لا المجلة.

جاءت (لا) النافية عاطفة في شعر مبارك بن سيف في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٣):

فَسَعَوْا لِهَدْيٍ لَا لِحُكْمٍ مَمَالِكٍ فَهُمْ إِذَا ذُكِرُوا هُمُ الرُّحَمَاءُ

لا: حرف عطف يفيد النفي. لِحُكْمٍ: جار ومجرور، و(شبه الجملة من الجار والمجرور) معطوف على شبه الجملة (لِهَدْيٍ).

ثالثاً: قد تأتي زائدة؛ وذلك إذا اعترضت بين الخافض والمخفوض. نحو: جئت بلا زاد. وغضبت من لا شيء^(٤).

وجاءت (لا) النافية زائدة لدخول حرف الجر عليها في شعر مبارك بن سيف في (سنة) مواضع، منها:

• قوله في قصيدة (نوّارة)^(٥):

إِنِّي أَحْبَبْتُكَ يَا عِطْرَا

أَزْكَى مِنْ أَوْرَاقِ الْحِنَاءِ

إِنِّي أَبْحَرْتُ بِلَا رُؤْيَا

• وقوله في قصيدة (أنشودة الخليج)^(٦):

أَنْ يَعْْبُدُوا الدُّنْيَا بِلَا مَعْبُودِهَا سَلَبَتْ عُقُولَ بَنِيكُمْ الْحَسَنَاءُ

(١) سورة يوسف، آية ٩٢.

(٢) الجنى الداني، للمرادي، ص ٢٩١.

(٣) الأعمال الشعرية، ص ١٣٠. (الكامل)

(٤) يُنظر: مغني اللبيب، لابن هشام، ص ٣٢٣.

(٥) الأعمال الشعرية، ص ٥٦. (المتدارك)

(٦) السابق نفسه، ص ١٣١. (الكامل)

• وقوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي)^(١) :

مَنْ يَشْتَرِي هَذَا الرَّقِيقَ فَلَيْسَ يَعْرِفُهُ الْوَهْنُ؟

هَذِي السَّلَالُ مَعَ الزَّبِيبِ مَعَ الْخُمُورِ بِلَا رَهْنٍ

• وقوله في مسرحيته الشعرية السابقة^(٢) :

بِإِلَهِ أَنْتَ صَادِقٌ مَا لُ بِلَا أَذْنَى سُؤَالٍ

يلاحظ أنَّ (لا) النافية جاءت في الأمثلة السابقة جميعها مسبوقة بحرف جر؛ لذلك كانت مهمة وغير مؤثرة فيما بعدها .

سابعاً : تكرار (لا) لتأكيد النفي .

يقول السيرافي ت ٣٦٨هـ^(٣) نقلاً عن سيبويه: إذا تكررت (لا) النافية، فإنها تفيد تأكيد النفي، نحو: لا رجل ولا امرأة يا فتى .

فالحرف لا يدخل على حرف، وهكذا فحرف العطف (الواو) لا يدخل على (لا) النافية، يقول ابن السراج ت ٣١٦هـ: «واعلم: أنَّ حروف العطف لا يدخل بعضها على بعض فإن وجدت ذلك في كلام فقد أخرج أحدهما من حروف النسق، وذلك مثل قولهم: لَمْ يَقُمْ عَمَرُو وَلَا زَيْدٌ. الواو نسقٌ و(لا) تأكيد للنفي»^(٤) .

وجاء تكرار (لا) مع حرف النسق لتأكيد النفي في شعر مبارك بن سيف في (اثني عشر) شاهداً، منها:

• قوله في قصيدته (أجراس القدس)^(٥) :

وَلَا وَشَمُ الْجُرُوحِ الْحُمَرِ ...

يُرْهَبُنِي

وَلَا سَحْلِي وَلَا قَتْلِي

وَلَا تَقْلِيْعُ أَظْفَارِي سَيُؤَلِّمُنِي

(١) نفسه، ص ٢٦٠ . (مجزوء الكامل)

(٢) الأعمال الشعرية، ص ٢٩٣ . (من الرجز)

(٣) شرح أبيات سيبويه، ٨/٢ .

(٤) الأصول في النحو، لابن السراج، ٥٩/٢ .

(٥) الأعمال الشعرية، ص ٣٢ . (الوافر)

• وقوله في قصيدته (أمجاد رمضان) ^(١) :

لَا تَأْمَلُوا نَصْرًا بِغَيْرِ هِدَايَةٍ فَالتَّصْرُ لَا يُهْدَى وَلَا يُسْتَجْلَبُ

• وقوله في قصيدته (مذكرات شاعر من العالم الثالث - البعد الرابع - ٢) ^(٢) :

لَا ضَلَالٌ لَهُمْ إِنْ هُمُ سَارُوا

لَا خُطَى ..

كَلَّا وَلَا تَعْرِفُ أَيُّ مِنْهُمْ التَّكَلَى وَلَا أَيُّ يَتَامَى

(٢) ما .

ذكر المبرد ت ٢٨٥هـ ^(٣) أن (ما) النافية قد تكون عاملة عمل (ليس) على رأي الحجازيين، وغير عاملة على رأي التميميين. ويُعلّل السُّهيلي ت ٥٨١هـ ^(٤) إعمال الحجازيين لـ (ما) عمل ليس بتشبه (ما) في الجملة، فإدخال حرف زائد في الجملة يُنبّه السامع عليه، فيقوم ذلك الحرف مقام العمل، نحو قولك: وَمَا زَيْدٌ بِقَائِمٍ . فإذا سمع المخاطب « ما » وهي لا تدخل في الوجوب، تأكد عنده ذكر النفي .

وفصل النحاة ^(٥) القول في شروط إعمال (ما) النافية عمل ليس، أو إهمالها - على رأي الحجازيين والتميميين - .

وذكر ابن عقيل ت ٧٦٩هـ ستة شروط لإعمال (ما) عمل ليس، نلخصها فيما يأتي ^(٦) :

الأول: ألا يزداد بعدها إن. فإن زيدت بطل عملها، نحو: ما إن زيد قائم. برفع قائم .

ولم يرد شاهد على هذا النمط في شعر مبارك بن سيف .

(١) السابق نفسه، ص ٧٤ . (الكامل)

(٢) نفسه، ص ١٩٤ . (الرمل)

(٣) المقتضب، ١٨٨/٤ .

(٤) نتائج الفكر في النحو للسُّهيلي، ص ٦٠ .

(٥) منهم: الحريري البصري، ملحة الإعراب، ص ٥٣، وأبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، ١/١٣٤، ١٣٥، وأبو البقاء العكبري، إعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث النبوي، ص ١١١، وابن هشام، شرح قطر الندى، ص ١٤٢ - ١٤٤ .

(٦) يُنظر: شرح ابن عقيل، ١/٣٠٢ - ٣٠٧ .

الثاني: ألا ينتقض النفي بالآ- نحو: مَا زَيْدٌ إِلَّا قَائِمٌ. فلا يجوز نصب قائم، كقوله: ﴿وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾^(١) خلافاً لمن أجازوه.

وجاء النفي منتقِضاً بالآ في شعر مبارك بن سيف، في المواضع الآتية:

• في قوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٢):

مَا الدُّرُّ إِلَّا مِنْ خِيَالٍ مُنْعَمٍ صَرَعْتُكُمْ الْأَوْهَامَ وَالْخِيَالَءَ

• وقوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي)^(٣):

أَهْنَاكَ يَوْمُ الْبَعْثِ أَوْ يَوْمُ الْإِيَابِ؟

أَعْوَانُهُ زَادُوهُ تَعْدَادًا وَعُدَّةً

مَا تِلْكَ إِلَّا الْهَالِكَةُ

• وقوله في مسرحيته الشعرية السابقة^(٤):

حَقًّا أَبَا لَهَبٍ لَنَا لُبٌّ أَصَمُّ

مَا كُنْتُ إِلَّا زَارِيًا أَوْ هَازِئًا مِنْ ابْنِ كِبْشَةَ ..

إِنْ تَعَبَدَ فِي الْحَرَمِ

• وقوله في مسرحيته الشعرية نفسها^(٥):

أَصُمْتُ فَمَا أَنْتَ إِلَّا مَرَاتُهُ فِي الصَّغَائِرِ

الثالث: ألا يتقدم خبرها على اسمها وهو غير ظرف ولا جار ومجرور.

يرى سيبويه^(٦) أنه لا يجوز إعمال ما عمل ليس مع تقدُّم خبرها على اسمها، وهو غير جار ولا

مجرور.

(١) سورة الأحقاف، آية ٩.

(٢) الأعمال الشعرية، ص ١٤٥. (الكامل)

(٣) السابق نفسه، ص ٢٦٦. (من الكامل)

(٤) الأعمال الشعرية، ص ٢٥٥. (من الكامل)

(٥) السابق نفسه، ص ٣١٥. (المجتث)

(٦) الكتاب، ١/ ٥٩.

وتقدّم خبر لا على اسمها، وهو جار ومجرور في شعر مبارك بن سيف في (أحد عشر) موضعاً، منها:

• قوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(١) :

كَمْ - يَا خَلِيجُ - سَمِعْتَ مِنْ قِصَصِ الْهُوَى هَمْسُ الْأَحِبَّةِ مَا لَهُ إِخْفَاءُ

وقد تُخرّج على وجهين:

مَا: - ما نافية عاملة عمل ليس. / - نافية غير عاملة .

لَهُ: - جار ومجرور متعلق بمحذوف في محل نصب خبر (ما) مقدّم/ في محل رفع خبر مقدّم.

إِخْفَاءُ: - اسم (ما) مؤخر مرفوع. / - خبر المبتدأ مرفوع .

• وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٢) :

وَعَلَى شَوَاطِئِكَ الرَّحَابُ كَمْ ارْتَوَتْ جَنَاتُ شَعْرٍ مَا لَهَا أَنْدَاءُ

مَا: - ما نافية عاملة عمل ليس. / - نافية غير عاملة .

لَهَا: - جار ومجرور متعلق بمحذوف في محل نصب خبر (ما) مقدّم./ في محل رفع خبر مقدّم.

أَنْدَاءُ: - اسم (ما) مؤخر مرفوع. / - خبر المبتدأ مرفوع .

• وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٣) :

هَآ أَنْتَ بَاقٍ وَالزَّمَانُ وَعَهْدُهُ وَالْدَّهْرُ يُجْرِي مَا لَهُ إِرْسَاءُ

مَا: - ما نافية عاملة عمل ليس. / - نافية غير عاملة .

لَهَا: - جار ومجرور متعلق بمحذوف في محل نصب خبر (ما) مقدّم./ في محل رفع خبر مقدّم.

إِرْسَاءُ: - اسم (ما) مؤخر مرفوع. / - خبر المبتدأ مرفوع .

الرابع: ألا يتقدم معمول الخبر على الاسم وهو غير ظرف ولا جار ومجرور؛ فإنّ تقدّم بطلَ عملها، نحو: مَا طَعَامُكَ زَيْدٌ أَكَلْ. فلا يجوز نصب أَكَلْ. ومَنْ أَجَازَ بقاء العمل مع تقدم الخبر يجيز بقاء العمل مع تقدم المعمول. ولم يرد أي شاهد في شعر مبارك بن سيف على هذا النمط.

(١) الأعمال الشعرية، ص ١٠٠. (الكامل)

(٢) السابق نفسه، ص ١٢٧. (الكامل)

(٣) نفسه، ص ١٥٢. (الكامل)

الشرط الخامس: ألا يُبدل من خبرها موجب؛ فإنَّ أبْدَلَ بَطَلَ عملُها، نحو: مَا زَيْدٌ بِشَيْءٍ إِلَّا شَيْءٌ لَا يُعْبَأُ بِهِ. فبشيء: في موضع رفع خبر عن المبتدأ الذي هو زيد ولا يجوز أن يكون في موضع نصب خبراً عن ما وأجازه قوم ..

وجاءت (ما) النافية عاملة عمل ليس في شعر مبارك بن سيف في قوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي)^(١) :

أَبُو طَالِبٍ قَدْ غَوَى قَوْمُهُ

وَحَزَبُهُمْ حَوْلَ ذَاكَ الْغُرُورِ

وَمَا حِيلَةٌ فِي يَدَيْنَا لَهُ

مَا : نافية عاملة عمل ليس .

حِيلَةٌ : اسم (ما) مرفوع .

فِي يَدَيْنَا : الجار والمجرور متعلق بمحذوف في محل نصب خبر (ما) .

وهناك شواهد أخرى في شعر مبارك بن سيف. دخلت فيها (ما) النافية على الجملة الاسمية، وكانت تميمية غير عاملة، وهي:

• قوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٢) :

مَا صُورَةُ الْإِنْسَانِ تُرْفَعُ عِنْدَهُ بَلْ تُرْفَعُ الْأَعْمَالُ وَالْأَسْمَاءُ

• وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٣) :

انْظُرْ فَذَاكَ الْغَرُفِ فِي شَمْسِ الضُّحَى مَا تِلْكَ فِي شَمْسِ الْخَلِيجِ إِيَاءُ^(*)

• قوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٤) :

إِيرَانُ مَا أَنْتِ الْعَدُوُّ وَإِنَّمَا بَيْنَ الْجَوَارِ مَحَبَّةٌ وَإِخَاءُ

دخول (ما) النافية على الجملة الفعلية .

(١) الأعمال الشعرية، ص ٢٩٩، ٣٠٠ . (المتقارب)

(٢) السابق نفسه، ص ١٤٦ . (الكامل)

(٣) السابق نفسه، ص ١٤٦ . (الكامل)

(*) الحُسْنُ والجمال. وفي اللغة: وإياء الشمس: ضوءها وشُعاعُها، وإياء النبات: حُسْنُهُ وَزَهْرُهُ، والجمع: إياء. يُنظر: الأعمال

الشعرية، هامش ٢، ص ١٤٦ .

(٤) الأعمال الشعرية، ص ١٦٣ . (الكامل)

مرّ بنا أنّ (ما) النافية دخلت على الجملة الفعلية في شعر مبارك بن سيف في (اثنتين وثلاثين) موضعاً. وجاءت الجملة الفعلية بعد (ما) النافية وفق الأنماط الآتية :

النمط الأول: ما النافية يليها الفعل الماضي. جاء هذا النمط في شعر مبارك بن سيف في (واحد وعشرين) موضعاً، منها:

• قوله في قصيدته (الزهر من رسائل) ^(١) :

الزَّهْرُ مِنْ رَسَائِلِي مَا يَثُهَا غَيْرُ الْجَنَانِ

• وقوله في قصيدته (سحر البداوة) ^(٢) :

لَوْرُمْتُهُنَّ بِأَبْيَاتِ مُصَوَّرَةٍ وَقُلْتُ: شِعْرِي مَرْوِيًّا بِتَشْبِيبِ
لَمَّا بَلَغْتُ مَنَا لَا كُنْتُ أَطْلُبُهُ وَمَا بَلَغْتُ بِهَا يَا صَاحِ مَطْلُوبِي

• وقوله في قصيدته (ترنيمه الشواطئ الغافية) ^(٣) :

أَمْ عَطِرِ صَحْرَاءِ الرَّبِيعِ وَزَهْرَهَا عَذْرَاءَ قَدْ وَصَفَتْ فِيمَا أَوْفَتْ صِفَاتِ؟

النمط الثاني: ما النافية يليها الفعل المضارع .

لم يرد هذا النمط في شعر مبارك بن سيف إلا في (ثلاثة) مواضع، هي:

• قوله في قصيدته (مناجاة الدهر) ^(٤) :

يَقُولُونَ صَبْرًا إِنَّمَا الدَّهْرُ مُنْصَفٌ صَبَرْتُ وَمَا أَدْرِي أَحْزَتُ الْمَرَامِيَا؟

• وقوله في قصيدته السابقة نفسها ^(٥) :

فَإِنَّا كَلَيْنَا خَيْبَ الدَّهْرِ ظَنُّهُ نَعِيشُ وَمَا نَدْرِي الْحَيَاةَ وَمَا هِيَ

• قوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي) ^(٦) :

خَابَ مِيزَانُكُمْ فَمَا يُوزَنُ الْقَشُّ بِالْوَبْرِ

(١) السابق نفسه، ص ٤٣ . (مجزوء الرجز)

(٢) نفسه، ص ٤٥، ٤٦ . (البيسيط)

(٣) الأعمال الشعرية، ص ٢٢٨ . (الكامل)

(٤) السابق نفسه، ص ٥٣ . (الطويل)

(٥) نفسه، ص ٥٤ . (الطويل)

(٦) الأعمال الشعرية، ص ٢٧٧ . (مجزوء الخفيف)

(٣) لَمْ .

بيّن الخليل بن أحمد الفراهيدي ت ١٧٠هـ^(١) في كتابه: (الجُمَل في النحو) أخوات (لم) التي تشترك معها في جزم الفعل المضارع، كما تطرّق لعلامات الجزم بنوعيتها: الحركات والحروف .

وأكد كلٌّ من سيبويه ت ١٨٠هـ^(٢)، والمبرد ت ٢٨٥هـ^(٣) على مجيء (لَمْ) كحرف جزم يجزم الفعل المضارع . وقال أبو القاسم الزجاجي ت ٣٤٠هـ عن (لم): «لم لنفي المَاضِي بِالْمَعْنَى كَقَوْلِكَ لم يخرج زيد»^(٤). والزجاجي يشير هنا إلى أنّ (لم) تدخل على الفعل المضارع؛ فتقلب زمانه للماضي، نحو: لم ينجح. ويبدو أنّ الزجاجي قد استخدم اللفظ على أصله، فقد بيّن ابن الورّاق ت ٣٨١هـ^(٥) أنّ الأصل في (لم) أنّ تدخل على الفعل الماضي .

وبيّن ابن هشام ت ٧٦١هـ أنّ (لم) «حرف يُنْفِي المُضَارِعَ وَيَقْلِبُهُ مَاضِيًا، كَقَوْلِكَ: لَمْ يَقَمْ. وَلَمْ يَقْعُدْ. وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾»^(٦) .

مرّ بنا أنّ (لَمْ) وردت في شعر مبارك بن سيف آل ثاني في (أربعة وعشرين) موضعاً وتوزعت على الأنماط الآتية:

النمط الأول: (لم) يليها الفعل المضارع الصحيح الآخر.

ورد هذا النمط في (أربعة وعشرين) موضعاً، منها:

• قوله في قصيدته (الليل والضفاف)^(٧) :

لَمْ يَعُدْ لِي يَا فُؤَادِي

غَيْرَ ذِكْرَاهَا مَتَابَا

• وقوله في قصيدته (الزّهر من رسائلي)^(٨) :

عَيْنَايَ مِرْسَالُ الْهَوَى إِنَّ لَمْ يُطَاوَعَنِي لِسَانِي

(١) ينظر: ص ٢٢٢ .

(٢) يُنظر: الكتاب، ٨/٣ .

(٣) يُنظر: المقتضب، للمبرد، ٤٤/٢ .

(٤) حروف المعاني والصفات، للزجاجي، ص ٨ .

(٥) علل النحو، لابن الورّاق، ص ٢٠٠ .

(٦) شرح قطر الندى، لابن هشام، ص ٨٤ . سورة الإخلاص، آية ٣ .

(٧) الأعمال الشعرية، ص ١٨ . (مجزوء الرمل)

(٨) السّابق نفسه، ص ٤٣ . (مجزوء الكامل)

• وقوله في قصيدته (عودة إبريل)^(١) :

يَا لَيْلِي طَالَ الْبُعْدُ وَلَمْ يُشْرِقْ فِي أَرْكَانِكَ فَجَرِي

النمط الثاني: (لم) يليها الفعل المضارع المعتل الآخر.

ورد هذا النمط في (سبعة) مواضع، منها:

• قوله في قصيدته (عُشَّاقُ الشَّمْسِ)^(٢) :

لَمْ يَرِ الْمَاءَ وَلَا النُّورَ بِجَنْبَيْهِ ..

• وقوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٣) :

لَمْ يَنْسِكَ الْعُلَمَاءُ فِي يَوْمٍ فَهَلْ يَنْسَى الْوَرِيدَ الدَّافِقَ الْعُلَمَاءُ

• وقوله في قصيدته السابقة نفسها^(٤) :

يَا بَحْرُ دَعْ عَنْكَ الْغُتَابَ وَلَوْمَهُ لَمْ يَنْسِكَ الْأَبَاءَ وَالْأَبْنَاءُ

النمط الثالث: (لم) يليها فعل من الأفعال الخمسة .

ورد هذا النمط في موضع، هو: قوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٥) :

لَمْ يَبْخُلُوا بِالْخَيْرِ لَمْ تُبْطِرْهُمْ نَعَمُ الْحَيَاةُ وَمِثْلُهَا إِغْوَاءُ

النمط الرابع: (لم) ، وقد دخلت على فعل ناسخ .

جاءت هذه الصورة في موضعين، هما:

الأولى: لم + فعل ناسخ .

• قوله في قصيدته (مناجاة الدهر)^(٦) :

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ صَاحِبِ الْعَرْشِ مَنَحَةً لَمَا سَمِعْتَ نَفْسِي الْغَدَاةَ جَوَابًا

(١) نفسه، ص ٦٤ . (المتدارك)

(٢) الأعمال الشعرية، ص ١٤ . (الرملة)

(٣) السابق نفسه، ص ١٢٣ . (الكامل)

(٤) نفسه، ص ١٤٥ . (الكامل)

(٥) الأعمال الشعرية، ص ١٥٩ . (الكامل)

(٦) السابق نفسه ، ص ٥٤ . (الطويل)

• وقوله في قصيدته (ذكريات الطفولة)^(١) :

وَلَمْ نَكْ نَعْلَمْ مَعْنَى الشَّقَاءِ

الثانية : الفعل الناسخ المتصل أصلاً بحرف النفي (لم) .

جاء هذا النمط في (سبعة) مواضع، منها:

• قوله في قصيدته (سفن الغوص البائسة)^(٢) :

وَهِيَ لَمْ تَبْرَحْ مَعَ الْيَامَالِ ..

• وقوله في قصيدته (بحر الزمرد)^(٣) :

وَالْحَالِمَاتُ عَلَى الْأَسْرِ لَمْ تَزَلْ خَفَقَاتُهُنَّ تَشْفُ عَنْكَ وَتَسْتُرُ

• قوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٤) :

حَكَمُوا عُهْودًا لَمْ يَدُمْ فِي عَهْدِهِمْ نَهَجُ الْخِلَافَةِ فَالرُّؤَى حَمَقَاءُ

النمط الخامس : (لم)، وقد دخلت عليها همزة الاستفهام .

ورد هذا النمط في موضعين، هما:

• قوله في قصيدته (رفقة الصبا)^(٥) :

يَا سَاكِنِي حَيْنًا قَدْ عَادَ ذِكْرَاهُ أَلَمْ يَزَلْ نُورُهُ يَكْسُو مُحِيَّاهُ ؟

أَلَمْ تَزَلْ تَعْبُرُ الْأَيَّامَ لَاهِيَةً وَتَرْقُبُ الشَّمْسَ تَسْمُو فِي ثَنَائِيهِ ؟

الشاعر مبارك بن سيف يتبع النحاة في هذا النهج التركيبي، فمن النحاة مَنْ أشار إلى أنّ دخول همزة الاستفهام على (لم) يجعل الاستفهام مفيداً للتقرير، فقد بين ابن الصائغ ت ٧٢٠هـ أنه بسبب دخول همزة الاستفهام على (لم) أفاد الاستفهام التقرير، يقول: «وَأَمَّا (أَلَمْ) فهي (لَمْ) زيدت عليها

(١) نفسه ، ص ٨١ . (من المتقارب)

(٢) الأعمال الشعرية ، ص ٢٣ . (الرمز)

(٣) الأعمال الشعرية، ص ٤٧ . (الكامل)

(٤) السابق نفسه، ص ١٤١ . (الكامل)

(٥) نفسه، ص ٢٠ . (البيسط)

همزة الاستفهام؛ فلما رُكِبَ النَّفْيُ مع الاستفهام أفاد تقريراً؛ كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾^(١)،
ويصير الفعل الذي يدخلان عليه في معنى الماضي^(٢).

وذكر خالد الأزهرى ت ٩٠٥هـ أنه قد « تلحق لم ولما همزة الاستفهام، فيتقرر الكلام معهما،
نحو: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾^(٣). فدخل همزة الاستفهام على (لم) جعلت الاستفهام مفيداً للتقرير.

النمط السادس: (لم)، وقد سُبقت بهمزة الاستفهام، وحرف العطف .

ورد هذا النمط في موضع، هو: قوله في قصيدته (مذكرات شاعر من العالم الثالث - ٢ -)^(٤):

أَوَلَمْ أُوصِكَ ؟ ...

أَوَلَمْ أُوصِكَ ؟

لم يكن مبارك بن سيف مبتدعاً لهذا النمط من التركيب، بل كان مُقلِّداً للتركيب العربي، فقد
ناقش النحاة مسألة دخول همزة الاستفهام على (لم)، متبوعة بحرف العطف، إذ بين ابن الوراق
ت ٣٨١هـ أنه قد تدخل همزة الاستفهام، وحرف العطف على (لم)، فقال: «... وَأَمَّا قَوْلُنَا فِي الْكِتَابِ:
(أَفَلَمْ وَأَفَلَمَا) ، فَالْأَصْلُ (لَمْ) ، تَدْخُلُ عَلَيْهَا فَاءُ الْعُطْفِ، وَوَاوُ الْعُطْفِ، وَأَلْفُ الْإِسْتِفْهَامِ، وَالْجَزْمُ إِنَّمَا
هُوَ بِ (لَمْ) إِذْ كَانَ مَا دَخَلَ عَلَيْهَا لَا تَأْثِيرَ لَهُ»^(٥).

وعَلَّ ابن الصائغ سبب دخول حرفي العطف، على (لم)، وتأخرهما عن حرف الاستفهام، فقال: «
الواوُ والفاء اللّاحقان لها بعد الهمزة للعطف، وتأخرا عن الهمزة لوجهين:

أحدهما: أنّ لها صدر الكلام دونهما؛ لأنّ الاعتماد عليها .

والثاني: أنّ الواو والفاء مع (لَمْ) كلفظ واحد لشدة اتّصالهما بها؛ وكأنّ الهمزة أَحْدَثَتْ التّقرير
والتّوبيخ بعد حُصول العطف في الكلام»^(٦).

(١) سورة الانشراح، آية ١ .

(٢) علل النحو، لابن الوراق ٨٥٣/٢ .

(٣) شرح الأزهرية، للوقاد، ص ٤٨. سورة الانشراح، آية ١ .

(٤) الأعمال الشعريّة، ص ١٨٣ . (من المتدارك)

(٥) علل النحو، لابن الوراق ت ٣٨١هـ، ص ١٩٩ .

(٦) اللّمة في شرح الملحّة، لابن الصائغ، ٨٥٩/٢ .

(٤) لَيْسَ .

ذكر أبو قاسم الزجاجي ت٣٤٠هـ^(١) أَنَّ (لَيْسَ) لنفي الحال والاستقبال. وقال بهذا أيضاً ابن الوراق ت٢٨١هـ^(٢)، وابن عقيل ت٧٦٩هـ^(٣) .

واختلف النحاة في (لَيْسَ) بين الحرفية والفعلية؛ فمن قائل إنها حرف، إلى آخر يرى: أنها فعل. ونسب جماعة من النحويين^(٤) إلى أن ابن السراج ت٣١٦هـ ذهب في أحد قوليه إلى أنها حرف. ويرى الباحث أن ابن السراج قال بفعلية (ليس)، فقال: « فأما (ليس) فالدليل على أنها فعل، وإن كانت لا تتصرف تصرف الفعل قولك: لست، كما تقول: ضربت، ولستما، كضربتما... »^(٥). ويقول: في موضع آخر: «.. الخامس: الأفعال التي لا تتصرف، لا يجوز أن يقدم عليها شيء مما عملت فيه، نحو: نعم، بئس، وفعل التعجب، و(ليس) تجري عندي ذلك المجرى »^(٦). ومن هنا يستغرب الباحث ما نسبته الزجاجي لابن السراج بقوله بحرفية (ليس) لا بفعليتها؛ لأنها « لا تتصرف، أي: لا يأتي منها المضارع والأمر، ومثلاً: عسى. بينما كان جمهور البصريين يذهب إلى أن ليس فعل ناقص لاتصالها بالضمائر مثل: لست، ولستما وليسوا، ولسن »^(٧).

ويرى ابن الوراق ت٣٨١هـ^(٨) أَنَّ (ليس) فعل، وليست حرفاً. أمّا الفارسي، وأبو بكر بن شقير، فذهبا في أحد قوليهما إلى أنها حرف. ويرى الغلايني^(٩) أَنَّ (ليس) فعل يشبه الحرف .

ولعل مرد الاختلاف بين العلماء حول (ليس) إن كانت فعلاً أم حرفاً راجع لاختلاف مدرستي البصرة والكوفة حول هذه المسألة، إذ يقول البصريون بفعلية (ليس) في حين يرى الكوفيون أنها حرف لا فعل . وكان الزجاجي ت٣٢٧هـ^(١٠)، وأبو البقاء العكبري ت٦١٦هـ^(١١) قد لخصا رأي الكوفيين والبصريين في تلك المسألة، وذكر حجج كل منهما .

(١) حروف المعاني والصفات، للزجاجي، ص ٨ .

(٢) علل النحو، لابن الوراق، ص ٢٤٦ .

(٣) شرح ابن عقيل، ١/ ٢٦٨ .

(٤) يُنظر: ارتشاف الضرب، لأبي حيان، ٢/ ١١٤٦، وشرح التسهيل، للمرادي، ص ٢٨٤، ومغني اللبيب، لابن هشام، ١/ ٢٩١ .

(٥) الأصول، ١/ ٨٢، ٨٣ .

(٦) السابق نفسه، ٢/ ٢٢٨ .

(٧) اللامات، لأبي القاسم الزجاجي، ص ٣٤، ٣٥ .

(٨) علل النحو، لابن الوراق، ص ٢٤٥ .

(٩) جامع الدروس العربية، للغلايني، ٢/ ٢٧٣ .

(١٠) اللامات، للزجاجي، ص ٣٤، ٣٥ .

(١١) الأصول في النحو، لابن السراج، ١/ ٢٧ .

وتكررت (لَيْسَ) كحرف نفي في شَعْرَ مبارك بن سيف آل ثاني في (ثمانية وعشرين) موضعاً. وبإنعام النظر استنتج الباحث ما يأتي:

أولاً: مجيء اسم (ليس) مُضمراً. جاء اسمها مضمراً في شعر مبارك بن سيف في (خمس) مواضع:

• قوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي) ^(١) :

فَمِنْ أَيْنَ أَنْتَ ؟ وَمِنْ أَيْنَ جِئْتَ ؟

نَوَاحِي الْيَمَنِ ؟ أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟

اسم (ليس): ضمير مستتر تقديره هو (أي: الأمر).

• وقوله في مسرحيته الشعرية السابقة نفسها ^(٢) :

مَنْ يَشْتَرِي هَذَا الرَّقِيقَ فَلَيْسَ يَعْرِفُهُ الْوَهْنُ ؟

هَذِي السَّلَالُ مَعَ الزَّبِيبِ مَعَ الْخُمُورِ بِلَا رَهْنِ

اسم (ليس): ضمير مستتر تقديره هو أي: (المشتري).

• وقوله في مسرحيته الشعرية ذاتها ^(٣) :

اللَّهُ أَغْنَى لَيْسَ يَأْخُذُ بِأَيْسَارٍ إِذَا وَهَبَ

اسم (ليس): ضمير مستتر تقديره هو يعود على لفظ الجلالة (الله) .

• وقوله في المسرحية الشعرية (الفجر الآتي) ^(٤) :

تَعْبُدُونَ النُّجْمَ وَالْأَقْمَارَ وَالْأَشْجَارَ ..

وَالدَّهْرَ الْمُقَدَّرَ

لَيْسَ لِلْأَحْجَارِ أَشْفَقُ

بَلْ لُبُّ قَدْ تَحَجَّرَ

(١) الأعمال الشعرية، ص ٢٤٧ . (المقارب)

(٢) السابق نفسه، ص ٢٦٠ . (من الكامل)

(٣) نفسه، ص ٢٦١ . (الكامل)

(٤) الأعمال الشعرية، ص ٢٧٠ . (من الكامل)

اسم (ليس): ضمير مستتر تقديره هو يعود على الدهر .

• وقوله في مسرحيته الشعرية السابقة نفسها^(١) :

فَلَا خَوْفَ مِنْهُ .. دَعُوهُ وَحَالَهُ

أَلَيْسَ بِجَارِكَ ؟

وَبِئْسَ الْجَوَارُ

اسم (ليس): ضمير مستتر تقديره هو يعود على أبي طالب عم الرسول - صلى الله عليه وسلم - .

ومبارك بن سيف لم يكن بدعاً في هذا، لكنه سار على سمت العرب في إضمار اسم ليس.

ثانياً: تقديم خبر ليس . وجاء خبر (ليس) مقدماً في (عشرة) مواضع، منها:

• قوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٢) :

قَالُوا : «السَّلامُ ، فَقُلْتُ مِنْ مَعْدِنٍ لَيْسَتْ لَهُ فِي الْكَائِنَاتِ سَوَاءٌ

لَيْسَتْ: فعل ماضٍ ناقص. لَهُ: الجار والمجرور متعلق بخبر ليس مقدّم. سَوَاءٌ: اسم ليس.

• وقوله في قصيدته السابقة^(٣) :

ضَاءَتْ رُسُولَ اللَّهِ . فِيكَ بَيَارِقُ وَالنُّورُ فَجَرُ لَيْسَ فِيهِ رِيَاءُ

لَيْسَ: فعل ماضٍ ناقص. فِيهِ: الجار والمجرور متعلق بخبر ليس مقدّم. رِيَاءُ: اسم ليس.

• وقوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي)^(٤) :

فَلَيْسَ لَهُ غَيْرُ سَيْفٍ كَهَذَا

لَيْبَرًا مِنْ هَذَيَانِ الْجُنُونِ

فَلَيْسَ: فعل ماضٍ ناقص. لَهُ: الجار والمجرور متعلق بخبر ليس مقدّم. غَيْرُ: اسم ليس.

(١) السابق نفسه، ص ٢٧٨ . (من المتقارب)

(٢) نفسه، ص ١٠٩ . (الكامل)

(٣) الأعمال الشعرية، ص ١٢٩ . (الكامل)

(٤) السابق نفسه، ص ٣١٨ . (المتقارب)

قال الشاعر هذا المقطع على لسان أمية في معرض ردّه على أبي لهب الذي راح يقدّم عروضاً لمحمد - صلى الله عليه وسلم - علّه يرجع عن دعوة الإسلام، فيرد عليه أمية قائلاً: إن محمداً لا يستحق عندنا إلا السيف. وجاء تقديم خبر ليس (له) جاء لغرض بلاغي، وهو الاستحقاق وجاء هذا من إفادة حرف الجر (اللام) لهذا المعنى يقول أبو القاسم الزجاجي ت٣٢٧هـ إن اللام «للملك والاستحقاق والاختصاص والأمر»^(١). وذكر هذا المعنى خالد الأزهرى ت٩٠٥هـ^(٢).

ويلاحظ أيضاً أنّ خبر ليس المقدم جاء شبه جملة جاراً ومجروراً. والشاعر مبارك بن سيف يسير في هذا على سنن العرب، في الأول: كما ذهب كلٌّ من المبرد ت٢٨٥هـ^(٣)، وابن الورّاق ت٣٨١هـ^(٤)، وابن جني ت٣٩٥هـ^(٥) إلى جواز تقديم خبر ليس عليها، وعلى اسمها.

أجاز سيبويه تقديم خبر ليس عليها، فقال في باب ما ينتصب في الأول: «ومثل ذلك: أعبد الله كنت مثله؛ لأنّ «كنت» فعل، و«المثل» مضاف، وهو منصوب، ومثله: أزيداً لست مثله؛ لأنّه فعل، فصار بمنزلة: أزيداً لقيت أخاه، وهو قول الخليل»^(٦).

ولم يرد في شعر مبارك بن سيف شاهد على تقديم خبر ليس عليها وعلى اسمها.

رابعاً: زيادة الباء في خبر (ليس) .

جاءت الباء زائدة في خبر ليس في شعر مبارك بن سيف في (ثلاثة) مواضع، هي:

• قوله في قصيدته (أنشودة الخليج)^(٧) :

الْحُسَنَيَانِ لَنَا وَلَسْتُ بِجَاهِلٍ لَبَّيْكَ، تِلْكَ مَشِيَّتِي وَمُرَادِي

بِجَاهِلٍ: الباء: حرف جر زائد . جاهل: اسم مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنّه خبر ليس.

(١) حروف المعاني والصفات، ص ٤٠ .

(٢) شرح التصريح على التوضيح، ٨/١ .

(٣) المقتضب، للمبرد، ١٩٤/٤ .

(٤) علل النحو، لابن الورّاق، ص ٢٥٢، ٢٥٤ .

(٥) اللمع في العربية، لابن جني، ص ٣٧ .

(٦) الكتاب، ١٠٢/١ . والنص يمثل ردّاً على زعم كلٍّ من الجرجاني في: المقتصد ٤٠٢/٢، وأبي البركات الأنباري في: الإنصاف، والعلوي، والزبيدي في: ائتلاف التبصرة، ص ١٢٢ في أنّه ليس لسبويه نصٌّ صريح في حكم تقديم خبر ليس عليها.

(٧) الأعمال الشعرية، ص ٨٤ . (الكامل)

• وقوله في قصيدته السابقة ذاتها^(١) :

وَكَذَلِكَ التَّارِيخُ لَيْسَ بِغَافِلٍ بِهِ ذِكْرُكُمْ أَبْقَى وَفِيهِ جَزَاءُ

بِغَافِلٍ: الباء: حرف جر زائد . غافل: اسم مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ليس.

• وقوله في مسرحيته الشعرية (الفجر الآتي)^(٢) :

أَلَيْسَ بِجَارِكُ؟

بِجَارِكُ: الباء: حرف جر زائد . جارك: اسم مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ليس.

ويلاحظ أن الشاعر مبارك بن سيف قد جاء بخبر ليس مجروراً بالباء الزائدة على قلة، وهو في هذا يسير على هدي النحاة القائلين بجواز دخول الباء الزائدة على خبر (ليس). فقد قال ابن جني ت ٣٩٥هـ: «وتزاد الباء في خبر لَيْسَ مُؤَكَّدَةً فَيُقَالُ لَيْسَ زَيْدٌ بِقَائِمٍ...»^(٣).

وعد الغلابي^(٤) جواز زيادة الباء في خبر ليس مما تختص به (ليس) وكان، كما بين أن زيادة الباء في خبر (ليس) شائعة كثيراً، في حين أنها تزداد بقلة في خبر (كان).

(٥) لَنْ .

ذُكِرَتْ (لَنْ) في شعر مبارك بن سيف في (سبعة) مواضع، منها:

• قوله في قصيدته (أغنية الربيع)^(٥) :

لَنْ يَكُونَ الْفِرَاقُ يَا فَجْرَ لَيْلِي لَنْ يَكُونَ الْبَعَادُ سَجْنِي وَأَسْرِي

• وقوله في قصيدته (فلسطين موطن الأديان)^(٦) :

لَنْ نَسْتَكِينَ وَلَنْ نُهَادِنَ غَازِيَا مِنْ كُلِّ حَدْبٍ جَاءَ بِالْأَسْبَادِ

(١) السابق نفسه، ص ١٦٤ . (الكامل)

(٢) الأعمال الشعرية، ص ٢٧٨ . (المتقارب)

(٣) اللمع في العربية، لابن جني، ص ٣٩.

(٤) يُنْظَرُ: جامع الدروس العربية، ٢/ ٢٨٤، ٢٨٥ .

(٥) الأعمال الشعرية، ص ٣٠ . (الخفيف)

(٦) السابق نفسه، ص ٨٥ . (الكامل)

● وقوله في قصيدته (مذكرات شاعر من العالم الثالث - البُعد الرابع) (١) :

يَا صَغَارُ .. يَا صَغَارُ

إِنَّ نُورَ الشَّمْسِ كَلَّا لَنْ يَمُوتَ

لَنْ يَنَامَ النُّورُ فِي أَحْشَاءِ حُوتِ

وبعد إنعام النظر في الشواهد التي وردت في شعر مبارك بن سيف والتي ذكرت فيها (لَنْ) كأداة نفي نستنتج ما يأتي:

أولاً: دخلت (لَنْ) النافية على الجملة المبدوءة بفعل مضارع؛ فحوّلته إلى الاستقبال، والأفعال المضارعة، هي: (يَكُونُ، يُعَذِّبُنِي، نَسْتَكِينُ، نُهَادِنُ، يَمُوتُ، يَنَامُ). والشاعر في هذا لم يخرج على النَّسق العربي الذي أدخل (لَنْ) النافية على الفعل المضارع .

ثانياً: يُلاحظ أَنَّ (لَنْ) حوّلَت الفعل المضارع من الحال إلى الاستقبال. وهذا ما أجمع عليه النحاة؛ فقد ذهبَ النحاة إلى أَنَّ (لَنْ) تختصُّ بنفي الجملة الفعلية المبدوءة بفعل مضارع، فتحوّلته للدلالة على الاستقبال .

ثالثاً: هل تفيد (لَنْ) في شعر مبارك بن سيف نفيًا مؤبّداً، أم نفيًا مؤقتاً ؟

أثارت هذه المسألة الفضول لدى بعض النحاة العرب، فتعمّقوا في بحثها، واختلفوا في تفسير بعض آي القرآن الكريم المشتملة على (لَنْ) النافية، فمن قائل إنّها تنفي نفيًا مؤبّداً، إلى آخر يرى أَنَّ التأييد جاء لقريظة خارجة .

جاء الشاعر مبارك بن سيف بـ (لَنْ) للتأييد في مواطن، ومؤكّداً له في أخرى بمؤكّدين، هما:

الأول: ظرف الزمان (أبداً).

يقول في قصيدته (أجراس القدس) (٢) :

فَأَمَّا سَوَاطِلُ الْقَاسِي فَلَنْ - أَبَدًا - يُعَذِّبُنِي

يُعبر الشاعر عن عظمة الصمود الفلسطيني في وجه الاحتلال الصهيوني، وممارساته التعذيبية، فأسواطه لن تؤلم حتى لو استمرّ في استخدامها للأبد. واستخدم ظرف الزمان (أبداً) لتأكيد التأييد.

(١) نفسه، ص ٤٥ . (الرمل)

(٢) الأعمال الشعرية، ص ٣٢ . (الوافر)

الثاني: أداة الردع والزجر (كلًا).

يقول مبارك بن سيف في قصيدته (مذكرات شاعر من العالم الثالث - البعد الرابع ٢-)(^(١)):

إِنَّ نُورَ الشَّمْسِ كُلًّا لَّنْ يَمُوتَ

لَّنْ يَنَامَ النُّورُ فِي أَحْشَاءِ حُوتٍ

يؤكد الشاعر على أَنَّ نور الشمس لن يختفي بفعل خسوف القمر؛ إذ كان الاعتقاد السائد في تفسير ظاهرة خسوف القمر أَنَّ حوتًا يبتلع الشمس، فأراد الشاعر أَنَّ ينفي هذا الاعتقاد ويستأصله من عقول أصحابه، وأنَّى له ذلك دون استخدام المؤكّدات القوية، كإِنَّ، وكلَّا. وهذا التأكيد على نفي ابتلاع الحوت للشمس جاء للتأيد، فما دامت هناك حياة، فأشعة الشمس قائمة.

جاء هذا الاستخدام متوافقًا مع رأي الزمخشري ت٥٣٨هـ الذي يقول: «...و (لَنْ) نظيرة «لا» في نفي المستقبل، ولكن على التأكيد»(^(٢)). ثم فسّر الزمخشري التوكيد في كتابه (الكشاف) بأنّه كالتوكيد الذي تقيده «إِنَّ» فيما دخلت عليه(^(٣)).

وخالف معظم النحاة الزمخشري فيما ذهب إليه من إفادة (لَنْ) تأييد النفي، وتمثلت آراؤهم في:

١- يرى السهيلي ت٥٨١هـ(^(٤)) أَنَّ (لَنْ) تنفي ما قَرُبَ، ولا يمتدُّ معنى النفي فيها كامتداده في (لا).

٢- يخالف خالد الأزهري الزمخشري في إفادة (لَنْ) التأييد، فيقول: «...ولا تقتضي لَنْ تأييد

النفي خلافًا للزمخشري(*) في أنموذجه؛ لأنها لو كانت للتأيد لزم التناقض بذكر اليوم في

قوله تعالى(^(٥)): ﴿فَلَنْ أَكَلَّمَ الْيَوْمَ إِنْشِيًا﴾(^(٦)). ولزم التكرار بذكر أبدًا في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ

يَمْنُوهُ أَبَدًا﴾(^(٧)).

(١) السابق نفسه، ص ١٩٠. (الرملة)

(٢) الأنموذج، (٢-١).

(٣) ينظر الكشاف، ٢٤٨/١.

(٤) نتائج الفكر في النحو، للسهيلي، ص ١٠١.

(*) أشار ابن مالك إلى أَنَّ الزمخشري ذكر في أنموذجه أَنَّ (لَنْ) لتأييد النفي. يُنظر: شرح التسهيل ١٤/١.

(٥) سورة مريم، آية ٢٦.

(٦) سورة مريم، آية ٢٦.

(٧) شرح التصريح على التوضيح، للشيخ خالد الأزهري، ٢٥٧/٢. سورة البقرة، آية ٩٥.

كما تعرّض المحدثون لهذه المسألة، فأكدوا ما ذكره القدماء، يقول الغلاييني: « (لَنْ)، وهي حرفٌ نفي.. وهي تفيدُ تأكيدَ النفي لا تأييده وأما قوله تعالى: ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾^(١). فمفهوم التأييد ليس من (لَنْ)، وإنما هو من دلالة خارجيّة؛ لأنّ الخلق خاصٌّ بالله وحده^(٢).

ذَهَبَ عباس حسن^(٣) إلى أنّ (لَنْ) «حرف يفيد النفي بغير دوام ولا تأييد إلا بقريضة خارجة عنه. ويؤيّد الباحث ما ذكره الزمخشري من دلالة الآية: ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾^(٤). على التأييد؛ ذلك أنّ التحدي الإلهي للكفار بأنّ يخلقوا ذباباً هو تحدٍّ أبدي لا ينتهي بزمان؛ إذ من المستحيل أن يخلق المخلوق ذبابة. ويرى الباحث أنّ إفادة التأييد، أو عدمه مقرونة بدلالة السياق .

جاءت (لَنْ) مُفيدة للنفي ومؤكدّة له في شعر مبارك؛ في قصيدته (فلسطين موطن الأديان)^(٥):

لَنْ نَسْتَكِينَ، وَلَنْ نُهَادِنَ غَازِيَا مِنْ كُلِّ حَدْبٍ جَاءَ بِالْأَسْبَادِ (***)

فالشاعر هنا ينفي الاستكانة والمهادنة المرتبطة بالعدو الغازي القادم من كلِّ حَدْبٍ، وقد أكّد النفي بعطف الجملة على الجملة، وبتكرار النفي نفسه. ومثل هذا النفي لا يفيد التأييد؛ ذلك أنّه مرتبط بحالة استثنائية قد لا تدوم .

(١) سورة الحج، آية ٧٣ .

(٢) جامع الدروس العربية، للغلاييني، ١٩٦/٢ .

(٣) النحو الوافي، لعباس حسن، ٢٩٩/٤ .

(٤) سورة الحج، آية ٧٣ .

(٥) الأعمال الشعرية، ص ٨٥ . (البحر: الكامل)

(***) «وَالسَّبْدَةُ: الدَّاهِيَةُ. وَإِنَّهُ لَسَبْدٌ أَسْبَادٌ أَي دَاهٍ فِي اللُّصُوصِيَّةِ». لسان العرب، (سَبَدَ) ٢٠٣/٣، ٣٠٧.

خاتمة

حاول هذا البحث على امتداده دراسة البنية النحوية في شعر مبارك بن سيف آل ثاني، دراسة نحوية دلالية تقوم على حصر بعض الظواهر النحوية التي وردت في شعره: كالتقديم والتأخير، والحذف، والاستفهام والنفي، وقد سلك لهذه الغاية سبلا متعددة تمثلت في روايد مختلفة تصب في نتيجة واحدة هي الوصف الموضوعي للظواهر النحوية في شعر مبارك بن سيف، والتفسير العلمي والدلالي لتلك الظواهر .

عرّف البحث بحياة الشاعر، كما عرض لأنماط شعره؛ وذلك بهدف إعداد أرضية واضحة ينطلق منها البحث في دراسة الظاهرة النحوية في تلك الأنماط، وتبين لنا أن الشاعر مبارك بن سيف كان متنوعاً في شعره، وجاء هذا التنوع وفق نمطين:

النمط الأول: التنوع في الشكل الشعري، فقد تنوّعت أشعاره بين شعر التفعيلة، والشعر المقفى، كما كتب الشاعر في الشعر المسرحي، وكما أن شاعرنا خاض تجربة كتابة الأناشيد الشعرية.

النمط الثاني: التنوع في المضامين الشعرية. فمبارك بن سيف آل ثاني شاعر قطري، من الشعراء العرب المعاصرين الذين برعوا في ميدان الشعر في الخليج العربي، إذ كانت له نتاجات متنوعة صوّر بها البيئة الخليجية عامّة والقطرية خاصّة، كما اهتم بالقضايا العربية المركزية كقضية فلسطين، ولبنان، ولم يغب عن باله أن يكتب عن مصر النيل التي مكث فيها طويلاً من خلال عمله في السفارة القطرية في القاهرة . والنّاظر في محتويات دواوينه يلمح في قصائده الأبعاد الوطنية والقومية والدينية، وحتى الإنسانية؛ مما يوحي بأننا أمام شاعر موسوعي المعرفة، إنسانيّ المشاعر والأحاسيس. وكان لهذا التنوع في شعر مبارك بن سيف من حيث الشكل والمضمون دور في توضيح البناء النحوي الذي اعتمد عليه لإيصال أفكاره وعواطفه، وتبين لنا كيف استطاع الاستفادة من الإمكانيات التي يتيحها له النظام النحوي .

ينتمي مبارك بن سيف لتيار التجديد الذي ظهر في أوائل السبعينيات مع مجموعة من الشعراء الجدد المعاصرين الذين تأثروا بالثقافة الحديثة، ونال معظمهم قسطاً من التعليم الحديث، وخبر المذاهب الأدبية المعاصرة، وتأثر بها؛ ولذلك فقد ظهرت في شعر مبارك بن سيف القصيدة الرومانسية، وقصيدة التفعيلة، ووجدنا شاعرنا مرهف الإحساس سواء في مخاطبته لنوّارة (عالمه

الصغير)، وحتى في حنينه للماضي من خلال حديثه عن سفن الغوص البائسة، وحتى في حواراته الرمزية كـ (لقاء عابر مع حاتم الطائي)، و (حوار مع كتاب قديم) كل هذا قدّم بجمل شعرية ظهرت فيها مشاعره جلية؛ ومما ساعد على هذا استخدامه التراكيب النحوية المناسبة للدلالة الشعورية التي أراد التعبير عنها. ولا يفوت الباحث التأكيد على أنّه وبالرغم من نزعة التجديد التي نزع إليها الشاعر إلا أنّه بقي ميّالاً للتقليد في الشكل الشعري، فأكثر في دواوينه من قصائد الشعر المُقَفَّى .

حاول البحث الربط بين البنية النحوية في شعر مبارك بن سيف والاستخدامات الدلالية، واتضح أنّه لا يمكن لأي نصّ أدبيّ أن تُفهم أبعاده الدلالية بمعزل عن نظامه اللغوي القائم على فهم بناء الجملة النحوية؛ فالفاعل بين العناصر النحويّة والعناصر الدلالية قائم، فالعنصر النحويّ يمدّ العنصر الدلاليّ بالمعنى الأساسي في البناء اللغويّ؛ مما قد يساعد على تحديد المعنى وتمييزه، وكذلك يمدّ العنصر الدلاليّ العنصر النحويّ ببعض الجوانب التي تساعد على تحديده وتمييزه .

وجدنا أن مبارك بن سيف قد حافظ - من خلال أشعاره - على البنية الأساسية للجملة العربية، فلم يخرج على النظام النحوي العربي، لكنّه استفاد مما أتاحه له ذلك النظام الذي يبيح للمبدع أن يتصرّف ضمن الإطار الذي تسمح له به القواعد النحوية، والدليل على ذلك أن عمد الشاعر لتقديم الخبر وجوباً على المبتدأ في (إحدى وعشرين ومائة) مرة، في حين لم يرد تقديم الخبر جوازاً على المبتدأ إلاّ في (ست وثمانين) مرة. وهذا البون الواسع بين مسألتَي التقديم، يُعطينا انطباعاً بأنّ شاعرنا استفاد مما يُتيح له النظام النحويّ من إجراء تغييرات على الجملة النّواة . وكان لذلك دوافع شعوريّة جعلته يُقدّم الخبر على المبتدأ لغايات بلاغية، وقيم دلالية .

هناك حروف وأدوات استخدمها الشاعر لغايات بلاغية، مثل: حرف الجر (في) الدال على الظرفية المكانية، و (أين) الاستفهامية التي وظفها للاستفهام عن المكان، والتي أكّد من خلال توظيفه لهما مدى ارتباطه بالأرض والمكان. كما أنّ توظيفه لـ (اللام) الدالة على الاختصاص، أكّد بوساطتها اختصاص، بل استحقاق أهل الخليج للصفات التي نسبها إليهم . كما وقف الباحث على شواهد شعرية لمبارك بن سيف جاءت مليئة بالنّواسخ الفعلية والحرفية، ويُلاحظ تفوّق النّواسخ الحرفية عددياً على النّواسخ الفعلية. وكانت (إنّ، وأنّ) أكثر النّواسخ تكراراً؛ إذ تكررت في نحو: (سبعين) موضعاً، وذهب الباحث إلى أنّ مردّد ذلك إلى أنّ الحرفيّين المذكورين يُفيدان التوكيد، والتّحقّق. وقد أراد الشاعر التأكيد على الحقائق الآتية:

- حقيقة شوقه وحنينه لوطنه .

- السَّجَايا والخصال الحميدة التي يتمتع بها أهل الخليج .

- تغيّر بعض العادات والقيم في هذا الزمان حتى كادت تتلاشى، كالجود، والنَّخوة، والعِفَّة.

- الأوضاع المزرية التي أصبح يعيش فيها إنسان العالم الثالث من ظلم، وسيطرة الأساطير والخرافات عليه .

- شوق الشاعر وحنينه لذكريات الطفولة .

لوحظ تفوّق تقدم المفعول به على الفاعل عددياً في شعر مبارك بن سيف حيث تقدّم المفعول في (ثلاثين ومائة) موضع، والشاعر في هذا يسير على نَسَق من سبقه حيث أشار سيبويه في (باب الفاعل الذي يتعداه فعله إلى مفعوله) أنّ المفعول به قد يتقدّم على الفاعل من غير أن يتأثر المعنى، أو يختل التركيب، وأكد هذا ثلة من جهابذة اللغة، أمثال: الزجاجي المتوفى ٣٤٠هـ، وابن جني المتوفى ٣٩٢هـ، وابن عقيل المتوفى ٧٦٩هـ، والسيوطي المتوفى ٩١١هـ؛ ولذلك فليس مستغرباً أن يُقدّم مبارك بن سيف المفعول على الفاعل في شعره. وقد بيّن النحاة أنّ تقدّم المفعول به على الفاعل يأتي لقيم دلالية، ومبارك بن سيف شاعر عربيّ عمدَ إلى تقديم المفعول به في شعره لقيم دلالية متعددة، منها: التعظيم، والافتخار، والتحقير، والاختصاص، والعناية والاهتمام، والقافية .

كان استخدام الشاعر للجمل الشعرية المشتملة على بعض الأبنية النحوية: كالحذف مثلاً استخداماً واعياً لا يخل بالتركيب، فمثلاً بلغ مجموع الحالات التي حُذف فيها المبتدأ، أو ما كان أصله مبتدأ في شعر مبارك بن سيف (سبعة وخمسين ومائة) موضع. وهذا العدد ليس باليسير؛ مما يوحي باهتمام الشاعر بالخبر من ناحية، ووضوح الدليل على حذف المبتدأ، فبدونه لا يصحّ الحذف لا سيما أنّ المبتدأ هو محور الحديث ومركزه الرئيس؛ مما يجعلنا نؤكد على أنّ حذف المبتدأ في شعر مبارك بن سيف لم يكن حذفاً غامضاً، أو حذفاً فيه إخلال - كما يقول قدامة بن جعفر - فيما نقله عنه (الدكتور محمد حسنين أبو موسى): « ويُشير قدامة بن جعفر إلى فساد الشعر الذي يكون فيه دليل الحذف غامضاً، ويُسمّيه (الإخلال)، وهو عنده من عيوب اللفظ والمعنى»^(١). فحذف هذا الكم الهائل من المبتدآت في شعر مبارك بن سيف دون إحداث خلل تركيبى، أو دلالي دليل النظم بحضور لغوي

(١) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، د. محمد حسنين أبو موسى، ص ١١٧ .

واضح في ذهن الشاعر، بل جاء هذا الحذف لغايات دلالية واضحة؛ وهذا يجعلنا نؤكد على أن الشاعر يمتلك الجرأة اللغوية، والموهبة الشعرية التي تمكنه من حذف عنصر رئيس في الجملة الاسمية يُعدُّ ركيزة أساسية للخبر، فالشاعر لا يتهيبُ من حذف المبتدأ؛ لأنه ترك في الجملة ما يدلُّ عليه.

وكل ما أرجوه في هذا البحث أن أكون قد أصبت شيئاً من التوفيق في وضع شاعرنا الشيخ مبارك بن سيف آل ثاني في مكانته الأدبية التي يستحق؛ علَّ ذلك يكون بداية لتقديم دراسات جادة لمبدعين قطريين؛ ليكون ذلك إسهاماً في الكشف عن البنى النحوية للنصوص الأدبية المعاصرة .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

د . علي أحمد الطوالبه

الدوحة/ قطر - فبراير ٢٠١٥

ثَبَتَ المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم .

١ - الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، المكتبة الثقافية، بيروت، ١٩٧٣ .

٢ - إحياء النحو، لإبراهيم مصطفى. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٧٣م.

٣ - الأدب القطري الحديث، للدكتور محمد عبد الرحيم كافود. ط: ٢، دار قطري بن الفجاءة للنشر والتوزيع - الدوحة ١٩٨٢ .

٤ - أدب الكاتب والشاعر، لضياء الدين ابن الأثير، قدّم: د احمد الحوفي، ود بدوي طبانة، ط: ٢، دار نهضة مصر للطبع والنشر، (د.ت).

٥ - أساس البلاغة، للزمخشري ت٥٣٨هـ. تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، ١٩٦٠م.

٦ - أسرار العربية، لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري. تحقيق محمد بهجة البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي، بدمشق ١٩٥٧م.

٧ - الأشباه والنظائر في النحو، للإمام جلال الدين السيوطي المتوفى ٩١١هـ. تحقيق: الدكتور عبد العال سالم مكرم. مؤسسة الرسالة، ط: ١، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٨٥ .

٨ - الأصوات اللغوية، للدكتور إبراهيم أنيس . دار الطباعة الحديثة، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٩م .

٩ - الأصول في النحو، لأبي بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي ت ٣١٦ هـ، تحقيق: الدكتور عبد الحسين الفتلي. ط : ٣ - مؤسسة الرسالة - بيروت: لبنان ١٩٨٨ م.

١٠ - إعراب القرآن، لأبي إسحاق الزجاج، تحقيق: إبراهيم الأبياري، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٦٣ .

١١- إعراب القرآن، لإسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني، أبو القاسم ت٥٣٥هـ، قدمت له: الدكتورة فائزة عمر المؤيد، ط: ١، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٩٩٥ م.

١٢- إعراب ما يشكل من ألفاظ الحديث النبوي، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري ت ٦١٦هـ،
حقّقه: د. عبد الحميد هندأوي. ط: ١، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، مصر- القاهرة، ١٤٢٠هـ
- ١٩٩٩م .

١٣ - الأعمال الشعريّة، لمبارك بن سيف آل ثاني. ط ٢، مطابع الدوحة الحديثة، قطر. ٢٠٠٨م.

١٤ - ألفية ابن مالك، لمحمد بن عبد الله، ابن مالك، أبو عبد الله، جمال الدين ت ٦٧٢هـ. مكتبة
النهضة، بغداد (د.ت) .

١٥- أمالي ابن الشجري، لهبة الله بن علي بن محمد بن حمزة الحسن بن العلوي ابن الشجري، تحقيق:
محمود محمد الطناحي. ط: ١، مكتبة الخانجي، ١٤١٣ - ١٩٩٢.

١٦ - الإنصاف في مسائل الخلاف، لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري ت ٥٧٧هـ. قدّم له
ووضع هوامشه وفهارسه: حسن حمد، بإشراف: دأميل بديع يعقوب. ط: ١، دار الكتب العلمية،
بيروت. لبنان ١٩٩٨م.

١٧ - أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لابن هشام الأنصاري، ومعه كتاب عدّة السالك إلى تحقيق
أوضح المسالك، تأليف: محمد عبد الحميد محي عبد الحميد. المكتبة العصرية، صيدا، بيروت
١٩٩٦م .

١٨ - الإيضاح في علل النحو، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي ت ٣٢٧ هـ ، تحقيق:
الدكتور مازن المبارك ط : ٥ ، دار النفائس - بيروت، ١٩٨٦ .

١٩ - بديع التراكيب في شعر أبي تمام، للدكتور منير سلطان، منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٩١م .

٢٠ - البلاغة العربية فنونها وأفنانها، لفضل حسن عباس، ط: ١، دار الفرقان، عمان، ٢٠٠٧م.

٢١ - البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، للدكتور محمد حسنين
أبو موسى، دار الفكر العربي، القاهرة .

٢٢ - بناء الجملة العربية، د. محمد حماسة عبد اللطيف . دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة ٢٠٠٣م.

٢٣ - البيان في إعراب غريب القرآن، لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري ت ٥٧٧هـ، تحقيق:
د. طه عبد الحميد طه، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، مصر ١٩٧٠م .

٢٤ - تاج العروس من جواهر القاموس، للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي ت ١٢٠٥ هـ، اعتنى به: د. عبد المنعم خليل إبراهيم، والأستاذ كريم سيد محمد محمود. دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان ٢٠٠٧ م .

٢٥ - التبصرة والتذكرة، لأبي محمد عبد الله بن علي إسحاق الصيّمي من نحاة القرن الرابع الهجري، تحقيق: د فتحي أحمد مصطفى، ط ١ ، دار الفكر - دمشق، ١٩٨٢ م .

٢٦ - التبيان في إعراب القرآن، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العُكبري ت ٦١٦ هـ، تحقيق: علي محمد البجاوي، ط: ٢، دار الجيل، بيروت - لبنان ١٩٨٧ .

٢٧ - التبيان في علم المعاني والبدیع والبيان، لشرف الدين الحسين بن محمد الطيبي، تحقيق: هادي عطية، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٧ م .

٢٨ - تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، لابن مالك. تحقيق: محمد بركات كامل، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، وزارة الثقافة. مصر ١٩٦٧ م .

٢٩ - التطبيق النحوي، للدكتور عبده الراجحي. ط: ١، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر ١٤٢٠ هـ ١٩٩٩ م .

٣٠ - التعريفات، للسيد علي بن محمد بن علي أبي الحسن الجرجاني ت ٨١٦ هـ، تحقيق: الدكتور عبد الرحمن عميرة. ط ١ ، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٧ م .

٣١ - تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى، المتوفى. ٣٧٠ هـ، (جمل). تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. مراجعة: محمد علي محمد البجاوي، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مطابع سجل العرب - القاهرة (د.ت) .

٣٢ - توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، للمُرادي ت ٧٤٩ هـ في. شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان. ط: ١ ، دار الفكر العربي، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٨ م .

٣٣ - ثمار الصنّاعة، لأبي عبد الله الحسن بن موسى الشهير بـ «الجليس النحوي» المتوفى في حدود ٤٩٠ هـ، حقّقه: الدكتور حنا جميل حداد . ط ١، وزارة الثقافة ، عمان - الأردن، ١٩٩٤ م .

٣٤ - جامع الدروس العربية، للشيخ مصطفى الغلاييني، راجعه ونقّحه: الدكتور عبد المنعم خفاجة، ط: ٢٨ ، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت ١٩٨٥ م .

- ٣٥ - الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، لنصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب ت٦٣٧هـ. تحقيق: مصطفى جواد، مطبعة المجمع العلمي، ١٣٧٥هـ .
- ٣٦ - الجملة في الشعر العربي، للدكتور محمد حماسة عبد اللطيف، ط: ١، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٩٠م.
- ٣٧ - الجمل في النحو، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ت ١٧٠هـ، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، ط: ٥، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م (د.م).
- ٣٨ - الجمل في النحو، لأبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي ت ٢٤٠هـ، تحقيق: الدكتور علي توفيق الحمد، ط: ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ودار الأمل، إربد ١٩٨٤ م .
- ٣٩ - الجنى الداني في حروف المعاني، صنعه: الحسن بن قاسم المرادي ت ٧٤٩هـ، تحقيق: فخر الدين قباوة، والأستاذ محمد نديم فاضل، ط: ١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ١٩٩٢م.
- ٤٠ - الحجة للقراء السبعة، للحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي، أبو علي، ت ٣٧٧هـ. تحقيق: بدر الدين قهوجي - بشير جويجاني. راجعه: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف الدقاق، ط: ٢، دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م .
- ٤١ - الحروف، لأبي الحسين المزني، حققه: د. محمود حسني محمود الفرقان، ود. محمد حسن عواد. ط: ١، دار الفرقان، عمان ١٩٨٣ .
- ٤٢ - حروف المعاني والصفات، لعبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم ت ٣٢٧هـ، تحقيق: علي توفيق الحمد. ط: ١، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٩٨٤م .
- ٤٣ - خزانة الأدب، ولُب لباب لسان العرب، لعبد القادر بن عمر البغدادي ت ١٠٩٣ هـ، إشراف: الدكتور إميل بديع يعقوب، ط: ١، دار الكتب العلميّة، بيروت - لبنان ١٩٩٨ م .
- ٤٤ - الخصائص، لأبي الفتح عثمان بن جني، حققه: محمد علي النجار. ط: ٢، دار الهدى للطباعة والنشر بيروت (د.ت) .
- ٤٥ - خصائص التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، للدكتور محمد محمد أبو موسى. ط: ٤، مكتبة وهبة - القاهرة ١٩٩٦ م .

- ٤٦ - الخلاصة النحوية، لتمام حسّان، ط١ : عالم الكتب، ٢٠٠٠ م .
- ٤٧ - دراسات في علم اللغة العام - الأصوات -، للدكتور كمال بشر. ط: ٧، دار المعارف بمصر، ١٩٨٠ .
- ٤٨ - دلائل الإعجاز، لأبي بكر عبد القاهر الجرجاني ت٤٧١هـ. علّق عليه: أحمد محمد شاكر، ط: ٣، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، ودار المدني بجدة، ١٩٩٢ م .
- ٤٩ - دلالة الألفاظ، للدكتور إبراهيم أنيس. ط٤: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٠ م .
- ٥٠ - دلالة التراكيب، دراسة بلاغية، للدكتور محمد أبو موسى. ط: ٢، مكتبة وهبة، ١٤ شارع الجمهورية - عابدين، ١٩٨٧ م .
- ٥١ - الدلالة اللغوية عند العرب، للدكتور عبد الكريم مجاهد، دار الضياء للنشر والتوزيع، عمان ١٩٨٥ .
- ٥٢ - دور الكلمة في اللغة، لستيفن أولمان . ترجمه: وعلق عليه: دكتور كمال بشر. ط: ٢، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة ١٩٩٧ م .
- ٥٣ - ديوان شعر الخوارج، لإحسان عباس. ط: ٤، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٢ ..
- ٥٤ - ديوان طرفة بن العبد، تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين. دار الكتب العلمية، ٢٠٠٢ .
- ٥٥ - ديوان الفرزدق، شرحه: د . عمر فاروق الطّبّاع، ط: ١، شركة دار الأرقم ابن أبي الرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ١٩٩٧ م .
- ٥٦ - الرّد على النّحاة، لأحمد بن عبد الرحمن بن محمد، ابن مَضَاء القرطبي، ت ٥٩٢هـ، تحقيق: الدكتور محمد إبراهيم البنا. ط: ١، دار الاعتصام، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م .
- ٥٧ - رصف المباني في شرح حروف المعاني، لأحمد بن عبد النور المالقي ت٧٠٢هـ تحقيق: د. أحمد محمد الخراط. دار القلم - دمشق (د.ت) .
- ٥٨ - شذا العَرَف في فن الصّرف، للشيخ أحمد الحملاوي. ط: ١٦، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٩٦٥ م .
- ٥٩ - شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ت ٦٧٢ هـ، لبهاء الدين عبد الله بن عقيل ت ٧٦٩هـ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه العشرون ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م .

٦٠ - شرح أبيات سيبويه، ليوسف بن أبي سعيد الحسن أبو محمد السيرافي ت٢٨٥هـ، تحقيق: الدكتور محمد علي الريح هاشم، راجعه: طه عبد الرؤوف سعد. دار الفكر للطباعة، والنشر والتوزيع، القاهرة - مصر ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤.

٦١ - شرح الأبيات المشكلة الإعراب، المُسمّى: إيضاح الشعر، لأبي علي الفارسي، تحقيق: الدكتور حسن هنداي، ط ١، دار القلم للطباعة والنشر، دمشق، ودار العلوم والثقافة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٧.

٦٢ - شرح الأزهريّة، لخالد بن عبد الله بن أبي بكر الأزهري، وكان يعرف بالوفاد ت ٩٠٥هـ، المطبعة الكبرى ببولاق، القاهرة.

٦٣ - شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، لعلي بن محمد بن عيسى، الأشموني ت ٩٠٠هـ. ط: ١، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

٦٤ - شرح التسهيل « تسهيل الفوائد، وتكميل المقاصد»، تحقيق محمد عبد القادر. طارق فتحي السيد، ط: ١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ٢٠٠١ م.

٦٥ - شرح التصريح على التوضيح، أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، للشيخ خالد الأزهري ت ٩٠٥هـ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط: ١، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٠.

٦٦ - شرح جمل الزجاجة، لابن خروف المتوفى ٦٠٩هـ، تحقيق: د. علي محسن عيسى مال الله. بيروت، عالم الكتب، بيروت ١٩٨٥ م.

٦٧ - شرح ديوان الحماسة، لأبي تمام، لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسين المرزوقي ت ٤٢١هـ، نشره: أحمد أمين، وعبد السلام هارون، ط: ١، دار الجيل، بيروت - لبنان ١٩٩١ م.

٦٨ - شرح شافية ابن الحاجب، لمحمد بن الحسن الرضي الإستراباذي، حققهما، محمد نور الحسن، وآخرون. دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

٦٩ - شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، لعبد الله بن يوسف بن أحمد، جمال الدين، ابن هشام ت ٧٦١هـ. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. دار الفكر (د.ت.).

٧٠ - شرح عيون الإعراب للإمام أبي الحسن علي بن فضال المَجاشعي، ت ٤٧٩هـ. حققه: الدكتور حنا جميل حدّاد. ط ١، مكتبة المنار، الزرقاء - الأردن ١٩٨٥.

٧١ - شرح القصائد العشر، ليحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبوزكريا ت ٥٠٢ هـ. ط: ٢، إدارة الطباعة المنيرية، ١٣٥٢ هـ.

٧٢ - شرح قطر الندى وبل الصدى. لأبي محمد عبد الله جمال الدين بن هشام، ت ٧٦١ هـ. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. ط: ١١، القاهرة، ١٣٨٣ هـ.

٧٣ - شرح المفصل، لابن يعيش ت ٥٦٤٣، قدّم له: إميل بديع يعقوب، ط: ١، دار الكتب العلمية، صيدا - بيروت ٢٠٠١ م.

٧٤ - الشعر الحديث في منطقة الخليج، للدكتور الرشيد بوشعير، ط: ٣، دار الفكر، دمشق ١٩٩٨ م.

٧٥ - الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها، لأبي الحسين أحمد بن فارس ت ٣٩٥ هـ، علّق عليه: أحمد حسن بسج، ط: ١. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ١٩٩٧ م.

٧٦ - الصّاح، تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حمّاد الجوهري، المتوفى ٣٩٣ هـ تحقيق: د إميل بديع يعقوب و د محمد نبيل طريفي. ط: ١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ١٩٩٩ م.

٧٧ - ضرائر الشعر، لعلي بن مؤمن بن محمد، أبو الحسن المعروف بابن عصفور ت ٦٩٦ هـ. تحقيق: السيد إبراهيم محمد، ط: ١، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٠ م.

٧٨ - ضياء السالك إلى أوضح المسالك، لمحمد عبد العزيز النجار. ط: ١، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١ م. (د. م.)

٧٩ - الطراز، المتضمّن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، للإمام يحيى بن حمزة العلوي اليماني ت ٧٤٥ هـ. تحقيق الشربيني شريدة، دار الحديث، القاهرة ٢٠١٠ م.

٨٠ - ظاهرة التقارض في النحو العربي، لأحمد محمد عبد الله. الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. (د. ت.)

٨١ - ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، للدكتور طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٧.

٨٢ - الظواهر اللغوية في التراث النحوي، للدكتور علي أبو المكارم، القاهرة ١٩٦٨.

٨٣- العامل النحوي بين مؤيديه ومعارضيه، ودوره في التحليل اللغوي، للدكتور خليل عمايرة . (د.ن) ، ١٩٨٥م .

٨٤- العربية والبحث اللغوي المعاصر، للأستاذ الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي. منشورات المجمع العلمي، مطبعة المجمع العلمي، بغداد، ٢٠٠٤م .

٨٥- العلامة الإعرابية في الجملة بين القديم والحديث، للدكتور محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع . القاهرة، ٢٠٠١م .

٨٦- علل النحو، لمحمد بن عبد الله بن العباس، أبو الحسن، ابن الوراق ت٣٨١هـ، تحقيق: محمود جاسم محمد الدرويش. ط: ١، مكتبة الرُّشد، الرياض - السعودية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م .

٨٧- علم اللغة - مقدمة إلى القارئ العربي -، لمحمود السَّعران. دار الفكر العربي، القاهرة .

٨٨- علم المعاني، لعبد العزيز عتيق . دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٥ .

٨٩- علوم البلاغة، لأحمد مصطفى المراغي، راجعته: جماعة من الأخصائيين. ط: ١، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان ١٩٨٢م .

٩٠- علوم البلاغة، البديع، والبيان، والمعاني، للدكتور محمد أحمد قاسم، والدكتور محي الدين ديب، ط: ١، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس - لبنان ٢٠٠٣م .

٩١- فتحُ البيان في مقاصد القرآن، لأبي الطيب محمد صديق خان البخاري القنُوجي ت١٣٠٧هـ، راجعه: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت ١٩٩٢م .

٩٢- فتح رب البرية في شرح نظم الآجرومية (نظم الآجرومية لمحمد بن أب القلاوي الشنقيطي) المؤلف (مؤلف الشرح): أحمد بن عمر بن مساعد الحازمي. ط: ١، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، ٢٠١٠م .

٩٣- فصول في علم الدلالة، لفريد حيدر عوض. ط: ١، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٥م . (د.م) .

٩٤- فقه اللغة وخصائص العربية، للدكتور محمد المبارك. ط: ٧، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٩٨١م .

- ٩٥- في علم اللغة العام، للدكتور عبد الصبور شاهين. ط: ٤، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٤ م.
- ٩٦- في النحو العربي نقد وتوجيه، لمهدي المخزومي. ط: ١، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٤ م.
- ٩٧- في نحو اللغة وتراكيبها، للدكتور خليل عمايرة، ط: ١، عالم المعرفة، جدة، ١٩٨٤ م.
- ٩٨- الفوائد، لابن القيم الجوزية. ط: ٢ : دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٧٣ م.
- ٩٩ - قَشَرُ الفَسْرِ، لأبي سهل محمد بن الحسن الزُّوزَنِي ت نحو ٤٤٥هـ، تحقيق: د. عبد العزيز بن ناصر المانع. ط: ١، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ٢٠٠٦ م.
- ١٠٠- القصة القصيرة في قطر، النشأة والتطور، للدكتور محمد عبد الرحيم كافود، ط: ١، دار قطري بن الفجاءة، الدوحة ١٩٩٦ .
- ١٠١- الكتاب، لأبي بشر عَمَرُو بن عثمان بن قنبر (سيبويه) ت ١٨٠هـ. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط: ١ : دار الجيل- بيروت ، ١٩٩١ م.
- ١٠٢- الكشّاف عن حقائق التنزيل، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري ت ٥٣٨ هـ، مراجعة: يوسف الحمادي، ط: ١، مكتبة مصر، القاهرة ٢٠١٠ م.
- ١٠٣- اللامات، لعبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم ت ٣٣٧هـ، تحقيق: مازن المبارك ط: ٢، دار الفكر، دمشق ١٩٨٥ م.
- ١٠٤- لُبَابُ الإِعْرَاب، لتاج الدين محمد بن محمد بن أحمد الإسفرايني ت ٦٨٤ هـ، تحقيق: بهاء الدين عبد الوهّاب عبد الرحمن. ط ١، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع ١٩٨٤ م.
- ١٠٥- اللباب في علل البناء والإعراب، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين (المتوفى: ٦١٦هـ). تحقيق: د. عبد الإله النبهان، ط: ١، دار الفكر - دمشق، ١٩٩٥ م.
- ١٠٦- لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد مكرم بن منظور ت ٧١١هـ. ط: ١، دار صادر- بيروت، ٢٠٠٠ م.
- ١٠٧- اللغات السامية، للمستشرق الألماني: تيودور نولدكه، ترجمه عن الألمانية: د. رمضان عبد التواب . مكتبة دار النهضة العربية، القاهرة، (د.ت) .

- ١٠٨- اللغة العربية معناها ومبناها، لتمام حسان. ط: ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩م.
- ١٠٩- اللوحة في شرح الملح، لمحمد بن حسن، أبو عبد الله، المعروف بابن الصائغ ت ٧٢٠هـ، تحقيق: إبراهيم بن سالم الصاعدي. ط: ١، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية ٢٠٠٤م.
- ١١٠- اللوح في العربية، لأبي الفتح عثمان بن جني ت ٣٩٢هـ. حققه: د. فائز فارس، ط: ٢، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد - الأردن، ١٩٩٠م.
- ١١١- ليال صيفية - ديوان شعري - للشاعر مبارك بن سيف آل ثاني. ط ٢، ١٩٩٧م.
- ١١٢- الليل والضفاف - ديوان شعري - للشاعر مبارك بن سيف آل ثاني. ط ١، الشرقية للنشر والتوزيع، قطر الدوحة.
- ١١٣- المآخذ على شراح ديوان أبي الطيب المتنبي، لأحمد بن علي بن معقل، أبو العباس، عز الدين الأزدي المهلب ت ٦٤٤هـ، تحقيق: الدكتور عبد العزيز بن ناصر المانع. ط: ٢، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ٢٠٠٣ م.
- ١١٤- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: لضياء الدين بن الأثير، حققه: د أحمد الحوفي، ود. بدوي طبانة. ط: ٢، منشورات دار الرفاعي بالرياض ١٩٨٣م.
- ١١٥- مجمل اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت ٣٩٥هـ، حققه: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ١٩٩٤ م.
- ١١٦- المحلى في وجوه النصب، لأبي بكر أحمد بن الحسن بن شقير ت ٣١٧هـ، تحقيق: د. فائز فارس، ط: ١، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، دار الأمل، إربد - الأردن ١٩٨٧م،
- ١١٧- مدخل إلى تحليل النص الأدبي، للدكتور عبد القادر أبو شريعة، وحسين لافي قزق. ط: ١، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان - الأردن ١٩٩٠.
- ١١٨- مشكل إعراب القرآن، لأبي محمد مكي ابن أبي طالب القيسي ت ٤٣٧هـ، تحقيق أسامة عبد العظيم، ط: ١، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠١٠ م.
- ١١٩- المصدر المؤول، بحث في التركيب والدلالة، للأستاذ الدكتور طه محمد الجندي، دار الثقافة العربية، (د.ت).

- ١٢٠- المطالع السعيدة، لجلال الدين السيوطي ت ٩١١ هـ، تحقيق: طاهر سليمان حمودة، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع - الاسكندرية ١٩٨٣ م .
- ١٢١- معاني الحروف، لأبي الحسن علي بن عيسى الرّماني ت ٣٨٤ هـ. حققه: د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة ١٩٧٣ م .
- ١٢٢- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج ت ٣١١ هـ، تحقيق: إبراهيم بن السري بن سهل، وعبد الجليل عبده شلبي، ط: ١، عالم الكتب - بيروت، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- ١٢٣- معاني النحو، للدكتور فاضل صالح السّامرائي. ط: ٣، دار الفكر، ٢٠٠٨ م .
- ١٢٤- معجم البلاغة العربية، للدكتور بدوي طبانة ، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض ١٩٨٢ .
- ١٢٥- معجم الشعراء من العصر الجاهلي حتّى نهاية العصر الأموي، للدكتور عفيف عبد الرّحمن، ط: ١، دار المناهل، بيروت - لبنان ١٩٩٦ م ،
- ١٢٦- معجم شواهد العربية، لعبد السلام هارون، ط: ٣، مكتبة الخانجي بالقاهرة. (د.ت) .
- ١٢٧- معجم شواهد النحو الشعريّة، للدكتور حنا جميل حدّاد، ط: ١، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض - السعودية، ١٩٨٤ م .
- ١٢٨- معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، للدكتور أحمد مختار عمر. بمساعدة فريق عمل ط: ١، عالم الكتب، القاهرة، ٢٠٠٨ م .
- ١٢٩- المعجم المفصّل في شواهد النحو الشعرية، للدكتور إميل بديع يعقوب، ط: ٢، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ١٩٩٩ م .
- ١٣٠- المعجم الوسيط، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى ورفاقه، وأشرف على طبعه: عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، المكتبة العلمية، طهران (د.ت) .
- ١٣١- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري، حققه: محمد محيي الدين عبد الحميد. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، (د.ت) .
- ١٣٢- المفصل في صنعة الإعراب، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ت ٥٣٨ هـ، تحقيق: الدكتور علي بوملحم. ط: ١، مكتبة الهلال - بيروت، ١٩٩٣ .

١٣٣- المفصل في علم العربية، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ت ٥٣٨ هـ، وبذيله: المفصل في شرح أبيات المفصل للسيد محمد بدر الدين أبي فراس النعساني الحلبي . ط : ٢، دار الجيل، بيروت، ١٣٢٢هـ.

١٣٤- المقتصد في شرح الإيضاح، لعبد القاهر الجرجاني ت ٤١٧ هـ، تحقيق د كاظم بحر المرجان. دار الرشيد للنشر. العراق ١٩٨٢ م .

١٣٥- المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ت ٢٨٥ هـ، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة. عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت. لبنان ٢٠١٠ م .

١٣٦- المُقَرَّب، لعلي بن مؤمن بن عصفور ت ٦٦٩ هـ، تحقيق: أحمد عبد الستار، وعبد الله الجبوري. ط : ١ مطبعة العاني، بغداد ١٩٧١ م .

١٣٧- من أسرار اللغة، للدكتور إبراهيم أنيس، ط : ٧. مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٩٤م.

١٣٨- الموجز في قواعد اللغة العربية، لسعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني ت ١٤١٧ هـ، دار الفكر - بيروت - لبنان ٢٠٠٣م .

١٣٩- الموفي في النحو الكوفي، لصدر الدين الكنغراوي الإستانبولي. تحقيق: محمد بهجة البيطار، المجمع اللغوي السوري، دمشق.

١٤٠- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، لمحمد بن علي التهانوي ت بعد ١١٥٨ هـ، مراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، ط: ١، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ١٩٩٦م

١٤١- موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب، لخالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي المعروف بالوقاد ت ٩٠٥ هـ، تحقيق: عبد الكريم مجاهد. ط: ١، الرسالة - بيروت ١٩٩٦م.

١٤٢- نتائج الفكر في النحو، لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي ت ٥٨١ هـ. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض. ط: ١، دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٩٢ م.

١٤٣- النحو والدلالة، لفريد حيدر عوض. ط: ١، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م.

١٤٤- النحو والدلالة، مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، للدكتور محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب للطباعة والنشر. القاهرة ٢٠٠٦.

١٤٥- النحو الوافي، لعباس حسن، ط: ١٤، دار المعارف، القاهرة - مصر. (د.ت).

١٤٦- النحو الوصفي في القرآن الكريم، د. محمد صلاح بكر، مؤسسة الصباح، الكويت (د.ت).

١٤٧- همع الهوامع شرح جمع الجوامع، للإمام جلال الدين السيوطي، تحقيق وشرح: الدكتور عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت ١٩٧٧ م .

١٤٨- الوافية في شرح الكافية، لركن الدين الحسن بن محمد بن شرف الدين الإسترابادي ت ٧١٥ هـ، تحقيق: عبد الحفيظ شلبي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عُمان - ١٩٨٣ م .

ثانيًا: الرسائل العلمية:

• رسائل الدكتوراه:

- الدلالة النحوية والصرفية وأثرها في استنباط الأحكام الفقهية في كتب أحكام القرآن، للدكتور أحمد محمود عبد القادر درويش. رسالة دكتوراه مودعة في مكتبة كلية دار العلوم/ عام ٢٠٠٨ .

ثالثًا: الدوريات والمجلات:

- مجلة أبحاث اليرموك « سلسلة الآداب واللغويات » منشورات جامعة اليرموك، عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، المجلد السابع، العدد الأول ١٩٨٩م. ص ١٢٥. جامعة اليرموك ، إربد - الأردن. بحث بعنوان: «هل الحال فضلة في أسلوب العربية؟» .

- مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. العدد ٥٨. (د.ت). بحث بعنوان: «ظاهرة التقارض في النحو العربي»، لأحمد محمد عبد الله .

فهرس المحتوى

رقم الصفحة	المحتوى
١١	تقديم .
١٣	مقدمة .
	مدخل الكتاب، ويشمل :
١٥	أولاً : مفهوم كلمة الأدب .
١٥	ثانياً : الأدب في الخليج العربي .
١٧	ثالثاً : الأدب القطري .
١٩	رابعاً : التعريف بالشاعر .
٢٣	الباب الأول : التقديم والتأخير في شعر مبارك بن سيف، ويحتوي :
	الفصل الأول : التقديم في الجملة الاسمية، وقيمه الدلالية في شعر مبارك بن سيف، وفيه :
٢٧	أولاً : أنماط التقديم في الجملة الاسمية في شعر مبارك بن سيف .
٢٧	تمهيد .
٣١	النمط الأول : تقديم المسند (الخبر) على المسند إليه (المبتدأ) .
٥٢	النمط الثاني : تقديم ما كان أصله خبراً (خبر النواسخ الفعلية) .
٥٦	النمط الثالث : تقديم ما كان أصله خبراً (خبر النواسخ الحرفية) .
٥٨	النمط الرابع : تقديم متعلقات الجملة المنسوخة وغير المنسوخة .
٧٣	ثانياً : استنتاجات حول قضايا التقديم في الجملة الاسمية .
١٠٨	ثالثاً : القيم الدلالية لتقديم الخبر على المبتدأ .
	الفصل الثاني : التقديم في الجملة الفعلية، وقيمه الدلالية، وفيه :
١٢١	أولاً : تقديم الفاعل على فعله، وقيمه الدلالية .
١٢٦	ثانياً : تقديم المفعول به، وقيمه الدلالية .
١٤٢	ثالثاً : تقديم متعلقات الجملة الفعلية، وقيمه الدلالية .
١٥٣	الباب الثاني : الحذف في شعر مبارك بن سيف آل ثاني، ويشمل :
١٥٧	(١) مفهوم الحذف .
١٥٨	(٢) حذف المسند إليه (المبتدأ) .
١٦٧	(٣) القيم الدلالية لحذف المسند إليه (المبتدأ) .
١٧٥	(٤) حذف المسند (الخبر) .
١٨٢	(٥) القيم الدلالية لحذف المسند (الخبر) .
١٨٦	(٦) حذف الجملة الاسمية .
١٨٨	(٧) استنتاجات حول قضايا الحذف في الجملة الاسمية .

المحتوى	رقم الصفحة
الفصل الثاني: الحذف في الجملة الفعلية، وفيه :	
(١) حذف الفاعل .	١٩٩
(٢) حذف العامل في المصدر .	٢٠٧
(٣) حذف الفعل وجوبًا بعد إذا الشرطية .	٢١٥
(٤) حذف فعل القسم .	٢٢٥
الفصل الثالث: الحذف في العناصر غير الاسنادية :	
(١) حذف المفعول به .	٢٣١
(٢) حذف الفاء الواقعة في جواب الشرط .	٢٤٣
(٣) حذف الموصوف .	٢٤٧
(٤) حذف حرف النداء .	٢٤٨
الباب الثالث : الاستفهام والتنفي في شعر مبارك بن سيف، ويحتوي:	٢٥٥
الفصل الأول: الاستفهام في شعر مبارك بن سيف، وفيه :	
أولاً : التوطئة، وتشمل :	
(١) الاستفهام لغة واصطلاحًا .	٢٥٩
(٢) اجتماع أداتي الاستفهام .	٢٥٩
(٣) دخول أداة الاستفهام على حرف العطف .	٢٦٠
(٤) حذف أداة الاستفهام .	٢٦٣
ثانيًا : أدوات الاستفهام ودلالاتها في شعر مبارك بن سيف، وتشمل :	٢٦٥
(أ) حرفي الاستفهام :	٢٦٧
- الهمزة .	٢٦٧
- هل .	٢٦٧
(ب) أسماء الاستفهام .	٢٨٣
(١) ماذا .	٢٨٣
(٢) ما .	٢٨٦
(٣) مَنْ .	٢٩١
(٤) كم .	٢٩٥
(٥) أي .	٢٩٦
(ج) أسماء الاستفهام المتضمنة معنى الضرف .	٢٩٧
(١) كيف .	٢٩٧
(٢) أين .	٣٠٥
(٣) متى .	٣٠٩
(٤) أنى .	٣١٠
ثالثًا : الأغراض البلاغية للاستفهام في شعر مبارك بن سيف .	

رقم الصفحة	المحتوى
	الفصل الثاني: النفي وأدواته في شعر مبارك بن سيف .
٣٢١	أولاً: التوطئة، وتشمل :
٣٢١	(١) النفي لغة واصطلاحاً .
٣٢٢	(٢) دور النفي في بناء الجملة .
٣٢٦	ثانياً: أدوات النفي في شعر مبارك بن سيف :
٣٢٦	(١) لا .
٣٣٠	(٢) مَا .
٣٣٥	(٣) لَمْ .
٣٣٩	(٤) لَيْسَ .
٣٤٣	(٥) لَنْ .
٣٤٧	خاتمة .
٣٥١	ثَبَّتَ المصادر والمراجع .
٣٦٥	فهرس المحتوى .

إصدارات وزارة الثقافة والفنون والتراث
إدارة البحوث والدراسات الثقافية

م	الإصدارات	المؤلف	السنة
١	البدء من جديد	حصة العوضي	٢٠٠٠
٢	بداية أخرى	فاطمة الكواري	٢٠٠٠
٣	أصوات من القصة القصيرة في قطر	د. حسن رشيد	٢٠٠٠
٤	دنيانا مهرجان الأيام والليالي	دلال خليفة	٢٠٠٠
٥	قالت ستأتي	جاسم صفر	٢٠٠٠
٦	غنج الأميرة النائمة	فاروق يوسف	٢٠٠١
٧	وريثة الصحراء	سعاد الكواري	٢٠٠١
٨	ويخضر غصن الأمل	أحمد الصديقي	٢٠٠١
٩	بستان الشعر	حمد محسن النعيمي	٢٠٠١
١٠	رومانوف وجوليت	ترجمة/ النور عثمان	٢٠٠١
١١	الأدب المقارن من العالمية إلى العولمة	د. حسام الخطيب	٢٠٠١
١٢	الحضن البارد	د. حسن رشيد	٢٠٠١
١٣	سحابة صيف شتوية	خالد عبيدان	٢٠٠١
١٤	سيرة الوجد	أمير تاج السر	٢٠٠١
١٥	وجوه خلف أشعة الزمن	حصة العوضي	٢٠٠١
١٦	حافة الموسيقى	غازي الذبيبة	٢٠٠١
١٧	قصص أطفال	د. هيا الكواري	٢٠٠١
١٨	أوراق نسائية	د. أحمد عبد الملك	٢٠٠١
١٩	الفريج	إسماعيل ثامر	٢٠٠١

م	الإصدارات	المؤلف	السنة
٢٠	الأعمال الشعرية الكاملة ج ١ - ج ٢	د. أحمد الدوسري	٢٠٠٢
٢١	علمني كيف أحبك	معروف رفيق	٢٠٠٢
٢٢	قصص وحكايات شعبية	خليفة السيد	٢٠٠٢
٢٣	رحلة أيامي	صدى الحرمان	٢٠٠٢
٢٤	جرح وملح	عبد الرحيم الصديقي	٢٠٠٢
٢٥	خلف كل طلاق حكاية	وداد الكواري	٢٠٠٢
٢٦	دراسات في الإعلام والثقافة والتربية	د. أحمد عبد الملك	٢٠٠٢
٢٧	النثر العربي القديم	د. عبد الله إبراهيم	٢٠٠٢
٢٨	كأن الأشياء لم تكن	جاسم صفر	٢٠٠٢
٢٩	نعاس المغني	عبد السلام جاد الله	٢٠٠٢
٣٠	مدى	د. زكية مال الله	٢٠٠٢
٣١	قال المعنى	خليل الفزيع	٢٠٠٢
٣٢	المسرح الألماني المعاصر	د. عوني كرومي	٢٠٠٢
٣٣	المسرح في بريطانيا	محمد رياض عصمت	٢٠٠٢
٣٤	إبراهيم ناجي - الأعمال الشعرية المختارة	حسن توفيق	٢٠٠٢
٣٥	مسرح الصورة بين النظرية والتطبيق	د. صلاح القصب	٢٠٠٣
٣٦	النوافذ السبع	صيتة العذبة	٢٠٠٣
٣٧	الرحيل والميلاد	جمال فايز	٢٠٠٣
٣٨	أوراق ثقافية	د. كلثم جبر	٢٠٠٣
٣٩	بدائع الشعر الشعبي القطري	علي الفياض / علي المناعي	٢٠٠٣
٤٠	شبابيك المدينة	ظافر الهاجري	٢٠٠٣

م	الإصدارات	المؤلف	السنة
٤١	حضارة العصر الحديث	د. شعاع اليوسف	٢٠٠٣
٤٢	المتراشقون «مسرحية»	غانم السليطي	٢٠٠٣
٤٣	معاناة الداء والعذاب في أشعار السياب	د. حجر أحمد حجر	٢٠٠٣
٤٤	سحائب الروح	سنان المسلماني	٢٠٠٣
٤٥	أصوات قطرية في القصة القصيرة	د. عبد الله إبراهيم	٢٠٠٣
٤٦	ذاكرة الإنسان والمكان	خالد البغدادي	٢٠٠٣
٤٧	إبراهيم العريض شاعراً	عبد الله فرج المرزوقي	٢٠٠٣
٤٨	الصحافة العربية في قطر	إبراهيم إسماعيل	٢٠٠٤
٤٩	أم الفواجع	علي ميرزا	٢٠٠٤
٥٠	صباح الخير أيها الحب	وداد عبد اللطيف الكواري	٢٠٠٤
٥١	الصحافة العربية في قطر «مترجم إلى الإنجليزية»	إبراهيم إسماعيل ترجمة / النور عثمان	٢٠٠٤
٥٢	لآلئ قطرية	علي عبد الله الفياض	٢٠٠٥
٥٣	الأعمال الشعرية الكاملة	مبارك بن سيف آل ثاني	٢٠٠٥
٥٤	التفاحة تصرخ.. الخبز يتعري	دلال خليفة	٢٠٠٥
٥٥	إدارة التغيير	عبد العزيز العسيري	٢٠٠٥
٥٦	الشعر الحديث في قطر	د. عبد الله فرج المرزوقي	٢٠٠٥
٥٧	الشرح المختصر في أمثال قطر	خليفة السيد	٢٠٠٥
٥٨	لؤلؤ الخليج ذاكرة القرن العشرين	خالد زيارة	٢٠٠٥
٥٩	على رمل الخليج	محمد إبراهيم السادة	٢٠٠٥
٦٠	إبداعات خليجية	(مسابقة القصة القصيرة لدول مجلس التعاون)	٢٠٠٥

م	الإصدارات	المؤلف	السنة
٦١	الأدب المقارن وصبوة العالمية	د. حسام الخطيب	٢٠٠٥
٦٢	مهارات الإرشاد النفسي وتطبيقاته	د. موزة المالكي	٢٠٠٥
٦٣	تجريبية عبد الرحمن منيف في مدن الملح	نورة محمد آل سعد	٢٠٠٥
٦٤	المعري يعود بصيراً	د. أحمد عبد الملك	٢٠٠٥
٦٥	وردة الإشراف	حسن توفيق	٢٠٠٥
٦٦	مجاديفي	حصة العوضي	٢٠٠٥
٦٧	الأعمال الشعرية الكاملة ج ١	د. زكية مال الله	٢٠٠٥
٦٨	أسباب للانتماء	رانجيت هوسكوتي ترجمة: ظبية خميس	٢٠٠٥
٦٩	تباريح النوارس	بشرى ناصر	٢٠٠٥
٧٠	المرأة في المسرح الخليجي	د. حسن رشيد	٢٠٠٥
٧١	أبو حيان .. ورقة حب منسية	حمد الرميحي	٢٠٠٥
٧٢	تطور التأليف في علمي العروض والقوافي	د. أنور أبو سويلم د. مريم النعيمي	٢٠٠٥
٧٣	أحزان كبيرة	أمير تاج السر	٢٠٠٥
٧٤	الديوان الشعبي	عيد بن صلهاام الكبسي	٢٠٠٥
٧٥	ذاكرة الذخيرة	علي بن خميس المهندي	٢٠٠٦
٧٦	تجليات القص «مع دراسة تطبيقية في القصة القطرية»	باسم عبود الياسري	٢٠٠٦
٧٧	سمط الدهر «قراءة في ضوء نظرية النظم»	د. أحمد سعد	٢٠٠٦
٧٨	كان يا ما كان	خولة المناعي	٢٠٠٦
٧٩	الظل والهجير «نصوص مسرحية»	د. حسن رشيد	٢٠٠٦

م	الإصدارات	المؤلف	السنة
٨٠	الرواية والتاريخ	مجموعة مؤلفين	٢٠٠٦
٨١	وجوه متشابهة «قصص قصيرة»	خليفة عبد الله الهزاع	٢٠٠٦
٨٢	المسرح والمدينة	د. يونس لوليدي	٢٠٠٦
٨٣	الأعمال الشعرية الكاملة ج٢	د. زكية مال الله	٢٠٠٦
٨٤	الدفتر الملون الأوراق	حصة العوضي	٢٠٠٦
٨٥	الظل وأنا	نسرين قفة	٢٠٠٦
٨٦	حقيبة سفر	صفاء العبد	٢٠٠٦
٨٧	مسرحيات قطرية (أمجاد يا عرب - هلو Gulf)	غانم السليطي	٢٠٠٦
٨٨	العالم وتحولاته (التاريخ - الهوية - العولمة)	د. إسماعيل الربيعي	٢٠٠٦
٨٩	موال الفرخ والحزن والفيلة «نصان مسرحيان»	حمد الرميحي	٢٠٠٦
٩٠	حكاية جدتي	مريم النعيمي	٢٠٠٦
٩١	صورة المرأة في مسرح عبدالرحمن المناعي	إمام مصطفى	٢٠٠٦
٩٢	ديوان ابن فرحان	حسن حمد الفرحان	٢٠٠٧
٩٣	موال الفرخ والحزن والفيلة «مترجم إلى الفرنسية»	حمد الرميحي	٢٠٠٧
٩٤	الفن التشكيلي القطري.. تتابع الأجيال	خالد البغدادى	٢٠٠٧
٩٥	دراسة في الشعر النبطي	حمد الفرحان النعيمي	٢٠٠٧
٩٦	بداية أخرى «مترجم إلى الإنجليزية»	فاطمة الكواري	٢٠٠٧
٩٧	وجع امرأة عربية «مترجم إلى الإنجليزية»	د. كلثم جبر	٢٠٠٧
٩٨	الخيال.. رياضة الآباء والأجداد	صلاح الجيدة	٢٠٠٧
٩٩	النقد بين الفن والأخلاق، حتى نهاية القرن الرابع الهجري	د. مريم النعيمي	٢٠٠٨
١٠٠	وداع العشاق	حسين أبو بكر المحضار	٢٠٠٨

م	الإصدارات	المؤلف	السنة
١٠١	الوزة الكسولة	د. لطيفة السليطي	٢٠٠٨
١٠٢	المهن والحرف والصناعات الشعبية في قطر	خليفة السيد محمد المالكي	٢٠٠٨
١٠٣	العشر الأوائل.. رائدات الفن التشكيلي في قطر	خولة المناعي	٢٠٠٨
١٠٤	الرواية العربية.. رحلة بحث عن المعنى	عماد البليك	٢٠٠٨
١٠٥	دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر	د. عبد القادر حمود القحطاني	٢٠٠٨
١٠٦	السلحف البحرية في دولة قطر	د. جاسم عبد الله الخياط د. محسن عبد الله العنسي	٢٠٠٨
١٠٧	تجليات اللون في الشعر العربي الحديث في النصف الثاني من القرن العشرين	د. ماجد فارس قاروط	٢٠٠٨
١٠٨	الموسوعة الصيدلانية	د. زكية مال الله	٢٠٠٩
١٠٩	المدارس المسرحية منذ عصر الإغريق حتى العصر الحاضر	أ. د. جمعة أحمد قاجة	٢٠٠٩
١١٠	من أفواه الرواة	علي عبد الله الفياض	٢٠٠٩
١١١	صورة الأسرة العربية في الدراما التلفزيونية	د. إبراهيم إسماعيل	٢٠٠٩
١١٢	دور الدراما القطرية في معالجة مشكلات المجتمع	د. ربيعة الكواري د. سميرة متولي عرفات	٢٠٠٩
١١٣	ديوان الغربة	إسماعيل تامر	٢٠٠٩
١١٤	الحب والعبودية في مسرح حمد الرميحي	خالد سالم الكلبياني	٢٠٠٩
١١٥	قصة حب طبل وطاردة «مترجم إلى الإنجليزية»	حمد الرميحي	٢٠١٠
١١٦	التراث والسرد	د. حسن المخلف	٢٠١٠
١١٧	ديوان الأعشى (جزآن)	تحقيق: د. محمود الرضواني	٢٠١٠
١١٨	توظيف التراث في شعر سميح القاسم	لولوة حسن العبدالله	٢٠١٠

م	الإصدارات	المؤلف	السنة
١١٩	إساءة الوالدين إلى الأبناء وفاعلية برنامج إرشادي لعلاجها	أمل المسلماني	٢٠١٠
١٢٠	شحنات المكان	ياسين النصير	٢٠١٠
١٢١	من أدب الزوج الأمريكيان	عبد الكريم قاسم حرب	٢٠١٠
١٢٢	أزهار ذابلة وقصائد مجهولة للسياب	حسن توفيق	٢٠١٠
١٢٣	وضاح اليمن دراسة في موروثة الشعري	د. باسم عبود الياسري	٢٠١٠
١٢٤	قطر الندى	ندى لطفي الحاج حسين	٢٠١١
١٢٥	الوحي الثائر «سلسلة شعراء من السودان»	فضل الحاج علي	٢٠١١
١٢٦	شيء من التقوى «سلسلة شعراء من السودان»	الجيلي صلاح الدين	٢٠١١
١٢٧	في مرايا الحقول «سلسلة شعراء من السودان»	محمد عثمان كجراي	٢٠١١
١٢٨	المغاني «سلسلة شعراء من السودان»	مصطفى طيب الأسماء	٢٠١١
١٢٩	على شاطئ السراب «سلسلة شعراء من السودان»	أبو القاسم عثمان	٢٠١١
١٣٠	ديوان أم القرى «سلسلة شعراء من السودان»	الشيخ عثمان محمد أونسة	٢٠١١
١٣١	في ميزان قيم الرجال «سلسلة شعراء من السودان»	محمد عثمان عبدالرحيم	٢٠١١
١٣٢	من وادي عبق «سلسلة شعراء من السودان»	د. سعد الدين فوزي	٢٠١١
١٣٣	شبابتي «سلسلة شعراء من السودان»	حسين محمد حمدنا الله	٢٠١١
١٣٤	غارة وغروب «سلسلة شعراء من السودان»	محمد المهدي المجذوب	٢٠١١
١٣٥	من التراب «سلسلة شعراء من السودان»	د. محيي الدين صابر	٢٠١١
١٣٦	المجموعة الشعرية الكاملة «سلسلة شعراء من السودان»	محمد محمد علي	٢٠١١
١٣٧	النظام الدستوري في دولة قطر	أ.د. رعد ناجي الجده	٢٠١٢

م	الإصدارات	المؤلف	السنة
١٣٨	الفريج (رواية) - الطبعة الثانية	إسماعيل تامر	٢٠١٢
١٣٩	السردية الشفاهية	محمد إبراهيم السادة	٢٠١٣
١٤٠	حادي العيس	خليل الفزيع	٢٠١٣
١٤١	هموم في الإدارة	د. هند المفتاح	٢٠١٣
١٤٢	هالشكل يا زعفران (مسرحيتان باللهجة العامية)	عبدالرحمن المناعي	٢٠١٣
١٤٣	مقامات ابن بحر	عبدالرحمن المناعي	٢٠١٣
١٤٤	القدس في عيون الشعراء	محمد قجة	٢٠١٣
١٤٥	المصورون في قطر	حسين الجابر	٢٠١٣
١٤٦	عناكب الروح	بشرى ناصر	٢٠١٣
١٤٧	الخليج العربي دراسات في الأصول التاريخية والتطور السياسي	د. مصطفى عقيل الخطيب	٢٠١٣
١٤٨	فنّ الرسم عند الأطفال: جماليّاته ومراحل تطوره	سوسن عصفور	٢٠١٣
١٤٩	واحات وظلال	أحمد محمد الصديق	٢٠١٣
١٥٠	حلم يتفتح في صخر	حسن توفيق	٢٠١٤
١٥١	اناشيد البلابل	محمد ابراهيم السادة	٢٠١٤
١٥٢	عيوب الشعر	عبد الله السالم	٢٠١٤
١٥٣	المشكلات العملية في المناقصات والمزايدات	أحمد منصور محمد علي	٢٠١٤
١٥٤	الخليج حضارة وتاريخ	أحمد بن يوسف الخلفي	٢٠١٤
١٥٥	الحماية القانونية للمأثورات الشعبية القطرية	أ.د. حسن حسين البراوي	٢٠١٤
١٥٦	الإعلام المعاصر وسائله، مهاراته، تأثيراته، أخلاقياته	د. إبراهيم اسماعيل	٢٠١٤

م	الإصدارات	المؤلف	السنة
١٥٧	الإصدارات الثقافية لوزارو الثقافة والفنون والتراث من ١٩٧٦-٢٠١٣	محمد الكواري - شيخة الكواري	٢٠١٤
١٥٨	«سحر الطبيعة في قطر» «The Magic of Qatar landscape »	أحمد بن يوسف الخليفة	٢٠١٤
١٥٩	سميح القاسم في ظل الغياب	د. يحيى زكريا الأغا	٢٠١٤
١٦٠	الأرنب خرنوق	لولوة البنعلي	٢٠١٤
١٦١	لمسات معمارية	خالد المسلماني	٢٠١٥